

العلوم الإنسانية والاجتماعية قضايا معاصرة

” التكامل أساس المعرفة “

تنسيق د. بحري صابر

العلوم الإنسانية والاجتماعية قضايا معاصرة “ التكامل أساس المعرفة “
Human and Social Sciences Contemporary Issues

Human and Social Sciences Contemporary Issues

Coordinated by: Dr. BAHRI Saber



Democratic Arab Center
For Strategic, Political & Economic Studies
Deutschland – Gensinger Str. 112 , 10315 Berlin
<https://democraticac.de>

أعمال المؤتمر الدولي
العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة
التكامل أساس المعرفة
أيام 1-2-3 نوفمبر 2019
ألمانيا- برلين
الجزء الثامن (08)

المؤتمر الدولي العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا
معاصرة التكامل أساس المعرفة
المنظم من طرف
المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين
بالتنسيق مع
مخبر الطفولة والتربية ما قبل التمدرس جامعة لونيبي
علي البلدية- الجزائر
أيام 1-2-3 نوفمبر 2019
ألمانيا- برلين

تنسيق: بحري صابر
كتاب: العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل أساس المعرفة
رقم تسجيل الكتاب :
VR.3373.6348.B
الطبعة الأولى
نوفمبر 2019
الجزء الثامن

الناشر:

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.
ألمانيا- برلين
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه ه في نطاق إستعادة
المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق خطي من الناشر .
جميع حقوق الطبع محفوظة: للمركز الديمقراطي العربي
برلين- ألمانيا.

2018

All rights reserved No part of this book may by reproduced.
Stored in a retrieval System or tansmitted in any form or by
any meas without prior Permission in writing of the publishe
المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

Germany:

Berlin 10315 GensingerStr: 112

Tel: 0049-Code Germany

54884375 -030

91499898 -030

86450098 -030

mobiltelefon : 00491742783717

E-mail: book@democraticac.de

العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة

التكامل أساس المعرفة

رئيس المركز الديمقراطي العربي ألمانيا- برلين

أ.عمار شرعان

مدير مخبر الطفولة والتربية ما قبل التمدرس جامعة

لونيسي علي البليدة2- الجزائر

أ.د لورسي عبد القادر

تنسيق:

د.بحري صابر

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر

رئيس اللجنة العلمية

د.خرموش منى

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر

الرقم	العنوان	الصفحة
تقديم: العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل أساس المعرفة د.بحري صابر جامعة محمد لهين دباغين سطيف 2-الجزائر		
01	التراث الثقافي جزء من مقومات التنمية السياحية في الجزائر "مدينة تلمسان وقصبة مدينة الجزائر نموذجا" أ.د مطروح ام الخير، المركز الوطني للبحث في علم الآثار- الجزائر	9
02	تفضيل اللون وأهميته في اتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك الجزائري د.حمدادة ليلي، جامعة تيارت-الجزائر أ.د. مباركي بوحفص، جامعة وهران 2-الجزائر	29
03	القرآن الكريم والتكامل المعرفي د.زكية عرعار، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر	42
04	المقاوالاتية ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية في الجزائر د.جاب الله طيب، جامعة البويرة-الجزائر إسحاق رحماني جامعة البويرة-الجزائر أ.لقليطي زيان، جامعة الجزائر 2-الجزائر	54
05	الدراسات الدلالية في المؤسسة الأكاديمية / إقليم كردستان أ.د.ابراهيم عبود السامرائي، جامعة كوية م.م. شيلان فتحي الهوندي، جامعة السليمانية، إقليم كردستان-العراق	66
06	تفعيل الممارسة التعليمية من أجل جودة البحث العلمي في التعليم العالي د.عيساوة وهيبة، جامعة عمار ثليجي الأغواط-الجزائر د.مامش نجية، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر د.بدران دليلة، جامعة عمار ثليجي الأغواط-الجزائر	75
07	سياسة هتلر تجاه العراق 1930-1945 م. د منى محمد حسون السعدي / الكلية التربوية المفتوحة / وزارة التربية-العراق	87
08	((صورة اللّغة العربيّة في الإعلام المرئيّ، وأثرها في بناء الهويّة)) "فضائيّة الجزيرة الإخباريّة نموذجا" د. عمّار عبد القادر محمّد شبلي جامعة بير زيت- فلسطين	105
09	اللغة العربية والمعرفة م.د ساهرة حسين محمود قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة البصرة-العراق	114
10	الحرب الدولية على الإرهاب لم تبدأ بعد... د.شاهر إسماعيل الشاهر، جامعة صن يات سين-الصين	139

150	النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت وآليات السيطرة. د. طاهر لقواس علي، جامعة حسبية بن بوعلي - الشلف - الجزائر	11
161	دور الصناعات التقليدية في الترويج للسياحة التراثية – الجنوب الجزائري نموذجاً - د. بن سعيد مسعودة آمال أ. تركي حفيفة جامعة طاهري محمد - الجزائر - جامعة طاهري محمد - الجزائر -	12
176	التدريب عنصر استراتيجي لتنمية الموارد البشرية د. بن دريدي منير، جامعة سوق اهراس، الجزائر د. طرابلسي عبد الحق، جامعة سوق اهراس، الجزائر.	13
187	التحديات الأمنية الجديدة في المنطقة المغاربية: قراءة في استراتيجيات المكافحة" د. ديبشي عقيلة أستاذة محاضرة جامعة باريس 8- فرنسا د. صاغور هشام أستاذ محاضر جامعة غليزان-الجزائر	14
208	أهم الأخطاء الشائعة في اختيار العينة في البحوث النفسية والتربوية وصعوباتها د. خرموش منى، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر د. شحي سلمي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر د. جغبوب دلال، جامعة أم البواقي - الجزائر	15
218	دور تقنية lehuche في التخفيف من حدة التأناة للأطفال بين سن 11-12 سنة د. بوعزة الصالح، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر أ. قيرواني زهية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر	16
227	المنظور الوظيفي وأهميته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها د. العياشي ادراوي. أستاذ التعليم العالي. تخصص: اللسانيات التطبيقية وفلسفة اللغة. جامعة محمد الأول. وجدة. المملكة المغربية	17
238	العنف المجتمعي ضد المرأة في مصر "التحرش الجنسي نموذجاً" د. وفاء سهير نعيم، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - مصر	18
256	الحراك الإعلامي العربي وبداية نهاية احتكار السلطة السياسية للإعلام؟ د. المعز بن مسعود: أستاذ الإعلام والاتصال المشارك بجامعة قطر - قطر	19
270	العنف الأسري ضد المرأة: الأسباب والآثار د. خيدر جميلة، جامعة مولود معمري تيزي وزو - الجزائر	20

279	البحث اللغويّ عندَ الكسائي (ت189هـ) في كتبِ أصولِ الفقه أ.د. صباح علي السليمان قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت-العراق	21
292	دور التكفل بالمصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني لديهم د.سعيدة زرقاق، مخبر تربية تكوين عمل، جامعة الجزائر2-الجزائر	22
303	المعالم الرومانية العلاجية في الشرق الجزائري _ بين الاستهراية والاندثار أ.عليات جيدة _ طالبة دكتوراه سنة ثالثة _ معهد الآثار – الجزائر	23
316	استراتيجيات العلاقات العامة في إدارة أزمة الربيع العربي الثورة المصرية : ثورة 25 يناير نموذجا د. خالد سعيد، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة طاهري محمد -بشار الجزائر د. رايس علي إبتسام، مخبر سيجما، جامعة أحمد بن بلة 1 – وهران- الجزائر	24
335	الإطار المفاهيمي والنظري لعلم النفس الإيجابي. أ.د بوروي رجاح فريدة، جامعة مولود معمري تيزي وزو - الجزائر د. أوشيش الجودي، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر أ.- عليوان حميدة، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر	25

تقديم:

لا يمكن لأي دولة أن تنمو وتتطور دون أن تطور مجال البحث العلمي الذي يعد الركيزة الأساسية لأي رقي يمكن أن تنشده الدول اليوم ، وتطوير البحث العلمي لا يكون في مجال دون غيره ذلك أن كل العلوم تتكامل فيما بينها لتحقيق هدف واحد وهو خدمة الإنسان بالدرجة الأولى ، لذا فيخطأ من يعتقد أن الإهتمام بمجال دون غيره هو المنفذ للتطوير ذلك أن المنفذ الوحيد لتطور وتقدم الأمم هو إيلاء كل مجال حقه دون أي تمييز أو تعصب وهو المسار الذي ننتقل منه للتطوير (بحري صابر ، 2018).

ولعل المؤتمر الدولي العلوم الانسانية والاجتماعية قضايا معاصرة التكامل أساس المعرفة قد إنطلق من فكرتين أساسيتين ، الأولى تؤكد أهم القضايا المعاصرة التي أضحت تعالجها العلوم الانسانية والاجتماعية في محاولة للتجديد والتطوير وهو أحد الرهانات والمسائل التي تطرح في ظل المقاربات المعرفية المختلفة ، والفكرة الثانية تنطلق من أساس المعرفة وهو تكامل العلوم لخدمة الإنسان بالدرجة الأولى.

إن مختلف حقول العلوم الانسانية والاجتماعية على الرغم من أنها تعيش اليوم العديد من الأزمات في دراسة المشكلات ومعالجة القضايا الراهنة إلا أنها لا تزال تشكل رصيذا معرفيا يساهم في بلورة المفاهيم والنظريات حول القضايا الانسانية والاجتماعية التي تحتاج لتكاتف جميع الجهود لمعالجتها وفق قضايا إنسانية.

إن إستشعارنا بأهمية تناول مقاربة تكاملية في دراسة المشكلات ليس وليد الساعة ذلك أن القضايا الانسانية والاجتماعية تطرح في تخصصات متعددة وفق مقاربات وزوايا مختلفة ما يجعل من حقيقة محاولة بناء جسر للتواصل المعرفي الجامع للعلوم الهدف الأسمى لتقريب الرؤية في معالجة قضايا الإنسان على إعتبار أن الهدف الأسمى لكل تخصص ومعرفة هو خدمة الإنسان وتحقيق الرفاه له بتنبؤه للسبيل نحو الهدف الانساني المنشود في تخطيط رؤية مستقبلية لبناء منحنى إنساني في مجال تكامل العلوم لخدمة الفرد.

ولأن العلوم الانسانية والاجتماعية تلعب دورا أساسيا في عالم المعرفة اليوم خاصة وأن كل العلوم تنطلق منها في محاولة لتحقيق تنمية مستدامة على مختلف الأصعدة الإنسانية التي تتمظهر بقضايا إنسانية واجتماعية متنوعة ومتبانية إلى حد ما.

ما فتأت الكثير من القضايا تطرح هنا وهناك وفق مقاربات معرفية في ظل كل التخصصات أين يمكن النظر إلى كل قضية إنسانية أو إجتماعية من عدة أبعاد تخصصية ، وهو ما يجعل من التناول النسقي المتكامل لمختلف التخصصات أمر جد هام بالنظر لتلاقح المعرفة لتكوين إنسان يتمتع بالرفاه.

تتوقف تطورات المجتمعات على تطور المعارف ومدى مساهمتها كفاعل أساسي في التنمية بشتى مجالاتها ، أين تعد مسألة النظرية والواقع أحد أهم الإشكاليات التي تطرح في مجال المعرفة الإنسانية ، ذلك أن رقي الأمم وتطورها يتوقف على مساهمة مراكز البحث ومؤسساته في دراسة المشكلات التي

تعاني منها المجتمعات في إطار إيجاد الحلول المناسبة للمعضلات البشرية كل على مستواه ومن منظوره ، على إعتبار أن العلوم لا تتنافس فيما بينها بقدر ما هي تكمل بعضها البعض خدمة للبشرية والإنسانية جمعاء بدون النظر لإختلاف العرق ، الدين ، الجنس.....

مركز إهتمام مختلف العلوم هو الإنسان من زوايا متعددة ، إن فهم الإنسان بكل تعقيداته ليس بالأمر السهل وهو ما يجعل الدراسات والأبحاث دائما تتجه نحو إستقصاء وتحليل سلوكياته المختلفة في محاولة لفهم الإنسان من حيث القدرات والمهارات والطاقات وهو أمر يستدعي تداخل الكثير من العلوم الانسانية والاجتماعية والطبيعية والبيولوجية والطبية في محاولة لرصد ما يحدث داخل هذا الكائن الحي الذي يبقى قابلا للدراسة في أي وقت وفي أي مكان من خلال فهم الماضي والحاضر وإستشراف المستقبل.

وإننا من هذه الزوايا نحاول أن نقدم إسهاما وفق رؤيتنا الخاصة في طرح مختلف القضايا المعاصرة في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية في ظل الآمال المنتظرة والآفاق المستقبلية التي سوف تحقق من خلال رؤية على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

د.بحري صابر ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2/ الجزائر

التراث الثقافي جزء من مقومات التنمية السياحية في الجزائر "مدينة تلمسان وقصبة مدينة الجزائر

نموذجاً"

أ.د مطروح ام الخير ، المركز الوطني للبحث في علم الآثار- الجزائر

مقدمة:

أصبحت السياحة في السنوات الأخيرة مطلبا اقتصاديا هاما في كل الدول ، بل أصبحت في مقدمة النشاطات الاقتصادية التي تحظى بالاهتمام نظرا لما تحققة من أهداف ومزايا في كل الأصدءة ، فكل الدول اليوم تسعى للترويج لمقاصدها السياحية في المحافل الدولية ، والجدير بالذكر أن انتعاش هذه الصناعة على المستوى الدولي يرتكز أساساً على مدى انتعاشها على المستوى المحلي.

والجزائر على غرار بقية الدول تتمتع بمقومات سياحية هامة ، ذات ثراء ثقافي وتاريخي ، حطت عليها العديد من حضارات والثقافات المترامية الأطراف بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، كان لأبد من الاهتمام بهذه المؤهلات لترقية السياحة الثقافية و دعمها على المستوى الداخلي ، فولاية تلمسان وقصبة مدينة الجزائر العاصمة من المناطق السياحية التي تحتضن كل منها الكثير من المواقع الأثرية والتاريخية ، والتي يحتاج جميعها لترميم و تهيئة و صيانة. حتى تكون مقصدا سياحيا متنوعا بتاريخها من خلال معالمها التي لا تزال تطاول الزمن.

ومن هنا تبرز أهمية الدراسة من خلال الاهتمام المتزايد بالسياحة الثقافية من بين أنواع السياحة الأخرى كشكل متنوع ومتجدد باستمرار من خلال ابتكار طرق جديدة لجذب السياح ، هؤلاء الذين يأخذون بتنوع الموروث الثقافي الذي يتمثل في التراث المعماري الذي تعرضه المواقع الأثرية والمعالم التاريخية التي تؤسس لصناعة السياحة وتؤكد على حماية هذه المواقع للأجيال القادم ، فالحماية والمحافظة والترميم تهدف إلى استرداد الذاكرة الجماعية للأمم ، وما يعز هذه الأهمية أكثر هو إدراك السلطات الجزائرية ضرورة اللجوء إلى هذه العمليات لاسترجاع ذلك الماضي البعيد والمحافظة عليه والاستفادة منه حاضرا ومستقبلا.

ومن بين المدن التي تم تصنيفها مدينة الجزائر العريقة لتقف شاهدا على التنوع والتميز الذي تزخر به من خلال قصورها ومساجدها وأزقتها ، حيث تشكل متحفاً إضافة إلى الزخم الهائل من التقاليد و العادات و الثقافات التي يمكن أن تشكل في مجملها دعماً لمنتوج سياحي واعد من شأنه أن يؤهلها لتقديم منتوج سياحي مميز ، ولأن تكون وجهة سياحية و مقصدا للسياح بالدرجة الأولى ، إذا ما تم ترميمها واستغلالها استغلالا جيدا في جذب السائحين مجارة لجارتها تونس التي تعد نموذجا ناجحا في استغلال التراث العمراني ، وذلك من اجل النهوض بالقطاع السياحي لتحقيق تنمية مستدامة ، ومنه يأتي السؤال .

كيف يمكن تحقيق تنمية سياحية مستدامة في مناطق التراث العمراني بالخصوص قصور معالم مدينة تلمسان و قصبة مدينة الجزائر؟

لقد تضمن المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير حماية المناطق التراث الثقافي و التاريخي ، و قد تم التأكيد على هذه الحماية في النصوص التطبيقية له ، حيث منعت منعاً باتاً كل الأعمال المتعلقة بالبناء التي تقع في

المناطق ذات التراث الثقافي و التاريخي كالحفريات والآثار التاريخية باعتبارها جزء لا يتجزأ من الثروة الوطنية ، وذلك على أساس احترام مبادئ وأهداف السياسة الوطنية للتهيئة العمرانية. (القانون 29-90 الصادر بتاريخ 01 ديسمبر 1990م ، المادة 01).

لذا فإن الهدف من هذا الموضوع هو الوقوف على دور السياحة من خلال التراث العمراني وذلك بتسليط الضوء على بعض المعالم التراثية من مدينة تلمسان وقصبة مدينة الجزائر التي نالت قسطا من الترميم و أصبحت مهيأة للجذب السياحي و أصبح لها نشاط اقتصادي.

منهجية الدراسة: تم الاعتماد في دراسة هذا الموضوع على المنهج الوصفي والتحليلي ؛ للإحاطة بماهية السياحة وإبراز مظاهرها في كل من مدينة تلمسان وقصبة مدينة الجزائر ، من خلال تشخيص أهمية المواقع الأثرية كأحد مقومات السياحة الثقافية ، وكذلك الدور الذي لعبته عملية الترميم في بعض المعالم الأثرية في ترقيتها. و لمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا المحاور التالية:

المحور الأول: الإطار التاريخي للسياحة:

عرف الإنسان منذ وجوده على الأرض بتنقلاته بحثاً عن المأكل والمشرب باتخاذ مختلف وسائل النقل المتاحة آنذاك والتي تطورت عبر الزمن ، إذ يعود تنقل الإنسان من منطقة لأخرى إلى عشرات الآلاف من السنين ، فقد انتقل من شرق آسيا وعبر الألسكا إلى أمريكا كما يؤكد الباحثون الانثروبولوجيون ذلك من خلال الشبه الموجود بين ملامح الإنسان في شرق آسيا والهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين (مسعود مصطفى الكتاني ، 1990م ، ص11) أما المصريون القدامى فاستعملوا القوارب عبر البحر وبرا كانوا يسرون على الأقدام أو الدواب.لأن هذه الفترة لم تعرف نشاطا سياحيا حقيقيا لأن المسافر كان ينظم كل شيء بنفسه ، ويرى البعض أنه لا يمكن تسمية تلك التنقلات التي لازمت الإنسان منذ ظهوره على مئات آلاف السنين برحلاته سياحية لأن المقومات التي تركزت عليها هذه التسمية لم تكن موجودة لأن الحياة كانت بدائية (المرجع نفسه) . لكن بعد ظهور الزراعة وما ترتب عنها من استقرار قرب الأنهار و ميل الأفراد إلى التجمع و ظهور الحرف و تربية الحيوانات وصناعة النسيج ، فكانت هناك العديد من العوامل التي دفعت الإنسان الى مواصلة التنقل لتلبية حاجياته. هذه التنقلات أدت بالإنسان الى الإحتكاك بغيره من سكان العالم للتعرف على منجزاتهم ، من تنوع المناظر الثقافية وأساليب الحياة ، وهو ما يعرف في وقتنا الحاضر بمفهوم السياحة ، حيث أصبحت في كثير من الدول كصناعة لها أسس و قواعد إهتم بها العديد من المتخصصين بهذه الظاهرة على مر العصور ، وعليه يمكن تقسيم هذه الظاهرة الى مرحلتين فيما يلي(خالد كواش ، 2007م ، ص10).

1. **مرحلة الحضارات القديمة:** منذ وجود الإنسان وهو يتنقل من مكان لآخر لأن السفر جزء من حياته ، ولم تكن هناك حدود و لا حواجز تنظم طرق التنقل سوى الطبيعة ، ولم تكن تتوفر وسائل النقل ، لكن بظهورها و قيام الحضارات ، صار السفر وسيلة للتجارة و الثقافة والمنفعة ، إذ يعد الفينيقيون من أشهر الشعوب القديمة الذين أتمسوا بحب الترحال البحري ، بحثا عن المعرفة و الكسب المادي ، و هذا ما كانت تهدف إليه السياحة. وقد بلغ النشاط البحري للفينيقيين الذروة خلال الفترة من القرن 10 الى منتصف القرن 18 ق.م. عندما بلغت رحلاتهم شواطئ شبة جزيرة ايبيريا وبلاد الغال ومالطا وشمال إفريقيا.(خالد كواش ، 2007 ، ص 12).

ويعتبر الرومان كذلك من أول شعوب الحضارات القديمة . التي مارست ظاهرت السفر ، حيث كان السفر آنذاك مسورا نسبيا (عبد القادر مصطفى ، 2003م ، ص 38) ، فمعظم الرحالة الأوائل القدامى كانوا فنانيين و مؤرخين وجغرافيين و أدباء ومبشرين لذا جاءت كتاباتهم في أغلبها سجلات وفيها دقيا لانطباعاتهم عن حياة الشعوب التي زاروها (خالد كواش ، 2007) جاءت كتاباتهم وصفا عن طرق عيشهم ، وعاداتهم وتقاليدهم التي كانت سائدة آنذاك في كل البلاد .

2. المرحلة العصور الوسطى : امتدت ما بين القرن الخامس و نهاية القرن 15 الميلاديين ، و تميزت بنشاط و تعدد الرحلات التي قام بها كل من الاوروبيين والعرب ، و معظم هذه الرحلات كانت سياحية دينية ، إذ كثر السفر الى المعابد المسيحية في أوروبا ، و الأماكن المقدسة في فلسطين ، كما عرفت الرحلات البحرية الأوروبية خلال القرن 15 راجا كبيرا مع بداية حركة الاكتشافات الجغرافية(عبد القادر مصطفى، 2003، ص39).

أما المرحلة العربية الإسلامية كانت الفتوحات الأولى في الجزيرة العربية لنشر الإسلام بقيادة الرسول (صلى الله عليه و سلم) ، ومن بعده الخلفاء الراشدين ، و فتح شمال افريقيا (مسعود مصطفى ، 1990 ، ص 38) ، وتزايد نشاط الترحال واتسعت دائرة الرحلات العربية ، وامتدت إلى الدول العربية خلال القرن 18 الميلادي بين شبه القارة الهندية في الشرق وشمال إفريقيا وجنوبي أوروبا في الغرب و كوريا وجزر اليابان في الشرق (خالد كواش ، 2007 ، ص14). مما أدى إلى الاحتكاك والتعارف بثقافات الغير ، حيث إزدادت المعرفة الجغرافية ثراء لدى العرب ، فظهرت المراكز الحضارية والثقافية مثل بغداد وقرطبة في الأندلس التي زحرت بقصورها وحدائقها لإغراء الزوار وجذبهم للتعرف عن مواقعهم سواء من داخل الدولة الإسلامية أو خارجها ، فكل هذه ساهمت في رسم الخطوط الأولى للسياحة(محمد خميس ، الزوكة ،1995م ، ص19).

المحور الثاني : مفاهيم حول السياحة: تعتبر السياحة من أسرع أنواع الصناعات نموها في العالم و في الوقت الحاضر ، لذا وجهت الدولة الإهتمام لهذه الصناعة لما لها من أثار كبيرة في دعم الإقتصاد الوطني و تهيئة فرص العمل.

1.تعريف السياحة: تعدد مفاهيم السياحة و ذلك بتعدد ميادينها و انعكاساتها السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية و البيئية ، واستأثرت باهتمام الباحثين والدارسين من مجالات الفكر في الإقتصاد و السياسة ، و بذلك تنوعت الرؤى الواردة بشأنها في العلوم الحديثة تبعاً لنوع التمييز بينها و ظهور مصطلحات جديدة (نعيم الطاهر ، (ب-ت) ، ص29).

و بالرجوع للمعنى اللغوي نجد أنها تعني التجول و يقصد بها السير و الإنتقال من مكان لآخر ، حيث نجد عبارة "سائح في الأرض " ، وتعني ذهب و سار على وجه الأرض (كواش خالد ، 2007).

كما ورد لفظ السياحة في القرآن الكريم و ذلك في عدة مواضع ، في قوله تعالى: ﴿ براءة من الله و رسوله إلى الدين عاهدتهم من المشركين فسيحوا في الأرض أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة التوبة، الآية 2) . و قال الطبري في تفسيره : {يعني فسيروا في الأرض مقبلين مدبرين ، آمنين غير خائفين من رسول الله عليه الصلاة و السلام و أتباعه ، و يقول من ساح فلا في الأرض يسبح و سيحانا}{الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، ج 14 ، (د.ت) ، ص 92 ، 93 ، 94 ، 95}.

وقوله تعالى : ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (سورة التحريم، الآية 5) ، و بالتالي السياحة في الشريعة الإسلامية تعني ذلك النشاط أو الفعل البشري الذي تقيده جملة من التعاليم الشرعية ، مع إتباع آداب و سنن يستحسن مراعاتها من قبل السائحين نقادياً الوقوع في المحظورات التي نهى عنها الإسلام.

أما المعنى الاصطلاحي: تعني مجموع العلاقات والظواهر التي تترتب على سفر ، و على إقامة مؤقتة لشخص خارج مكان إقامته الاعتيادية ، وأن هذه الإقامة المؤقتة لا تتحول إلى إقامة دائمة ، وطالما لم ترتبط هذه الإقامة بنشاط يدر ربحاً لهذا الأجنبي(محمود كامل ، 1975 م ، ص 16).

ورغم صعوبة إيجاد تعريف شامل للسياحة نظراً لتعدد واختلاف تعاريفها بحسب الزاوية التي ينظر منها ، إلا أنه يمكن أن نورد بعض التعاريف التالية لأجل تبسيط مفهوم السياحة كما يلي:

أعطى العالم الألماني جوبير فرويلر (Guyer Freuler) المفهوم الحديث للسياحة سنة 1905م ووصف السياحة بأنها " ظاهرة تبتثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة وتغيير المكان والهواء ، و إلى التمتع بجمال الطبيعة والإحساس بها ، و كذا الإقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة وأيضاً تطور الاتصالات بين الشعوب والأفراد وأوساط مختلفة بين الجماعات الإنسانية ، وهي الاتصالات التي كانت ثمرة اتساع نطاق التجارة والصناعة وثمره وسائل النقل". (أحمد الجلال ، 1988م ، ص 18).

أما تعريف زكي خليل المساعد يقول: " السياحة عبارة عن إنتقال الناس بشكل مؤقت إلى أماكن خارج سكنهم أو أعمالهم الاعتيادية والنشاطات التي يقومون بها خلال الإقامة في تلك الأماكن ، والوسائل التي توفر إشباع حاجهم(زكي خليل ، 2005م ، ص 214) ويمكن الإستنتاج من هذا التعريف أن السياحة تعني تغيير مكان الإقامة الأصلي والتوجه إلى أماكن أخرى بشكل مؤقت.

وإضافة إلى هذا التعريف ، وجدت عدة تعاريف أخرى للسياحة فنجد أن العالم النمساوي "هيرمان (Herman Von Sholteron) عرف السياحة عام(1910م) على أنها" الإصلاح الذي يطلق على كل العمليات المتداخلة وخصوصاً العمليات الاقتصادية المتعلقة بدخول الأجانب و إقامتهم المؤقتة و انتشارهم داخل حدود منطقة أو ولاية أو دولة معينة(حمدي عبد العظيم ، 2013 م ، ص 6) وركز هذا التعريف على الجانب الاقتصادي للسياحة الداخلية والخارجية وأهم الجانب الاجتماعي والثقافي.

قد عرف حمدي عبد العظيم السياحة بأنها "مجموعة الأنشطة المختلفة التي تخدم الشخص المتنقل من مكان إلى مكان ، بعض العلماء ذكر أن السياحة تكون بسبب الترفيه ولأكثر من سبب ، هنالك سياحة داخلية داخل البلد المقيم فيها السائح أو خارجية للبلاد الأخرى ، وهناك السياحة المضادة وهي الخروج خارج البلد " (المرجع نفسه).

وقد عرف مؤتمر الأمم المتحدة للسياحة والسفر الدولي في روما سنة(1963 م) السياحة على أنها "ظاهرة اجتماعية وإنسانية تقوم على إنتقال الفرد من مكان إقامته إلى مكان آخر لفترة مؤقتة لا تقل عن 24 ساعة ، ولا تزيد عن 12 عشر شهراً ، بهدف السياحة الترفيهية أو العلاجية أو التاريخية ،وهي تنقسم إلى نوعين سياحة داخلية و سياحة خارجية "(محي محمد مسعد ، (ب- ت) ، ص 61) شمل هذا التعريف عدة جوانب ، حيث

نظر إلى السياحة على أنها ظاهرة إجتماعية و إنسانية، كما حدد مدة السياحة وميز بين السياحة الداخلية والخارجية، في حين أغفل عن الجانب الإقتصادي للسياحة.

وقد عرف المؤتمر الدولي للسفر والسياحة المنعقد في إوتاوا بكندا عام 1991م الذي عقدته المنظمة السياحية العالمية السياحة بأنها " مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها الأفراد والمسافرين والمقيمين في الأماكن خارج موطنهم أو بيئتهم المعتادة لمدة من الزمن، لقضاء أوقات الفراغ أو بعض الأعمال أو الأغراض الأخرى "(المرجع نفسه، ص 64).

2. مفهوم السياحة التراثية: تعرف السياحة التراثية على أنها " تجربة سفر إتجاه الماضي حيث الجذور وعمق التاريخ، من خلال أماكن أو أنشطة أو مهن أو تقاليد تمثل أصالة الناس و حكايات الماضي التي تعني فيما تعنيه التاريخ و الثقافة و المجتمع والموارد الطبيعية ".
أما السياحة في مفهوم علم الآثار هي تفاخر الإنسان بماضيه، كمنجزات ممتدة بجذورها تصل الماضي بالحاضر، ويستمد منها الأمل والعزم للمضي قدما نحو المستقبل، ويزداد الفخر بالأجداد إذا ما انطوت ذكراهم على منجزات مشهودة من آثار ومعجزات ورموز صامدة تتحدى الزمن، والتي بدورها تشد الإنسان ليتأمل ويحلل ويشد الرحال، ليرى ويقارن ويستمتع، وهذا ما جعل السياحة حتى القرن العشرين لا تعدوا من كونها آثار ثقافية في أغلبها، متمثلة في المعالم التاريخية و الأثرية والحفائر والمتاحف(زكي ابراهيم وفاء، 2006، ص 214).

نلاحظ من خلال هذه التعاريف أنه هناك إختلاف واضح في تعريف السياحة، وهو ناتج عن تطور دور السياحة في المجتمع، هذا ما جعل المنظمة العالمية للسياحة سنة (1993م) تضع تعريفا خاصا بالسياحة، إذ عرفتها على أنها "أنشطة الأشخاص المسافرين من أماكنهم والإقامة في أماكن خارج إقامتهم المعتادة لمدة تزيد عن سنة مستمرة لقضاء عطلة."(خربوطلي صلاح الدين، 2004، ص 20).

وعليه يمكن القول أن مفاهيم السياحة تعددت فكل منها يختلف عن الآخر بقدر إختلاف الزاوية التي ينطلق منها الباحث، فبعضهم يرى أنها ظاهرة إقتصادية من خلال تأثيره الإقتصادي والبعض الأخر يرى أنها إجتماعية من خلال رؤية تأثيرها على سلوك الفرد في المجتمع، و السياسي ينظر من خلال تأثيره على القرار السياسي و اتجاهات الرأي العام، و منهم من يري أثرها في تنمية العلاقات الدولية و الإنسانية، و هكذا لبقية العلوم الأخرى.

3. الرؤية المختلفة للسياحة: تعددت الرؤى السياحية، فالسياحة من منظور إقتصادي هي قطاع إنتاجي يلعب دوراً هاماً في زيادة الدخل القومي و تحسين ميزان المدفوعات من خلال العملات الأجنبية التي تحقق بالإضافة إلى جذب الاستثمارات التي تتمثل في تنشيط السياحة ن كم تلعب دوراً هاماً في خلق فرص عمل.
أما السياحة من منظور إجتماعي و ثقافي هي حركة ديناميكية ترتبط بالجوانب الإجتماعية والسلوكية والحضارية للإنسان، بمعنى أنها رسالة حضارية و جسر للتواصل بين الثقافات والمعارف الإنسانية للأمم و الشعوب ناجمة عن تطور المجتمعات و ارتفاع المستوى المعيشي للفرد.

أما المنظور العلمي للسياحة فهو فن تقديم الخدمة، في حين نجد النظرة الفلسفية للسياحة هي عنصر أساسي من حرية الإنسان و نموذج جيد للعلاقات بين الشعوب و الحضارات لتحقيق المعرفة المتبادلة

والتقارب الفكري والسياسي و تحقيق الصداقة والتفاهم بين الشعوب و تشكل جسرا توأصليا ثقافياً من خلال الإطلاع على الحضارات و الثقافات.

4. تاريخ نشأة السياحة في الجزائر: يعود تاريخ نشأة السياحة في الجزائر إلى الحقبة الإستعمارية في بداية القرن التاسع عشر ، خلال الإحتلال الفرنسي ، ففي سنة (1897م) حيث تكونت اللجنة الشتوية للسياحة ، و بواسطة الرعاية والإشهار تمكنت من تنظيم قوافل سياحية عديدة من أوربا نحو الجزائر ، فهذه المرحلة جلبت العديد من السياح الأوربيين لإكتشاف المناظر الطبيعية لبلادنا ، وهو ما دفع المستعمر الفرنسي إلى التفكير في إنشاء هياكل قاعدية لتلبية حاجيات الزبائن الأوربيين (السياح) ، وفي سنة (1914م) تم تشكيل نقابة سياحية في مدينة وهران ، ثم في قسنطينة سنة (1916م) ، ثم تشكلت فدرالية سياحة في سنة (1919م) ، والتي تجمع 20 نقابة سياحية تواجدت آنذاك ، وفي نفس السنة تم إنشاء القرض الفندقية المكلف بمنح القروض للمستثمرين في المجال السياحي ، وفي سنة (1931م) تم إنشاء الديوان الجزائري للنشاط الاقتصادي و السياحي ، الذي كان يهدف إلى تنمية السياحة ، وأصبح يسمى فيما بعد بمركز التنمية السياحية ، واستمر نشاطه حتى بعد الاستقلال(خالد كواش ، المرجع السابق ، ص 224).

أهمية السياحة الثقافية: للسياحة أهمية كبيرة في الإقتصاد العالمي ما جعلها تحتل مكانة مميزة في السياسات التنموية للدول المتقدمة والنامية على السواء ، حيث تنامت و نشطت وأصبحت صناعة العصر والمستقبل وعصب الإقتصاد ، فهي تساهم في توفير العملة الصعبة للدولة ، و تحقق التقارب و التفاهم بين الشعوب في العالم مما يؤدي إلى تكوين رأي عام دولي للسلام و الأمن ، كما تساهم في التقارب الحضاري و التكامل الثقافي و الإجتماعي و الحضاري داخل المجتمع الواحد(42: 11 : 20/08/2016 le : http://www.alg17.com/vb/threads/thread-2668).

المحور الثالث : التراث الثقافي و السياحة التراثية:

يعد موضوع الاهتمام بالتراث الثقافي سواء مادي أو اللامادي من بين المواضيع الحساسة المهمة ، والجديرة بالدراسة في الوقت الراهن فالموروث الثقافي يعد عنصر جذاب للسياح ، وزاد الاهتمام به في الآونة الأخيرة ؛ في العديد من مدن العالم مثل الجزائر ، ولذلك فكان لزاما علينا ؛ معرفة ماهية الموروث الثقافي لا سيما المادي موضوع البحث ، ودراسة الجوانب القانونية المتعلقة به ، تم التطرق لمفهوم السياحة التراثية ، لها لها من دور بالغ الأهمية في تنظيم والتسيير العلمي للمجال السياحي و تنميته.

1. تعريف التراث الثقافي: التراث (Heritage) هو ذلك التراكم المعرفي المتوارث غير المحدود الزاخر بالقيم الطيبة و التقاليد النبيلة والسجايا الراقية ، القادر على البقاء أبد الدهر متى ما كان الوعي به قائماً بالرغم من التطور الحاصل على مختلف الأصعدة.

فرغم التعريفات المتعددة التي أطلقت على التراث إلا أنها تجتمع في كونه يجمع الذاكرة الجماعية الوطنية ، لأن التراث يقتضي بالضرورة أن يشتمل على ذكر دلالة النقل والاستمرارية والتي هي في صميم التراث من حيث اللغة و الإصطلاح ، فالتراث الثقافي يعبر عن العادات والتقاليد لمجتمع من المجتمعات ، فهو يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع التي بها يمكن معرفة هويته وانتمائه إلى شعب و حضارة من الحضارات. كما

يجمع بين الشقين المادي والفكري و يكون شهادات حقيقية ملموسة بذاكرته التاريخية و بالتالي فهو يعد من أكبر مظاهر الحضارة الإنسانية.

ومهما تعددت المصطلحات و التسميات من تراث ثقافي ، "ممتلكات الثقافية مادية واللامادية" ، فهي تشير عموماً إلى نفس الأشياء ، ولها أهمية استثنائية باعتبارها تراثاً عالمياً للإنسانية جمعاء لا بد من حمايتها و المحافظة عليها.

إن التراث الأثري يشمل الممتلكات المنقولة والثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي ، كالمباني المعمارية أو الفنية أو التاريخية بمختلف أنواعها وكذلك الأماكن الأثرية و التحف والمخطوطات والكتب ، كما يشمل أيضاً المتاحف و دور الكتب الكبرى و مخازن المحفوظات و حتى المخابئ لوقاية الممتلكات الثقافية المنقولة.

تعريف منظمة اليونسكو للتراث الثقافي: هو ميراث المقتنيات المادية وغير المادية التي تخص مجموعة ما أو مجتمع لديه موروثات من الأجيال السابقة ، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ووهبت للأجيال القادمة(منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة / مكتب اليونسكو بالقاهرة)
(www.unesco.org/new/ar/cairo/culture/tangible-cultural-heritage)

2. تعريف التراث الثقافي في منظور القانون: منذ انضمام الجزائر لاتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972 م ، وغيرها من الإتفاقيات ذات الشأن ، فالمتتبع للقوانين الجزائرية يجد أن المشرع نص على حماية التراث الثقافي منذ الإستقلال من خلال الأمر 67-281 المتعلق بالحفريات وحماية الأماكن والآثار التاريخية- والطبيعية(الأمر 67-281 المؤرخ في 20 / 12 / 1967م ، المتعلق بالحفريات و حماية الاماكن و الآثار التاريخية و الطبيعية ، ج. ر. ، ع 7 ، الصادر 23 / 01 / 1968م) ، ثم تم إلغاءه واستحدث مكانه قانون رقم 98-04 المتعلق- بحماية التراث الثقافي (قانون 98-04 ، المتعلق بحماية التراث الثقافي ، الجريدة الرسمية ، العدد 44 ، الصادر بتاريخ 15 جوان 1998م) ، أين عرفت المادة الثانية منه التراث الثقافي بأنه:(جميع الممتلكات الثقافية العقارية ، والعقارات بالتخصيص ، والمنقولة ، الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها ، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص ، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.

وتعد جزءاً من التراث الثقافي للأمم أيضاً الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات إجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا(المرجع نفسه ، ص 04).

و يظهر مما سبق أن المشرع الجزائري حاول إعطاء تعريفاً دقيقاً للتراث الثقافي بمختلف عناصره سواء كان عقار أو منقول ، أو كان تراث معنوي غير مادي ، عاماً أو خاصاً ، و يشكل ركيزة هامة في حياة الأمم و الشعوب كما يؤدي دوراً هاماً في ربط حضارة هذه الشعوب بماضيها ، كما يعد إرثاً مشتركاً للأجيال القادمة.

3. المقومات الحضارية والتاريخية:

الجزائر: إن المعالم التاريخية والحضارية المتنوعة التي تتفرد بها الجزائر جعلتها مهبطاً للحضارة الإنسانية وشاهداً حياً على إنتمائها للفضاء الإسلامي، المتوسطي والإفريقي، فالمعالم الأثرية والمتاحف والوثائق التاريخية الموجودة في الجزائر تشهد على عراققة وعظمة الحضارات المتعاقبة، من الفينيقية إلى البيزنطية والرومانية وأخيراً الإسلامية، التي فرضت نفسها على التاريخ، والشاهد عليها تلك المواقع والمعالم الأثرية التي لا تزال تطاول الزمن، وفي سنة (2010 م) صنفت الجزائر 456 موقعا مصنفاً ومحمياً حسب وزارة الثقافة موزعة على 48 ولاية، وقد صنفت منظمة اليونسكو سبعة مناطق أثرية ضمن قائمة التراث العالمي التاريخي وهي كالاتي:

تيمقاد: تم إنشاؤها من طرف الإمبراطور ترجان عام 100 م وهي تقع بباتنة.

تيبازة: وهي من المدن الرومانية العتيقة.

جميلة: وهي تقع بسطيف وهي من أقدم المدن الرومانية بالجزائر.

الطاسيلي: وتحتوي على أكثر من 15000 من لوحات تعكس تحولات المناخ وهجرة الحيوانات وتطور الحياة البشرية في الصحراء خلال 6000 سنة قبل الميلاد.

قلعة بني حماد: تقع ببشارة بالمسيلة وهي من المدن الإسلامية تأسست سنة 1007 م وكانت عاصمة للدولة الحمادية.

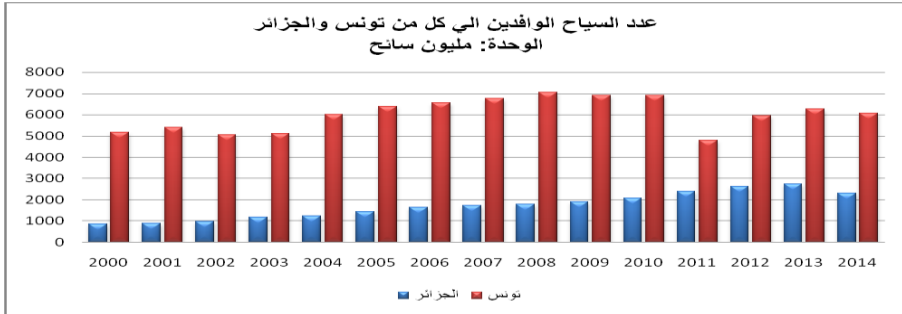
قصر ميزاب: أنشأ من طرف الإباضيين.

القصبة: مدينة الجزائر محور بحثنا.

4. **واقع الطلب في الجزائر:** تعد دراسة الطلب السياحي وتقدير حجمه المستقبلي من أهم عناصر الدراسة التسويقية وذلك من خلال دراسة أعداد السياح وتحليلها وما يقضونه من مبيت في الليالي السياحية، ويعد عدد السياح من العرب والأجانب من المؤشرات الاقتصادية المهمة والتي تعطي مؤشراً ودلالة على نشاط الحركة السياحية والنشاطات الترويجية في البلد المقصود وتدل كذلك على رغبة القادمين وتفضيلهم لهذا البلد دون غيره لأسباب متنوعة (سعد إبراهيم حمد، ص 476).

إذ تسعى الدول من خلال سياسات التنمية السياحية إلى زيادة أعداد السائحين الوافدين إليها، سواء أكان من الأسواق التقليدية أو من خلال فتح أسواق جديدة، فبالنسبة للأسواق التقليدية وقصد توسيع الطلب بها نحو البلد يجب عرض منتجات سياحية جديدة، أما عن فتح أسواق جديدة فيتم من خلال مد النشاطات التسويقية للدولة السياحية إلى مختلف الأسواق السياحية الجديدة. (الشك لرقم: 01) الموالي يبين عدد السياح الوافدين الى الجزائر بالمقارنة مع تونس. (عامر عيساني، 2010/2009، ص 227)

شكل رقم: 01: يوضح عدد السياح في الجزائر بالمقارنة مع تونس / عن الدكتور عيساني



كما نلاحظ أيضاً تزايد في عدد السياح الوافدين من سنة 2014 إلى أخرى ما عدا سنة 2014 م ، غير أن هذه الزيادة ضعيفة جدا ، فقد كان عدد السياح سنة 2000 م قدر بحوالي 867000 سائح ووصل في سنة 2014 إلى حوالي 2301000 سائح ، لكن بالمقارنة مع دولة تونس الشقيقة فعدد السياح إلى تونس كانت كبيرة و مضاعفة 5 مرات بالنسبة للجزائر. لأن العروض التي كانت تقدمها تونس كانت مغرية جداً عكس الجزائر ، فبرغم من المجهودات التي حاولت الجزائر تقديمها ، لكن ليست كافية.

5. واقع السياحة التراثية في الجزائر: تعتبر الجزائر من الدول التي تمتلك تراثاً مادياً ذا بعد تاريخي وحضاري ، تمتد جذوره إلى أعماق التاريخ مروراً بمختلف المراحل التاريخية لهذا البلد ، الذي يتميز بتنوع حضارته و مواقعه الأثرية التي تعكس الإرث الثمين(حميمدات صالح ، قميحة فيصل ، 2009م ، ص7) و(عماني عبد النور ، 2012م ، ص9).

هذا الموروث الثقافي الهادي مكن الجزائر من دخول عالم السياحة الثقافية على المستوى العالمي ، ليصبح حلقة مهمة ضمن الجولات السياحية للمدن والمواقع الأثرية المتواجدة عبر مختلف ربوع الوطن ، ونتيجة لما يتوقّر عليه وطننا من مواقع أثرية هامة ، تمّ تصنيف بعضها من طرف منظمة اليونسكو كتراث إنساني وعالمي في حين البعض الآخر لا يزال ينتظر التصنيف.

المحور الثالث: نماذج الدراسة: تم اختيار بعض النماذج لمشروعات ترميم وإعادة توظيف المباني التراثية ذات القيمة التاريخية بهدف الإستثمار من قسبة مدينة الجزائر مدينة تلمسان بالغرب الجزائري ، والتي سيتم تحليليها وفق مؤشرات تم إستخلاصها من محاور المقال والمتمثلة ب(لفترة الزمنية ، الوظيفة المستحدثة في الإستثمار ، مصادر التمويل ، مسؤوليات التنفيذ و الإشراف).

النموذج الأول: قسبة مدينة الجزائر نموذجاً: من المعروف أن المقومات التاريخية والحضارية هي التي تقاس من خلالها مدى أهمية حضارة هذا بلد على مر الزمان بقدر ما يملكه من آثار حضارية والتاريخية وما تبقى منها من معالم تاريخية ، ومباني تذكارية والثروات الحضارية ، تضل هي المقوم السياحي غير المتكرر أو المتشابه أو القابل للمنافسة ، وكل ما تحويه هذه الرقعة المباركة " الجزائر " من هاته الثروات الأثرية والتاريخية تدعوا للجذب السياحية وقبلة للكثير من الزوار سواء من الباحثين أو الهواة ومغامرين أجانب ، فالتراث التاريخي والحضاري هو في الحقيقة تراثاً يروي في صمت أسرار وحكايات حضارات مرت وتركت بصمتها ، منها ما هو ظاهر للعيان ومنها ما هو مضمور تحت الأرض ، ولأن الرغبة و المعرفة هما المحور الأساسي في التنقل وسفر هؤلاء السائحين الذين يتجهون إلى المتاحف والمناطق الأثرية والمعالم التاريخية.

ويمكن القول أن المقومات التاريخية والحضارية تعد أهم الركائز الأساسية للعرض السياحي إذا ما أحسن استغلالها فمدننا ومبانيها التاريخية المنتشرة في بلاد المغرب الأوسط بمثابة متحف مفتوح للعبان ، وضعت لبناته أجيال متعاقبة وفق تقاليد وظروفها عبر العصور.

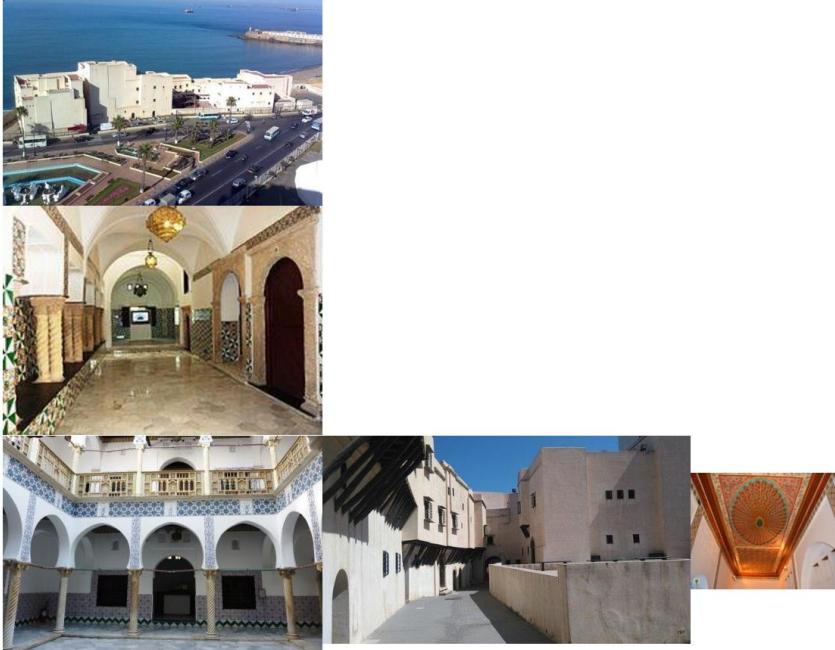
فباعتبار أن التراث هو أحد أهم مقومات الجذب السياحي فإن قصبة مدينة الجزائر تعتبر العاصمة التاريخية للجزائر ، وهي النواة الأولى لقيامها كدولة وشاهداً تاريخياً على مختلف الحضارات التي تعاقبت عليها ، فهي رمز للتراث العمراني والمعماري والثقافي الذي طالما بقي شاهداً على تنوع الفكر والاجتماعي البناء للعمارة التقليدية من طرف العثمانيين الذين أبدعوا وتميزوا في إعطاء روح المدينة التي بقيت تصارع الزمن من أجل البقاء ، وهي كانت ولا زالت تلعب دوراً هاماً في تنظيم المجال الحضري للعاصمة ، فهي بمثابة العصب الأساسي المحرك والنواة المركزية للمدينة (خريطة رقم: 01) لترتكز أغلبية البنى التحتية كالميناء ومختلف محطات النقل البرية أو البحرية ، وحتى خطوط النقل القديمة بالإضافة إلى أهم محطة نقل ميترو "القطار النفقي" الذي تم تشييده في بداية (2018 م / الموافق 1439هـ) ، كل هذا جعل منها مدينة لها تأثير مجالي على حساب "القطار النفقي" والقصور التي رمت " حصن 23 بالقصبة السفلى ، حسن باشا ، و قصر مصطفى باشا ومسجد كتشاوي وبعض الدويرات التي نالت قسطاً من الترميم.



1. نشأة مدينة الجزائر و دورها في تنظيم المجال السياحي: تعود بدايات قيام "مدينة الجزائر" هذه الحاضرة الزاهرة إلى قرون خلت ، فقد أوحى إسم هذه المدينة أفكاراً وآراء كثيرة ، فيرى بعض المؤرخين أن رحلة مدينة الجزائر مع التاريخ تبدأ في العصور القديمة ، حيث تقوم العاصمة الحالية ، وأصبحت في الوقت الحاضر عبارة عن تراث تاريخي موروث لا زال صامداً ينتظر المزيد من الاهتمام به والاستثمار فيه خاصة في المجال السياحي من أجل التنمية المستدامة ، ولا يكون ذلك إلا بإبراز تاريخ المدينة وأهم المراحل الزمنية والمجالية التي مرت بها ، وكذلك محاولة منا حصر أهم المعالم الأثرية الموجودة في المدينة العتيقة معتمدين في ذلك على المعيار الزمني التاريخي الذي أنجزت فيه هذه المعالم التاريخية ، وهذا بالإستناد على أمهات المصادر والمراجع التاريخية التي لها دور كبير في إظهار المراحل التي مرت بها المدينة من الناحية العمرانية ، و إعتقاداً على العمل الميداني الذي قمنا به في قصبة المدينة ، و بالتالي نحاول تحديد هذا المجال الذي توجد عليه هذه

المعالم التاريخية أوبعبارة أخرى محاولة منا تحديد المجال السياحي ودور هذه المعالم في التنمية المستدامة إذا ما تم ترميمها والمحافظة عليها مشيرين إلى بعض النماذج التي تم ترميمها وإستغلالها منها ما يلي:
النموذج الأول: مشروع ترميم قصر رياس البحر " استثماره في السياحة (القصة السفلى لمدينة الجزائر): (صورة رقم: 01)

العنوان : قصبة مدينة الجزائر
تاريخ البناء : 984 هـ / 1576م
نمط البناء : قصر
الوظيفة الجديدة: مركز فنون و ثقافة
وظيفة طوابق قصر 23 : مكتبة ، وغرف للأرشيف ووثائق . وظيفة طوابق قصر 18: للمعارض . قصر 17 و جناح غرف الصيادين : مكاتب و سياحة
تاريخ الاستثمار: 1992م
مصادر التمويل : حكومي
مسؤولية التنفيذ و الاشراف : حكومي . وزارة الثقافة .



صورة رقم: 01

السياحة و التنمية المستدامة. التحف النفقي

نبذة تاريخية: يعد حصن 23 من التجارب القليلة في إعادة تأهيل و إحياء المباني التراثية في الجزائر ، و يمثل أحد الأثار التاريخية القليلة الباقية كشاهد على العهد العثماني ما بين القرن السادس و التاسع عشر ، و في سنة (1413 هـ / 1992م) تم إدراجه في لائحة اليونسكو للتراث الثقافي ، مما شجع على إعادة تأهيله ليصبح مزارا سياحيا لوفود السياح و الباحثين و الطلاب و المثقفين .

النموذج الثاني: مشروع ترميم المباني الدينية " مسجد كتشاوة" (صورة رقم: 02)

العنوان : قصبة مدينة الجزائر
تاريخ البناء : 1021هـ / 1612م ، حول الى كنيسة في 12/12 / 1832م بأمر من القديس " كولان "
نمط البناء : جامع
الوظيفة الجديدة: مسجد
وظيفة :مسجد
تاريخ الاستثمار: 2013م
مصادر التمويل : حكومي
مسؤولية التنفيذ و الاشراف : حكومي . وزارة الشؤون الدينية



نبذة تاريخية: يعد من أشهر المساجد في العهد العثماني ، و هو تحفة معمارية نادرة و فريدة من نوعها ، بنائه يعود للقرن الرابع عشر ، قائم في ساحة ابن باديس بالقصبة السفلى من مدينة الجزائر .
سمي بكتشاوة نسبة إلى السوق التي كانت تقام في الساحة المجاورة و كان الأتراك يطلقون عليها إسم سوق المعز(سيد احمد بغلي ، 1982م ، 75).

و ما يؤكد تاريخ تجديد هذا المسجد من طرف حسن باشا ، وجود لوحة تذكارية مستطيلة الشكل نفذ عليها بخط الثلث و بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص ، كتابة تذكارية جاءت على شكل أبيات شعرية منظمة في سطرين داخل معينات .

كما استخدم مستودعا للسلح و إسطبلا ومسكنا لرؤساء الأساقفة إبان الاحتلال الفرنسي قبل تحويله إلى كنيسة ، و بعد تدميره عام (1260هـ / 1844م) ، أنشئت مكانه كاتدرائية بعد أن أدخلت عليها تعديلات ، بالإضافة إلى إعادة بناء الواجهة ، فكان البناء الجديد مزيجاً من الفن البيزنطي والروماني والإسلامي ، وأما المآذن التي رفعوها فقد قيل أنهم قلدوا بها شكل جامع "قايت باي" وجامع محمد الناصر بالقاهرة ، ولم يبق من جامع كتشاوة الأصلي الذي يعود للفترة العثمانية إلا القليل جدا كالمنبر والأعمدة الرخامية ، وسميت الكاتدرائية بسان فيليب .

أغلق المسجد أبوابه أمام المصلين عام (1428هـ / 2007م) ، بعد زلزال الذي ضرب المنطقة وظهور ميل في صومعته بنحو 30 سنتم ، ولحسن الحظ أعلنت مؤسسة تيكا التركية في 2013 م عن نيتها في تولي عملية الترميم ، وذلك بالتعاون مع مؤسسات و علماء أثار جزائريين ، مشيراً إلى أن هذه التجربة سمحت للجزائريين من الاستفادة من خبرة تركيا في مجال ترميم المساجد .

إن عملية الترميم شملت المئذنتين والقبة المركزية للواجهة الرئيسية ، بالإضافة إلى التندعيم الداخلي للجزء الفارغ للمدرج وأيضا تدعيم فتحات الواجهات ، كما أصبح جامع كتشاوة مزوداً بمصعد كهربائي لذوي الإحتياجات الخاصة ، كما أن الخطاط التركي حسين قوطلو ، الحائز على جائزة الرئاسة التركية للثقافة والفن عام (2016 م) ، هو الذي أشرف على الكتابة والرسم بجامع كتشاوة ، وقد تم إعادة تدشين جامع كتشاوة يوم الاثنين (26 فيفري 2018 م) ، بحضور الرئيس التركي رجب الطيب أردوغان ، و بذلك أصبح جامع كتشاوة من أهم المعالم السياحية التي تعود إلى الفترة العثمانية ، ومتحفا مفتوحا وقبله للسياح والزائرين والمسافرين من أجل التعرف على هذا الصرح المعماري والتاريخي ، الموجود بقصبة مدينة الجزائر العتيقة .

هذا الصرح الديني الذي لا يزال صامدا شاهداً على تاريخ الجزائر ، ومقاوماً للمستعمر الفرنسي ، الذي أراد طمس هويته وحضارته ، ومصراً على إنتهائه الحضاري الإسلامي ، هو أحد المساجد الثلاثة عشرة الموجودة بقصبة الجزائر العاصمة ، التي يعود تاريخ تأسيسها إلى الحقبة العثمانية .

يعد "مسجد كتشاوة" من أجمل المساجد ، كيف لا ؟ وهو الذي يصفه الرحالة أبو القاسم الزياني في كتابه (العجيب الترجمانة الكبرى) قائلاً: "فلو رأته السليمانية بالقسطنطينية لسلبها ، ولو كلمته آية صوفيا ما أجابها ، ولو قابله الجامع الأزهر لتعجب من حسنه وانبهر ، ولو ناظرته مساجد الشام وحلب لاعترفوا بفضله وأقروا ، ولو سمعت بتشييده بيعه الأشبونة لتهدمت ، ولو شاهدته كنيسة روما العظمى لأسلمت ، فنزهت طرفي في رياض أزهاره وأنواره ، و استعملت فكري في معارف شموسه وأقماره ، و تحققت بسيادة بانيه " (ابو القاسم الزياني ، 1991 م ، ص 377-378) .

النموذج الثالث : حي لالاهم : (صورة رقم : 03)

العنوان : قصبة مدينة الجزائر
تاريخ البناء : إكتشاف
نمط البناء : بقايا اثرية
الوظيفة الجديدة : قطار نفقي
تاريخ الاستثمار : 2009
مصادر التمويل : حكومي
مسؤولية التنفيذ و الاشراف : حكومي . وزارة الثقافة .



صورة رقم : 03

السباحة و التنمية المستدامة . التحف النفقي



نبذة تاريخية: قامت الجزائر بتجسيد مشروع الحفريات الوقائي ، على مستوى الجزائر العاصمة ، بالموقع الذي يقع أسفل قصبة مدينة الجزائر ، والمصنف كتراث عالم ، لدى منظمة اليونسكو سنة (1413هـ / 1992م) ، والهدف من خلال هذه الخطوة إلى تحديد طبيعة الآثار الموجودة بهذا الموقع ، والحد من تخريب ما بقي منها ، والحفاظ على المستويات الأثرية ، فحي لالاهم أصبح له نشاط ثلاثي : موقع القطر النفقي الذي دخل ضمن التنمية المستدامة ، و متحف أثري نفقي عرضت فيه المراحل التاريخية التي مرت بها مدينة الجزائر (صورة رقم : 03).

النموذج الرابع : قصر المشور بمدينة تلمسان (صورة رقم : 03)

العنوان : مدينة تلمسان
تاريخ البناء : القرن 7 هـ / 13م
نمط البناء : بقايا أثرية
الوظيفة الجديدة : مركب الفنون
تاريخ الاستثمار : 2011م .
مصادر التمويل : حكومي
مسؤولية التنفيذ و الاشراف : حكومي . وزارة الثقافة .



نشأة مدينة تلمسان و دورها في تنظيم المجال السياحي: مرت مدينة تلمسان الإسلامية ، بمراحل عديدة ، منذ أن فتحها أبو المهاجر ، ثم عقبة بن نافع الفهري ، في العقد الأول من النصف الثاني للقرن الأول الهجري ، وكان طارق بن زياد في نهاية القرن الأول إتخذ من مدينة تلمسان ، مقراً ثانياً له ، وأصبحت المدينة في الوقت الحاضر عبارة عن تراث موروث لا يزال صامداً إلى يومنا هذا ، ينتظر التعريف به و الإستثمار فيه خاصة في المجال السياحي .

المجال السياحي للمدينة: من خلال النشأة التاريخية للمدينة و ذكر أهم المراحل التاريخية التي مرت بها يمكن تحديد ارضية الدراسة و بالتالي تحيد المجال السياحي للمدينة و ذلك من خلال المراحل التي مرت بها المدينة ، و تظم مرحلتين نذكر أهمها:

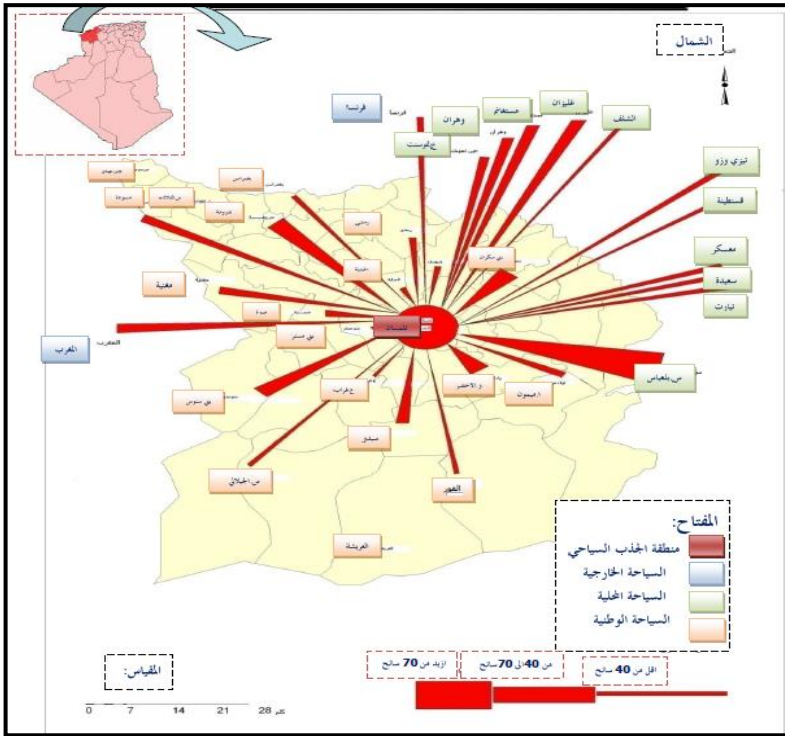
مرحلة المدينة العتيقة: إن النسيج العمراني العتيق الذي أنجز عبر مختلف المراحل ، يقدر بـ 40 هكتار من مجموع مساحة مدينة تلمسان ، و منه يمكن القول أن هذه المساحة يمكن إدماجها في المجال السياحي .
مرحلة المدينة الحديثة: يختلف النسيج العمراني الحديث ذو الأصل الإستعماري إختلافاً كلياً عن النسيج التقليدي ، و هذه المرحلة كانت من نسيج المستعمر الفرنسي ، حيث بدأ يطوق المدينة العتيقة ، و يهدم بعض اجزائها لإقامة بعض المرافق الإدارية والدينية والمدينة مثل قلعة المشور الزيانية نموذج أرضية الدراسة .
تاريخ بناء القصر: بني قصر المشور من طرف السلطان يغمراسن بن زيان في أواسط القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي ، إتخذة مقراً له ولحاشيته بدلاً من القصر القديم ، ولا يزال قائماً بأسواره ، وبابه الرئيسي المعروف بباب التوتة(حمد بن عمر الطمار ، 1981م ، ص 40).

لقد أصبحت تلمسان خلال السنوات الأخيرة وجهة سياحية يامتياز لعدد كبير من السياح المواطنين والأجانب الذين يرغبون في إكتشاف ما تزخر به عاصمة الزينيين من مؤهلات طبيعية ومواقع ثقافية وتاريخية متعددة. وبفضل تظاهرة " تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية " 2011 م " نالت جوهرة المغرب العربي ، إكتساب بعد سياحي ساهمت فيه أيضا عراقة تاريخها ومعالمها الأثرية العديدة التي تبقى شاهدة على العصور القديمة " قصر المشور "فضلا عن مواقعها الطبيعية والثقافية المتميزة بجمال خلاب.

الإشعاع السياحي لمدينة تلمسان

تعتبر مدينة تلمسان من بين أهم مراكز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط خلال العهد العثماني. إذ تمثل إحدى أهم العواصم التاريخية والحضارية في المغرب الإسلامي عامة و الأوسط خلال العهد العثماني ، ولم تزل تلمسان العاصمة تحافظ على حضارتها وثقافتها منذ الفتح الإسلامي ، مما جعل منها قبلة للسياح ، وأغلب السياح الذين يترددون على المواقع الأثرية من الولايات المجاورة ، ولأن الإستثمارات التي وزعت على حوالي 350 سائح أغلبهم شباب وليسوا مضطرين إلى المبيت بتلمسان نظرا لقرب المسافة عن مكان إقامتهم و إمكانية العودة الى ديارهم.

و حسب الإحصائيات أن اغلبية السواح من ولاية تلمسان حوالي 72 سائح بنسبة تقدر بـ 55 ، 31% خاصة مدينة سبدو ، الرمشي ، لحناية ، مغنية ، و الباقي من المدن المجاورة لمدينة تلمسان ، وهذا القرب المسافة ، كما سجلنا عدة رحلات جامعية من الولايات المجاورة يقوم بها الطلبة من اجل استكشاف هذه المدينة ذات التاريخ العريق ، و لقرب المسافة وتوفر وسائل النقل الحضري بين هذه المدن ، أما خارج ولاية تلمسان بلغت نسبة ما يقرب 70 % بنسب متفاوتة من ولاية لأخرى ، و ترجع أسباب إختيارهم هو أن معظمهم يعتمدون على وسائل النقل الخاصة ، أو النقل الجماعي لقضاء عطلة الأسبوع . (خريطة رقم : 02)



توضح الاصول الجغرافية للسواح الى مدينة تلمسان خريطة رقم : 02

المصدر : مديرية السياحة لولاية تلمسان- المعطيات الاحصائيات الثلاثي الرابع لنشاط السياحة 2007 م.

كما نجد أن السياح الأجانب الذين يترددون على مدينة تلمسان والمواقع السياحية من مناطق مختلفة خاصة أوروبا الغربية والصين وكندا، وكانت إقامتهم بفندق الزيبينين و أقادير بنسبة كبيرة و هذا نظرا للخدمات العالية التي يوفرها هذين الفندقين ، حيث تحتل الصين المرتبة الأولى بنسبة تقدر ب 89 ، 40% ، تليها فرنسا بنسبة تقدر ب 82 ، 32 % ، ثم تليها ألمانيا بنسبة تقدر ب 10 ، 10 % ، و نلاحظ أن أغلب السياح قدموا من تلمسان من أجل المشاريع التنموية الإستثمارية(جدول رقم: 01)

النسبة المئوية %	العدد	
31.81	488	فرنسا
39.89	612	الصين
9.09	152	إيطاليا
10.10	155	تونس
8.27	127	إسبانيا
100.00	1535	المجموع

جدول رقم : 01 يوضح الأصول الجغرافية للسواح الأجانب من 2007/10/01 إلى 31 / 12 / 2007

خاتمة:

وفي الأخير نخلص إلى أن الإستثمار في التراث الثقافي المادي يعد مصدراً هاماً وثروة كبيرة لو أحسن إستغلالها في المجال السياحي ، حيث تساهم في النمو الإقتصادي الوطني من خلال ما تجلبه من عملة صعبة ، و إنتعاش للقطاعات الأخرى ، كالنقل والصحة والفندقة وغيرها ، فالدول المتقدمة حققت أرقاماً قياسية في المداخيل السياحية ، بل هناك دول تعتمد على هذا النوع من السياحة إلى حد كبير مما إنعكس إيجابيا على ميزان مدفوعاتها وحل بعض مشكلها الإقتصادية والإجتماعية ، ولن يتأتى هذا إلا بتأهيل المواقع الأثرية والمعالم التاريخية والطبيعة ولإستقطاب الزوار تشجيعا للسياحة الداخلية والخارجية . فالجزائر بما تزخر به موروث ثقافي مادي يعد فريداً من نوعه يمتاز بتنوعه وتناغمه ، فكل منطقة من الوطن تمتاز بمميزات مختلفة عن أخرى ، فالتراث المادي المتواجد في قسبة مدينة الجزائر العتيقة وما هو موجود في منطقة الغرب الجزائري " تلمسان " مختلف عن ما هو موجود في مدن الشرق الجزائري وغيرها . إن هذا الكنز الثقافي المادي الذي تملكه الجزائر يسمح لها بالدخول في عالم السياحة وعلى مستويات عالمية.

غير أنّ دخول الجزائر في عالم السياحة وإعتمده كحل بديل للإقتصاد البترولي المتذبذب يتطلب المزيد من التخطيط ووضع برنامج وطني شامل وعلى كافة المستويات العامة الخاصة ، مع الحرص على مواصلة إستكشاف التراث المادي الوطني وترميمه وتطويره وجعله جزءاً من حياة المواطن والإقتصاد الوطني والمحلي ، وتنميتها باعتبارها جزءاً أساسياً مكوناً للتنمية المستدامة.

وما أدركناه من خلال إبحارنا في عالم التراث العالمي ، أن التراث الثقافي أصبح ركيزة مهمة للثقافة و مصدراً معرفيا لتاريخ و حضارات الشعوب ، و توجد منظمة محلية أو إقليمية أو دولية تعنى بالتراث الثقافي إلا و تأتي

الأثار في مقدمة أولوياته ، و سنت بذلك تشريعات وقوانين ، و لوائح ونظما ووضعت إستراتيجيات بهدف المحافظة على هذا الإرث الحضاري وتنميته من أجل العلم ، والمعرفة و السياحة ، ليكون مرجعاً تاريخياً وإرثاً ثقافياً إقتصادياً متنامياً.

تعد قسبة مدينة الجزائر العتيقة وقصر المشور بمدينة بتلمسان مواقع جذب سياحي يامتياز ، و مكان استقطاب للسواح ، حيث تستقطب العشرات من الزوار ، الذين يبدون في كل مرة إعجابهم بروعة البناء والتصميم والزخارف والنقوش ، وغيرها التي تحاكي قصور الأندلس ، إلى جانب أنهم يستغلون فرصة تواجدهم في هذه المعالم التاريخية لأجل التقاط الصور التذكارية ، في أجمل الأماكن السياحية والتاريخية في مدينة الجزائر العتيقة وتلمسان مهد الحضارة الإسلامية ، كما نجد إهتمام المواطنين كثيرا بالتعامل مع المرشدين السياحيين الشباب المتواجدين على مستوى هذه الأماكن ، الذين لا يبخلون على الزوار بشروحاتهم ومعلوماتهم التاريخية والأثرية ، حول كل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذه القصور التي أشرفت الدولة على ترميمها و أصبحت ، معالم تاريخية وحضارية مميزة .

إن التراث الذي بين أيدينا ، هي أمانة تركها السلف للخلف فهم لم يدخروا جهداً في سبيل إيصاله إلينا ، كما هو ، ويعتبر كدليل وشاهد على حضارة كل منطقة في تلك العهود ويعبر عن شخصيتنا ويمتزج بتاريخنا ، فاليوم جاء دورنا ومسؤوليتنا من أجل المحافظة عليه وتركه للأجيال التي تأتي من بعدنا.

وبهذه الكلمات الختامية ينبغي تغليب المصلحة العامة المتمثلة في تواصل تاريخ الأمم و حضاراتها على المصالح الفردية الخاصة التي لا تكثر بزوال الإرث المبني وإستبداله لزيادة مكاسبهم المادية ، ومعالجة هذا لا يأتي مطلقا بالتمني ولكن بالإرادة السياسية الحقيقية و تفعيل تطبيق القوانين والتخطيط والتمويل والتنظيم . " فحماية التراث الثقافي مسؤولية الجميع "

الببليوغرافية:

اولا : المصادر :

الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ،(د.ت)، جامع البيان عن تأويل القرآن ، ج 14 ، حققه محمد شاکر ، دار المعارف ، ص 92، 93، 94، 95.

ثانيا: المراجع العربية :

ابو القاسم بن احمد بن علي بن ابراهيم الزياتي ، 1412هـ / 1991 م ، الترجمة الكبرى في اخبار المعمورة برا و بحرا ، ط 2 ، حققه و علق عليه عبد الكريم القبلاي ، دار النشر المعرفة ، الرباط .

أحمد الجلاذ ، التخطيط السياحي والبيئي بين النظرية و التطبيق ، 1988م ، الطبعة الأولى ، عالم الكتاب ، القاهرة ، مصر .

حمد بن عمر الطمار ، تلمسان عبر العصور ، 1984م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

حمدى عبد العظيم ، اقتصاديات السياحة ، 1996م ، مكتبة زهراء الشرق للنشر ، القاهرة.

خالد كواش ، السياحة ، مفهومها ، 2007م ، اركانها ، انواعها ، الطبعة الاولى ، دار التنوير ، الجزائر ، ص 12 ، 10 ، 224 ، 39 ، 224

خربوطلي صلاح الدين ، السياحة المستدامة ، 2004م ، دار ال رضا ، للنشر ، الطبعة الأولى ، سوريا .

زكي ابراهيم وفاء ، دور السياحة في التنمية الاجتماعية ، 2006م ، دراسة تقويمية للقرى السياحية ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية .

زكي خليل المساعد ، تسويق الخدمات وتطبيقاته ، 2005م ، دار المناهج ، الأردن.

سعد ابراهيم حمد ، واقع العرض والطلب السياحي في العراق دراسة تحليلية ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 70 العدد 04 ، العراق .

سيد احمد بغلي ، سلسلة فن و ثقافة ، 1982م ، وزارة الاعلام الجزائر .

صلاح الدين ، السياحة المستدامة ، 2004م ، دار ال رضا ، للنشر ، الطبعة الأولى ، سوريا .
محمد خميس ، الزوكة ، صناعة السياحة من منظور جغرافي ، 1995م ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة .
محمود كامل ، السياحة الحديثة ، 1975م ، الهيئة المصرفية للكتاب ، مصر .
محي محمد مسعد ، الإطار القانوني للنشاط السياحي والفندقي ، (ب-ت) ، المكتب العربي الحديث ، مصر .
مصطفى مسعود ، الكتاني ، علم السياحة و المنتزهات ، 1990م ، دار الحكمة للطباعة و النشر ، بغداد .
مصطفى عبد القادر ، دور الاعلام في التسويق السياحي 2003م ، ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت 2003 م .

نعيم الطاهر و سراب إلياس ؛ مبادئ السياحة ، (ب-ت) ، الطبعة الثانية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عمان .
ثالثاً الملتقيات و المجالات :

حميمدات صالح ، قيمحة فيصل ، تنافسية القطاع السياحي الجزائري ، الملتقى الوطني حول السياحة و التسويق السياحي في الجزائر ،
الامكانات و التحديات التنافسية ، 27-28 أكتوبر ، 2009 ، ، جامعة قالمة .

عمراني عبد النور قمار ، دور السياحة الصحراوية في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية حالة الجزائر و تجربة سلطنة عمان ، لملتقى الدولي
الثاني للسياحة الصحراوية و دورها في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية ، يومي 11 و 12 مارس 2012م ، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية ،
جامعة بسكرة

مجلة الاقتصاد و التنمية ، العدد 5 ، جامعة المدية ، جانفي ، 2016م ص 114 . ليلي بوحديد و إلهام يحيواوي ، إمكانية الاستفادة من
التجربة التركية في صناعة الساحة المحلية في الجزائر ،
مجلة الباحث الاقتصادية ، العدد 01 / 2013 م .

ثالثاً: الرسائل الجامعية.

عامر عيساني ، الأهمية الاقتصادية لتنمية السياحة المستدامة— حالة الجزائر- ، 2010 / 2009م ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في
علوم التسيير تخصص تسيير المؤسسات ، جامعة الحاج لخضر باتنة.
رابعاً : القوانين :

القانون 90-29 الصادر بتاريخ 01 ديسمبر 1990م ، المادة 01.

قانون 98-04 ، المتعلق بحماية التراث الثقافي ، الجريدة الرسمية ، العدد 44 ، الصادر بتاريخ 15 جوان 1998م ، ص 03 .
الامر 67-281 المؤرخ في 20 / 12 / 1967م ، المتعلق بالحفريات و حماية الاماكن و الاثار التاريخية و الطبيعية ، ج.ر. ع ، 7 ، الصادر
23 / 01 / 1968م ، ص (70) .

منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة الموقع الالكتروني : (<http://www.unesco.org>).

رابعاً : المراجع باللغة الأجنبية.

Pierre Py , le tourisme un phénomène économique , (1996 , édition les études de la documentation française ,
Paris), P : 09.

تفضيل اللون وأهميته في اتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك الجزائري
Color preference and its importance in making purchasing decision of the Algerian
consumer

د.حمدادة ليلي ، جامعة تيارت- الجزائر
أ.د. مباركي بوحفص ، جامعة وهران 2- الجزائر

مقدمة:

يشير مفهوم التسويق الحديث في شتى المنظمات والمجتمعات المعاصرة إلى أن العامل الأساسي الذي يمكن منظمات الأعمال من تحقيق أهدافها يكمن أساسا في التحديد الأمثل لحاجيات ورغبات الأفراد الذين يشكلون السوق المستهدف ، ثم السعي إلى الاستجابة لها من خلال تقديم منتجات قادرة على إشباع هذه الحاجات والرغبات بدرجة عالية من الكفاءة والفعالية.

تؤثر العناصر المرئية للمنتج في عملية اتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك ، وغالبا ما يكون اللون عنصرا أساسيا في المخطط المرئي ، في الواقع لا يمكننا إنكار أننا نعيش في عالم من الألوان ، ومن المستحيل للممارسين في مجال التسويق تجاهل أثار اللون على سلوك المستهلك (Delaby Valeri, 2010) فهو يعتبر كتجربة حسية إنسانية وجزءا رئيسيا في الحياة اليومية للمجتمع ورسائل التسويق (Julita Valtteri, 2018) ، فاللون جزأ لا يتجزأ من الاتصال التسويقي الذي يرسل رسالة قوية للمستهلكين (Amica Hunjet, Vuk, 2017) وعامل أساسي في اختيار المنتجات (Zahra Hossein Nezhad, Katayoun, 2017) ، وله مجموعة متعددة من الاستخدامات ، فهو وسيلة فعالة في لفت انتباه المستهلك نحو المنتج ، وإنشاء صورة معينة له في السوق ، وغالبا ما يستخدم كتقدير مباشر أو غير مباشر للجودة (Shi, 2013) ، حيث يرى المستهلكون الألوان الداكنة أكثر متانة وثقلا من الألوان الباردة (Luwen, 2018) ، واللون أداة تسويقية مهمة وعنصر مرئي لا ينسى ويحمل معلومات رمزية عن المنتجات (Yun et al, 2018) ، ويمكن أساسي للعديد من العلامات التجارية مثل الأسماء والرموز والشعارات ، وجزء لا يتجزأ من العديد من عمليات تصميم المنتجات (Stephen Wesland , Jin Chin, 2015) ، فالتصميم الذي يولي أهمية للون المنتج أثناء عملية التخطيط يحقق مكاسب أكثر من التصميم الذي لا يراعي مسألة التخطيط للون (Babolhavaeji Milad et al, 2015) ، كما يعد ميزة مهمة لتشكيل المشاعر لدى المستهلكين وردودهم ، فهو يحفز المزاج والعواطف ويؤثر على سلوك المستهلك (Okan Akcay, 2013) ، فالألوان الأكثر إشراقا كالأبيض ، الوردية ، الأحمر ، الأزرق تثير ردود فعل أكثر ايجابية مثل السعادة ، الحماس ، بينما الألوان الداكنة مثل البني والأسود تحدث تأثير معاكس كالقلق والعدوان ، ووفق (Dharithri T, Ruberu N, 2017) يريان أن الألوان الباردة كالأزرق ، الأخضر ، الأبيض تؤدي إلى خلق إدراك لطيف بين المستهلكين وزيادة قرارات الشراء ، بينما الألوان الدافئة كالأحمر ، البرتقالي ، الأصفر... الخ ، تؤدي بالشعور بعدم الراحة والاكتئاب والتوتر لدى المستهلكين.

كما أن اللون يربط المنتج بالمستهلك بسرعة أكبر من مميزات التعريف الأخرى، حيث شهدت العقود القليلة الماضية استخداماً متطوراً للألوان من قبل خبراء التسويق والعلامات التجارية، فعلى سبيل المثال تعرض العلامات التجارية مثل: "Apple, Dell, GE" الآن بشكل متكرر مجموعة واسعة من خيارات الألوان لأجهزة الكمبيوتر، الهواتف المحمولة، وحتى بعض الأجهزة الكهربائية والثلاجات، في حين كانت هذه المنتجات تعرض منذ فترة ليست بالطويلة باللون الرمادي، الأسود، الباج، وبالإضافة إلى ذلك يعد اللون أداة اتصال تسويقية حيوية، فهو يؤثر بشكل كبير على الملابس التي نرتديها، السيارة التي نقودها، حقيبة الظهر أو اليد التي نختار استخدامها والمفروشات في منازلنا، كما قد يلعب لون المنتج دوراً بارزاً في قرارات الشراء لبعض المنتجات (Nikita Agrawal, Siddhant Singh, 2015)، وتشير في ذلك العديد من الدراسات على أن الأفراد يتخذون قراراتهم في غضون (90) ثانية من تفاعلاتهم الأولية مع المنتجات (Ihab Mahmoud Hanafy, Reham Sanad, 2015)، وأن (62-90%) من هذا التقييم يستند إلى الألوان وحدها، فهو يزيد من التعرف على العلامة التجارية بنسبة (80%)، كما يمكن من التمييز بين المنتجات وإنشاء صورة إيجابية أو سلبية حول المنتج (Hlim Dalgin, 2018)، ويشير في نفس السياق (Kumari Suresh, 2017) أن (95%) من عملية صنع القرار لدى المستهلك تميل إلى اللاوعي (5%) عقلانية، هذا هو السبب في أن اللون مهم جداً عند إنشاء علامة تجارية أو بيع منتج معين، فالأفراد يشكلون الانطباعات الأولى استناداً إلى حد كبير على اللون عند تقييمهم للمنتجات لأول مرة (Suivi Vainio, 2016).

كما استنتجت دراسات الاحتفاظ بالذاكرة أن الكلمة أو العبارة المطبوعة بألوان مختلفة تزيد بنسبة (78%) في أن يتذكرها المستهلكون مقارنة باللونين الأبيض والأسود، فتعمل الكلمة المطبوعة على تنشيط الدماغ الأيسر، بينما يعمل اللون على تنشيط الدماغ الأيمن، وبالتالي عندما يتم الجمع بينهما فإنه يؤثر على المستهلكين من خلال التذكر والاعتراف والاهتمام بشكل أفضل (Patil Daivata, 2012).

قد لا يكون ترويج المنتجات بنفس اللون في جميع أنحاء العالم هو أفضل إستراتيجية لأن الألوان لها معاني وتصورات مختلفة في ثقافات مختلفة، مثلاً يرمز الأحمر إلى الحظ والجاذبية في الصين، وإلى النقاء في الهند (Okan Akcay, 2013)، بينما يرمز الأبيض إلى النقاء والهدوء في البلدان الغربية، في حين يرمز إلى الموت في الثقافات الآسيوية (Maelle Di Folco, Marine Proust, 2014)، أما بالنسبة للون الأسود يرتبط عموماً بالقوة، باهض الثمن، الجودة والموثوقية عبر مختلف بلدان العالم، فهو يعد من الألوان الأكثر استقراراً في الدلالة والمعاني بين مختلف الثقافات (Martin Amstens et al, 2015)، ويرمز اللون الأصفر إلى الدفء في الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى عدم الثقة في فرنسا وإلى الغيرة في روسيا والسعادة في الصين وخيبة الأمل في البرازيل (Kabuko Samakato, 2014)، حيث من الضروري على المصممين ورجال التسويق فهم تفضيل المستهلكين للون كجزء من خطط التصميم الفعالة، فاستجابة المستهلك للألوان لها تأثير كبير على اختيار المصمم للألوان (Ihab Mahmoud Hanafy, Reham Sanad, 2015)، لهذا تقوم العديد من المؤسسات في العالم بتوظيف خبراء ومستشارين للمساعدة في تحديد أفضل الألوان لزبائنهم، فالاستخدام الغير الملائم للألوان في المنتجات لا يجذب عملاء فحسب بل قد يمنعهم من الشراء أيضاً (Nikita Agrawal, Siddhant Singh, 2015)، إذ أن الناس يفضلون الألوان المرتبطة بالأشياء التي يحبونها مثلاً

اللون الأزرق الذي يمثل سماء صافية أو مياه نقية ، ولا يحبون الألوان المرتبطة بالأشياء التي يبنذونها فمثلا اللون البني الذي يعبر عن فساد الطعام (Lilia R Rado-Leon et al,2018).

وفي هذا السياق تشير العديد من الدراسات أن تفضيل المستهلك للون معين يتأثر بعوامل منها: الجنس ، السن ، الثقافة ، العرق ، المناخ ، الموقع الجغرافي ، نوع المنتج ، المعتقدات حول الألوان ، الوقت ، التعليم ، تجارب حياتنا سواء كانت ايجابية أم سلبية ، الشخصية ، ففي دراسة أجرتها "Choungourian" على عينة قوامها (160) فردا من أربعة دول مختلفة (الولايات المتحدة الأمريكية ، لبنان ، الايران ، الكويت) مع تمثيل متساوي بين الذكور والإناث ، وجدت أن اللون الأحمر هو المفضل في الولايات المتحدة الأمريكية ، بينما اللون الأزرق المخضر هو المفضل في الايران والكويت ، وعليه يتضح أن الاختلاف في تفضيل اللون يرجع إلى عامل الثقافة (Babolhvaeji Milad et al, 2015).

أما فيما يخص عامل الجنس تبين أن له دور في التأثير على تفضيل اللون ، فوفق دراسة (Halim Dalgin et al, 2018) تكون المرأة أكثر وعيا ومرونة بالألوان عند انتقائها للمنتوج وهذا عكس ما نجده عند الرجال ، فهن يفضلن الألوان الدافئة كالأحمر والبرتقالي ، بينما يفضل الرجال الألوان الأكثر إشراقا ، كما توصل (Khouw 2002) ورد في (Zahra Hossein Nezhad ,Katayoun Kavehnezhad 2013) أن الرجال يميلون إلى اللون الرمادي ، الأسود ، الأبيض ، بينما تتفاعل النساء مع اللون الأحمر والأزرق أكثر من الرجال .

بالنسبة للسن فله تأثير كبير على إدراك وتفضيل الأفراد للألوان ، حيث يميل الأفراد الأقل من 18 سنة إلى الألوان التالية: الأحمر ، الوردى ، البرتقالي ، الأرجواني ، الأصفر ، بينما يفضل الأفراد من الفئة العمرية (18-25) سنة الألوان التالية: الأحمر ، الوردى ، الأزرق ، أما الأفراد فوق 25 سنة يفضلون اللون الأحمر ، الوردى ، الأصفر (Vichal Pandurang Raut, 2017) ، كما يبين (Babolhvaeji Milad et al, 2015) أن الفئات العمرية المتقدمة في السن تكون ميولاتها للون الأزرق ، والفئات الأقل سنا تميل إلى الألوان الأكثر إثارة كاللون الأحمر .

كما يعد نوع المنتج عاملا أساسيا ودورا فعالا في تفضيل اللون لدى المستهلك ، وهذا ما أكده (Kabuko Samakato, 2014) في دراسته حول تفضيل اللون ، إذا كان اللون الأسود هو المفضل في الهاتف النقال ، لا يتم بالضرورة نقل تفضيل اللون إلى فئات أخرى من المنتوجات كالملابس ، الأثاث وغيرها ، مثلا يفضل الهولنديون الأسود في الهواتف المحمولة والملابس ، والأبيض والرمادي في أجهزة الكمبيوتر ، ويشير في نفس السياق (Lilia R Rado-Leon et al,2018) أن الناس يفضلون الألوان المشبعة والمشرقة مثل الأسود ، الرمادي والأبيض في السيارات ، بينما يفضلون اللون الأزرق في غرفة الأكل ، واللون الأبيض في الحمام ، والبني في الأثاث والسجاد ، كما تجدر الإشارة إلى أن تفضيل اللون يتغير كل سبعة إلى عشرة سنوات وبسرعة فائقة وخاصة في مجال الأزياء الراقية (Halim Dalgin et al, 2018).

تساعد دراسات تفضيل اللون على اتخاذ قرار تصميم المنتوجات بناء على البيانات المحصل عليها من الدراسات الميدانية ، حيث توفر هذه الأخيرة معلومات دقيقة عند إجراء تقييم لاختيار لون منتج معين (Lilia R Rado-Léon et al,2018) ، فبالرغم من الدور المحوري الذي يلعبه اللون في الحياة اليومية للمستهلكين

لم يتم إجراء سوى القليل من الأبحاث التسويقية في هذا المجال على المستوى العالمي عامة أو المستوى المحلي خاصة ، ومادام للألوان هذا التأثير الواضح على سلوك المستهلك ، فقد أصبح من المهم جدا الكشف عن تفضيل اللون وأهميته في السوق المحلية ، خاصة أن الجزائر تعد من الدول التي تسعى جاهدة إلى تطوير وتنمية اقتصادها في ظل عولمة الاقتصاد ، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال الأخذ بعين الاعتبار العوامل المساعدة في تحقيق التنمية المستدامة ، كإجراء دراسات حول ميولات ورغبات المستهلك الجزائري في انتقائه للون المنتوج قبل عرضه في السوق ، كي يواكب ويساير الاقتصاد العالمي ، ولا بد أن يكون هناك توافق في التبادلات التجارية وعرض المنتوجات للتوصل إلى نظرة متطلعة حول أذواق الأفراد في العالم عند اختيارهم للون المنتوج ، فالنتائج المرجوة من الدراسة ستوفر معلومات تساعد المصممين ومدراء التسويق على وضع منتوجات في السوق المحلية أو العالمية ، قادرة على جذب انتباه المستهلك ، وتحفز وتزيد من رغبة الشراء لديه ، وعليه جاءت هذه الدراسة تبحث في تفضيل اللون وأهميته لدى المستهلك الجزائري ، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

ما هو اللون المفضل لدى أفراد عينة البحث؟

هل يوجد اختلاف في تفضيل اللون يعزى لمتغير الجنس ، السن ، نوع المنتج؟

ما مدى أهمية اللون لدى أفراد عينة البحث أثناء اتخاذ قرار الشراء؟

هل يوجد اختلاف في أهمية اللون لدى أفراد عينة البحث يعزى لمتغير الجنس؟.

الإجراءات المنهجية:

العينة: طبقت الدراسة على عينة قوامها (833) فردا توزعت على (41.4%) طالب جامعي ، و(58.6%) أستاذ من مختلف الأطوار التعليمية (ابتدائي ، متوسط ، ثانوي ، جامعي) ، كما توزعت هذه العينة بين (ذكور = 46.3% ، إناث = 58.7%) ، وبين الفئات العمرية التالية: (18-25) سنة بنسبة (46.1%) ، تليها الفئة العمرية (25-26) سنة بنسبة (29.5%) ، ثم الفئة العمرية (36-45) بنسبة (16.6%) ، وفي الأخير الفئة العمرية (45 سنة فما فوق) بنسبة (7.9%) ، كما توزعت بين (39.5%) من سكان الشمال ، و(38.1%) من سكان الوسط ، و(22.2%) من سكان الجنوب .

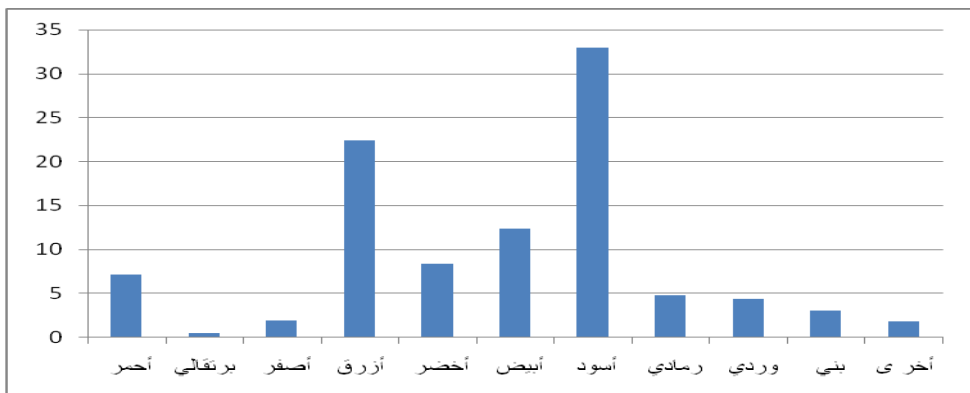
الأداة: تم استخدام استبيان "أهمية وتفضيل ودلالة اللون" في جمع المعطيات ، الذي تم إعداده انطلاقا من استبيان "أكاي" (2013) Akcay . حيث توزع الاستبيان على أربعة محاور هي: (1) البيانات الشخصية ، (2) أهمية اللون في شراء المنتجات ، (3) تفضيل لون المنتج ، (4) دلالة ومعاني بعض الألوان (الأحمر ، البرتقالي ، الأصفر ، الأزرق ، الأخضر ، الأبيض ، الأسود ، الرمادي ، البني ، الوردية ، البنفسجي ، الذهبي) في الثقافة المحلية ، حيث بلغ مستوى ثبات الاستبيان بواسطة معامل ألفا كرونباخ (0.84 = ∞).

عرض النتائج:

عرض نتائج التساؤل الأول: ما اللون المفضل لدى عينة الدراسة؟: للإجابة على هذا التساؤل تم حساب التكرارات والنسب المئوية لتفضيل اللون لدى عينة الدراسة ، والنتائج مبينة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (01): يوضح اتجاهات أفراد العينة نحو الألوان

النسبة المئوية	التكرار	اللون
33	275	الأسود
22.4	187	الأزرق
12.4	103	الأبيض
8.4	70	الأخضر
7.2	60	الأحمر
4.8	40	الرمادي
4.4	37	الوردي
3.1	26	البنّي
1.9	16	الأصفر
1.8	15	أخر
0.5	04	البرتقالي
100	833	المجموع



الشكل رقم (01): توزيع تفضيل اللون لدى عينة الدراسة

من خلال المعطيات الموضحة في الجدول والشكل أعلاه يتضح أن أغلب أفراد العينة يفضلون اللون الأسود بنسبة (33%)، يليه اللون الأزرق بنسبة (22.4%)، ثم اللون الأبيض بنسبة (12.4%)، في حين احتلت الألوان التالية المراتب الأخيرة، الأصفر بنسبة (1.9%)، واللون البرتقالي بنسبة (0.5%).

عرض نتائج التساؤل الثاني: هل يوجد اختلاف في تفضيل اللون يعزى لمتغير الجنس؟: للإجابة على هذا التساؤل تم حساب التكرارات المتعلقة بتفضيل كل لون لكلا الجنسين، والنتائج مبينة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (02): يوضح تفضيل اللون لكل من الذكور والإناث:

اللون	الذكور (التكرار)	الإناث (التكرار)
الأسود	128	147
الأزرق	96	91
الأبيض	71	32
الأخضر	28	42
الأحمر	18	42
الرمادي	18	33
البنّي	10	16
الأصفر	8	8
آخر	4	11
الوردي	3	34
البرتقالي	2	2
المجموع	386	447



الشكل رقم (2): يوضح تفضيل اللون وفق متغير الجنس

من خلال المعطيات المبينة في الجدول والشكل أعلاه يتضح أن كل من الذكور والإناث يفضلون اللون الأسود بالدرجة الأولى، واللون الأزرق بالدرجة الثانية، في حين احتل اللون الأبيض المرتبة الثالثة لدى الذكور، واحتل اللونين الأحمر والأخضر المرتبة الثالثة لدى الإناث.

عرض نتائج التساؤل الثالث: هل يوجد اختلاف في تفضيل اللون يعزى لمتغير السن؟: للإجابة على هذا التساؤل تم حساب التكرارات المتعلقة بتفضيل اللون لكل فئة عمرية كما هي مبينة في الجدول التالي:

الجدول رقم (03): يوضح تفضيل اللون وفق متغير السن

اللون السن	25-18	35-26	45-36	46 فما فوق	المجموع
الأحمر	25	21	10	04	90
البرتقالي	01	02	01	00	04
الأصفر	6	5	04	01	16
الأزرق	68	63	43	13	187
الأخضر	17	22	15	16	70
الأبيض	24	35	20	24	103
الأسود	154	70	38	13	275
الرمادي	16	14	05	05	40
الوردي	12	15	08	02	37
البنّي	03	10	09	04	26
آخر	06	05	03	01	15
المجموع	332	262	156	83	833

يتضح من خلال الجدول أعلاه أنه يوجد اختلاف في تفضيل اللون يعزى لمتغير السن، حيث تفضل كل من الفئة العمرية (18-25) والفئة العمرية (26-35) سنة اللون الأسود، بينما تفضل الفئة العمرية (36-45) سنة اللون الأزرق، وتفضل الفئة العمرية (45) سنة فما فوق اللون الأبيض.

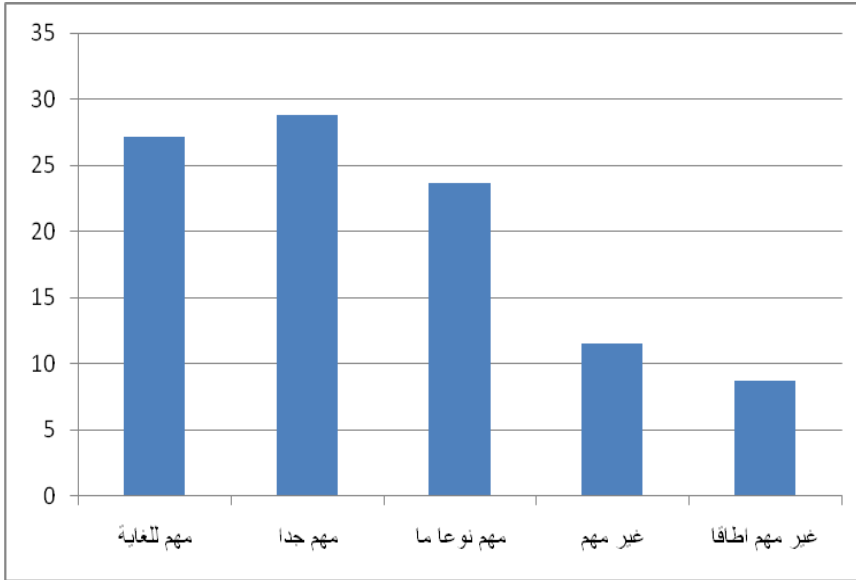
عرض نتائج التساؤل الرابع: هل يوجد اختلاف في تفضيل اللون يعزى لمتغير نوع المنتج؟: للإجابة على هذا التساؤل تم حساب التكرارات والنسب المئوية لتفضيل اللون لبعض المنتجات الشخصية كملابس العمل، ملابس الحفلات، ملابس البيت، حقيبة الظهر، وبعض المنتجات النفعية المتمثلة في الهاتف، الحاسوب، الأياد، السيارة، أثاث غرفة النوم، أثاث الصالون وطلاء غرفة النوم، الحمام والمطبخ، والنتائج مبينة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (04): يوضح التكرارات والنسب المئوية الخاصة بتفضيل اللون لبعض المنتجات الشخصية والنفعية

نوع المنتج	اللون المفضل رقم (1)	اللون المفضل رقم (2)	اللون المفضل رقم (3)
ملابس العمل	أسود : 382(42%)	أزرق: 153 (18.4%)	رمادي: رمادي (140%)
ملابس الحفلات	أسود: 382(45.9%)	أزرق: 102(12.2%)	أحمر: 99(11.9%)
ملابس البيت	أزرق: 154(18.5%)	رمادي: 152 (18.2%)	وردي: 110 (13.2%)
حقيبة اليد/ الظهر	أسود: 535(64.2%)	بنّي: 92 (11%)	رمادي: 48 (5.8%)
الهاتف	أسود: 347 (41.7%)	أبيض: 191 (22.9%)	رمادي: 95 (11.4%)
الحاسوب	أسود: 454 (54.5%)	أبيض: 140 (16.8%)	رمادي: 139 (16.7%)
الأياد	أسود: 330(39.3%)	أبيض: 212 (25.5%)	رمادي: 131 (15.7%)
السيارة	أسود: 292 (35.1%)	أبيض: 246 (29.5%)	رمادي: 128 (15.4%)
أثاث الصالون	بنّي: 221 (26.5%)	رمادي: 107(12.8%)	أزرق: 102 (12.2%)
أثاث غرفة النوم	بنّي: 149 (17.9%)	وردي: 139 (16.7%)	أبيض: 124 (14.9%)
طلاء غرفة النوم	أبيض: 211 (25.3%)	وردي: 192 (23%)	آخر: 100 (12%)
طلاء المطبخ	أبيض: 214(25.7%)	أخضر: 128(15.4%)	آخر: 88(10.6%)
طلاء الحمام	أزرق: 359(43.1%)	أبيض: 156 (18.7%)	أخضر: 76 (9.1%)

يتضح من المعطيات المبينة في الجدول أعلاه أنه يوجد اختلاف في تفضيل اللون لدى عينة الدراسة تبعاً لنوع المنتج، حيث نجد أن اللون الأسود هو المفضل بالدرجة الأولى في ملابس العمل، ملابس الحفلات، حقيبة الظهر/اليد، السيارة والهاتف، الحاسوب والأبياد، بينما اللون الأزرق هو المفضل بالدرجة الأولى في ملابس البيت وطلاء الحمام، واللون البني هو المفضل في أثاث غرفة النوم وأثاث الصالون، بينما اللون الأبيض هو المفضل في طلاء غرفة النوم والمطبخ.

عرض نتائج التساؤل الخامس: ما مدى أهمية اللون لدى المستهلك الجزائري أثناء اتخاذ قرار الشراء؟ يعتقد المستهلك الجزائري أن اللون مهم جداً عند اتخاذ قرار شراء المنتجات بنسبة (28.81%)، ويعتقد ما يقارب (27.10%) أن اللون مهم للغاية عند اتخاذ قرارات الشراء، ويعتقد (23.70%) أن اللون مهم نوعاً ما عند اتخاذ قرارات الشراء، ويعتقد (11.52%) أن اللون غير مهم عند اتخاذ قرارات الشراء، و(8.77%) يعتقدون أن اللون غير مهم إطلاقاً عند اتخاذ قرارات الشراء.



الشكل رقم (03): يوضح توزيع أهمية لون المنتج أثناء اتخاذ قرار الشراء

عرض نتائج التساؤل السادس: هل يوجد اختلاف في أهمية اللون لدى عينة الدراسة يعزى لمتغير الجنس: للإجابة على هذا التساؤل تم استخدام اختبار "ت" لعينتين مستقلتين بهدف تقصي الفروق في أهمية اللون أثناء الشراء وفق متغير الجنس، والنتائج موضحة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (05): نتائج اختبار "ت" للفروق في أهمية لون المنتجات تبعاً لمتغير الجنس

المتغير	عدد الأفراد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	قيمة "ت"	القيمة الإحصائية	القرار
الذكور	386	77.71	14.31	10.41	7.69	0.00	دالة إحصائية
الإناث	447	84.87	12.25				

يتضح من خلال النتائج المبينة في الجدول أعلاه أن متوسط الإناث لأهمية اللون في اتخاذ قرار الشراء قدر ب (84.87) بانحراف معياري قدر ب (12.25)، وهو أعلى من متوسط الذكور البالغ (77.71) بانحراف معياري قدر ب (14.31)، كما جاءت نتيجة اختبار "ت" (7.69) بقيمة احتمالية (0.00) أصغر من مستوى الدلالة (0.05)، وعليه نقرر أنه توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين أهمية لون المنتوجات لدى الإناث وأهمية لون المنتوجات لدى الذكور لصالح الإناث الأعلى في المتوسطات.

مناقشة النتائج: تشير نتائج التساؤل الأول إلى أن اللون الأسود هو المفضل لدى المستهلك الجزائري بنسبة (33%)، حيث هناك دلائل واضحة تؤكد أن تفضيل اللون يختلف من ثقافة إلى أخرى، ويؤكد في ذلك (Maleha Begun Soker, 2009) على أن للثقافة دور في تفضيل اللون، فمثلا يعد اللون الأزرق هو المفضل لدى البالغين في ألمانيا وترك، وفي دراسة أجريت حول تفضيل اللون لمختلف الدول (النمسا، البرازيل، كندا، كولومبيا، هونكونج، تايوان، الولايات المتحدة الأمريكية) تبين أن تفضيل اللون اختلف من بلد لآخر، وفي دراسة أخرى يشير (Babolhavaeji Milad et al, 2015) إلى أن اللون الأحمر هو المفضل لدى سكان الولايات المتحدة الأمريكية، واللون الأزرق المخضر هو المفضل في إيران والكويت، وفي نفس السياق يشير (Abrar Omar Alkhamisi et al, 2013) أن اللون الأبيض هو المفضل لدى سكان المملكة العربية السعودية، بينما يشير (Kazuko Samakato, 2014) إلى أن المستهلكون الهولنديون يفضلون اللون الأزرق والأخضر، بينما يفضل اليابانيون اللون الوردي والأزرق الفاتح، في حين يفضل سكان شرق آسيا مثل الصين وكوريا الشمالية اللونين الأبيض والأزرق.

وتشير نتائج التساؤل الثاني على أنه لا يوجد اختلاف في تفضيل اللون تبعا لمتغير الجنس، فكل من الذكور والإناث يفضلون اللون الأسود بالدرجة الأولى، واللون الأزرق بالدرجة الثانية، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه Ellis et Fiok 2001 ورد في (Maleha Begun Soker, 2009) أن الميول الجنسية للأفراد لا تؤثر على تفضيل اللون لديهم، ويؤكد في نفس السياق (Iris Bekker et al, 2015) على أن الجنس ليس له تأثير على تفضيل اللون.

في حين لم تتفق نتيجتنا مع ما توصل إليه (Hlim Dalgin et al, 2018) في دراستهم حول تفضيل اللون، بأنه تفضل النساء الألوان الناعمة بينما يفضل الذكور الألوان الأكثر إشراقا، ويشير "Funk, Ndubisi" ورد في (Lilia R Rado-Leon et al, 2018) على أنه يوجد اختلاف في تفضيل اللون وفق الجنس حيث يفضل الرجال اللون الأزرق، بينما تفضل النساء اللون الأخضر، وفي نفس السياق يؤكد (Amel Arabi, 2017) أنه تختلف ردود الفعل العاطفية نحو ألوان المنتوجات بين الإناث والذكور، حيث يقع اختيار الإناث على الألوان الأكثر دفئا، والذكور على الألوان الباردة، ولكن هذه الاختلافات ليست نفسها اتجاه جميع المنتوجات، كما ترى "Lange, Rentfrow" (2007) ورد في (Maleha Begun Soker, 2009) أن الاختلافات بين الجنسين موجودة، فالإناث تتفاعل بشكل أكثر ايجابي مع الألوان الزاهية مثل الأصفر وبشكل أكثر سلبي مع الألوان الداكنة على عكس الذكور، ويرى (Khown 2002) ورد في (Zahra Hossein, 2013) أن الرجال يميلون إلى اللون الرمادي، الأبيض والأسود، في حين تميل النساء إلى اللون الأحمر، الأزرق، ويشير (Kumari Suresh, 2017) أن (76%) من النساء

يفضلون الألوان الباردة مقارنة بالذكور ، يمكن تفسير هذا الاختلاف بأن كل من الذكور الإناث لديهم تصورات ايجابية ومماثلة حول اللون الأسود ، فهو يرمز عبر مختلف الثقافات إلى الجودة ، والأناقة ، الثراء ، باهض الثمن ، كما أنه يعتبر في عالم الأزياء ملك الموضة حتى أن بعض بيوت الأزياء بدأت في تصميم ثياب الزفاف باللون الأسود ، ويعطي إحساس بالقوة والثقة بالنفس .

ومن خلال نتائج التساؤل الثالث المبينة في الجدول رقم (03) يتضح أنه يوجد اختلاف في تفضيل اللون يعزى لمتغير السن ، حيث تفضل كل من الفئة العمرية (18-25) والفئة العمرية (26-35) سنة اللون الأسود ، بينما تفضل الفئة العمرية (36-45) سنة اللون الأزرق ، وتفضل الفئة العمرية (45) سنة فما فوق اللون الأبيض ، اتفقت هذه النتيجة التي خلصنا إليها مع تلك التي أشار إليها (Vichal Pandurang Raut, 2017) والتي أسفرت على أنه يوجد اختلاف في تفضيل اللون تبعاً للسن ، حيث تفضل الفئة العمرية الأقل من 18 سنة اللون الأسود ، الأحمر ، الورد ، والبرتقالي ، بينما تفضل الفئة العمرية (18-25) سنة ، اللون الأحمر والوردي ، كما اتفقت نتيجتنا مع النتائج التي توصل إليها كل من (Iris Beker et al, 2015) و (Maleha Begun Soker, 2009) والتي توضح أن تفضيل اللون الأزرق يزداد مع التقدم في السن .

أما من خلال نتيجة التساؤل الرابع كما هي مبينة في الجدول رقم (04) يتضح أنه يوجد اختلاف في تفضيل اللون تبعاً لنوع المنتج ، حيث نجد أن اللون الأسود هو المفضل بالدرجة الأولى في ملابس العمل ، ملابس الحفلات ، حقيبة الظهر/اليد ، السيارة ، الهاتف ، الحاسوب والأبياد ، بينما اللون الأزرق هو المفضل بدرجة الأولى في ملابس البيت ، واللون البني هو المفضل في أثاث غرفة النوم ، بينما اللون الأبيض هو المفضل في طلاء غرفة النوم ، وهذا ما خلصت إليه دراسة (Okan Akay, 2013) التي أظهرت أن تفضيل اللون يختلف وفق نوع المنتج ، حيث نجد أن المستهلكون الألمان يفضلون اللون الأزرق في الملابس ، واللون الأسود في الهاتف والحاسوب واللون الأبيض في طلاء المنزل ، واتفقت هذه النتيجة مع ما توصل إليه (Ven Der Vooedt et al, 2017) على أن الناس لديها تفضيلات ألوان مختلفة بجانب اللون المفضل عامة ، فيفضل العديد من الأفراد لون معين في الملابس ، وألوان مختلفة في منتجات أخرى ، ويؤكد في نفس السياق (Valerie Delaby, 2010) أن تفضيل اللون يختلف باختلاف نوع المنتج (السيارة ، الملابس ، الكراسي ، طلاء الجدران) ، ويشير (Ihab Mahmoud Hanafy, Reham Sanad, 2015) إلى أن اللون الأزرق هو المفضل في الملابس ، واللون الأبيض هو المفضل في غرفة الأكل .

كما بينت لنا نتائج التساؤل الخامس بأن المستهلك الجزائري يولي أهمية بالغة للون أثناء اختيار المنتجات ، حيث نجد (28.81%) من عينة الدراسة تعتقد بأن اللون مهم جداً عند اتخاذ قرار شراء المنتجات ، ويعتقد ما يقارب (27.10%) أن اللون مهم للغاية ، ويعتقد (23.70%) أن اللون مهم نوعاً ما ، ويعتقد (11.52%) أن اللون غير مهم ، و يرى (8.77%) أن اللون غير مهم إطلاقاً عند اتخاذ قرار الشراء ، تتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه " كات " (Goguen Kate, 2012) على أن اللون جزء مهم جداً من عملية صنع القرار عند شراء منتج ما ، وفي نفس السياق يؤكد دالفان وآخرون (Hlim Dalgin et al , 2018) في دراسة حول أهمية اللون وتفضيله ودلالته ، على أن اللون يعد عنصراً مهماً أثناء الشراء ، فهو مهم للغاية بنسبة (42%) ، ومهم جداً بنسبة (33%) في كندا ، أما بالنسبة للهند فهو مهم للغاية بنسبة (25%) ومهم

جدا بنسبة (48%)، في الصين مهم للغاية بنسبة (2,12 %)، ومهم جدا بنسبة (50%)، في تركيا مهم للغاية بنسبة (17%) ومهم جدا بنسبة (58%)، بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية مهم بنسبة (20 %) ومهم جدا بنسبة (43%)، ويشير (Amica Hunjet, Vuk Silvija,2017) في دراسته حول التأثير النفسي للألوان التسويق على أن (90.7%) من المستهلكين يعتقدون أن اللون أحد العوامل الحاسمة في اختيار المنتج، كما تتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه أكاي وآخرون (Okan Ackay et al, 2012) على أن اللون يعد أحد الاعتبارات الأساسية والمهمة للغاية بين المستهلكين أثناء اختيار المنتجات.

أما بالنسبة لنتيجة التساؤل السادس المبينة في الجدول رقم (05) توضح أنه توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) بين أهمية لون المنتجات لدى الإناث وأهمية لون المنتجات لدى الذكور لصالح الإناث الأعلى في المتوسطات، تتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه (2008) (Destefani, Whitfield) ورد في سوكر (Maleha Begun Soker, 2009) على أن الإناث يبدون أكثر استعدادا للتعامل مع اختيار اللون مقارنة بالذكور خلال عملية اتخاذ قرار الشراء، ويؤكد في ذلك (Vichal Pandurang Raut, 2017) على أن النساء لديهن تصور أفضل للون في عملية صنع قرار الشراء، ويؤكد في نفس السياق (Stephen Westland, Meon) (2015) (Jin Shin) على أن لون المنتج أكثر أهمية بين الشباب مقارنة بالفئات العمرية الأكبر سنا، وأكثر أهمية لدى الإناث مقارنة بالذكور.

ويشير (Hlim Dalgin et al, 2018) على أن الإناث والذكور ينظرون إلى أهمية اللون بشكل مختلف، فالنساء يبدون أهمية أكبر من الذكور في بلدان مختلفة، لاسيما النساء الكنديات والهنود.

خلاصة:

تخلص الدراسة الحالية إلى أن اللون الأسود هو المفضل بصفة عامة لدى المستهلك الجزائري، فالأفراد يفضلون الألوان المرتبطة بالأشياء التي يحبونها بشدة، فوفق الدراسات السابقة يعتبر اللون الأسود أكثر استقرارا في المعاني والدلالات، فهو يرمز للقوة، باهض الثمن، الثراء، الجودة والموثوقية.

كما تخلص الدراسة إلى أن السن، ونوع المنتج عاملان من حيث تأثيرهما على تفضيل اللون، لدى وجب دراسة كافة الفئات العمرية خاصة الأقل من 18 سنة كونها فئة عمرية ذات استهلاك واسع فهي تشكل نسبة معتبرة من المجتمع، بالإضافة إلى دراسة تفضيل اللون لمختلف المتوجات الأخرى والتي لم تشملها الدراسة الحالية، بينما لم نجد أي تأثير لعامل الجنس في تفضيل اللون، حيث كل من الذكور والإناث يفضلون اللون الأسود بالدرجة الأولى، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن كلا الجنسين لديهم تصورات إيجابية ومتماثلة حول اللون الأسود.

ويتبين كذلك من خلال النتائج المتوصل إليها أن اللون عامل مهم جدا لدى أغلب أفراد عينة الدراسة خلال عملية اتخاذ قرار شراء، حيث تولي الإناث أهمية أكبر من الذكور للون المنتج، لدى وجب على المصممين ومدراء التسويق الأخذ بعين الاعتبار عامل أهمية لون المنتج قبل إطلاق أي منتج في السوق.

يمكن أن تقيد نتائج دراستنا كل من المصممين، المنتجين ومدراء التسويق في توفير منتجات جذابة من شأنها أن تحفز الرغبة وتزيد من نوايا الشراء لدى المستهلك المستهدف من جهة، و تساعد المؤسسات على تحقيق الميزة التنافسية والبقاء في السوق لمدة أطول من جهة أخرى، وذلك من خلال معرفتهم للألوان

المفضلة لدى المستهلك المستهدف وعبر مختلف دول العالم ، فقد لا يكون ترويج منتجات بنفس اللون حول العالم أفضل إستراتيجية ، لأن للألوان معاني ومفاهيم مختلفة في الثقافات المختلفة ، لذا كان من الضروري معرفة تفضيل وأهمية ومعاني اللون المختار في كل سوق مستهدف قبل إطلاق أي منتج جديد في الأسواق المحلية أو العالمية على حد سواء.

قائمة المراجع:

- Akay Okan (2013) : product color choice and meanings of colors, a case of Germany, international journal of business and social science, vol 04 , n 14, pp : 5-12
- Akay Okan, Sabl Paul, Dalgin Halim. (2012) : the importance of color in product choice among yong Hispanic, Caucasian, and African-American groups in USA , International Journal of Business and Social Science Vol. 3 No. 6; [Special Issue.
- Agrawal Nikita, Singh Siddhant (2017): Role of Product Colour in Consumer Behaviour, IOSR Journal of Business and Management (IOSR-JBM), PP 33-38.
- Amstens Martin, Al-shaabn Sarah, Wallin Emmy, Sjoqvist Sarah (2015): colors in marketing, a study of color association and context independence, international .journal of business and social Sience, vol 06.(03), pp 32-45.
- Arabi.Amel (2017): Influence of colors on consumer behavior « conceptual and theoretical approaches » academic Brancusi publisher, pp : 163-170.
- Bakker Iris, Theo Van der Vooft, Peter Vink, Jande Boon, Conne Bazley (2013): color preferences for different topic in connection to personal characteristics, color research and application, pp 1-10 <https://www.levenswerken.eu/flash/colorpreferences.pdf>.
- Dalgin Hlim, Sariheen Abdulwahab, Akcay Okan (2018): gender differences in product color importance color choice and meaning of color: a cross- country study.Journal of Business and Behavioral Sciences Vol 30, No 1; Spring.pp 88-99.
- Daivata Patil (2012) ; coloring consumer's psychology using different shades the role of perception of colors by consumer decision making process, a micro study of seled departmental stores in Mumbai city, india, journal of business and retail management research, vol 7, n 1, pp 60-73.
- Dharithri ,T, Ruberu, N (2017) : the influence of perceived service space on Consumer perception in modern trade industry of sri lanka, proceedings of APIIT business law and technology conference, pp 16-22.
- Di Folco Maelle, Proust Marine (2014): color trends in marketing, the case of companies logos, Halmstad university, p 101.
- Hanafy Ihab Mahmoud, Sanad Reham (2015): colour preferences according to educational Background, procidia-social and behavioral sciences, pp 437-444.
- Hunjet Amica, Vuk Silvija (2017): the psychological impact of colors in marketing, international journal-Vallis Aurea, vol (03), n^o (02),pp 43-54.
- Hossein Nezhad Zahra, Kavehnezhad Katayoun (2013): choosing the right color, a way to increase sales, International journal of Asian social science, 3(6). Pp 1442-1457.
- Kate Goguen (2012): the influence of color on purchasing decisions related to product design, thesis Rochester institute of technology- accessed from. <https://scholarworks.rit.edu/cgi/viewcontent.cgi?referer=https://www.google.com/&httpsredir=1&article=7108&context=theses>.

- Milad Babolhavaej, Asefpour Vakilian Mahnaz, Alireza Slambolchi (2015) : the role of product color in consumer behavior, advanced social Humanities and management 2 (1), pp 9-15.
- Omar Alkhamisi Abrar, Ba-brahem Afnan Salem, Ahsan Abdullah (2013): a study of color as a marketing gue in Saudi Arabia , international journal of social sciences and humanity studies , vol 05, n^o 01, pp 21-21.
- Prado-León Lilia R, Zamrano-Prado Perla Liliana, Harrada-Rodrigwez Susana (2018): color preferences for private and semi-private areas in hotels, Universal journal of psychology 6(4), pp 113-120.
- Raut Vichal Pandurang (2017): An analytical view on color influencing consumer: paper advertisement - a study in Pune region, Volume 5, Issue 4 | ISSN: 2321-9939.
- Sakamoto Kabuko (2014) : cultural influence to the color preference according to product category, keer 2014, Linkoping June 11-13 international conference on Kansei engineering and emotion research.
- Soker Meleha Begim (2009) the role of color on the assessment of retail space: restaurant atmospherics, partial fulfillment of the requirements for the degree of master of fine ARTS, Bilkent university. <http://www.thesis.bilkent.edu.tr/0003840.pdf>
- Suivi Vanio (2016): A cross-cultural comparison of colour-emotion association of Finland, Norway, China and Greece, master's thesis, faculty of social sciences, social psychology, university of Helsinki.
- Suresh Kumari (2017): the psychology of colour influence consumer's buying behavior a diagnostic study, ushus-journal of business management, vol 16,N4, pp 1-13.
- Valteri Julita (2018) : color emotion effects in creating product preference in Advertisements , Bachelor of Science in Economics and Business Administration.
- Voordt Vender, Bakker I, De Boon J (2017): color preference for four different type of space . . Facilities 35(3/4), pp. 155-169.
- Wesland Stephen, Meong Jin Chin (2015) : the relationship between consumer Colour performances and product-color choices, journal of the international colour association.
- Yu Luwen, Stephen Westland, Zhenhong Li, Qianqian Pan, Meong-jin Shin, Seahwa Won(2018): the role of individual color preferences in consumer purchase decisions, color research and application 43 (2), pp 258- 267.

القرآن الكريم والتكامل المعرفي د. زكية عرعار،

بسم الله الرحمن الرحيم

<<وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا>>. الآية: 13 ، سورة: الحجرات.

<<إن لم تكن هناك "أنوات أخرى" فليس هناك "الأنا" >>.

شوانك تسو

<<إنّ العالم يحتضر وهم يتداولون في جنس أوديب ويتناقشون في العالم المعيش من دون عيش في العالم>>.

أدغار مورا

<<إنّ انفلاق الذات على نفسها تجعل الآخر غريبا عنّا ، أما الانفتاح على الآخر ، فيجعله أخا لنا>>.

أدغار موران

<<إنّ الأرض ينبغي أن تكون البستان المشترك بين بني البشر ، والحال أن أجمل ما في البستان هو التعاون بين الطبيعة والثقافة ، فالبستان هو المكان حيث تتعاون الإثنتان بدل أن تدمر إحداها الأخرى>>.

أدغار موران

مقدمة:

يعدّ التكامل المعرفي من الحلول الجذرية الراهنة التي تلعب دورا كبيرا في توجيه المعرفة وإخراجها من الأزمة التي أوقعت فيها البشرية ، باعتبار أنّ المعرفة في نهاية المطاف خادمة للإنسان ، ونابعة من الإنسان ، ومن خلالها يحقق خلافته في الأرض ، وهذا ما يوضح العلاقة الوطيدة الصلة بين المعرفة كأداة ووسيلة والخلافة كمهمّة ، وعلى هذا الأساس جاء موضوع هذه الدراسة معنوناً بـ "القرآن الكريم والتكامل المعرفي" ، والتي سنعمل من خلالها على الإجابة عن الإشكال الآتي ، فيما تتمثل سبل التكامل بين الواقع المعرفي والمنظور الفكري القرآني؟

وذلك من خلال طرح العناصر التالية:

أولاً: الحدود المفاهيمية للتكامل المعرفي.

ثانياً: التجزئ المعرفي: علم سيء.

ثالثاً: من التكامل المعرفي إلى التكامل الإنساني.

أولاً: الحدود المفاهيمية للتكامل المعرفي:

إذا كانت الوظيفة المنوطة بالمعرفة منذ أن خلق الله سيدنا آدم عليه السلام وعلمه الأسماء كلّها ، إلى أن أمر عبده بالقراءة ، قائمة على تحقيق الخلافة البشرية في الأرض ، فإنّها لا تزيد عن كونها وسيلة لغاية أكبر ، يدرك

من خلالها الإنسان >> ماهية الحياة والوجود عامة ، وماهية وجوده ومركزه الوجودي خاصة ويضبط حركة حياته على ضوء مقاصد الوجود الإنسانية في الأرض أولاً ، وعلى ضوء شروط تفعيل هذا الوجود ثانياً¹. ولما كان التنوع هو جوهر الوجود عامة والإنساني خاصة ، فقد تأسست عدة أبعاد ومجالات لسبر أغواره واستكناه خفاياه وحقائقه الكامنة ، مشكّلة في تكاملها رؤية للكون وللخلق أولاً وللخالق ثانياً ، وعلى هذا الأساس تبلورت على أرض الواقع مجموعة من المجالات عُرفت بما يسمى بالتخصصات ، يبحث كل منها في جانب معين ، وعليه أصبحت المعرفة >>علاقة فهم ووعي بالوجود الكوني والإنساني ، في تكوينيهما البنوي والهيكلية السنني الذاتي المنتظم ، وفي الغايات التي يستهدفها [...] يكتسبها أو يؤسسها الإنسان من خلال وسائل منهجية متعددة ومتنوعة ، بتعدد وتنوع الحقول المعرفية المختلفة ذات العلاقة الوظيفية بمهمته في الأرض².

ولقد قسّم المفكر "الطيب برغوث" هذه الحقول إلى منظومات فكرية خصّ كل منها بمجموعة من العلوم والمعارف ، ونجد في تصنيفه هذا تأصيلاً للتقسيم السائد والمتمثل في سياق دراسته الهادفة إلى التأسيس الإسلامي للتكاملية المعرفية ، حيث جاء تصنيفه كما يلي³: منظومة سنن الأنفس: التي تغطي كل الاحتياجات الفكرية والثقافية والنفسية والتربوية والاجتماعية والحضارية لخلافة الإنسان في الأرض.

منظومة سنن الآفاق: التي تغطي كل الاحتياجات المادية لخلافة الإنسان في الأرض ، وهي موضوعة تحت سلطة العقل الإنساني الذي يكتشفها عبر الملاحظة والفرضية والتجربة والاستنتاج والوصول إلى النظريات والقواعد والقوانين الناظمة لحركة الحياة المادية للإنسان ، ثم يتولى استثمارها بناء على الوعي بالآلية السننية لكل نظرية أو قاعدة أو قانون.

منظومة سنن الهداية: التي تغطي كل الاحتياجات العقيدية والروحية والأخلاقية والاجتماعية لخلافة الإنسان في الأرض.

منظومة سنن التأييد: التي تغطي كل الاحتياجات الاحتياطية التديمية الإضافية التي تتطلبها خلافة الإنسان في الأرض.

وبشكل انفتاح هذه المنظومات على بعضها البعض ما يسمى بـ "لوحة العالم" باعتبارها >>محصلة المعرفة الشمولية للواقع التي تحدد مستوى تطور الثقافة والعلم والتقنية والفن¹.

¹ - الطيب برغوث: التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سنني كوني متوازن ، دار النعمان للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2017 ، ص: 23.

² - نفسه ، ص: نفسها.

³ - نفسه ، ص: 81-82.

¹ - بوريس ميلاخ: عملية الإبداع والإدراك الفني: مقارنة تكاملية ، تر: نزار عيون السود ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق - سوريا ، 2017 ، ص: 356.

ولعلّ هذا ما يؤكد بأنّ التركيز على مجال بعينه والانكباب والانغلاق عليه يجزئ هذه اللوحة ويتر أعضاءها ويُقطع شرايينها النابضة، ما يجعلنا نقرّ بأنّ التكاملية هي الروح والقلب النابض للمعرفة، والتي بدونها تفقد فعاليتها وحيويتها، فإذا كانت <>القاعدة السائدة تقوم على اعتبار أنّ الدقة تزداد مع التخصص ومع التجريد، فالحال أنّ حدا أدنى من المعرفة [...] يعلمنا أنّ الأهم هو وضع الأشياء في سياقها>>² ولنا أن نعتبر السياق خير وسيلة لتحقيق التكامل.

وعليه فإذا كانت وظيفة المعرفة كما سبق وأشرنا الارتقاء بالإنسان إلى مستويات عليا تمكّنه من تحقيق خلافته في الأرض، فإنّ التخصص كفكرة تجزيئية للمعرفة تقود كما وضع "إدغار موران" إلى الهاوية، وذلك عندما جعل منها المعادل الموضوعي لها سمّاه بـ"الذكاء الأعمى" وهذا ما يؤكد قوله <>ينبغي أن نسعى لننطرد عنّا الذكاء الأعمى الذي لا يرى غير القطع المنفصلة، والذي يعجز عن لحم الأجزاء إلى الكل، ووصل العنصر [الواحد] بسياقه ويعجز عن تصوّر العصر الكوكبي>>³.

ولعلّ ما نستخلصه من قول "موران" هو أنه لا يجعل من فكرة التخصص في حدّ ذاتها هي الإشكال، إنما الإشكال الحقيقي يتجسد في الرؤية الغامضة التي تعزل المعارف عن بعضها البعض، لأنّ التخصص هو أساس المعرفة وعمودها الفقري، بحيث أنه يستحيل على الإنسان الباحث أن يحيط بكلّ المعارف والعلوم، وهذا ما أكّده "سي. بي. سنو" في كتابه "الثقافتان" وذلك ما نلمسه في قوله: <>ما نحتاج إليه ليس إجمار من يحتمل لهم أن يكونوا فيزيائيين على قراءة شيء من مؤلفات ديكنز، ولا إجمار من يحتمل لهم أن يكونوا نقاد أدب على أن يدرسوا بنمغن بعض المبرهنات الأساسية، بدلا من ذلك نحتاج إلى تشجيع نمو المبرادف الفكري للقدرة على النطق بلغتين في طلاقة، فلا تقتصر قدرتنا على ممارسة لغة تخصصنا الشخصي، وإنّما هناك أيضا حوارات ثقافية أوسع إلى أن نهتم بها، وأنّ نتعلم منها، وفي النهاية أن نسهم فيها>>¹.

من هنا تتضح الحدود المفاهيمية للتكامل المعرفي، وهو أن يعمل كل في تخصصه شريطة أن لا ينعزل عن السياق الفكري العام الذي يحدّد الهدف من المعرفة، وعلى الباحث أن يكون عارفاً بما يسمى بـ"روح الزمن" وأن يساهم هو الآخر في رسم "لوحة العالم"، وهذا ما أكّده "ب.ب.فيدوسيف" حينما قال: <>كلّ عالم مدعوّ لأن يصنع الجزء الخاص به من لوحة العالم وأن يضيف إليها لمساته وصوره>>²، وتتجلى الروح التكاملية من خلال هذا القول في ضرورة أن يعي العالم بالكلّ ليتمكن من معرفة الجزء الخاص به، وهذا أمر طبيعي جدّا لكي تؤدي المعرفة وظيفتها بشكل تام، مفيد يحقق التواصل والشمولية، وهذا ما يجعل العالم <>مستوعبا ومدركا للعلاقات والعلاقات الواسعة بين العلوم، ليس كشيء طارئ، بل كشيء طبيعي عادي، وأنّ عليه أن يكون مهياً نفسياً لمثل هذا التواصل>>³ ذلك لأنّ فكرة التخصص كما أشار "سنو" <>هي الشرط المسبق

² - إدغار موران: هل نسبر إلى الهاوية، تر: عبد الرحيم حزل: إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص: 51.

³ - نفسه، ص: 44.

¹ - سي.بي.سنو: الثقافتان، تقديم: ستيفان كولوني، تر: مصطفى إبراهيم فهمي، المركز القومي للترجمة، العدد: 1560، القاهرة- مصر، ط: 1، 2010، ص: 64-65.

² - بوريس ميلاخ: عملية الإدراك والإبداع الفني، ص: 357.

³ - نفسه: ص: 39.

للتقدم الفكري»⁴ وبدلاً من الخوض في هذه القضايا العقيمة التي تجعل من التخصص عقبة في وجه التكاملية، يجب البحث عن إجابات <>لأسئلة المثيرة للاهتمام والتي تدور حول الطرائق التي تكون بها هذه المجالات التخصصية على علاقة بالثقافة في نطاقها الأوسع، وتدور حول طرائق تأثير هذه المجالات التخصصية في مناقشة تلك الأمور التي لا يمكن اختزالها بدون بواق، لتظل في حماية فرع معرفي أكاديمي واحد»¹.

ولعلّ الأساس المنطقي الذي يبرّر فكرة التخصص وعلاقتها بالتكامل المعرفي، هو أن الإنسان الذي هو محور العملية المعرفية، هذا الكل المتنوع لا يمكن دراسته وفهمه وتعريفه من زاوية محددة، لأنه كائن متميز بعدة أبعاد منها: البيولوجي، الاجتماعي، النفسي، الديني، السياسي، الفكري...وعليه فإنّ الإحاطة الشاملة والفهم العميق لهذه الجوانب يحتاج إلى <>تنشئة الإدراك بأنّ العناية بهذه المسائل الكبرى ليست بنوع من عمل تطوعي بعيد عن العمل الرسمي وفي غير أوقاته، وإنما هي جزء متكامل وجزء لا يتجزأ من الانجاز المهني في أي مجال معين»².

أما بالنسبة للمقاربة التكاملية فإنه ليس بالضرورة أن تتداخل كل العلوم والمعارف لفهم مجال معين ودراسته، بقدر ما يكون الانفتاح فقط على المعارف ذات الصلة والتي تساهم في تشكيل وفهم هذا المجال أو ذلك.

وبالنظر إلى الوظيفة الدينية العقائدية المنوطة بالمعرفة، فإنّ مفاهيم التكامل المعرفي عند العلماء والمفكرين (العرب) لا تكاد تتجاوز الطرح الذي يقوم على الجمع بين سائر المجالات والمعارف والعلوم الشرعية، حيث <>أنّ مبدأ التوحيد في الإسلام سيكون حاضراً في أي حديث عن وحدة المعرفة من جهة وعن التكامل المعرفي من جهة أخرى [...] ولقد تحدث كثير من العلماء المسلمين في الماضي عن ضرورة المحافظة على وحدة العلوم والمعارف بحكم ارتباطها جميعاً بمصدرها الواحد، وهو الله سبحانه وتعالى، سواء أوحى الله بها للإنسان بأساليب البحث والسعي والنظر، ويكفي أن نشير في هذا المجال إلى جهود الغزالي وابن رشد وابن تيمية»³ وبالفعل يعدّ القرآن هو مصدر المعرفة في وحدتها وشموليتها <>ليس لأنّ فيه محتوى المعرفة نفسها وإنّما لأنه يوحي إلى المسلم برؤية متميزة حول وحدة مجالات المعرفة، وفكرة هذه الوحدة هي نتيجة لفكرة وحدة الألوهية وتطبيقاتها في ميادين المعرفة البشرية، فالإنسان يكتسب المعرفة من مصادر مختلفة وبأساليب متنوعة، ولكن جميع المعارف تأتي في النهاية من الله العليم، فالرؤية القرآنية تؤكد أنّ

⁴ - سي.بي.سنو: الثقافتان، ص: 63.

¹ - المرجع السابق، ص: 63.

² - نفسه، ص: نفسها.

³ - رائد جميل عكاشة: التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن، فيرجينيا-الوم. أ، ط: 1، 2012، ص: 23.

معرفة الإنسان المادية والمسائل الروحية ممكنة، لأنّ الله أعطى للإنسان القدرات الضرورية لامتلاك المعرفة¹.

وفي هذا الإطار العام الذي يجمع بين المعرفة والعقيدة الإسلامية، فإنّ المقياس الذي تقاس به قدرة المعرفة في أداء وظيفتها الإلهية (الخلافة) هو كما قال "الطيب برغوث" مقياس الفعالية الإنجازية، أي ما حققه الإنسان على أرض الواقع، وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى تحقيق المدولة الحضارية، وهذا ما نلمسه في قوله: <<الفعالية هي القدرة المتزايدة على التصرف الفعّال في الإمكانيات المتاحة من أجل تحقيق الأهداف المطلوبة على مستوى الحياة الفردية والجماعية بكفاءة عالية [...] وهي بذلك المحرك المباشر لحركة التاريخ، فالأكثر فعالية تجاه الأحداث، والفرص والتحديات [...] هو الأكثر تأثيراً في حركة التاريخ>>² وعليه فإنّ تقدم الأمم وازدهارها يقاس بمدى مساهمتها في دفع عجلة العلم والمعرفة نحو الرؤية الشمولية التي على أساسها تبنى العلاقة مع سائر الموجودات والتي تحدد أيضاً مسيرة حركة التاريخ الحضارية.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى فكرة هامة مفادها أنّ التكاملية هي المعادل الموضوعي للمعرفة، وأنّ المنظور القرآني يحمل في طياته معالم هذا المعادل.

ثانياً: التجزئى المعرفى: علم سى ء

ولعلّ الناظر للواقع الفكري السائد اليوم يدرك الطبيعة التجزئىة للمعرفة، والتي تشطرها إلى شطرين متميزين حدّ التباين يتمثلان في المعرفة العلمية، أو ما يسمى بالعلوم الطبيعية، والمعرفة الإنسانية وما تشمله من علم اجتماع وعلم النفس، والتاريخ والأدب والفنون بشتى أشكالها والسياسة والثقافة...، تمثل المعرفة العلمية الغرب وذلك من خلال ما حققه من انفجار علمي تكنولوجي باهر، أصبح من خلاله منبعاً لكل ما هو جديد ومتطوّر.

وفي ظلّ علاقات القوة والسيطرة التي تحكم العالم فإنّ الغرب وبفعل ما حققه من فعالية إنجازية كبيرة بسط سلطانه على كل الميادين والمجالات وكنتيجة طبيعية لهذا التطوّر المذهل فقد حلّ الغرب مستعمراً وحاملاً رسالة حضارية لغيره من الشعوب التي صُيِّفت على أنّها متخلّفة، ولقد رسمت المشاريع الاستعمارية خارطة العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر، وشكّلت الشعوب المستعمَرة بفعل ما عايشته من ويلات الحروب رؤية عن الآخر مفادها أنّ أشكال الإمبريالية الغربية تتواصل في مرحلة الاستقلال بأشكال مختلفة، وعلى هذا الأساس حدّدت طبيعة العلاقة بين الطرفين، ولقد كان للجانب الفكري والثقافي أثر كبير في هذه المرحلة بعدّها مرحلة استعمار خفي وغير مباشر، وتبلورت من خلال هذا الواقع الطبيعية التجزئىة للمعرفة، بحيث سيطرت رؤية الفصل والاختزال على الوضع المعرفي لكلا الجانبين، وهذا ما أدى في نهاية المطاف إلى وقوع المنظومة المعرفية في أزمة إنسانية أودت بالقيم والمبادئ الإنسانية الكبرى من

¹ - المرجع السابق ص: 37.

² - الطيب برغوث: التكاملية المعرفية، ص: 25.

جهة ، كما أدخلت المنظومة الفكرية العربية في جدل عقيم خاض غماره أبناء الفكر نفسه ، بين مؤيد ومعارض للمنظومة الفكرية الغربية.

وتمثل هذه الردود مجتمعة رؤية فكرية مفادها أنّ فكر الحقبة الراهنة يستند إلى منظور تجزيئي للمعرفة وللذات وللكون عامة ، مثلته منظومة التبسيط باعتبارها >> ترى أنّه إمّا الواحد وإمّا المتعدد ، ولكنها لا ترى أنّ الواحد قد يكون في الوقت ذاته متعددا ، يكمن عمل البساطة إما في فصل ما هو مرتبط (الفصل) أو توحيد ما هو متعدد (الإختزال) [...] وهي بذلك غير قادرة على تمثّل الوجه الجديد للعالم الذي هو أساسا في جذريته عالم مركب ودينامي وصدفوي ومتنوع ومتحوّل ولا نهائي>>¹ وعلى هذا الأساس فإنّ المنظور الفكري الموراني القائم على رؤية تركيبية معقدة لا تختزل الإنسان في الغربي فقط أو الصانع ، وهذا ما جعله يؤكد على أنّ مبدأ الفصل والإختزال اللذين اتسمت بها منظومة التبسيط يمنعان من التفكير بما هو إنساني ، وهو ما أطلق عليه "العلم السيء" وهذا ما نلّمسه في قوله: >>يبقى الإنسان هو "هذا المجهول" لا سيما اليوم ، بفعل "العلم السيء" أكثر ممّا هو بفعل الجهل ، ومن هنا يتأتّى التناقض ، فكلمها زادت معرفتنا ، قلّ فهمنا للكائن البشري>>² ومن خلال طرحه لهذه الرؤية يكون قد قدّم دراسة توضيحية لما سبّاه بـ بطولوجيا المعرفة المعاصرة ، مقترحا مع ذلك بعض الترياقات المضادة لتجاوز هذا الوضع ، وهو ما صرّح به قائلا: >>يظهر أنّ إصلاح الفكر ونقد الفكر الأعمى هو المهمة الاستعجالية للفكر ، يعني إصلاح الفكر إبداع أنطولوجيا [...] تكون مهمتها الجوهرية ، ليست إغلاق العالم داخل جواهر وحقائق [...] لكن الوقوف عند تنوع / تعقد / صدفوية / دينامية / تاريخية ، العالم وأدوات فهمه ، إنّ مهمة الفكر المركب هي تغيير هوية العالم ، ومن الواضح أنّ تغيير العالم هو أساسا تغيير أدوات فهم العالم التي لا توجد في أي علم ، أو لنقل لا توجد في العلوم المقطّعة المفصولة عن بعضها>>¹ ، وباعتبار أنّ منظومة التبسيط قدّمت فهما خاصا للعالم تتجاوز كل الاختلافات وكرّسها في الوقت نفسه ، وجسّد بذلك رؤية إيديولوجية رسمت هويات متنافرة للبشرية ، وعلى هذا الأساس جاءت مراجعات النقد الذاتي ، لتعود إلى المنظور الإنساني متجاوزة كل الرؤى والمفاهيم المبتورة ، وعليه فإنّ الفكر المركب عند "موران" هو الترياق المناسب لتجاوز المخلفات السيئة للفكر المعاصر ، إذ يمثّل في نظره >>نقطة انطلاق نحو فعل أكثر ثراءً ، وأقل تشويها ، فبقدر ما يكون الفكر أقلّ تشويها ، بقدر ما سيقلّ تشويبه للبشر ، يجب التذكّر أنّ أنواع الخراب التي أحدثتها الرؤى التبسيطية ، ليست فقط في العالم الفكري ، ولكن أيضا في الحياة ، فكثير من المعاناة التي يخضع لها ملايين البشر سببها الفكر المقطّع والأحادي البعد>>²

¹—إدغار موران: الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب ، تر: أحمد لقصور ومينير الحجوجي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط: 1 ، 2004 ، ص: 76/61.

²—إدغار موران: النهج: إنسانية البشرية الهوية البشرية ، تر: هناء صبحي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، كلمة ، ط: 1 ، 2009 ، ص: 22.

¹—إدغار موران: الفكر والمستقبل ، ص: 8.

²—نفسه ، ص: 83.

وبذلك يكون الفكر المركب فكراً تحرّياً من كل المنظومات الخفية التي توجّه وتحكم الفكر، فكراً <<يضيء طريق التحرّر من كلّ ما يقيد الإنسان، حرّية، ووعياً، وإنسانية>>³.
وعلى أساس هذا النقد تمّ التأكيد على حقيقة مفادها أنّ دافع المعرفة هو إرادة السيطرة، وعليه فإنّ المعرفة (العربية) المعاصرة، تصنّف في إطار رد الفعل، فهي محاولة لردّ الاعتبار للذات من خلال إثبات الكيان الوجودي عن طريق الاختلاف الثقافي والعقائدي والفكري من جهة، ومحاولة للحاق بالركب الحضاري من جهة أخرى، وبين هذا وذاك ترعرت واستمدت كيانها، بحيث لم تتجاوز هي الأخرى الرؤية الجوهرية للذات والآخر، التي تختزل التنوع وتسحق الوحدة البشرية، وهذا الوضع في حدّ ذاته ما هو إلا ترجمة لمنظومة التبسيط، وفي هذا الإطار رُسمت العلاقة بين الذات والآخر بشكل أعمى من كلا الطرفين، وهذا ما حدّر منه "إدغار موران" قائلاً: <<إنّ المعرفة تخص ما إذا كانت هذه الخصائص الإيجابية هي التي تحتل مكان الصدارة أم أنها مجرد ظواهر ثانوية، إنّ سؤالاً من هذا القبيل ينبغي أن يُعاد وضعه في إطار أعم، وينبغي التأكيد على التعارض والتعقيد المتلازمين لتحديد ما ينتمي للبربرية، وما ينتمي للحضارة، وليس المقصود من هذا تبرير تصرفات البربرية، وإنما الهدف هو الفهم الجيد لهما وتجنب سيطرتهم علينا بشكل أعمى>>¹.

وما يمكن استخلاصه في هذا السياق، هو أنّ المعرفة (العربية) ذات طبيعة تنافرية جعلتها تدخل في جدل عقيم أفقدها فعاليتها الإنجازية ومداولتها الحضارية، وهذا ما يؤكد بأنّ الخلل في منظور تلقي الفكر الآخر، بعدّه فكراً عالمياً، وعليه فإنّ الإشكال الذي يُطرح في هذا السياق، ما هو البديل الذي يحقّق الطبيعة التكاملية للمعرفة والذي يتجاوز الرؤية التجزيئية للفكر الممتدة إنسانياً؟

ثالثاً: من التكامل المعرفي إلى التكامل الإنساني:

ولقد ساد هذا الوضع في ظلّ غياب قانون التجديد باعتباره <<مراجعة نقدية تقويمية دائبة لحركة المجتمع، تخليّه من كلّ ما تجاوزه الزمن من الأفكار والمفاهيم والمناهج والأوضاع النفسية والروحية والسلوكية والأنظمة الاجتماعية والسياسية... غير الفعّالة من ناحية، وتبدع أفكاراً ومفاهيم ومناهج جديدة من ناحية أخرى>>² ومن بين المفاهيم والأفكار التي يجب تجاوزها في هذا السياق، الرؤية المزدوجة وما ترتّب عليها من ثنائيات بُنيت عليها المنظومة الفكرية، والتي لا طائل من ورائها سوى تكريس المواجهة، فعلى الرغم من كشف العديد من المفكرين والنقاد لهذه الحقائق إلا أنها ما زالت عالقة في الأذهان، وما زالت تشكل منطلقاً فكرياً، وعليه فإنه <<ما لم يتم تجاوز هذه التجزيئية والتنافرية والاستثنائية الصفرية في المنظور المرجعي للنخبة، فإنه لا أمل في نهضة حضارية حقيقية متوازنة>>³.

³— بسراب نيكولسكو: العبرمناهجية-بيان، تقديم: أدونيس، تر: ديمتري أفبيرتوس، دار مكتبة إيزيس، دمشق-سوريا، ط: 1، 2000، ص: 7.

¹— إدغار موران: ثقافة أوروبا وبربريتها، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط: 1، 2007، ص: 25.

²— الطيب برغوث: التكاملية المعرفية، ص: 79.

³— نفسه، ص: 40.

وعلى هذا الأساس أصبح من اللازم إعادة بناء رؤية وفهم جديد للعالم يتجاوز الصراعات الفكرية سواء الداخلية أو الخارجية ، وإلا فما الفائدة من الدراسات الفكرية والتطورات الراهنة ، وعليه فإن <>النخب الفكرية بهذا الوضع التنافري تقف أمام أسئلة كثيرة وكبيرة تتعلق بكيفية بناء منظور مرجعي سنني شمولي كوني تكاملي متوازن يستوعب عطاءات التاريخ ورشد الخيارات البشرية الكامنة فيه ، ويتجاوز نواقصه وأخطائه ولا يسمح لها بالعبور إلى حاضر النهضة ومستقبلها؟ كما يستوعب قضايا المادة والروح ، والغيب المتصل بالبدائيات الكونية وبالوظيفة الوجودية للإنسان وبالمصير البشري ، والاستحقاقات والشروط التي يفرضها أو يتطلبها الوعي بذلك كله>>¹ ، ويكون بذلك منظورا وليد رؤية فكرية معرفية متكاملة تتجاوز نظيرتها التجزيئية وتحويها في الوقت نفسه ، من خلال إلقاء الضوء على مخرجاتها الإنسانية التي أفرزتها الخطوط الجغرافية والتصنيفات العرقية والدينية ، رؤية تحررية تستأصل ورم اللإنسانية من الإنسانية ، الأمر الذي يجعل مهمّة العلماء <>تتعلق بتعليم الإنسانية للبشرية>>² فهي رؤية شمولية منطلقها الإنسان وهدفها الإنسان بغض النظر عن انتمائه الديني والعرقي والسياسي...

وعليه فإن المنظور الذي يُستقى من القرآن الكريم كفيل بتحقيق هذه الرؤية الشمولية للبشرية التي تقف وراء الفعالية الإنجازية والمداولة الحضارية ، والتي تحدد <>رؤية الإنسان لنفسه وللحياة وللكون ولحركة التاريخ البشري في الأرض ، ويتحدّد على ضوء ذلك وضعه الدنيوي ومصيره الأخروي>>³ فإذا كانت الرؤية الغربية تحدّد صورة الإنسان الغربي ، وتنعت من يخالفها بالبربري والمتوحش فإن الرؤية القرآنية تعترف بالاختلاف وتجعل منه شرطا وجوديا أساسيا ، ففي البدء كان الاختلاف وهو ما توضحه الآية الكريمة: <>ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة...ولا يزالون مختلفين (118) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمّت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (119)>>⁴.

وعليه فإن الاختلاف الذي يُختزل ويُرفض ، يقوم عليه المنظور الإسلامي ويجب <>أخذه كفرضية للاعتناء والمعرفة بين البشر>>⁵ وفي هذا السياق يعدّ الدافع الأساس للمعرفة ليس السيطرة على العالم وموجوداته الذي هو في الأصل مسخّر لخدمة الإنسان ، بقدر ما هو تحقيق وعي وفهم للكون وسائر موجوداته في سبيل معرفة الغاية من الوجود ، وفي هذا الإطار لا يمكن بأي حال من الأحوال النظر إلى المنجز الفكري الغربي إلا باعتباره نتيجة قدرة كامنة أودعها الله في النفوس ، وهو ما أقرّته <>الرؤية القرآنية التي تؤكد أنّ معرفة الإنسان للأشياء الهادية والمسائل الروحية ممكنة لأن الله أعطى للإنسان القدرات الضرورية لامتلاك المعرفة>>¹ وهذا هو الأساس الذي تتضح من خلاله طريقة التفاعل والتكامل مع الفكر الغربي ، بحيث لا يمكن النظر إلى الغرب

¹ - المرجع السابق ، ص: 44.

² - إدغار موران: النهج ، ص: 19.

³ - الطيب برغوث: التكاملية المعرفية ، ص: 39.

⁴ - الآية: 118-119 ، سورة هود.

⁵ - إدغار موران: ثقافة أوروبا وبربريتها ، ص: 27.

¹ - رائد جميل عكاشة: التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية ، ص: 37.

بعده النقيض والمختلف حد التباين ، بقدر ما هو المكمل والنظير ، هو البعد المعرفي الآخر الذي تكتمل به الرؤية وتوضح باعتبار أنه <>إنّ لم تكن هناك "أنوات" أخرى فليس هناك "الأنا"² وهذا ما يؤكد "أدغار موران" في قوله: <>الآخر هو النظير والمختلف في الوقت نفسه ، نظير بسماته البشرية أو الثقافية المشتركة ، ومختلف بتميزه الفردي أو باختلافه العرقي ، فالآخر يحمل فعلا في دواخله القرابة...والتماثل وبصفته ذاتا يتيح لنا أن نفهمه في تماثله واختلافه<>³ ، هذا الاختلاف الذي نتعرف من خلاله على الذات الإنسانية في ازدواجيتها (الخير/الشر).

وفي هذا السياق يعدّ التمييز بين ما يتناسب والجانب الإنساني وما يتعارض معه كشفا عن هذه الازدواجية التي تمثل معرفة بأسرار النفس الإنسانية ، وبالتالي معرفة بالإنسان في حدّ ذاته ، حيث أنها كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم تجمع بين الإثنين (الخير والشرّ/ الجيد والسيء ،...وهذا في قوله تعالى: <>وهديناه النجدين<> وأيضا <>فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاهما وقد خاب من دساها<> فالفعالية الإنجازية إذن مرتبطة بتفعيل الفطرة ف"أدغار موران" هذا الغري الملمد ، يؤكد على حقيقة النفس البشرية هذه التي أوردتها النص القرآني ، وهو ما نلمسه في قوله <>كل مخلوق بشري يحمل في داخله أجود وأردأ ما في الإنسان ، وأنّ البربرية جزء من البشرية [...] وأنّ هذه البربرية تتجدّد وفق قوة الغريزة ، أو تتحصّن وفق قوة الممنوع ، وحتى الطاغية المستبد يشعر بالحب والحنان والودّ نحو أهله وتتباين ممارسة الانتقام والعفو بحسب الأفراد والثقافات مع ذلك فإن غريزة الانتقام مُضْمرة ، داخل كل فرد منا ، أمّا المقدره على العفو فهي أضعف منها<>⁴ وتحيلنا معرفة هيمنة أحدهما على الآخر إلى إدراك المنظور الذي تُبنى عليه المنظومة المعرفية لجماعة ما والذي من خلاله يتضح الاختلاف بين الأفراد والجماعات ، هذا الاختلاف الذي مهما اتسعت دائرته ومداه إلا أنه يقع في إطار وحدة بشرية إنسانية لا يمكن إدراكها إلا من خلال هذا الاختلاف والتنوع ، ولعلّ هذا ما تشير إليه الآية الكريمة: <>وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا<> ومن خلال هذا التعارف يتم بناء وحدة إنسانية تحوي العديد من الاختلافات والتنوعات ، وتتجاوز التصنيفات الجغرافية والعرقية والدينية...وما انجرّ عنها من ثنائيات تجعل الذات في مقابل الآخر ، وهو ما بُنيت عليه المنظومة المعرفية المعاصرة ، ولقد طُرحت قضية تجاوز الحدود الجغرافية لأهميتها ودورها الفعال في سياق إعادة بناء منظور كوني شمولي وعليه فإنه <>ما لم تتخلص المنظومة المعرفية البشرية من الازدواجية أو الثنائية القطبية التنافرية ، بين العلم والدين ، والعقل والعاطفة ، فإنه يتعذر بناء المنظور السنني الكوني المتوازن الأبعاد ، ومن ثم تعمق الهوة والنفرة بين الملكات والقدرات الذاتية والكونية الهائلة ، التي وُضعت بين يدي الإنسان لينجز خلافته في الأرض بالأصالة والفعالية والتكاملية والإطرازية التاريخية المطلوبة ، وتعمق تبعا لذلك حالة الضنكة النفسية والاجتماعية والحضارية في حياة الإنسان<>¹.

² -إدغار موران: النهج ، ص: 91.

³ -نفسه ، ص: 93.

⁴ -نفسه ، ص: 79-80.

¹ -الطيب برغوث: التكاملية المعرفية ، ص: 56.

وعليه فإنه للمجال الجغرافي دور هام جدا لا يقل أهمية عن المجالات الأخرى إن لم يكن يفوقها باعتباره الأساس الفكري للتجزئي المعرفي، واستجابة له في الوقت نفسه، ما يجعله جزءا هاما من الأزمة الفكرية المعاصرة، فالحدود التي رسمها الاستعمار تعمق الهوية وتستقطب التنافر بين بني البشر، ولقد أكد العديد من المفكرين والنقاد على دورها الفتاك وضرورة تجاوزها كحل للأزمة، وهذا ما جسّدته الصيغة المركبة للمعرفة التي «لا تنحصر في "التفكير شموليا" و"العمل محليا"، بل إنها تترجم إلى ثنائيات، أن تفكر شموليا/ نفعل محليا، وتفكر محليا/ نفعل شموليا، فالفكر الكوكبي لم يعد يعارض بين الشمولي والملموس ولا بين العام والفردى، فقد أصبح الكلي فرديا-إنه العالم الكوني ملموسا وهو العالم الأرضي»².

ولقد أكد الرسول (ص) قبل قرون على فكرة الأرض للجميع، وذلك في قوله (ص)«وجعل لي ظهر الأرض مسجدا» فلا حدود ولا قيود.

ولقد عمّق "موران" الفهم المعاصر لهذه الفكرة وأطلق عليها الوطن/الأرض وذلك في سياق بحثه عن الترياقات المضادة لفكر المعاصر من خلال التوجّه إلى وجه آخر للنزعة الإنسانية «ذلك الذي يفرض احترام جميع الكائنات الإنسانية كيفما كان جنسها عرقها وثقافتها وأمتها»¹ بدلا من ذلك الوجه التدميري الذي يقتصر فيه الإنسان على الغربي، ولتجاوز ما انجر عنه من تدهور الحياة والمجتمع الإنسانيين، وعليه يصّر "إدغار موران" على ضرورة الوعي بهذه الخلفيات التي تتحكم في الفكر الغربي وتسببه عن بعد، لأن هذا الوعي نفسه هو الذي «سيدفع لا محالة إلى الإقلاع عن الوهم الخالص، الإقلاع عن الاعتقاد بأن (الغرب) يمتلك العقلانية وأن نتعود (المقصود الأمة الغربية) على أن نحكم على كلّ ثقافة حسب إنجازاتها الثقافية، فينبغي أن ننظر إلى الهوية الأرضية للكائن البشري في تعقدها»² وعلى هذا الأساس فإن مشروع "موران" الفكري يندرج في إطار النقد الذاتي الذي يسعى إلى الحدّ من عدم التلاقي الإنساني هذا الذي يقع في صميم المنظومة الفكرية وردم الهوية التي تستقطب التنافر بين الفئتين، ولقد أكد "موران" في هذا السياق عن الحاجة من أجل تحقيق مجتمع إنساني -> «للعوي بأننا أولاد الأرض- الوطن ومواطنوها، إذ لم تتمكن بعد من الإقرار بأنّها بمثابة بيت مشترك للبشرية، إنّ الوطن الأرض ليس مجردا، بفعل خروج البشرية منه، فللبشر جميعا الأجداد ذاتهم، كلهم أولاد الحياة والأرض، يجب التحلّي عن المواطنة العالمية الأرضية المجردة، دون جذور، والتمسك بالمواطنة العالمية الأرضية، مواطنة المواطن الذي ينتمي إلى كرتة الأرضية الصغيرة»³ وهذا لا يعني طبعاً إلغاء الهوية الذاتية وما تمثله من مرجعيات وخلفيات ثقافية مؤثرة إلى حدّ كبير في حياة الفرد، باعتبار أنّ «كل تجدر جديد إثني أو قومي مربر، شريطة أن يصاحبه تجذر عميق جدا في الهوية الإنسانية الأرضية، إنّ النهل من الماضي الثقافي ضرورة عميقة لكل فرد متصل بالهوية، لكن هذه الهوية تتواءم مع الهوية البشرية

²— إدغار موران: هل نسبر إلى الهاوية، ص: 61.

¹— إدغار موران: ثقافة أوروبا وبربريتها، ص: 25.

²— إدغار موران: هل نسبر إلى الهاوية، ص: 58.

³— إدغار موران: النهج، ص: 284.

البحث المتأصلة على نحو أعمق في الماضي، والتي ينبغي أن نهمل منها أيضا⁴ فالهوية البشرية تتجاوز الهويات التنافرية التي رسمها الفكر المعاصر والتي كانت نتيجة رؤى فكرية إيديولوجية جعلت منها ألهية تستقطب الصراعات وتعزل الإنسان عن فهم روح الزمن وتمنعه من اكتساب رؤية تكاملية كاملة للبشرية.. ولقد أشار "موران" في هذا الإطار إلى قضية الهجنة الثقافية وما لها من آثار إيجابية على الصعيد الفكري العالمي، حيث أن <<الشخصيات العالمية مزدوجة الثقافة (سلمان رشدي-أوكتافيو باث...) لا تقتأ تثرى هذه الحياة العبر ثقافية وبذا ثقافات العالم أجمع يثرى بعضها بعضا في الضراء أحيانا، وفي السراء في كثير من الأحيان وهي لا تزال بعد لا تقفه أننا كأبناء لكوكب واحد>>¹.

وعليه يمكننا القول بأن هذا التلاقي وهذه التهجينات والاختلاطات الثقافية بين الشعوب هي التي ولدت هذه الرؤى العبر ثقافية الجديدة وأغنتها في الوقت نفسه بداية من "فرانس فانون" إلى "إدوارد سعيد" و"إيهاب حسن"، "سلمان رشدي"، غاياتري سبيفاك، وغيرهم كثر، وهذا ما يؤكد أن <<الإنسانية واحدة ومتعددة معا، وأن ثراءها في تنوع الثقافات، لكن يمكننا، ونبغي لنا أن نصل الأناسي بعضهم ببعض في الهوية الكوكبية الواحدة، فمتى صرنا حقا مواطنين عالميين نتقاسم ثقافة واحدة بمئات الورد، صرنا منتبهين ومحترمين للموراث الثقافية>>² ولقد جسد هذا الفكر العابر للثقافات حقيقة الاحترام للثقافات الأخرى سواء المهمشة أو المركزية والتي أصبحت في سياقة ثقافة بشرية وهذا الأمر الذي جسده "موران" في اعترافه قائلا: <<إنني لعلى بينة من الظلم الواقع في عدم تفهم الغرب للعالم العربي والإسلامي، فلذلك تراني لا أفتأ أعمل من أجل إحقاق العدالة ومد جسور التفاهم بين الشعوب>>³ وفي هذا تأكيد على وجوب تفعيل الفكر العبر ثقافي وجعله بابا للولوج إلى عالم الإنسانية بمعناها الحق.

وفي الأخير نخلص إلى أن المنظور الفكري المُستقى من القرآن الكريم، منظور تكاملي قادر على احتواء الأزمة القائمة، وتجاوزها، وذلك من خلال الرؤية الشاملة للإنسان والتي تُقر بالاختلاف، وتجعل من الإنجازات الحضارية التي تنفع البشرية هدفا، حيث تعدّ القيمة الحقيقية للإنسان في ما قدّمه من خير للبشرية، وهي بذلك رؤية تقوم على مفهوم للتكامل يتجاوز البعد المعرفي للمفاهيم السابقة إلى بعد إنساني، ولعلّ الربط في هذا السياق بين الفكر الموراني والإسلامي خير تجسيد لهذا المفهوم (التكامل المعرفي الإنساني).

مصادر البحث ومراجعته

- أدغار موران: هل نسير إلى الهاوية، تر: عبد الرحيم حزل: إفريقيا الشرق، المغرب، 2012.
- الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد لقصور ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط: 1، 2004.
- النهج: إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط: 1، 2009.
- ثقافة أوروبا وبربريتها، تر: محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط: 1، 2007.
- بسراب نيكولسكو: العبرمناهجية- بيان، تقديم: أدونيس، تر: ديمتري أقبيريتوس، دار مكتبة إيزيس، دمشق-سوريا، ط: 1، 2000.

⁴ - نفسه، ص: 285.

¹ - إدغار موران: هل نسير إلى الهاوية، ص: 69.

² - نفسه، ص: 105.

³ - نفسه، ص: 6.

- بوريس ميلاخ:عملية الإبداع والإدراك الفني: مقارنة تكاملية ، تر: نزار عيون السود ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق- سوريا ، 2017.
- رائد جميل عكاشة:التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هرندين ، فيرجينيا-الوم أ ، ط:1 ، 2012.
- سي بيس نو:الثقافتان ، تقديم: ستيفان كولوني ، تر: مصطفى إبراهيم فهمي ، المركز القومي للترجمة ، العدد: 1560 ، القاهرة- مصر ، ط:1 ، 2010.
- الطيب برغوث:التكاملية المعرفية والحاجة إلى منظور سنني كوني متوازن ، دار النعمان للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2017.

المقاولاتية ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية في الجزائر

Entrepreneurship And Its Role For Achieve Economic Development In Algeria

د. جاب الله طيب ، جامعة البويرة-الجزائر

إسحاق رحماني جامعة البويرة-الجزائر

أ. قليطي زيان ، جامعة الجزائر2-الجزائر

مقدمة:

من اين تستمد المقاوله مشروعيتها؟ ما معنى ان تكون المقاوله موضوعا سوسولوجيا في الجزائر؟ هل يمكن ان نتبنى تصورا سوسيو-اقتصاديا للمقاوله؟

هل تشمل المقاوله على خصائص اجتماعية واقتصادية؟ كيف يمكننا الجمع بين المقاوله كروح وفكر وبين المنظومة المؤسساتية الداعمة للفعل المقاولاتي؟ هل يمكن ان نتعرف على معوقات سياسة التشغيل ومن ثم تعطيل ثقافة المقاوله؟ ما الدور الذي تلعبه المنظومة المؤسساتية في بناء ثقافة المقاوله؟ وما هي معوقات التفعيل والتوسعة التي يتعرض لها المقاول الجزائري؟

السنا بحاجة الى المقاولاتية للخروج من التبعية النفطية؟ كلها اسئلة نحاول من خلال هذه الورقة الاجابة عليها في 03 محاور اساسية:

سوسولوجيا المقاوله في الجزائر.

المنظومة المؤسساتية الداعمة للفعل المقاولاتي

معوقات تفعيل المقاوله لدى الشباب الجزائري.

1. سوسولوجيا المقاوله في الجزائر: عرفت الجزائر تدفقا كبيرا في معرفة الدور الذي يمكن أن يلعبه القطاع الخاص في تحقيق التنمية وذلك بفسح الطريق أمام المستثمرين الخواص من أجل النهوض بالتنمية المجتمعية ، وهذا ما عزز مكانة هذه الفئة السوسيو- مهنية التي كانت موجودة قبل الاستقلال خاصة في المرحلة الكولونيالية والتي تشكلت أكثر بعد الاستقلال.

1.1 ظهور المقاوله في الجزائر: " بيار بورديو" عالم الاجتماع الفرنسي من بين المنظرين الذين اهتموا بدراسة المجتمع الجزائري وتحولاته الاقتصادية والاجتماعية، لديه العديد من المؤلفات من بينها "سوسولوجيا الجزائر"، "العمل والعمال الجزائريين" فهي كلها إسهامات سوسيو-اقتصادية للمجتمع الجزائري ، لها علاقة بظهور الفعل المقاولاتي، وإذا كانت نظريته للمقاول على انه موجود كفعل، أو شبه مقاول نتيجة لغياب المؤسسات الاقتصادية وكذا النمط الكولونيالي والوضعية الاقتصادية التي تتصف بالتبعية.

ففي كتابه "العمل والعمال الجزائريين" تحدث " بورديو" عن الانتقال من نمط الإنتاج التقليدي إلى أسلوب النموذج الرأسمالي الذي يفرضه المستعمر، وذهب إلى أن التنظيم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ليس نتيجة التطور الذاتي للفرد بل هو تغيير من طرف المستعمر بفرض أسلوب إنتاج يخدم المصالح الكولونيالية.^(P.Bourdieu.1963.383) فالجزائري حسب " بورديو" أقرب إلى المقاول أو الرجل الاقتصادي من خلال الحاجة الاقتصادية ودمج البنية الاجتماعية في البنية الاقتصادية ، وهذا ما يؤدي به إلى اكتساب العديد

من المواقف والسلوكيات الاقتصادية. (Houria Taleb,2011,40) وحدد بورديوشترين لكي نقول على فرد انه
مقاولا ، وهما القدرة على القيادة والكفاءة التقنية. (Ibid , 40) ، وهذا ما لم يكن متوفرا في المقاول الجزائري في
تلك الفترة الاستعمارية .

وتوصل أيضا إلى ما يعرف بالمقاول العائلية من خلال تحليله للمجتمع القبائلي ونشاطاتهم الاقتصادية التي
تعتمد على النمط العائلي وهي مقولة أو مؤسسة يحكمها تنظيم عائلي. (P.Bourdieu,2000.279) أي أن
المقولة كانت عائلية حرفية تقليدية تتميز بثلاثة أنواع من المقاولين:

مقاولي الطبقة الكادحة التي تعمل من أجل الحاجة الغذائية.

المقاولين المتوسطين: هم المقاولين المتنوعين في المهن الاجتماعية والاقتصادية.

المقاولين المسؤولين صغار على العمل الزراعي. (P.Bourdieu,12-14)

وفي الأخير نستنتج من طرح " بيار بورديو" بأن الفعل المقاولاتي الجزائري ذوا خاصية عائلية وهذا يرجع لنوع
الأنشطة التي تكون وراثية ، وهويستعمل تقنيات مكتسبة عن طريق الخبرة والتدريب ، فكرة الإبداع غائبة ،
لوجود نمط من التدريب الذي يتلقاه المقاول الحرفي تحت قيادة صاحب المقولة ، الذي لديه معرفة وخبرة
وراثية بنشاط العائلي.

3.1 المسار السوسيو- مهني لرؤساء المؤسسات الجزائرية: تعتبر دراسة " بيناف " التي نشرت عام 1981 حول
المقاولين الجزائريين في الصناعة ، مقارنة سوسولوجية هامة في دراسة الفعل المقاولاتي في الجزائر. (jean
peneff,1981,24) تهدف إلى معرفة الخلفية الاجتماعية التي ساهمت في تكون طبقة المقاولين الجزائريين ،
اعتمد فيها الباحث على عينة مكونة من 220 مقاولا ، توصل من خلالها إلى وجود ثلاثة أنواع من المقاولين:

المقاولين التجار: وهم تجار قدامى يملكون مكانة اقتصادية يتركز في الشرق الجزائري والجنوب الشرقي
كانوا مختصين في التجارة ثم توجهوا لاستثمار في الصناعة عند صدور قانون الاستثمار 1966 تتميز مقاولاتهم
بصغر الحجم. 62; Peneff,1983 وليسوا متخصصين في العمل ، كون أن دخولهم لمجال الصناعة جاء
بطريقة حتمية.

المقاولين العمال والتجار الصغار : توجهت هاته الفئة لإنشاء مقاولات خاصة ، وهذا لتحسين مستواهم
الاقتصادي ، وتقوية وطنيتهم أكثر بعد عودتهم من المهجر ، وفي هذا الصدد يقول بيناف : " إن وجود مقاولين
من أصل بسيط ، ومن طبقات متوسطة وشعبية يعطي رأسمال الجزائري طابعا خاصا " (ibid,94) ومن
خصائص مؤسساتها أنها تظهر وتزول وتعرف نوع من الاضمحلال نتيجة بساطة الآلات كما أنها كانت تتميز
بالإنتاج الموسمي. (كريم شويبات ، 2011 ، 110)

المقاولين غير المسيرين: من خصائصهم أنهم رؤساء أعمال في ورشات أوروبية ، لا يملكون خاصية التسيير
بمؤسساتهم ، يقومون بتفويض مهمة التسيير بالبحث عن مسيرين من عدة جنسيات. (jean peneff,1981)
ساهمت الهجرة في تكوينهم من خلال احتكاكهم مع العمالة الفرنسية والأوروبية وكان أغلبهم من منطقة
القبائل. Ibid,69

إذن دراسة "بيناف" قد قدمت مسارا سوسيو- مهنيا للمقاول الجزائري من المرحلة الكولونيالية إلى غاية الثمانينات. وأعطى تحليلا منطقيا لولوج المقاول الجزائري إلى القطاع الخاص وبين أن المقاول الجزائري ليس إعادة إنتاج فعل مقاولاتي آخر بل هم من أبناء تجار وحرفيين وباعة.

4.1 المقاولات وتكون الطبقة البرجوازية الصناعية في الجزائر: تعتبر دراسة " الجيلالي اليباس " من الدراسات التي اهتمت المقاولات، والتي كانت حول ظهور المقاولات البرجوازية الصناعية ومساهمة المقاولين الخاص، ومن النتائج المتوصل إليها أن إنشاء المقاولات يرجع إلى التسهيلات التي قدمها القطاع العام (الدولة) إلى القطاع الخاص خاصة في مجال الصناعة في كل المستويات. (Bernard Chantal, 1988, 295-318) فالقطاع العام يعتبر قاعدة التواجد والعيش للقطاع الخاص، حيث يسمح بإعادة إنتاج نفسه، فنشأة المقاول والمقاولات الصناعية الخاصة يرجع إلى تركزها وتوقعها في ظل القطاع العام (الدولة) من خلال كل أنواع الدعم، ويعرف المقاول على انه: " ذلك الشخص الذي يجمع ثم يسير، ويعيد إنتاج العوامل المكونة للعملية الإنتاجية " (Liabes Djilali, 1988, 144). والمقاولين هؤلاء الذين حددهم " جيلالي اليباس " يسرون مقاولاتهم عن طريق المزج بين ما هو حديث وما هو تقليدي.. (حياة مراح، 49، 2003) والمقاولات هي كيان اجتماعي قبل أن تكون كيان اقتصادي، فالمقاولات ليست فقط مجال اقتصادي ولكنها في نفس الوقت مجال متأثر بالإبعاد الاجتماعية والسياسية.

هذه الأبعاد هي التي كونت الفكر المقاولاتي الخاص من اجل النهوض بالتنمية المجتمعية، كما أنه قد ركز على رأس المال الاجتماعي الذي يلعب دورا هاما في نجاح المقاولات، والمقاول الجزائري ليس ذلك المقاول الشومبييري، بل لديه وجود اجتماعي واقتصادي يعتمد على العائلة. فللعائلة دور مهم في من حيث الإنشاء والتمويل للمقاول الخاص.

نستنتج من دراسة جيلالي اليباس أن وجود المقاول الصناعي الخاص مرتبط بالدولة والقطاع العام وهذا من خلال العلاقة المتكاملة ما بين القطاعين، من خلال توفير كل أشكال الدعم للقطاع الخاص من اجل تحقيق التنمية.

5.1 الإصلاحات الاقتصادية وبروز المقاول الجديد: من خلال دراسته للمقاولين الجدد يؤكد " احمد بويقوب " انه قبل الإصلاحات الاقتصادية كان من الصعب تحديد المعالم السوسيو- اقتصادية للمقاول الجزائري، ولكن مع الإصلاحات الاقتصادية تحدد ذلك وظهرت إلى الساحة الاقتصادية فئة المقاولين الجدد التي تختلف عن المقاولين القدامى. (Ahmed Bouyakoub, 1997, 105) فتحيرير الاقتصاد الجزائري وفتح الخصخصة سمح بظهور المقاولين الجدد، وولوجهم عالم المقاولات وإنشاء المؤسسات بكل أنواعها الصغيرة والمتوسطة الذين يتميزون بخصائص تفصلهم عن المقاولين القدامى وتمثل خصائصهم فيما يلي:

من حيث المستوى التعليمي نجدهم يختلفون عن المقاولين القدامى، فمعظمهم مقاولين شباب حاملين لشهادات جامعية، وهم يحملون فكرا تجديديا وإبداعيا، أغلبيتهم من عائلات تمارس التجارة والحرف، ونشاطهم الاقتصادي يتركز في التجارة، تميزت مؤسساتهم بكونها صغيرة ومتوسطة ومقاولات خاصة، ومشاريعهم تعتمد على قوة علاقاتهم الاجتماعية. أما الذين ورثوا نشاطهم التجاري تظهر مؤسساتهم على شكل محل تجاري أو مشروع أو إعادة هيكلة.

تضمنت هذه الدراسة أهم خصائص الاجتماعية والاقتصادية للمقاولين الجدد ، الذين ارتبط ظهورهم بالظروف الاقتصادية والسياسية للبلاد ، ويتميزون بخصائص تفصلهم عن المقاولين القدامى مثل المستوى التعليمي ، قوة العلاقات الاجتماعية ، رؤوس الأموال .

6.1 المقاولون الجزائريون " مجموعة مختلفة ما بين المنطق العائلي والمنطق الاقتصادي: جاءت أعمال " أن جيلي " لمعرفة أسباب ظهور المقاول الجزائري كفاعل اقتصادي واجتماعي وتحديد المسارات السوسيو- مهنية عن طريق تحليل قدراتهم على إنشاء مؤسسات خاصة ، ولقد توصلت من خلال دراستها إلى وجود خمسة نماذج للمقاول الجزائري (Abderrahmane Abdou,2004 ,129):

المقاول الإطار :هذه الفئة المقاولاتية تتميز بمستوى تعليمي مرتفع ، كانوا إطارات قدامى في القطاع العمومي ، شغلوا مناصب عديدة في القطاع العام تعرفوا فيها على آليات التسيير ، هذا ما مكنتهم من إنشاء المقاولات التي تزامنت مع الإصلاحات الاقتصادية سنوات 90 ، كما انه توجد عوامل اقتصادية أخرى كالتمسرح التعسفي والخصوصية...كلها أدت إلى ظهور هاته الفئة.

المقاول المغترب: تتميز هذه الفئة بتقاليد الهجرة وتمركزت بقوة في منطقة القبائل ، هاجروا إلى فرنسا وعادوا منها سنوات الثمانينات حين صدر قانون الاستثمار الخاص سنة 1982 ، مارسوا أنشطة عديدة في المهجر خصوصا التجارة واكتسبوا خبرة مهنية ، وكانت لديهم فكرة الرأسمال والخبرة المهنية كضرورة أساسية لإنشاء المقاولات في الجزائر في تلك الفترة.

المقاول الوريث: ويوجد ثلاث نماذج فرعية ضمن المقاول الوريث:

- الشباب المقاولين: يتراوح سنهم ما بين 25 و35 سنة ، يملكون مقاولات خاصة قديمة ورثوها عن آبائهم مستواهم التعليمي مرتفع ، يعتمدون على سلوكياتهم المهنية غير تقليدية التي ورثوها.
- مقاولين يتراوح سنهم ما بين 40 و50 سنة اكتسبوا خبرة مهنية في المؤسسة العائلية من خلال تهرنهم على العمل لسنوات ، لديهم مستوى تعليمي ضعيف ، ينتمون إلى نفس المنطقة.
- مقاولين أنشؤوا مؤسساتهم في نهاية التسعينات بمساعدة آبائهم ، لديهم تجربة مهنية ورثوها ورأس مال اقتصادي واجتماعي.

المقاول ذواتقاليد المقاولاتية : من خصائصهم أنهم في الخمسينيات من العمر ، تأهيلهم العلمي ضعيف ، كانوا يملكون مقاولات خاصة ، فشلت بأسباب اقتصادية واجتماعية فانشؤوا مقاولات جديدة بفضل خبرتهم المهنية السابقة في ذلك المجال ، يملكون تقاليد عائلية وتجارية هدفهم توظيفها في مقاولات عائلية من اجل توفير العمل لأفراد العائلة دون اللجوء إلى مؤسسات أخرى ، "استثمارهم في مدينتهم اجتماعي أكثر منه اقتصادي، من خلال الدعم المالي".

المقاولين العمال : عملت هذه الفئة لمدة طويلة في القطاع العام ، اكتسبوا خبرة مهنية نتيجة العمل ، وتزامنا مع الأزمة الاقتصادية التي مست الجزائر آنذاك ، والإصلاحات الاقتصادية المعروفة سنوات التسعينات والتمسرح التعسفي للعمال قاموا بإنشاء مقاولات خاصة ، يمتلكون المعرفة المهنية والخبرة طويلة المدى في القطاع العمومي ، وشبكة علاقات اجتماعية قوية.

لقد توصلت الباحثة " آن جيلي " أن النماذج المقاولاتية السابقة ظهرت في الحقل السوسيو- اقتصادي وتميزت بخصائص ومميزات اقتصادية واجتماعية ، كما أنه توجد هنالك علاقة بين المقاول وشبكة العلاقات الاجتماعية ، خاصة العائلة ، أي أن المنطق الاقتصادي والاجتماعي من مميزات الفعل المقاولاتي الجديد المعتمد على المسارات المهنية السابقة.

2.المنظومة المؤسسية لدعم الفعل المقاولاتي:

1.2 الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار ANDI: يستوجب إعداد استراتيجيات واضحة المعالم والأهداف ، اتخاذ عدة تدابير ضرورية من شأنها المساعدة على تحقيق التنمية بمجتمع العمل ، حيث أقدمت الجزائر في هذا المجال على إنشاء مجموعة من المنظومات لتسهيل عملية الاستثمار منها:

وكالة الترقية ودعم الاستثمار APSI

الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار ANDI

- وكالة ترقية ودعم الاستثمار APSI: أنشئت بموجب قانون الاستثمار الصادر في 1993 مهمتها مساعدة أصحاب المقاولات لإكمال الإجراءات التنظيمية المتعلقة بإقامة استثماراتهم وتتكلف وكالة ترقية ودعم الاستثمارات بالمهام التالية:لوائح المرسوم التنفيذي 93/12 الصادر في 1993/10/05

- متابعة الاستثمارات وترقيتها.

- تقسيم الاستثمارات.

- مراقبة ومتابعة الاستثمارات.

- تقديم التسهيلات الجمركية الخاصة بوسائل الإنتاج والمواد الأولية ، كما ساهمت الوكالة منذ نشأتها في تنمية الاستثمارات والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة ، وساعدت على بروز وتطور العمل الحرفي في المجتمع مع توفير مناصب شغل.

- الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمارات ANDI:

نظراً لوجود بعض الصعوبات التي تعترض المقاول ، سعت الدولة لتجاوزها ومحاولة خلق مجتمع عمل يتميز بنوع من الديناميكية والحركة الاقتصادية عن طريق إنشاء الوكالة الوطنية لتطوير وتنمية الاستثمارات كآلية من أجل تحقيق التنمية في مجتمع العمل ، حيث أصدرت المرسوم رقم 03/01 سنة 2001 المتعلق بتنمية الاستثمار. المرسوم التنفيذي 03/01 المؤرخ في 2001 المتعلق بتطوير الاستثمار وتنميته. وهي مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي ، وطبقاً للمادة 21 من القانون السابق فإن مهامها تتمحور حول:الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار ANDI موقع : www.andi.dz

- استقبال وإرشاد المستثمرين على مستوى هياكلها المركزية والجهوية.

- إضفاء الطابع الرسمي على المزاي التي نصّ عليها نظام التشجيع وذلك بإنصاف وفي آجال قصيرة.

- الحرص على التنفيذ المتفق عليه مع مختلف المؤسسات(الجمارك ، الضرائب...الخ) لقرارات التشجيع على الاستثمار.

- المساهمة في تنفيذ سياسات واستراتيجيات التنمية بالتآزر مع القطاعات الاقتصادية المعنية.

- منح הזایا المرتبطة بالاستثمار بالتعاون مع مختلف الهيئات المكملة لها وهي المجلس الوطني للاستثمار ، والشباك الموحد ، صندوق دعم الاستثمار .

تساهم هذه المعايير في تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال الخدمات التي تقدمها الوكالة سواء من حيث نوعية الخدمة أو من حيث أهميتها في إنشاء المؤسسة أو توسيع وإعادة تأهيل المؤسسة وبالتالي تهدف إلى التخفيف من نسبة البطالة وتوفير مناصب شغل لكل أطراف المجتمع والجدول الآتي يبين تطور مشاريع الوكالة من حيث نموها الديموغرافي ومن حيث توفيرها لمناصب الشغل .

2.2 الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب ANSEJ: الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب هيئة وطنية تتمتع بنوع من الاستقلال المالي تهدف إلى تشجيع سياسة التشغيل بالجزائر من خلال إنشاء مقاولات في قطاعات محددة من طرف الوكالة ، أنشأت الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب ANSEJ بمقتضى قانون مؤرخ رقم 96/297 في 08 سبتمبر 1996 طبقاً لهذا المرسوم نشأت هذه المنظومة المؤسساتية ذات طابع الخاص (Agence Nationale de soutien a l'emploi des Jeunes) يمثل جهاز الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب أهم الأجهزة الموجهة لدعم المقاولات بالنظر إلى مساهمته الفعلية والجادة في دعم التشغيل وترقيته من خلال خلقه مناخ مقاولاتي .

وعرف تنظيم الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب قفزات نوعية من ناحيتي الهيكلة والتسيير كلها تصب في تحقيق الهدف المسطر والمتمثل في النوعية وتنفيذ المهام خاصة تلك المتعلقة بإنشاء المؤسسات المصغرة ، بعدما أثبت نمط التسيير المنتهج طيلة السنوات العشرة الأولى من تطبيقه عدم ملائمته للتحويلات التي عرفها الاقتصاد الوطني والعالمي ليتم سنة 2007 اعتماد إصلاحات جذرية مست الجوانب التنظيمية والهيكلية ضمانا للسرعة والتوافق في عمل آلية مرافقة الشباب أصحاب المشاريع . (قادية عبد الله ، 2015 ، 218)

وتقدم الوكالة نوعين من التمويل :

التمويل البنائي: وهو الحصول على القروض من طرف الوكالة فقط .

التمويل الثلاثي: وهو اقتراض جزء من رأسمال المشروع من البنك والوكالة في الوقت نفسه ثم يقوم بتقاسم الفوائد مع الوكالة ، والقروض نوعان قرض يكون في مرحلة إنشاء المقاولات ، والنوع الثاني هو قرض الاستثمار الخاص بالتوسعة والذي يتمثل في الاستثمار المنجز من طرف المؤسسة المصغرة بعد استغلال استثمار الإنشاء . (رقية عدمان ، 2015 ، 158)

وتتمثل مهامها فيما يلي: (دليل الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب www.Ansej.org.dz)

خلق وتشجيع الفعل المقاولاتي لدى الشباب الجزائري .

الاهتمام بالفئة الأكثر فعالية في المجتمع هي الشباب .

تنمية مجتمع العمل عن طريق التشجيع لإنشاء المقاولات الهادفة إلى ترقية المجتمع .

إضافة إلى مساعدات مادية ومعنوية متمثلة في القروض والتكوينات .

المساعدة على إنشاء مؤسسة مصغرة .

اندماج نشاطات الشباب في آليات السوق .

الصاديق المالية المرتبطة بالوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب: إن طبيعة المهام التي تقوم بها الوكالة جعلت المشرع الجزائري يضيف عليها صناديق مالية من أجل تحقيق الأهداف وتفعيل المبادرة المقاولاتية كالصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب هيئة للتمويل وصندوق الكفالة المشتركة لضمان أخطار القروض وهي تشترك في دور واحد لتفعيل آلية المؤسسة المصغرة.

الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب هيئة للتمويل: يعتبر هذا الصندوق هيئة مالية فتحت بموجب حساب الخاص للخزينة الذي يحمل الرقم 302-087، تنفيذًا لأحكام القانون التكميلي لسنة 1996 من أجل تخصيص جزء من أموال الخزينة العمومية لتمويل نشاطات الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب وتزويدها بالموارد المالية اللازمة الداعمة لمسار خلق النشاطات وإنشاء المقاولات الخاصة. (نفس المرجع، ص227) فالصندوق يهدف إلى مساعدة الفعل المقاولاتي الذي ينجزه الشباب المستفيد في إطار الوكالة.

صندوق الكفالة المشتركة لضمان أخطار القروض هيئة لضمان: أنشئ هذا الصندوق بموجب المرسوم التنفيذي رقم 200-98، كنهج جديد لهضاعة ضمان أخطار القروض المقدمة من طرف البنوك والمؤسسات للشباب أصحاب المشاريع لأجل تحفيزهم على الاستثمار وإنشاء المقاولات في إطار الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب لاعتبارها الجهاز القانوني والمؤسسي الذي يضمن المرافقة والتوجيه الفعال للفعل المقاولاتي. (نفس المرجع، ص229) على خلاف الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب فهو يتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، مقره بالوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب ويتولى المدير العام لهذه الأخيرة بتسيير الصندوق بمساعدة أمانة دائمة.

أما الدعم الذي تقدمه الوكالة يمس عدة قطاعات منها الفلاحة والصيد البحري البناء، الأشغال العمومية، الصناعات والمهن الحرة مثل: (جراحة الأسنان، التصوير الطبي، خدمة الإسعاف...) خدمات متعددة، فنادق، مطاعم ومقاهي، صناعة المواد الغذائية، التبغ والكبريت، صناعات خفيفة مثل استرجاع البلاستيك وإعادة تصنيعه إضافة إلى خدمات أخرى اجتماعية مثل (وكالات الاتصال ووكالات السياحة، مدراس تعليم السياقة...) وخدمات شخصية مثل (كهربائي متنقل، رصاصي متنقل والنقل... الخ).

وبلغ عدد المشاريع الممولة من طرف الوكالة نهاية 2015 إلى 356718 مشروع بـ 321079 مقال من جنس ذكور و35639 مقال إناث موزعة على نشاطات عدة.

الصندوق الوطني للتأمين عن البطالة CNAC: لجأت الدولة إلى هذه الآلية المتمثلة في إنشاء الصندوق الوطني للتأمين عن البطالة تمثل برنامج تمويلي وتنموي بمجتمع العمل وتمثل مهامه في (مدني بن شهرة، 294، 2009-297):

- فعالية التشغيل: هدفه دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومحاربة البطالة والتوجيه الفعال للموارد البشرية.

- مركز للبحث عن العمل: يتكفل الصندوق بتأطير الشباب الباحثين عن العمل وتكوينهم وتدريبهم على التقنيات الحديثة حيث تدوم فترة التكوين ثلاثة أسابيع.

- آلية لدعم العمل الحر: لقد تمت هذه الآلية التنموية بفضل إنشاء مركز دعم العمل الحر بالصندوق ، الذي يهدف إلى مساعدة الأفراد الراغبين في إنشاء عمل لأنفسهم في شتى المجالات ، يكون بإنشاء مقاولاتي ، يساعدهم الصندوق في تكوين مشاريعهم وتجسيدها إضافةً إلى الاستشارة.

- التكوين وإعادة التأهيل كآلية تنموية في مجتمع العمل: من العمليات التي يقوم بها سياسة التكوين وإعادة التأهيل لتثمين مستوى العمل الحر ، وهذا عن طريق تحسين المؤهلات المهنية وإدماجها في الحياة الاقتصادية ووضع اتفاقية مبرمة مع وزارة التكوين المهني والتعليم.

ويظهر دور هذه المنظومة من خلال عدد المشاريع الممولة والمنجزة في إطار هذا الجهاز والتي بلغ عددها في 2015/12/31 129814 مشروع ، حيث ساهمت هذه المقاولات في فتح 266871 منصب عمل.

3. معوقات تطور ونمو القطاع الخاص الجزائري:

المشكلات التمويلية: يعدّ توفر رؤوس الأموال من أهم مكونات أي فعل اقتصادي ومن أساسيات إنشاء وتوسع المقاولات فهذه الأخيرة في القطاع الخاص بحاجة ماسة إلى رأس مال ودائما تسعى للبحث عليه ، حتى تتمكن من تحقيق أهدافها التنموية.

والقصور في تمويل القطاع الخاص يعتبر من المعوقات الرئيسية التي تحول دون تنمية المجتمع ، فمثلا المقاولات مهما كان حجمها (صغيرة ، متوسطة ، كبيرة) لا بدّ وأن تمر بالمرحلة التمويلية من التأسيس إلى التوسع ، وتختلف فيها مصادر التمويل حسب حاجة المشروع ، وقد تكون هذه الأموال مدخرات الأفراد كمصادر للتمويل ، ويمكن أن تكون مصادر التمويل قروضا من البنوك. (ابوالسيد احمد ، 2005 ، 84)

تعتبر مشكلة التمويل من أبرز العقبات التي تعترض المؤسسات الخاصة الجزائرية في المرحلة التأسيسية ، فالكثير من المؤسسات الخاصة تعتمد على التمويل الذاتي Autofinancement عن طريق المدخرات الفردية والعائلية خاصة المقاولات ذات الطابع العائلي أو عن طريق الاقتراض من شبكة العلاقات الاجتماعية التي كونها المقاول.

لكن سرعان ما تصبح هذه المؤسسات الخاصة مضطرة للجوء إلى البنوك من أجل الاقتراض بسبب نقص مواردها المالية ، ومن جهة أخرى أصبحت هذه البنوك تبتعد على زبائنها وهذا راجع لعدة أسباب من بينها هشاشة المؤسسات. (إكرام مياسي ، 133 ، 2012)

وفي الجزائر تشكل العلاقة البنكية/المؤسسة الخاصة عالمين مختلفين ولا تربطهما علاقة تعاون/ تنمية ، إلا العلاقة الرسمية مما يجرد البنك من دور الشريك الفعال في تحقيق التنمية هذا الأمر الذي زاد من الأزمة الاستثمارية في الجزائر ، وتعود أسباب هذه الأزمة إلى عدة مشكلات منها: (نفس المرجع ، 134)

- شروط الحصول على القروض لدى البنوك لتغطية حاجيات الاستثمار والتي تركز على ماضي الزبون والضمانات المقدمة ، بدل أن تركز على ربحية المشروع وتدققاته الموقعة.

- نمط التنظيم للبنوك يتميز بقرارات تأخر مدة معالجة القروض والذي ينجم عنه ضياع الوقت وبالتالي الفكرة المقاولاتية.

يعاني العديد من المقاولين الخواص رغم امتلاكهم لمشاريع ذات أفكار طموحة من قلة الموارد المالية للمساهمة في إنشاء وتوسع مقاولته ، وانعدام الضمانات الكافية للحصول على القروض من البنوك العمومية ،

حيث توجه 95٪ من إجمالي القروض لتمويل المؤسسات الخاصة والمستوردة، في حين لا تخصص حتى 5٪ من إجمالي القروض لتمويل المؤسسات المنتجة. (نور ياسمين، 2015، 163)

ووفقا لمعطيات البنك العالمي فإن القروض البنكية الممنوحة للقطاع الخاص الداخلي لا تتعدى 18,4٪ في الجزائر مقابل 68,7٪ في المغرب وماليزيا يفوق 90٪. (www.Donnees banque)

ومثلا في تونس قاموا بتخصيص بنوك محلية قريبة من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ذات سلوك تبسيطي ومهني، فبين البنك المحلي والمؤسسة علاقة تعاون أدت في الأخير إلى نجاح ازدهار كل من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ومنها البنك. (أكرام مياسي، ص133)

ومجمل القول أنّ مشكلة التمويل تعتبر أولى وأهم المشكلات التي تواجه القطاع المقاولاتي في الجزائر، وهذا راجع لعدة أسباب خاصة في شكل المقاولات صغيرة الحجم التي تلجأ إلى المذخرات الفردية، كما أن نسبة القروض تكاد تكون منقرضة لدى المقاول وهذا الأمر يُعيق تحقيق الهدف التنموي.

المعوقات الإدارية والتنظيمية: يواجه القطاع الخاص المقاولاتي في الجزائر عدة مشاكل إدارية وتنظيمية، خاصة تلك المعطيات الجديدة التي خلفتها التغيرات الاقتصادية، التي تتعلق بإنشاء المقاولات الخاصة والمؤسسات بكل أنواعها، حيث لم تتبعها تغيرات على مستوى الإدارة الجزائرية فأصبحت هذه الأخيرة بنمطها التنظيمي الشخصي الذي يتعد عن العقلانية في التنظيم تمثل السبب الرئيسي لمعظم العوائق التي تقف في وجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية. (جعلوك، 1999، 26)

بسبب تواجد العديد من المشاريع المتعطلة كون نشاط المؤسسة يتطلب الاستجابة الإدارية السريعة، مما ضيغ الفرصة الاستثمارية، وكذلك كثرة الوثائق الإدارية التي تعطل انطلاق المشروع ومن أبرز المشاكل ما يلي:

- الآليات الإدارية غير المستوعبة سواء من طرف الإداريين أنفسهم أو من طرف المتعاملين الاقتصاديين.
- التنظيمات والتعديلات الجديدة تتطلب وقتاً من أجل العمل بالقانون الجديد مما ينتج عدم التوافق بين القوانين القديمة والجديدة، مما يؤدي إلى خوف وملل المقاولين وعدم وضوح الرؤية الاقتصادية لديهم.
- تعقد وطول مدة الإجراءات والوثائق المطلوبة لإنشاء المؤسسة الخاصة، حيث أنّ عملية إنشاء مقولة يتطلب المرور بأربعة عشر إجراء، يستغرق 24 يوماً ويكلف 21,5٪ من دخل الفرد مقارنة بتونس التي لا يتعدى عشرة إجراءات تستغرق 11 يوماً فقط ولا يكلف سوى 9,3٪ من دخل الفرد. (عدمان مريزق، 2008، 108)

- النظرة الأيديولوجية للمقاول الخاص على أنّه الرأسمالي المهيمن لدى المسيرين الاشتراكيين الذين ترسخت فيهم الأيديولوجية الاشتراكية ورفضهم للفعل المقاولاتي الخاص، وهي أيديولوجية تهمش المقاول الخاص وتعيق عمله. (محمد زوزي، 2010، 254)

غياب التسيير: يعتبر التسيير مفتاح ونجاح أي مؤسسة فتوفر القدرة التنظيمية هي حجر الأساس لكل مؤسسة، كما أنّ غياب القدرة على التسيير يقلل من نجاح المقاول وربما الفشل.

ومنه نجد أنّ من بين المشكلات أو المعوقات التي يواجهها القطاع الخاص مشكلة التسيير لأنه كثيراً ما تزاول بعض المقاولات الخاصة أعمالها دون أن يكون لديها أفكار واضحة عن تقنيات التنظيم والتسيير في العمل،

وبالتالي تسودها في الغالب نمط الإدارة العائلية أو الفردية والمسير هو المقاول صاحب المؤسسة الذي يفترض إلى أنماط الإدارة الحديثة وإنما يقوم بالمزج ما بين التقليدي والجهود الشخصية فنجذ الملكية الفردية والعائلية هي المسيطرة على نمط التسيير، حيث المالك هو المدير المسير الرئيسي للمقولة دون الاعتماد على شخص آخر لأن خبراته تكون محدودة، فهو يسير فقط من خلال فطرته وخبرته وسرعة اتخاذ القرار وهذا من العيوب والمعوقات التي تواجهها المقاولات الخاصة وتوارث هذا النمط الإداري مع المقاول الوريث الذي يتعين من المقاول المالك لإدارة النشاط مما يؤثر على نمو وتوسيع المشروع.

ومما سبق يمكن القول أن معوقات التسيير تنشأ نتيجة الابتعاد عن الأسس العلمية الصحيحة وهذا راجع للأسباب التالية: (فتحي السيد أبوسيد احمد، مرجع سابق، 95)

جهل المقاولين بأسس التنظيم والتسيير.

عدم الاستعانة بأصحاب الخبرة في المجال التنظيمي.

كذلك المستوى التعليمي والتدريبي المنخفض لدى بعض المقاولين.

المشاكل المتعلقة باليد العاملة: تعتبر مشكلة العمالة الفنية المدربة من المشكلات التي يواجهها القطاع الخاص وبالأخص المقاولات والمؤسسات، فمشكلة التدريب ونقص الكفاءة المهنية لدى عمال المؤسسات في القطاع الخاص لا يمكن تجاوزها بسهولة ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها: (إكرام مياسي، مرجع سابق، 139)

- قلة المسيرين والتقنيين لتأهيل العمال.

- النقص في التكوين والتدريب لدى العمال خاصة المقاولات التي تعتمد على الإنتاج بالآلات.

- عدم اهتمام المؤسسات ببرامج التكوين وإعادة التأهيل، وحتى إن وجدت فهي تبقى غير كافية.

فالقضية الخاصة بالجزائري يعاني من نقص في الكفاءة المهنية المدربة خاصة في المجال المقاولاتي، ولذلك فإن لعملية التدريب أهمية تتمثل فيما يلي: (فتحي السيد أبوسيد احمد، المرجع السابق، 97).

- التدريب هو السبيل للتغلب على الثغرات الموجودة ما بين الكفاءة المتوفرة وبين الاحتياجات الفردية للمقاولات الخاصة.

- انخفاض المستوى الفني في العمل لبعض المقاولات الخاصة.

- انخفاض الجودة في نظام العمل المقاولاتي والمؤسسات الصغيرة.

إضافة إلى مشكلة نقص المعلومة الاقتصادية حول المقولة التي تلعب دور هام في تحقيق التنمية بمجتمع العمل، وهذا من أجل: (إكرام مياسي، مرجع سابق، 141)

- اتخاذ القرارات السليمة.

- معرفة القدرات وتحسين استعمال الطاقة الإنتاجية الموجودة.

- غياب المعلومات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي.

مشكلة السوق الموازية أو القطاع الخاص غير الرسمي: تبقى السوق الموازية الطابع الذي يميز محيط المقاولات الخاصة حتى ولو أن حجمها الحقيقي غير مقدر بالتدقيق، توجد العديد من الدراسات تبين أنه يسيطر على 65% من سوق المؤسسات في الجزائر مهددا بقاء المؤسسات والمقاولات الملتزمة باحترام قواعد

الإشياء القانوني، كما يبين البنك الدولي سنة 2002 أن الاقتصاد غير الرسمي يعتبر من العوائق وتوسعه في القطاع الخاص يمثل تهديدا حقيقيا للاقتصاد الجزائري وعائقا تنمويا يمثل 34٪.

غياب المنظومات الوسيطة ما بين المقاول والمؤسسات الأخرى: تعتبر هذه المجالات كهزمة وصل من أجل الربط بين العديد من المقاولين الاقتصاديين والسلطات العمومية، ومن بين المجالات الوسيطة مثل غرفة التجارة والصناعة بصفقتها الرابط بين العديد من المقاولين الاقتصاديين والسلطات العمومية، حيث تمثل حلقة ضرورية لخلق الانسجام بين المصالح المختلفة.

كما يمكن أن تكون مؤسسات البحث العلمي كمجالات رابطة من خلال الأبحاث والتصورات العلمية الجادة لحل المعضلات الاقتصادية مثل التي تمر بها الجزائر حاليا.

خاتمة:

" لم تعد للوسولوجيا مهمة إصلاح المجتمع ولا تربية الثوريين، وإنما مثل كل العلوم الأصلية، لا يمكنها أن تمنح سوى تفسيرات جزئية لوقائع اجتماعية جزئية "ماكس فيبر، وبالتالي لا يمكننا الإحاطة بكل حيثيات الموضوع، فأقصى ما أمكننا تقديمه من خلال هذا العمل هو التعريف بالحقل الوسولوجي الكلاسيكي والحديث والدراسات الجزائرية الذي يدرس الظاهرة المقاولاتية، وإبراز أهمية الرهان على المقاول كتنظيم اقتصادي واجتماعي بالمجتمع، لكنها تبقى غير كافية من أجل تحقيق التنمية، إن لم تهياً لها الأرضية المناسبة لتحقيق أهدافها. لهذا نقترح مجموعة من توصيات تجعل من قطاع المقاول أكثر تنمية تتمثل فيما يلي:

-الاهتمام بالفعل المقاولاتي الخاص أي من فكرة الإنشاء إلى التوسع، لأنه اغلب اقتصاديات الدول تقوم على الفعل الاقتصادي الفردي المنتج.

ضرورة إنشاء المقاولات الخاصة على الشكل الحديث، بتدقيق تكنولوجي عالي.

نظرا لصعوبات التمويل التي تواجهها المقاولات في القطاع الخاص، ينبغي توفير المساعدة اللازمة بإزالة كل العراقيل للمستثمر خاصة الإجرائية منها.

قائمة المراجع:

- أبو سيد احمد فتحي السيد عبده، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2005.
- بن شهرة مدني، الإصلاح الاقتصادي وسياسة التشغيل - التجربة الجزائرية- ط1(الأردن: دار حامد للنشر والتوزيع، 2009).
- جعلوك محمد علي عارف، أعمال المقاولات، ط1 (بيروت: دار راتب الجامعية، 1999).
- زوزي محمد، " تجربة القطاع الخاص الجزائري ودوره في التنمية الاقتصادية في الجزائر - دراسة حالة ولاية غرداية"، أطروحة دكتوراه، جامعة ورقلة، 2010.
- عدمان رقية، " المقاولون الجزائريون بين القيم الاجتماعية والروح الاقتصادية: دراسة ميدانية لعينة من مقاولين مدينة الجزائر وضواحيها"، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2015.
- قادية عبد الله، الإطار القانوني الخاص لدعم التشغيل في الجزائر، ط1. الجزائر: منشورات الدار الجزائرية، 2015.
- القانون رقم 188/94 المؤرخ في 06 جوان 1994 " المتضمن للقانون الأساسي للصادق الوطني للتأمين عن البطالة . الجريدة الرسمية. الجمهورية الجزائرية، العدد44، الصادرة في 07/07/1994.
- مريزق عدمان، أهمية القطاع الخاص في ترقية القطاع الصناعي في الجزائر: إشارة إلى مجمع سيفتال"، ورقة مقدمة إلى ملتقى وطني حول الإستراتيجية الصناعية الجديدة، مستغانم يوم 23 و24 أبريل 2008.
- معطيات البنك العالمي: إحصائيات 2015/2014، gd 2015/2014، privet., indicateur/fs.ast., www.Donnees banque mondiale.prg
- ZS. تم الاطلاع عليه: يوم 21/01/2019 على 14ساو43د

مياي إكرام ، الاندماج الاقتصادي العالمي وانعكاساته على القطاع الخاص في الجزائر. الجزائر: دار هومة ، 2012.
نوري ياسمين ، " مكانة القطاع الخاص المنتج في ظل السياسات التنموية في الجزائر: بين الخطاب الرسمي والواقع الميداني " رسالة ماجستير ، جامعة تيزي وزو ، 2015.
الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار ANDI موقع : www.andi.dz .

www.Ansej.org.dz الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب

Ahmed Boyakoub .les nouveaux entrepreneurs en Algérie en période de transition, la démentions transnationale, CREAD .Alger n40, 2ém tr.1997

15- Abderrahmane Abdou ; et al. Entrepreneurs et pme — approches algéro .françaises (paris ; l'harmattan.2004.

P.Bourdieu,La Sociologie De Algérie (.France ; Puf),

Jean Peneff , Industriels Algériens(Paris ;Cresm-CNRS,1981

Peneff (J), « Les Chefs D'entreprise En Algérie », In Acte Du Colloque : Entreprise Et Entrepreneurs En Afrique, Harmattan (Paris, 1983).

19 P.Bourdieu Et A.Darbel, Travail Et Travailleurs En Algérie (Paris : Ed Mouton, 1963)

20 Houria Taleb, « Ouverture Economique Et Dynamique Entrepreneuriale .Essai De Modélisations Des 21 Déterminants Territoriaux De La Création De L'entreprise » (Thèse De Doctorat, Université De Tizi Ouzou, 2011)

22- P.Bourdieu, Les Structures Sociales De L'économie (Paris : Seuil, 2000),

الدراسات الدلالية في المؤسسة الأكاديمية / إقليم كردستان
أ.د.ابراهيم عبود السامرائي ، جامعة كوية
م.م. شيلان فتحي الهموندي ، جامعة السليمانية ، إقليم كردستان- العراق

مقدمة

قد يكون من الصعب تحديد بدء الصراع بين اللفظ والمعنى على محك التاريخ والإشارات الأولية إلا من خلال تخمينات أقرب إلى الخيال منه إلى حقيقة علمية ملموسة. ولكن الصعوبة تتلاشى في الإقرار بوجودهما عبر التاريخ الحضاري في الذهن البشري الذي يتطور بالتدرج أو بسرعة في التدرج. وحين نلجأ إلى استخدام مصطلح الصراع، فهو استخدام يوحي بوجود طرفين، ولكل طرف أنصار في هذه الثنائية أي طرف يمثله (اللفظ)، وطرف آخر يمثله (المعنى). ولا يهدف هذا البحث تداول الصراع تاريخياً أو طرح آراء الطرفين ومناقشتها، ولا الانتصار لطرف على آخر، فقد أشبعت الدراسات الأكاديمية وسواها هذا الجانب درساً وتحليلاً وتعليلاً وتنظيراً، وما (الجاحظ) و(الطوفي البغدادي) و(ابن سنان الخفاجي) و(عبدالقاهر الجرجاني) و(ابن الأثير) و(قدامة بن جعفر) و(أبو هلال العسكري)، وغيرهم كثير وكثير إلا كانوا في تناول الدراسات كأعلام رواد بحثوا هذا الجانب الدلالي، وكل بطريقته في ضوء ثقافة عصره، وما أثمر عن نتائج في الفكر الدلالي الذي كان أرضاً خصبة للاحق في الإفادة من سلفه السابق.

ونحن نختصر المسافات بغية الحديث عن الدراسات الدلالية التي لاقت رواجاً عند الأكاديميين في إقليم كردستان سواءً عند أساتذة الجامعات أو طلبة الدراسات العليا. وربما من المفيد أن نهمد لتعريف الدلالة التي تعني "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول" (الجرجاني، 1983، 110) المراد بالشكل هو (اللفظ) أو (الدال) والمراد بالمحتوى (المعنى) هو المدلول. إذن، فالدلالة عقد الصلة لتبين المعنى (المدلول) الذي ينبثق عن اللفظ (الدال) في ظل تطور هذا المدلول حسب السياقات في ضمن دلالات لها مواقعها الكلامية ويفهمها خبراء الكلام، ومن هنا قالوا: "الدلالة معنى والمعنى دلالة" (المبارك، 1972، 168)، أي إن الدلالة "هي التي تثير المدلول إلى المعنى الذهني، وهذه الإشارة صفة مشتركة ومتبادلة بين الدال والمدلول وفي تداع واستمرارية" (المبارك، 1972، 168) غير أن هذه التدايمات المنبثقة عن المعنى العريض والمستطيل في الصور والأشكال تتحكم فيها السياقات والمتكلمون حتى يمكن الانصياع لها يطرحه بعضهم: "إن المعنى قضية نفسية، ومن الصعب تطبيق المنهج التجريبي على الأمور النفسية، والمشكلة الأخرى أن المعاني غير مستقرة، إذ تعتمد على المتكلمين والسياق" (الشايب، 1992، 432، 433)، وممن يميظ اللثام عن المسألة (جون ليونز) حين ينظر إلى المعنى من وجهة نظر خاصة بالقول عن المعنى: "هبة العلاقات ونتيجتها، فمعنى أي تعبير هو مجموع العلاقات القائمة بينه وبين التعابير الأخرى، وبعبارة أخرى المعنى هو القيمة الدقيقة التي يكتسبها المدلول المجرد من سياق ما، وأما الدلالة فتمثل العلاقات القائمة من حيث الأساس بين التعابير والكيانات المادية في العالم الخارجي" (ليونز، ترجمة: الوهابي، 1987، 62-63).

ومن خلال إجماع القول مما سلف يمكن أن نفهم عن "دلالة الكلمات ومعانيها أشياء وشؤون يقررها خارج الكلمات من صلات حتى تكون اللفظة دالة بغيرها باعتماد المعنى على تلك الصلات التي تقوم بين التعابير اللغوية لاسيما الكلمات التي تعود إلى هذه اللغة أو تلك ليكون المعنى بحد ذاته مقيداً بتلك العلاقات والروابط داخل اللغة" (الشايب، 1992، 439)، أي الدلالة "هي التي تربط الكلمة أو الجملة بالعالم غير اللغوي أي إخراج ذلك إلى فضاءات أوسع" (السعران، ط 2، 1997، 261)، هذا وربما "لو توسعت الدلالة صفر المعنى أو بالعكس توسع المعنى وصغرت الدلالة" (ليونز، ترجمة الوهابي، 1987، 64).

وهذا الدرس الدلالي في إقليم كوردستان يفترق إلى دراسات معمقة وإن حملت رسائل وأطاريح عبارة (دراسة دلالية)، وهذا يعني أن الدرس الدلالي ليس بمستوى الطموح من خلال متابعتي وقرآتي عشرات من الرسائل والأطاريح والبحوث المنشورة والتي كانت تحمل تلك العبارة (دراسة دلالية) سواءً بصورة مستقلة أو مقرونة بسواها من العلوم مثل عبارات (دراسة نحوية دلالية)، و (دراسة صرفية دلالية) أو (دراسة بلاغية دلالية)، وربما جاء هذا الافتقار لإعتماد الدارسين على ماهو مترجم من كتب الدلالة عن لغات شتى، وتوجهات معاصرة لم يكتمل فهمها عند الدارسين حتى صرنا نراوح عند حدود لانستطيع تخطيها، أملين من المؤسسة الأكاديمية أن تولي المزيد من الاهتمام وتحرك هذا الجانب من الدراسة من جمود الستاتيك إلى حركة الديناميك للنهوض بالمستوى الذي نطمح و نطمح إليه المؤسسة الأكاديمية في الإقليم.

ومن الدراسات التي طالتها جهودنا تحت التوجه الدلالي أو الدراسات الدلالية تلك التي بحثت في ألفاظ القرآن الكريم أو في سورة من الذكر الحكيم أو في تراكيب ألفاظ خاصة أو ما يتعلق بالتفكير الدلالي في كتاب أدبي أو فقهية أو لغوية... أو خليط يقرن بين الدلالة والصوت أو التصريف أو النحو أو البلاغة...!

ونحاول عرض نماذج من هذه الدراسات في ضوء منظورنا، وقرأتنا لتلك الرسائل والأطاريح والمنشورات في مجلات أكاديمية ضمن حدود إقليم كوردستان، وفي جامعات أربيل والسليمانية من كبرى جامعات الإقليم والتي فتحت قسم الدراسات العليا، وسنحاول عرض نماذج من هذه الدراسات :

1. ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم – دراسة دلالية

وهي رسالة ماجستير نوقشت عام 2010م للباحث: عبدالله سعد الله سليم، بإشراف: د. نشأت علي محمود، بكلية اللغات – جامعة صلاح الدين .

والرسالة تتضمن تمهيداً وفصلين، بدأ الباحث بسرد كلام جميل عن الدلالة وأنها "هي تصور مطلق يسري مع كلّ المستويات اللغوية، والدلالة وإن كانت مختصة بالمعنى غير أنّها تمثل قمة الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية،.....، جاء المستوى الدلالي من الأولويات في الأبحاث اللغوية، لأنه يبحث في وظيفة الكلمات المتمثلة في نقل المعنى وإقراره، ثم علاقة هذا المعنى بالكلمات المتجاورة ومناسبتها لها" (ص1 من مقدمة الرسالة) ليأتي التمهيد الذي خص فيه الحديث في صفحتين عن (نظرة في مناسبة الدال والمدلول) (3-2 التمهيد)، ثم جاء فصلاً الرسالة، وكلّ فصل في مبحثين مع تخصيص عنوان لكلّ فصل، فقد حمل الفصل الأول عنوان (ألفاظ الأصوات الإنزياحية) درس في المبحث الأول منه (الأصوات الإنزياحية الطبيعية) (ص25-78)، وجاءت الدراسة في (16) مفردة من ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم مع بيان جذور كل كلمة (الصاعقة من صعق)، و(الصيحة من صبح) و(الصاخة من صخخ) و(الناقور من نقر) و(الرعد من رعد) وهكذا (هدّ،

وصرّ، وحسيسها، والتصدية، وأجلب، وينعق، وخوار، ومكاء، ونعقاً، وخزّ، وركزا) وكان الباحث يدرس دلالة الوحدات المحيطة باللفظة من خلال السياق القرآني "لأن الدلالة تبحث في وظيفة الكلمات الى جانب تعالق هذه الوظيفة بالكلمات المتجاورة" (ص2 من المقدمة)، ثم أخذ الباحث المسار نفسه في المبحث الثاني في الألفاظ ذات السمة الإنزياحية النفسية، وفي دراسة (8) ألفاظ، وهي (يصطرخون) و(نداء) و(شهيق) و(جهر) و(زفير) و(يجأرون) و(دعاء) و(الأواه) مع الإشارة إلى جذر كل كلمة كما فعل في الفصل الأول (ص79-101).

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان (الأصوات الساكنة الطبيعية) من خلال ثلاثة ألفاظ (أزّا، همساً، غيم) مع الإشارة إلى جذورها (أزر، همس، غم)، ثم جاء المبحث الثاني عن (الأصوات الساكنة النفسية) لدراسة ألفاظ مثل (ضبحاً، بكاء، وسوس، أقبّ، وي) ص110-133 مع الإشارة إلى جذورها على النمط السابق. ولأنك فإن مصادر الرسالة تنوعت بين الصرف والصوت والدلالة حتى اشترك (250) مصدرأً، و(6) ست رسائل وأطاريح في بناء الرسالة (ص135-146) (المصادر والمراجع)، ليستنتج الباحث في نهاية الرحلة العلمية إن الحديث عن ألفاظ الأصوات يجرنا إلى البدايات الأولى لنشأة اللغة... ومعظم ألفاظ الأصوات هي تقليد مباشر لأصوات المدلولات، ثم هذه المحاكاة الصوتية هي التي ابتكرت منها لغة الانسان، وأنّ أصواتا ذات دلالة نفسية مثل (أواه، أف) تحولت إلى الدلالة الوضعية بالاستعمال، ثم أشار إلى أثر الدلالة في المعنى سواءً بالزيادة أو بالنقص، أو خفةً وثقلاً (ص133-134 النتائج).

وحرى بالذكر أنّ هذه الرسالة التي بحثت في ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم عام 2010م وكان قبل عقد من الزمان قد نشر الباحث (د. جليل حسن محمد) بحثاً بعنوان (الألفاظ الدالة على الأصوات في الشعر العربي قبل الاسلام) في المجلة العلمية بجامعة صلاح الدين، العدد (10) لسنة 2000م.

وتناول الموضوع على شاكلة محاور تقوم على الثنائيات المتضادة كالقوة والضعف، والخوف والأمن، والحزن والفرح، والخلو والامتلاء، والحسن والقبح، ممهداً لدراسته بمقولة (إنّ هذه المحاور تدرس دلالة الألفاظ على وفق دلالة اللفظة نفسها أو وفق التأثيرات التي تمارسها على من يبلغه الصوت، أو يوجه إليه) (المقدمة) مضيفاً أن تأسيس الدراسة تعتمد على (محاور النصوص الشعرية واستكناه ما فيها من معان وأفكار مركزاً الجهد كله على الإعراب عن طاقة الصوت في التعبير عن المقاصد...) (ص المقدمة) ثم انتقل إلى الأصوات في الشعر العربي قبل الاسلام ليتحدث عن تلك المتناقضات بين (القوة والضعف) بدءاً ببيت أبي داؤد الأيادي:

لجبتُ تُسمع الصواهلُ فيه وحين اللقاح و الإرزامُ

ليتحدث عن صوت السلاح الذي يمنح المقاتل قوة وعزيمة من خلال تلك القعقة حين التضارب والتلاحم، حتى ينتقل إلى علقمة الفحل في قوله:

تخششُ أبدان الحديد عليهم كما خششت يس الحصاد جنوب

ليستدل على مدى الأصوات المنبعثة من الأسلحة التي تحذو في أصوات المسموع على محسوس الأحداث ثم يأخذ نماذج لتعصيد رأيه، ومن أغراض شتى فخراً ورتاءً وهجواً ومدحاً ووصفاً، وهكذا في معالجة صوت (الحزن والفرح) و(الخوف والأمن) و(الخلو والامتلاء) و(الحسن والقبح) ليحصد في نهاية مبحثه بعض النتائج

منها أن الأصوات تقوم بدور بارز في إيقاظ الهمم والأفكار وانبثاق المعاني ثم لا يقل السمع عن البصر في نقل الدلالات التي يمكن أن تشكل معجماً لغوياً أو صوتياً.

وقد اعتمد الباحث دواوين الشعراء التي بلغت زهاء (30) ديواناً إلى جانب المجاميع الشعرية مثل الأصمعيات.

ومن الغريب أن الباحث لم يستخدم سوى مصدراً صوتياً واحداً هو (الأصوات اللغوية) (للدكتور إبراهيم أنيس) في الوقت الذي يحمل العنوان (دلالة الأصوات) ربّما لو اتسع في محاكاة كتب الأصوات في معالجة المبحث لابن بريق في نتائج أحكم من التي ذكرها ولسلم من النقد الموجه – والباحث يمتلك أدوات الحوار والتعليل بمستوى يستحق كل تقدير.

2. ألفاظ الخوف في القرآن الكريم – دراسة دلالية: اطروحة دكتوراه نوقشت عام 2013 للباحث (وشيار صالح سليمان) بإشراف د. عز الدين محمد أمين سليمان / مجلس كلية التربية – سكون التربية. جامعة كويه. قدم الباحث تمهيداً بمثابة مدخل نظري لعقد صلة بين الصيغ الصرفية للألفاظ ودلالاتها، ليأتي دور الفصول الثلاثة بمباحثها لإحتواء وتناول الموضوع. وقد جاء الفصل الأول لتعريف (الخوف) وما ينبثق عن الخوف من دلالات واشتقاقات ليتناول ست مفردات (خوف / خيفة / خاف / أخاف / تخاف / يخاف) ص 22-33، وكانت المعاجم عوناً واضحاً في سرد معاني المفردات ثم تصانيف الدلالة، وكانت المباحث مثلثة في الفصول (الخوف من الله تعالى) و (الخوف من الآخرة) و (الخوف من الدنيا).

وقد بذل الباحث جهداً في توظيف الاتجاه النفسي في مجالات التطبيق لسبر أغوار النفس (ص 120)، حاول من خلاله الارتقاء إلى البيان والوضوح.

وقد استخدم زهاء (120) مصدراً، و(8) رسائل في إعداد (132) صفحة وفق منهج وصفي تخلله بعض التصورات الانطباعية لإبراز شخصيته كباحث محلل.

3. سورة التوبة – دراسة دلالية: ومن دراسة الألفاظ في التوجه الدلالي إلى دراسة سورة من القرآن الكريم، ومنها دراسة (سورة التوبة) دراسة دلالية- رسالة ماجستير 2009م، للباحثة فخرية غربب قادر، بإشراف د. كوليزار كاكل عزيز، جامعة صلاح الدين – كلية اللغات.

معلوم لدى كل دارس خبير بالقرآن الكريم مدى الوحدة النصية المتماسكة في الشكل والمضمون، ومن المحال انفصام هذا الطرف عن الآخر، فالثنائية مشتركة وملتحمة في النص القرآني، وتمنحه قيمة جمالية تشع بالدلالة العالية التي تسمو إعجازاً على كل نص غير قرآني وعلى كل المستويات نحواً وصرفاً وبلاغة وصوتاً وأسلوباً، فهو تكاتف متفرد أودعه جل شأنه ليسمو ويخلد حتى أبد الأبدان.

جاءت الباحثة لتفتح سورة في هذا السبك الرباني المنظم، وفي محاولة استكناه جمالها الصوتي والصرفي التركيبي بمقدمة وتمهيد عبر فصلين لا ثالث لهما. وقد بدأت بالدلالة الصوتية لمفردات وتراكيب وآيات السورة (التوبة) من خلال التجاوب والتفاعل بين التشكيل الصوتي والسياق من جهة، وبينهما الأداء والإلقاء من جهة أخرى (ص 2 من الرسالة) هذا ما سردته الباحثة في الفصل الأول ثم قالت عن مبحثي الفصل الأول، بأن الأول عن دلالة بنية التشكيل الصوتي لسورة التوبة القائمة على أساس التكرار (ص 15-17) مثل تكرار الصوامت ثم تكرار المصوتات مع الإشارة إلى دلالة التشكيل الصوتي لفواصل سورة التوبة (ص 43-48).

أما المبحث الثاني لهذا الفصل ف جاء الحديث فيه عن دلالات بنية التشكيل المقطعي لسورة التوبة من نبر وطول ونغمة (ص49-77).

أما الفصل الثاني فقد بحث الدلالات التركيبية في سورة التوبة (ص78) وفي مبحثين، خصص الأول عن الأنماط التركيبية ودلالاتها مثل التركيب الإخباري، وتركيب النفي، والتركيب القسمي، والاستفهامي، والأمري والنهي والندائي والدعائي والشرطي (ص79-90)، ثم الأدوات النحوية وأثرها في تكوين الدلالة التركيبية (ص90-91) ليأتي المبحث الثاني عن تقنية الانزياح وأثرها في التكوين الدلالي من انزياحات تركيبية وموضعية واختزالية وما يخص الخوف والقصر والتوسعة والبيانية والعلائقية والمجاز المرسل والمجاز في الاسناد لتنتهي المبحث بالانزياح الرمزي (ص95-119) وفي النهاية يتوصل البحث إلى جملة نتائج منها اقتران لفظ الجلالة (الله) بلفظ (رسوله) في (23) موضعاً بفاصل ومن دونه في هذه السورة، ثم ورود مفردة (توبة) بكثرة كمحور بارز بأبعادها ومضامينها (ص120) إلى جانب إيقاعات مرتبطة بقوة بالمضامين والمحتويات بما يشكل أصرة من التوافق والتكامل على أساس اختيار الصوت المناسب للموقع المناسب (ص120). ثم إنغلاق نفسية المناققين من خلال البنية المقطعية التي تشي بالانغلاق والصدّ إثر صدّ الصامت الساكن الهواء الصادر من الداخل (ص122) مع وجود تأزر بين القرائن النحوية وأثلاثها في ضمّ بعضها إلى بعض (ص122) وغير ذلك من نتائج لاداعي لسردها جميعاً. أما المصادر المستخدمة في بناء الرسالة، فقد بلغت (175) مصدراً (ص124-137 المصادر والمراجع).

4. التراكيب المتضمنة لألفاظ (الجهاد والشهادة والانفال) في القرآن الكريم – دراسة دلالية- رسالة ماجستير للباحثة أمان صالح حسن. نوقشت عام 2010، بإشراف: د. دلدار غفور حمد أمين، في جامعة صلاح الدين – كلية اللغات: إنّ البصير بعنوان هذا البحث يدرك تماماً من خلال عبارة (التراكيب) ثم (الألفاظ) أنّ الباحثة تدرس ألفاظ (الجهاد) و(الشهادة) و(الأنفال) من خلال التراكيب المستخدمة فيها لا بصورة مستقلة أو معجمية، وإنما ما ينبثق من دلالة الألفاظ داخل التراكيب، ووظائفها التعبيرية ثم صلة هذه التراكيب بما يجاورها من تراكيب أخرى للخروج بمجمل المعاني الدلالية من خلال هذه الامتدادات والتفرعات الناشئة عن بؤرة الأساس التي هي التراكيب من دون إغفال الوظائف النحوية، ولكن بعيداً عما تتضمن من دلالات منفردة، وتلك مسألة لها دراسات أخرى غير هذه الدراسة، أو كما تقول الباحثة "والتقييد فقط بتحديد أنماط التراكيب وبيان الوظائف النحوية من دون البحث عن الدلالات التي تتمخض عن هذه التراكيب" (ص2 المقدمة)، أما سبب الاختيار لثلاثة ألفاظ من دون أخواتها الأخريات، فقالت: "وجود وشيجة معنوية وسببية بين الألفاظ الثلاثة، إذ ينجم عن الجهاد في سبيل الله الشهادة، أو الأنفال، ... ثم شيوع استعمال تلكم الألفاظ في الواقع الحالي وتحوير دلالتها بل استغلالها من جماعات ليست لباس الإسلام" (ص3 المقدمة)، واختارت للفظ (الجهاد) ما يندرج تحت جذر (جهد) و (قتل) لتشعب موضع الجهاد (ص3 المقدمة)، واعتمدت في مسارها البحثي على التفاسير اللغوية بكثرة ومستخدمة المنهج الوصفي والتحليلي كما تقتضي طبيعة مثل هذه الدراسات...

ونظراً لحاجة الدراسة الدلالية، وما خلص إليه الدرس اللغوي الحديث، فوجدت الباحثة في الوقوف على الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ما يملأ هذا التوجه اللغوي في هاتيك الدراسات. وقد مهدت

الباحثة للحديث عن التراكيب والدلالة متخذة من التراكيب مسلماً لفهم الدلالة من التأثر بالقدامي في معالجتهم التراكيب من خلال الوظائف النحوية فقط ، بل الإحاطة الشاملة بالجوانب الدلالية مع الإشارة إلى المعنيين اللغوي والإصطلاحي لهذه الألفاظ والاستعمال الآني لها مع إعطاء عنوان لهذه الشؤون في التمهيد هو (مدخل نظري إلى مرتكزات البحث) (ص7-20).

ثم جاءت الفصول الثلاثة ، فحمل كل فصل عنواناً تفرّع إلى مباحث ، إذ درس الفصل الأول (التراكيب الفعلية) في مبحثين ، تناول الأول (التراكيب المستقلة) الموجبة والسالبة ، وتحت الموجبة درست (تركيب الحدث المنتهي) سواءً (التركيب الفعلي المباشر) أم (التركيب الفعلي غير المباشر) ، ثم درست (تركيب الحدث القائم) في المبحث نفسه منتقلة إلى الفقرة الأخرى من التراكيب الموجبة إلى (التراكيب المستقلة) وشغل هذا المبحث الصفحات (51-21).

أما المبحث الثاني في الفصل الأول فتناول (التراكيب غير المستقلة) من سالب صريح ضمني (ص45-50). أما الفصل الثاني فدرس (التراكيب الاسمية) مثل التراكيب الاسمية النمطية كالمبتدأ والخبر في المبحث الأول ، ثم جاء المبحث الثاني عن (التراكيب الاسمية المنزاحة) مثل التراكيب الاسمية المتضمنة دلالة الجزاء ثم التراكيب الاسمية المؤكدة (إنّ) و(إنما) و(لكن) ثم التراكيب الموسعة (بكان) (ص51-79) ، أما (التراكيب الأسلوبية) فكان مدارها في الفصل الثالث والأخير ، وفي أربع فقرات (التركيب الشرطي) و(التركيب القسمي) و(التركيب الاستفهامي) و(التراكيب الانجازية) (ص80-105) لتختتم الرسالة بنتائج منها ، ورود ألفاظ بمعناها اللغوي والاصطلاحي في الخطاب القرآني مثل (الشهيد) إذ "وردت بالمعنى اللغوي في سياق الآيات التي تعرض مشاهد الآخرة" (ص 107 النتائج) أما "المعنى الاصطلاحي لمادة (قتل) فقد وردت بشكل أكثر في سياق بيان مكانة الشهيد في الآيات التي تحث وترغب المسلمين إلى المسارعة للجهاد" (ص70 -النتائج). ويكاد البحث يرفض معنى الترادف كلياً حين نقرأ "الألفاظ القرآنية لها دلالتها في سياق التركيب فلا يمكن أن يرادف لفظ لفظاً آخر فيتساوى معه المعنى تمام المساواة" (ص107 -النتائج) والأكثر من هذا "إن الكلمة ذاتها تتكرر في أكثر من سياق لتدل على معنى آخر مغاير في كل سياق ، وعليه فإن للسياق دوراً كبيراً في تحديد معاني الألفاظ" (ص107-النتائج) ، ونتائج أخرى بلغت (15) نتيجة في أسطر قليلة أو أنصاف أسطر (ص107-108 -النتائج) ، وقامت الباحثة بتقديم توصيات بعد تلك النتائج ، وملخص هذه التوصيات أن تدرس هذه الألفاظ (الشهادة والجهاد والأنفال) في ضمن (التراكيب) دراسة صوتية ثم دراسة لغوية اجتماعية أو لغوية نفسية (ص109 -التوصيات).

وهنا يمكن القول: إن جوانب من هذه التوصيات تحققت ، وأخرى ربما تحققت أو في طريقها إلى التحقيق ، ومن ذلك:

إن لفظة (الأنفال) بعد ثلاث سنوات على هذه التوصيات ، قام الباحث (فاتح سنكاوي) بدراسة اللفظة في مفهومها القديم والحديث في دراسة لسانية ، ونشر البحث في مجلة جامعة السليمانية العدد (41) لسنة 2013 ، إذ حصر دراسته في ضمن الدلالة واللسانيات.

إن مركزاً خاصاً أفتتح داخل جامعة جرموو في جمجمال (2018) تحت إشراف وإدارة (د. تار سالار فقي كافروشي) باسم (مركز الأبحاث بجامعة جرموو لجرائم الأنفال والإبادة الجماعية) ، وفي نية المركز إصدار كتاب

خاص عن (الأفعال) يشترك في إعداده نخبة من الأساتذة والدارسين لدراسة المصطلح (الأفعال) من جوانب شتى صوتاً و صرفاً ودلالة ونفسياً واجتماعياً وسياسياً وتاريخياً ...

هذا وقد استخدمت الباحثة (175) مصدراً في إعداد رسالتها إلى جانب (5) رسائل وأطاريح جامعية، و(9) بحوث منشورة في الدوريات ومواقع الانترنت (ص119-133 المصادر) .. وربما سهت الباحثة عن مصادر كانت يمكن أن تكون لها دور مهم في بناء الرسالة، وأعني غياب كتب (الأشبه والنظائر) سواءً للقدماء أم المحدثين، وهي كتب دلالية تساهم في مثل هذه الدراسات.

5.. ألفاظ القرب والبعد في القرآن الكريم – دراسة دلالية: رسالة ماجستير للباحثة خوناو أحمد خضر دزويي، نوقشت في كلية الآداب – جامعة صلاح الدين عام 2001م – بإشراف د.محمد صابر مصطفى .

الرسالة في (200) صفحة شغلها تهديد وفصلان، حاولت الباحثة من خلال هذه المساحة من الكتابة دراسة لفظتين من ألفاظ الذكر الحكيم هما (القرب والبعد) دراسة دلالية، وما جاء يردف أو قريب من معنى هذا أو ذاك، أو ما جاء بدلالة القرب وبدلالة البعد حسب فهمها وعرضها على معاجم اللغة وكتب الدلالة لتشكل بذلك ما يشبه الحقل الدلالي للقرب ثم الحقل الدلالي للبعد "بادماج الوحدات اللغوية المشتركة في بعض السمات المعنوية في حقل دلالي واحد" (ص2 من الرسالة)، ثم لم تكف بعرض المفردة كما هي، وإنما حاولت "الكشف عن الملاحظ الخاصة بكل مفردة وإظهار الفروق الدقيقة التي تميزها عن قرينتها" (ص2)، وقد استدعت طبيعة البحث تقسيم الخطة إلى عناوين سواءً للتهميد أو لكل فصل من فصلي الرسالة.

فجاء التهميد بعنوان (علم الدلالة ومستويات اللغة) (ص4-14) باعتبار الدلالة جزءاً نشطاً ومهماً في صلب اللغة بل مركز الدراسات اللغوية سواءً صوتياً أم بنائياً أم معجمياً أم تركيبياً (ص6 بتصرف)، وخص الفصل الأول من ص15 إلى ص104 للحديث عن ألفاظ القرب مع توطئة عن لفظة (القرب في التعبير القرآني)، ومن خلال أربعة مباحث، تناول الأول (نظائر القرب: أظ، أنف، دنو، زلف، كاد، وسل) (ص25-44)، والثاني (ألفاظ الجمع: الجمع، حشر، صنو، لهم، وصل) (ص45-61)، والثالث (ألفاظ القرب العامة: حار، ردف، ولي) (ص88-104).

أما الفصل الثاني، فقد جاء على الخطة نفسها في الفصل الأول بتوطئة تناولت (البعد في التعبير القرآني) ثم المباحث الأربعة التي شغلت الصفحات من (105 إلى 201) لتتحدث في الأول عن (نظائر البعد: جنب، زحزح، سحق، شطط، عزب، نأى، هيئات) والثاني (ألفاظ الفصل: شقق، فرق، فصل، قطع) والثالث (ألفاظ الطرد والفرار: خساً، دحر، شرد، طرد، لعن، نفى، أبق، فرر، هرب، نفر، هجر) والرابع (ألفاظ البعد العامة: جفو، عرض، عزل، عمق، قصو، ميز، نبذ)، ومما يستحسن في عمل الباحثة رجوعها إلى معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس، للكشف عن الصلة الأساس التي تربط معاني المفردة الواحدة بمصطلح الأصل في معالجة هذه المفردات تأصيلاً وتنظيراً (ص203 بتصرف)، لأن ابن فارس كان يؤصل للمفردة في ربطها بالمعاني الفرعية للمادة الواحدة بمعنى عام يجمعها واصفاً إياها بالألفاظ ذات الأصول المتقاربة، معبراً عن اختفاء الصلة بين الهيئات والمعاني لبعد العهد وتعسر الربط بالألفاظ ذات الأصول المتباعدة (ص203)، ثم أنهت الرسالة بأهم النتائج: منها مرتبطة بتطور العربية وتطور دلالة الألفاظ من المعانية الحسية إلى الدلالة المجردة مما يجعل الدراسة التاريخية لتطور الألفاظ شيئاً ضرورياً وربطها بواقع اللغة. فأخذت تسرد ماحدث

لفظة (البعء) بعد مجيء الإسلام، وما استحدثت من دلالات جديدة للألفاظ، وكذلك لفظة (القرب)، وذلك في السياق القرآني للفظتي (البعء والقرب) إلى جانب ما للطاقة التعبيرية للأصوات لهلامة الصوت والمعنى، هكذا استمرت في تعداد نتائجها حتى أوصلتها إلى (12) نتيجة، إذ أسهبت في سردها من (ص202) إلى (ص207).

أما مصادر الرسالة فقد بلغت (307) كتاباً (ص209-226) و(10) رسائل جامعية (ص226-227) و (17) بحثاً منشوراً في المجالات الأكاديمية للجامعات (ص227-228) إلى جانب (7) مصادر إنكليزية. وكان للباحثة حضوراً مميزاً بين أسطر البحث يشهد لها بالكفاءة والإقتدار في معالجة رسالتها.

خاتمة ونتائج البحث: بعد رحلة لم تكن بالقصيرة بين أروقة جامعات السليمانية وأربيل و كويه بحثاً وتنقيباً بغية أداء الواجب الملقى على عاتقي في دراسة وبحث الرسائل والأطاريح والبحوث المنشورة في المجالات الأكاديمية من عام (2000) إلى (2015م) في ضمن هذه الجامعات التي كانت قد فتحت في أقسام اللغة العربية قسم الدراسات العليا (الماجستير) و (الدكتوراه) فكانت حصيلة نتائج الدراسات الدلالية الآتي:

1- إن الفكر الدلالي بدأ يستحوذ على الدراسات العليا منذ عام (2000) بدءاً بكلية الآداب -جامعة أربيل، برسالة ماجستير للباحثة (أشواق محمد اسماعيل النجار) بعنوان (دلالة اللواصق التصريفية في اللغة العربية) الذي غدا بعد عام (دلالات اللواصق الزمنية في كتاب سيويوه) عبر بحث منشور اشترك في تقديمه (د. نوزاد أحمد، د. عزالدين محمد) إلى مجلة جامعة صلاح الدين بأربيل، العدد (13) لسنة 2001، وفي (2001) أيضاً تقدمت (شيرين أحمد حسن) برسالة ماجستير إلى كلية الآداب - جامعة صلاح الدين بعنوان (البحث الدلالي عند أبي بكر الأنباري ووجوه تطبيقاته)، وفي العام نفسه (2001) نالت الباحثة (خوناو أحمد) شهادة الماجستير عن رسالتها (ألفاظ القرب والبعء في القرآن الكريم-دراسة دلالية) لتكون كلية الآداب بأربيل قد سبقت كل مؤسسة أكاديمية في الأخذ بزمام الدراسة الأكاديمية في البحث الدلالي.

2- وفي عام (2003) نال الباحث (هبة لكورد محمد حسن) الماجستير عن رسالته (ألفاظ القوة في القرآن الكريم)، وفي (2007) نال الباحث (وشيار صالح سليمان) شهادة الدكتوراه عن أطروحته (ألفاظ الخوف في القرآن الكريم- دراسة دلالية)، وفي (2008) نشر الباحث (دلدار غفور) بحثاً بعنوان (لفظة (الدستور) ومرادفاتها في القرآن الكريم- دراسة دلالية) في مجلة العلوم الإنسانية -أربيل، العدد (34). وفي (2010) نالت الباحثة (أمان صالح حسن) شهادة الماجستير عن دراستها الدلالية لألفاظ (الجهاد والشهادة والأنفال)، وكانت المفردة الأخيرة (الأنفال) في ضمن دراسة دلالية ولسانية نشرت في مجلة جامعة السليمانية العدد (41) بقلم الباحث (د. فاتح سنكاوي).

3- أما السور القرآنية التي نالت نصيباً من البحث الدلالي فكانت رسالة ماجستير بعنوان (سورة التوبة -دراسة دلالية) للباحثة (فخرية غريب قادر) عام 2009م بكلية اللغات بجامعة صلاح الدين، ثم في عام (2014) نالت (دنيا محمد طاهر) شهادة الماجستير عن دراستها الدلالية في (سورة الصافات).

وبهذا أصبح الدرس الدلالي محصوراً بين دراسة المفردة والسورة أو البحث الدلالي في كتاب، وطموحنا أن يرتقي البحث الدلالي إلى آفاق أوسع يرتقي بالطلبة، والطلبة ترتقي به عبر أساتذة متخصصين في الدلالة

والدراسات الحديثة ونظريات هذا العلم عوض الاعتماد على الترجمة فقط. والمؤسسة الأكاديمية قادرة على إرسال بعثات إلى خارج الإقليم لإستثمار طاقات الطلبة المتفوقين الذين ننتظر منهم الكثير في قوالب الأيام. 4-وأحياناً كانت هذه الدراسات الدلالية تلتحم مع الدرس الصوتي في رسالة تجمع بين الصوت والدلالة مثل (ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم) دراسة دلالية، رسالة ماجستير، 2010، للباحث عبدالله سعدالله سليم، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، و(الألفاظ الدالة على الأصوات) للباحث جليل حسن محمد المنشور في العدد (10) لسنة 2010 في مجلة جامعة صلاح الدين.

الهوامش

1-التعريفات: 110.

2-فقه اللغة (المبارك): 168.

3-نفسه: 68.

4-محاضرات في اللسانيات: 432-433.

5-اللغة والمعنى والسياق: 62-63.

6-محاضرات في اللسانيات: 439.

7-علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 261.

8-اللغة والمعنى والسياق: 64.

المصادر والمراجع:

التعريفات، الشريف الجرجاني، (816هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، 1983م.

علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1997.

فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، دار الفكر، بيروت، 1972م.

اللغة والمعنى والسياق، جون ليونز، ترجمة عباس صادق الوهابي، مراجعة يوثيل عزيز، ط: دار الشؤون العامة، بغداد، 1987م.

محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الاردن، 1992م.

الرسائل و الأطاريح:

ألفاظ الأصوات في القرآن الكريم -دراسة دلالية، رسالة ماجستير، 2010م، كلية اللغات، جامعة صلاح الدين، عبدالله سعدالله سليم، بإشراف د.نشأت علي محمود.

ألفاظ الخوف في القرآن الكريم- دراسة دلالية، اطروحة دكتوراه، 2013م، كلية التربية، جامعة كويه، وشيار صالح سليمان، بإشراف: د.عزالدين محمد أمين سليمان.

التراكيب المتضمنة لألفاظ (الجهاد والشهادة والأنفال) في القرآن الكريم -دراسة دلالية- جامعة صلاح الدين، كلية اللغات، أمان صالح حسن، رسالة ماجستير، 2010م، بإشراف: د. دلداد غفور حمدامين.

ألفاظ القرب والبعد في القرآن الكريم -دراسة دلالية، رسالة ماجستير، 2001م، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، خوناو احمد خضر دزدي، بإشراف: د.محمد صابر مصطفى.

تفعيل الممارسة التعليمية من أجل جودة البحث العلمي في التعليم العالي Activate educational practice for scientific research quality in higher education

د. عيساوة وهيبة ، جامعة عمار ثليجي الأغواط-الجزائر
د. مامش نجية ، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر
د. بدران دليلة ، جامعة عمار ثليجي الأغواط-الجزائر

مقدمة

يُعد البحث العلمي عبر تاريخه الطويل محاولة دائبة لحصول الإنسان على المعرفة وفهم الكون والبيئة التي يعيش فيها وتمكينه من السيطرة عليها والاستفادة منها، تلك الرغبة في المعرفة ظلت ملازمة للإنسان عبر تطوره الحضاري، وقد أصبح العلم في العصر الحديث العنصر الفاعل في تطور أي مجتمع و بين قوة الدول وضعفها، فالمعرفة هي القوة ومن اكتسب المعرفة اكتسب القوة، بقدر ما تبذل الأمم في سبيل البحث العلمي من جهود، بقدر ما تتمكن من معطياته وتطبيقاته، وبقدر ما يكون تقدم الأمم وتخلفها بما يعود عليها من فوائد في سبيل التمكين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، كوسيلة في وضع السياسات والإستراتيجيات والخطط لتطوير برامجها، مستهدفة جوانب القوة واستثمارها وجوانب الضعف وتشخيصها وعلاجها ووضع السياسات الجديدة لمواجهة متطلبات المجتمع.

وتزداد الحاجة في الوقت الحاضر إلى البحث العلمي الذي يتسم بالتطور والتقدم العلمي السريع في كافة مجالات الحياة أشد من أي وقت مضى، فالعالم اليوم يتسابق ليحقق أكبر قدر من المعارف التي تضمن للإنسان حياة تتسم بالسعادة والرفاهية، وتضمن له التميز.

وسيطل التعليم العالي أساس النهضة باعتباره ركنا أساسيا من أركان بناء الدولة العصرية والمتعلمة، القائمة على الفكر المتطور الجديد وعلى المشاركة المجتمعية، في إطار الإيمان المتزايد بان التنمية البشرية هي إحدى الدعائم الرئيسية للتنمية الشاملة بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فعملية التعليم الجامعي بشكل خاص عملية صناعة لأجيال المستقبل وإن استثمار هذا النوع من الصناعة هو أفضل أنواع الاستثمار وأكثرها فائدة، خاصة في هذه المرحلة النوعية من تاريخ البشرية، حيث تشكل الاقتصاديات المبنية على المعرفة موردا تسعى المجتمعات والدول لاكتسابه والاستفادة من المزايا التي يوفرها لمننتجيه، من هنا تبرز أهمية بناء نظام تعليم يشحذ طاقات كل متعلم وينميها من خلال المزيد من المهارات وطرق التفكير، بوصول المتعلم إلى مستوى التفكير النقدي والإبداعي وبالتالي تتحقق جودة البحث العلمي.

أولا: أهمية البحث

يكتسب البحث أهمية من حيث أهمية البحث العلمي وجودته باعتباره من آليات مجتمع المعرفة، ومن حيث دوره في التنمية وخدمة المجتمع بصفة عامة، ودوره في المرحلة الجامعية بصفة خاصة في بناء القدرات العقلية واكتساب المعرفة وتطويرها وتوظيفها، وبالتالي القدرة على المنافسة العالمية وتحقيق الريادة. وتتحقق جودة البحث العلمي من خلال المزيد من المهارات وطرق التفكير، بوصول المتعلم إلى مستوى التفكير النقدي والإبداعي.

كما أن هذا البحث تميز بأنه اعتمد على تناول أحد العناصر الهامة والمعوقة للبحث العلمي ، والتي قلما تم الاعتناء به في مجال الاهتمام الذي حظي به واقع البحث العلمي في الدول العربية ، من طرف كثير من الباحثين خلال الثلاثة عقود الماضية ، بحيث يعنى بالآليات والاستراتيجيات المواكبة للتطور الحديث في نظامنا التعليمي الجامعي والذي يولد جيلا يعتمد التفكير النقدي والإبداعي .

ثانيا: أهداف البحث

من المؤمل أن يسهم البحث في ما يلي:

- 1-ربط التدريس بالبحث العلمي .
- 2-تفعيل الممارسة التعليمية من أجل جودة البحث العلمي في المرحلة الجامعية .

ثالثا: إشكالية البحث

يواجه البحث العلمي في التعليم العالي في الدول النامية والعربية والجزائر بصف خاصة تحدي مواكبة التطور وإيجاد مكانة ضمن الأمم المتحضرة ، بوجود تحديات ومعوقات في تطوره وهو ما خلصت إليه العديد من الدراسات العلمية ، فهايك عن العوامل المعوقة للبحث العلم ، من ضعف الإنفاق والتمويل ، نقص المراجع والدوريات والكتب العلمية ، ضعف المردود المادي ، عدم ربط البحوث العلمية بخطط التنمية ، مشكلات النشر العلمي ، إضافة إلى ذلك نجد أن معظم البحوث التي تنجز ليست لها فائدة وأهمية اجتماعية ، لا يهدف من ورائها حل المشكلات التي تواجه المجتمع الذي هو بأمس الحاجة إلى نتائج هذه البحوث ، وغير منبثقة أيضا من إستراتيجيات فعالة وأغلبها لا تنطلق من مشكلات في مختلف المجالات ، وأن الباحث أقل دافعية لإجراء البحوث العلمية ، ويكون الدافع الرئيسي لإجراء البحث العلمي هو الحصول على الشهادة بهدف التوظيف أو الترقية .

إضافة إلى هذه العوامل نجد من خلال رصد واقع للبحث العلمي في التعليم العالي هناك نقائص أخرى واضحة في دور الجامعة من حيث:

- 1-سيادة أساليب تدريس تقليدية .
- 2-يعاني التكوين بالجامعة مشاكل انخفاض المستوى .
- 3-اعتبار المنهاج والأستاذ المصدرين الأساسيين للمعرفة العلمية .
- 4-تركز البحوث العلمية على مواضيع تقليدية أو مكررة ، كما أن نتائج هذه البحوث تتوقف في نصف طريقها .
- 5-ضعف مهارات البحث العلمي لدى الباحث .

ومما لاشك فيه أن أهمية ضمان جودة البحوث العلمية تستمد في جوهرها من مهمة التعليم العالي والتي لا تقتصر على نشر العلم ولكن تهدف لترقيته والنهوض به ، بزيادة المعرفة وتحديثها واكتساب الطالب وتزويده بالمهارات والخبرات ، بتحصيل الفهم وتكوين المعرفة وخاصة طريقة التفكير والنضج الفكري .

وعلى ضوء هذه النقائص يمكن طرح التساؤل التالي:

ما هي استراتيجيات وآليات مواكبة التطور الحديث في نظامنا التعليمي الجامعي بما يولد جيلا يفكر تفكيرا علميا بدلا من الجيل المعتمد على التفكير السطحي ، والذي يفتقر إلى ربط العلاقات وإلى التفكير النقدي والإبداعي .

رابعاً: تحديد مفاهيم الدراسة

1-الممارسة التعليمية

الممارسة لغة: مارس الشيء مارساً، وممارسة:عالجه وزاوله، يقال: مارس الأمور والأعمال، تمرس بالشيء:احتك به وتدرّب عليه جماعة من الباحثين(المعجم الوسيط، 2011، ص470).
والممارسة اسم مؤنث: تدل على الأداء العادي لنشاط معين، عملية التقيد بهذه أو بتلك من قواعد العمل.
والممارسة في معجم "لاروس Larousse" الفرنسي:فهي طريقة تحقيق شيء ما وأدائه (ضدها:النظرية والمبدأ).
نقول يتميز بحس تطبيقي في البيداغوجيا، أي له تجربة في هذا المجال. هناك فرق كبير بين النظري والتطبيقي. الممارسة تمي القدرة على القيام برد فعل في نفس السياق المصطلح (الممارسة) يمكن أن يكون له معنى ديني.

(la langue française, Lexis, p1478 Larousse, Dictionnaire de)

كما تعرف الممارسة بأنها تكرار أسلوب معين مع توجيه معزز، وهي شرط من شروط التعلم الجيد فما يتم تعلمه يجب أن يمارس حتى يثبت التعلم.وهي تشمل جميع أساليب الأنشطة سواء كانت تتعلق باكتساب المهارات أو المعلومات أو المعارف أو الخبرات أو طريقة التفكير، ويجب أن يمارس المتعلم نشاط ذاتيا في تعلمها وأن يمارس الموقف التعليمي حتى يتحسن الأداء.

الممارسة | التعلم - التعلم | Just another WordPress.com site

<https://ohood2.wordpress.com/>الممارسة

حسب ألطي Altet(2007)تعني الممارسة التعليمية "التصرف الفردي لشخص ما أي طريقته الخاصة عند تنفيذ نشاط تعليمي. ويعرفها أيضا بالممارسة المعترف بها كأفعال وسلوكات وطرق وكذلك من خلال الخيارات والاستراتيجيات والقرارات والغايات والسيورات"

Page 1 [PDF] تحليل الممارسات التعليمية 1- ما المقصود بالتحليل؟ حسب ألطي...

[ekladata.com/nachatfcifcasa.eklablog.com/.../analyse-Pratiques.pdf](https://www.ekladata.com/nachatfcifcasa.eklablog.com/.../analyse-Pratiques.pdf)

ونعني بالممارسة التعليمية في هذا البحث:طرق تعلم الطالب وتدريبه، وما يفعله المدرسين للتأثير في تعلم الطالب. فالمعلم كنموذج يقوم بتنشيط وتوجيه وتدريب الطالب على التقييم والنقد لما يقرأه أو ينقله، أو يسجله أو يسمعه ويوجه نحو ثقافة التفكير والإبداع لثقافة الحشو والتخزين والإبداع.

2- جودة البحث العلمي

1-2 مفهوم الجودة

صاغ علماء العصر والمشتغلون بعلم الجودة تعريفاتهم في صيغ كثيرة، والجودة هي إتباع اشتراطات محددة في المنتج

وفي عملية الإنتاج أو الخدمة المقدمة للزبون، فكانت تحت في البداية بمبدأ الاهتمام بالزبون، ثم تغمم مفهوم الجودة وأصبحت الجودة متعلقة بوحدات المؤسسة بكاملها من الإدارة إلى جودة المواد الواردة، إلى جودة الإنتاج وجودة العاملين.

الجودة لغة عرفها معجم الوسيط لغة من كلمة أجاد أي أتى بالجيد من قول أو عمل وأجاد الشيء صيره جيدا، والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جوده بمعنى صار جيدا. وعرفت بأنها المطابقة لمتطلبات أو مواصفات معينة.، فالجودة لغويا هي ما يعبر عن صفة ملازمة ومرتبطة بالموصوف الجيد، وتعني بشكل عام بعض الدرجات أو المؤشرات التي يمكن من خلالها تحديد الشيء أو فهم بنبته (خالد أحمد الصرايرة، 2009، ص 4).

أما **الجودة اصطلاحا** فتعني الوفاء بجميع المتطلبات المتفق عليها بحيث تنال رضا الزبون ويكون المنتج ذو مواصفات عالية وتكلفة اقتصادية مقبولة (السيد مهتوك، 2013، ص 5).

وعرفها المعهد الأمريكي للمعايير National American Institute Standards بأنها جملة السمات والخصائص للمنتج أو الخدمة التي تجعله قادرا على الوفاء باحتياجات معينة (فريد النجار، 1995، ص 53). يعتمد البحث العلمي على أسس علمية سليمة لضمان التطور، وإن أفضل مجالات البحث العلمي وأكثرها قيمة وأعمها فائدة، هي تلك المجالات التي يكثر الاهتمام الفعلي بها وتشتد حاجة الناس إليها، ويعم الانتفاع من خلالها. وبما أن البحث العلمي أحد وظائف الجامعة وأهدافها الأساسية ويتمثل هذا الهدف في إجراء البحوث الأساسية والإجرائية والتطبيقية، وتوظيفها في حل مشكلات المجتمع عن طريق القيام بالمشاريع العلمية ودراسة الثروات الطبيعية للبلاد والاهتمام بالزراعة الصناعة والآداب والثروات والتاريخ، ونشر المعرفة بين أفراد المجتمع، بعقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات وتقديم الاستشارات للمؤسسات المختلفة (زياد علي الجرجاوي، شريف علي حماد، 2005، ص 4).

للبحث العلمي أهمية في كونه وسيلة تساهم في جودة القرارات والأساليب التي تتبع في مواجهة المشكلات المجتمعية، وتمتد العاملين في المؤسسات بالحلول العاجلة لمشكلاتهم الآتية، الأمر الذي يؤدي إلى تعديل المسار وفق متطلبات العصر الحالية والمستقبلية.

مما لا شك فيه أن أهمية ضمان جودة البحوث العلمية تستمد في جوهرها من أهمية البحوث العلمية ذاتها، فهي تشكل الأساس لجميع أنواع التنمية التقنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي يحتاجها المجتمع، وذلك لارتباط أولويات البحث العلمي بأولويات خطط التنمية.

يتمثل الهدف العام لضمان الجودة والتقييم في تمكين منظومة البحث العلمي من العمل بشكل فاعل في ضوء الأهداف العلمية والاجتماعية، فالبحوث بأن لا تكون ذات جودة علمية عالية فحسب، بل وأيضا ذات أقصى فائدة وأهمية اجتماعية، حيث أصبحت جودة البحث العلمي أساسا لتأكيد بقاء المؤسسات واستمرارها، في تحقيق أهدافها في ظل المنافسة القوية التي تفرضها واقع العولمة، وأن التطوير في البحث العلمي والذي ينعكس بشكل ايجابي على المحتوى التدريسي والمناهج التعليمية داخل الجامعات. تدرج الجودة في صميم عملية التعليم، فهي تؤثر على ما يتعلمه الطلاب وعلى مدى استيعابهم لما يتعلمونه، وعلى المنافع التي تعود عليهم من التعليم.

2-2 مفهوم البحث العلمي

تعددت التعريفات حول تحديد مفهوم موحد للبحث العلمي:

البحث لغة: الطلب والتفتيش والتتبع والتحري، وأصل البحث في اللغة طلبك الشيء في التراب بحثه يبحثه بحثا ويبحثه، ومنه استعمل البحث بمعنى أن تسأل عن شيء وتستخير. فمعنى البحث في اللغة هو طلب أمر غائب سواء أكان ماديا أو معنويا.

وأصل جذر العلم في اللغة يدل على العلامة والسمة، ويطلق على المعرفة والدراسة وإدراك الحقائق بمستوياتها المختلفة، وقد يخص اليقين (عبد الرحمن حلي، 2017، ص 21).

فالبحت العلمي هو عملية تقصي منظمة بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بغرض التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة لها (منى توكل السيد ، 2013 ، ص11).
وعرف البحت العلمي هو "عمل منظم يبحث عن العلاقات المتبادلة بين الظواهر والأحداث والمتغيرات المختلفة ، وذلك من خلال فكر وجهد علمي ذي طبيعة منهجية ، يهدف إلى اكتشاف معارف جديدة ، والتأكد من صحتها وتحليل العلاقات بين الحقائق والمتغيرات المختلفة التي تهتم الإنسان في شتى مجالات الحياة ، وكذلك إيجاد حلول المشكلات التي تواجهه" (محمد محمد حسين ، 2011 ، ص20).
وتعرف اليونسكو البحت العلمي أنه "عبارة عن عمليات الدراسة والتجربة وصياغة المفاهيم واختيار النظريات التي تدخل في توليد المعرفة العلمية" (عبد القادر الشихلي ، 2001 ، ص17).
بذلك فالبحت العلمي هو عبارة عن الأنشطة الهادفة إلي زيادة ذخيرة المعرفة العلمية وتطبيقاتها على الواقع العملي.

يقوم بزيادة المعرفة وتحديثها ، فهو عملية فكرية منظمة يقوم بها الباحث من أجل تقصي الحقائق ، بشأن مسألة أو مشكلة معينة موضوع البحث ، بإتباع طريقة علمية منظمة بغية الوصول إلى حلول ملائمة للموضوع و إلى نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة لنتائج البحث.

3- الحاجة إلى تفعيل الممارسة التعليمية من أجل جودة البحث العلمي

تعد الجامعات مراكز أكاديمية منتجة وناقلة ومجددة للمعرفة خاصة في الوقت الحاضر وفي الألفية الثالثة ، إذ يشترط أن تكون مخرجاتها أو القوى البشرية التي تعمل على تنميتها تجيد مهارات البحث العلمي وتؤمن بأهميته ، وأن لا يبقى دور الجامعة في حدود نقل المعرفة للمتعلمين ، بل يتعدى كيف يبحثون عن تلك المعرفة ، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال توفر مهارات بحثية في المتعلم منها:

-مهارات الوصول للمعلومات.

-مهارات تنفيذ خطوات البحث العلمي.

-مهارات الكتابة.

ويعد العنصر البشري أهم عناصر البحث العلمي ويأتي بينها الباحث كونه مكون للعنصر البشري ، إذ لا بد أن يتمتع الباحث بمؤهلات معينة تعينه في مراحل البحث العلمي.

إن الجهود التي يقوم بها الباحث من تفكير وإطلاع وتدوين هي إعداد وتجميع للمادة العلمية التي سيتم تنظيمها والتأليف بينها في الصياغة السليمة ، والتزام المنهج العلمي في صياغة علمية سليمة ، هذه المرحلة تتطلب إلى الصياغة السليمة والتزام المنهج العلمي في عرض الأمور ومناقشة الحقائق ، فإذا توفرت هذه العناصر فقد توفرت أسباب الجودة.

فالبحت العلمي هو جهد فكري يعتمد على القدرة والمهارة في التفكير المنطقي الذي يتطلب مستوى وقدرات ومهارات معينة ، فالفكر السليم في منهجية البحث العلمي والرؤية الواضحة المنطقية في معالجة قضاياها ، ومهارات البحث العلمي تتعدد أنواعها وهي:

-مهارات أكاديمية: وهي مهارة الإحساس بالمشكلة ، ومهارة الموضوع ، مهارات استخدام الأدوات البحثية ،
مهارات الملاحظة ، مهارة التوفيق بين الإمكانيات

-مهارات عملية: وهي مهارات استخدام التقنيات الحديثة ، مهارة التنظيم.

(بشير محمد عاشور الدويش وآخرون ، 2005 ، ص76).

إن من أهم متطلبات البحث العلمي إعداد القوى البشرية، فمصادر الثروة البشرية تعتبر هي الفصل بين التقدم والتأخر في علمنا المعاصر، لأن أكبر استثمار يجب أن يوجه إلى تكوين رأس المال البشري من قوة العمل المدربة المتخصصة والباحثة والمخترعة.

فإذا تأملنا في واقع البحث العلمي في الجامعات في الدول النامية وفي الجزائر على وجه الخصوص على أبسط مستوى من خلال الرسائل الجامعية كأحد أنواع البحث العلمي في الجامعة والتي يقوم بها الطالب الجامعي هي تجسيد لواقع البحث العلمي نكون بحاجة إلى تفعيل الممارسة التعليمية من أجل جودة البحث العلمي، فهبلا تتوفر على الجودة، من مؤشرات المحتوى والشكل والمنهجية المستخدمة، سواء من حيث غياب التحكم في لغة البحث لعدم التزام الطالب بتقنيات الكتابة العلمية، والتحكم في صياغة إشكالية البحث، إلى جانب أن هذه البحوث لا تتوفر فيها دقة التحليل، وهذا يشير إلى أن الطلبة ضعيفي التحليل، إضافة إلى أنه لا يوجد فيها أصالة ولا تضيفي إلى المعرفة وبالتالي ضعف المساهمة في إثراء المعرفة. فالعبارة ليست بكثرة طلبة الماجستير والدكتوراه ولا كثرة المخابر، وإنما العبارة بجودة ونوعية المحتوى ومدى تقديمه لخدمات تنمية للمجتمع.

يقودنا هذا الواقع إلى جملة من الملاحظات التي من شأنها أن تبين أهمية العناية بالممارسة التعليمية وتفعيلها من أجل جودة البحث العلمي ويمكن أن نسجل منها الآتية:

1-3 كثرة البحوث وتكرارها مع سطحية معالجاتها: ونعني بها غياب الإضافة المعرفية الجديدة في البحوث، إذ يتكرر لدى الطلبة عند بحثهم موضوع للتسجيل "فكل شيء قد درس" أو "كلما فكرت في عنوان وجدته مدروساً"، إلا أنه أحيانا تكون هذه العناوين مهمة ومتصلة بقضايا ما تزال مشكلة وملحة، لكن ضعف معالجاتها يجعلها ما تزال موضع إشكال، بغياب الوعي لدى الطالب أن الإضافة الجديدة تمثل التطوير وعنصر أساسي في جودة البحث العلمي، باعتباره نشاط منهجي يعتمد على المعارف العلمية الموجودة، والتي يتم التوصل إليها عن طريق البحث أو الخبرة العلمية ويكون الهدف منه هو إنتاج شيء جديد، وغياب الإضافة الجديدة يدل على غياب الإبداع الذي يقود إلى إنتاج محتوى يتصف بالأصالة والقيمة والجدية والفائدة، أو إيجاد الحلول للمشاكل والمواقف التي تواجه البحث والباحثين وكل ما يمكن أن يضاف على مستوى الموضوع والمنهج والنتائج.

والبحث العلمي يتم تقييمه على أساس الأهمية العلمية والاجتماعية وأساس ظهور شخصية الباحث، المتمثلة في أصالة أفكاره المبنية على أساس تفهم المادة العلمية ومنهجيته في عرضها، ومناقشتها بأسلوب علمي، وأن تكون القضايا المطروحة في البحث لها أثر في مجال المعرفة. وهذه الإضافات الجديدة في البحوث تتخذ صورا متعددة، فقد تكون أفكار جديدة في المجال العلمي، كما تكون حلا لمشكلة علمية، أو توضيحا لغموض علمي إلى غير ذلك من المبادئ التي يقوم عليها مدلول كلمة البحث العلمي.

2-3 انفجار المعرفة: أمام الكم الهائل من المعارف في العصر الحديث يكون الطالب عبئا ومصدر حيرة وقلق أمام متابعة هذه المعلومات، أو جمع قدر من المصادر التي تلي فهمه لمعرفة التفاصيل والاستنتاج، ويرجع ذلك إلى عدم امتلاكه قدرة التعامل مع هذا الوضع.

3-3 غياب التفكير: إن البحث العلمي ميدانه عالم الأفكار والتفكير، وبقدر ممارسة التفكير يقاس عمق التعامل مع الأحداث والواقع، وبقدر تنظيم عملية التفكير نصل إلى الارتقاء بمستوى المعرفة، والبحث العلمي ارتقاء في عمل التفكير لتحقيق الغاية، ويتم ترقيته عن طريق أساليب ووسائل، كما أن التفكير بحث في الإجابة عن الأسئلة وتلبية الحاجات من خلال بناء التصورات أو الربط العقلي والتأملي الذهني والتقييم.

4-3 نقص الرؤية النقدية: إن مراحل البحث العلمي المختلفة بدء من صياغة إشكالية البحث وجمع المعلومات والملاحظة والاستنتاج تقوم على مبدأ الرؤية النقدية، وفي الغالب يعجز الطالب الباحث عن طرح

تساؤلاته النقدية ، وعن تحليل دقة مصادر المعلومة وصلاحتها ومقارنتها والاستنتاج منها ، وتمحيص المعلومات ونقصها ، خاصة أن نظام التعليم الجامعي والعالي في الدول النامية يقوم على انتقال المتعلم من مرحلة إلى مرحلة على أساس "القدرة" وحدها والقدرة تعني بها القدرة على الحفظ وليس الابتكار". فالوصول إلى رؤية موضوعية لموضوع البحث يحتاج نقدا يستبعد فيه الباحث الخلفيات سواء في الوصف والتجريب والتحليل والاستقراء ، لأن البحث العلمي يتركز على العقلية النقدية.

فالتفكير المفتوح والتفكير من زوايا جديدة وغير ذلك من أساسيات التفكير النقدي والإبداعي وغياب الأفق الجديدة في البحث ، إلى جانب غياب التحليل والتركيب وغياب القراءة المعمقة التي يعتني بها الباحث فيها باختيار المعلومات ومناقشتها وتقديمها ، ويعتمد هذا المستوى من القراءة في المصادر التي تتصل بها مباشرة بإشكالية البحث سواء في مرحلة اختيار الموضوع أو بعدها.

فالبحث يتضمن تحديد وإعادة تحديد المشاكل وصياغة الفرضيات أو الحلول المقترحة ، وجمع وتنظيم وتقسيم البيانات ، وتكوين الاستدلالات والتوصيل إلى استنتاجات ، وأخيرا اختيار الاستنتاجات بعناية ، إلا أنه نجد أن الطالب يفتقد القراءة المتخصصة والتي يعتمدها لنقل المعلومات واعتمادها في البحث والتعليق عليها ، كما يفتقد القدرة على تحويل التفكير بالموضوع على مستوى الذهن إلى عبارة مكتوبة ، "فالباحث الأساسي والذي ينبغي أن نحفظه دائما في عقولنا هو أن الدراسة والبحث ليس مجرد تجميع البيانات والمعلومات والحقائق ، ولكن تفسير الباحث لهذه الحقائق ، وبيان معانيها ووضعها في إطار منطقي مفيد هو الذي يميز التفكير العلمي عن سواء ، فالبحث يتطلب الفكر...ومن هنا كان التفكير الذي يتضمنه البحث هو ما يسمى بالتفكير العلمي النقدي" (أحمد بدر ، 1987 ، ص 51).

3-5 طرق التدريس: ما يلفت النظر في التعليم العالي والجامعي في الدول النامية وفي الجزائر أنه يقوم على أساس القدرة أو المقدر ، وتعني بها القدرة "على الحفظ" وليس "الابتكار" ، فطرق التدريس ونظم تقييمها تجعل من العملية التعليمية يكون فيها الطالب سلبا أكثر منه إيجابيا ، فهي لا تنمي فيه المهارات البحثية والتفكير والابتكار. فقدرة المتعلم على البحث ترتبط بطرق التعلم وتحقيق جودة البحث العلمي يكون بوصول الطالب إلى مستوى التفكير النقدي والإبداعي ، متجاوزا مستوى الإلهام بالمادة الدراسية وتطبيق المبادئ ، ولا يتحقق ذلك إلا بربط البحث العلمي بطرق التدريس وأساليب الممارسة التعليمية واستخدام استراتيجيات تعلم وتدريب معاصرة.

إذ نجد أن طرق التدريس لا تقوم على المنهج المعمق بل على المنهج السطحي ، ينظر الطلاب إلى المهام على أنها واجبات مفروضة عليهم من الخارج ، ويحاولون التكيف مع الموقف بانجاز الواجبات بأقل قدر ممكن من الجهد ، والتركيز على المعلومات الأساسية فقط بأكبر قدر ممكن واستظهار المعلومة بهدف الفوز بتقدير جيد وليس بتقدير الفهم ، في حين أن المنهج المعمق يؤثر بنظرة إيجابية لدى الطالب اتجاه المستوى النوعي للعملية التدريسية ، أو ينهي الطلاب إلى فهم الأفكار وتقصي المعاني ، ويلتمسون في أنفسهم للاهتمام.

إن اعتماد الطلاب المنهج السطحي في التعليم لا تكمن في تقصير الطلاب بل تعود الأسباب في الواقع إلى ظروف تدريس المادة التعليمية وطرق التدريس التي ينتهجها الأساتذة أنفسهم ، فالتدريس الجيد يتطلب أن يقوم الأستاذ بخلق محيط تعلم يشجع على انتهاز المنهج العميق في التعليم مثل التشجيع على النقاشات الجماعية وعلى تطوير المهارات الجماعية في الدرس ، وغيرها من مضايم إستراتيجية التدريس التي تركز على التفاعل بين الأستاذ والطالب ، أي تلك التي تقوم على اكتساب المعارف الاختصاصية من خلال المشاركة الفعالة في عملية التعلم والتدريس ، بعيدا عن الإستراتيجية التي تركز على الأستاذ فقط بهدف جعل الطلاب يكتسبون المفاهيم والأفكار الأساسية في الاختصاص.

هذه الحاجات تفرض علينا التغيير في الممارسة التعليمية ، والسؤال المطروح حول ممارستنا التعليمية: ماذا نغير؟ وكيف؟

إن اللب الذي تحويه أي عملية تعليمية هو التدريس حيث يربط بين المعلم والمقرر والمتعلم ، بل يتجاوز العلاقة إلى الربط بين هذه المتغيرات إلى المؤسسة التعليمية والمجتمع وفلسفته ، واتسع مفهومه ليصير الواسطة بين المدخلات التعليمية من مختلف المعارف والمعلومات ، والخبرات المبرمجة إلى المخرجات المنتظرة من المتعلم وطريقة توظيفها في المجتمع وواقع حياة الفرد ، فصار التدريس محور البحوث العلمية . ويتغير مفهوم التدريس من حقبة لأخرى متماشيا مع المتغيرات المحيطة بالمؤسسة التعليمية الرسمية أو غير الرسمية ، فتغيرت طريقة تطبيقه وتنفيذه في المؤسسات التربوية ، وذلك تبعاً لشخصية المعلم وخصائص المتعلمين ونوع الموضوع المراد تقديمه ، والقدرات التي يجب أن يكتسبها المتعلم ، بالإضافة إلى فلسفة المجتمع وأهدافه ، وحسب البرنامج المسطر .

فطرق التدريس الممارسة هي بعيدة تماما عن إثراء للأفكار وعقول الطلاب ، إذ مازال أساتذة الجامعات يستخدمون الطرق التقليدية في التدريس ، حيث يغلب على العمل التربوي الطابع التقليدي في تسيير المحاضرات والتفاعل مع الطلبة الذي يسوده الرقابة والروتين المهمل ، سواء في المحاضرات أو التطبيق ، تليها طريقة المناقشة وتكليف الطلبة بكتابة التقارير والبحوث ، فالأبحاث التي يقدمها الطلبة تخلو من تقنيات البحث المعتمدة أصلا على التنقيب الدقيق عن الأفكار والتعامل معها بشكل يخدم أهداف التمرين على البحث من قبل الطالب ، وهذه النظرة في التعامل مع المحاضرة أو التطبيقات إن كانت حاضرة في ذهن الأستاذ والطالب ، إلا أنها غائبة في الأعمال والأنشطة التعليمية التعليمية.

أما استخدام الأساليب المحفزة للتفكير المبدع كطرق حل المشكلات والنقاش الاستقصائي والطرق المعززة للعمل التعاوني مثل عمل المجموعات والمشروعات فنادرة الاستخدام ، مما تستدعي ضرورة فحص المعلم لممارساته التدريسية مطلبا ضروريا في ظل تطور مهام المعلم في وقتنا الحالي ، ومرورها واستيعابها لمختلف التحديات العالمية والثورة المعرفية ، ومدى ملائمتها بما يتناسب مع المتغيرات العامة وإسهامها في تكوين الشخصية المتكاملة للباحث ، الأمر الذي يجعل الطالب يعرف أو يتقن كيفية تحليل الأفكار والأشياء والتركيب والتفكيك والمعالجة ، وأن يحصل لديه وعي وتحسيس بأنماط التفكير ، إلى جانب أن يكون لديه التفكير النقدي والإبداعي وكيفية بناء المواقف واختيار البدائل في الأشياء ، أي تنمية المهارات البحثية والتفكير والابتكار.

ومن الخطأ أن نقول أن التدريس الجامعي هو نقل المعارف والمعلومات إلى ذهن الطالب ، بل هو عملية تعنى بنمو الطالب نموا متكامل معرفيا ووجدانيا ومهاريا وهذا يتطلب طرائق واستراتيجيات تدريس حديثة ومتنوعة تتناسب وطبيعة المادة ، وكذا تقنيات ووسائل تعليمية تسهل عملية التكوين الجامعي وتربطه بعالم الشغل ، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا ب: التفكير بنوعيه (الإبداعي ، والناقد) ، وحلّ المشكلات ، والمناقشة ، والاستقصاء ، والتعلم التعاوني ، وتمثيل الأدوار ، والتعلم الذاتي ، والحقائب التعليمية ، والتعليم المبرمج والتعلم بالاكشاف ... وغيرها حيث ينتقل الطالب من حفظ المعلومات إلى الفهم ، التحليل ، التركيب التطبيق التقييم ، التفكير ، والنقد ، والإبداع ، وبذلك تظهر شخصيته وتبرز إبداعاته الكامنة (سلامة طناش ، 1997 ، ص 98).

فالطريقة التعليمية في ظل الفكر التربوي الحديث ليست عملا احتكاريا أو طريق موحدة تفرض أو تلقن ، يتبعها المعلمون وينفذها آليا ، بل هي وسيلة تعتمد على حسن التصرف وفقا للظروف القائمة ، ومعيار نجاحها يتوقف على مدى أثرها في نفوس التلاميذ. وبالإضافة إلى ما تقدم فلكل موقف تعليمي ظروف معينة ، وكذلك لكل مجموعة من التلاميذ قدرات خاصة ، وبالتالي لكل مدرس خبرته ومهارته وكفايته ، مما يؤكد ضرورة العناية

باختيار طرق التدريس الملائمة ، فالطريقة التدريسية الناجحة في موقف ليس معناه نجاحها في موقف آخر ، لأن هناك عوامل مختلفة تؤثر في المواقف التعليمية العديدة (رداح الخطيب ، أحمد الخطيب ، وجيه الفرح ، 1984 ، ص 215).

يجب أن يكون الهدف الأسمى لكل تعلم أو تعليم فهم الحقائق والمفاهيم وليس مجرد الحفظ في الذاكرة. فالفهم يعني أن الأمر قد اجتاز مرحلة الأسلوب الحسي الحركي ومرحلة التفكير. والمعلم الناجح هو الذي يستعمل أسلوبا يفيد من الطلاب في موضوع معين ثم يغير الأسلوب ليفيد فئة أخرى من الطلاب ، كما أنه يغير أساليب التعليم حسب متطلبات فهم الموضوع والمواضع في المواد المختلفة تختلف في الأساليب الناجحة لفهمها ، من خلال أساليب تدريس حديثة ومتنوعة لها تأثير ايجابي والتي من شأنها أن تؤهل الطالب بالنظر والوعي والتفكير والنقد.

وقد ظهر اسم المدرسة الحديثة كضد لما كان قائما في المدرسة التقليدية وأنشأت على مبادئ أغلبها علمية حتى تتفادى الأخطاء التي وردت في المدرسة السابقة وتوازي الطلب الاجتماعي على تعليم فعال ، فمن أبرز محاورها هو عكس نقطة الدوران من المعلم والبرنامج إلى نقطة أخرى وهي المتعلم ، وتوكل له عملية الفعالية والنشاط لكل عملية تعليمية ، وقد عرفها أحد المختصين: "بأنها المدرسة التي تجعل من المتعلم محورا للدروس والمعلومات ، والفعاليات المدرسية ، واستهدفت إلى أن تثير في المتعلم التفكير والميل إلى ما يتعلمه ، وأن تدربه على حل المشكلات وتنمي لديه قابلية الانتقاد وقابلية البحث والتقييم ، والابتكار والإبداع ، وتخلق فيه روح المعاونة والأعمال الجمعية ، وأن تعودده على تنظيم أفكاره والتعبير عنها" (ناجي تمار ومجموعة من المؤلفين ، 1994 ، ص 89).

تتنوع طرق التدريس الحديثة تبعا لتغير النظرة إلى طبيعة عملية التعليم ، فبعد أن كانت تعتمد على الحفظ والاستماع اتسعت لتشمل المستويات الإدراكية المعرفية مما يتطلب إيجابية المتعلم في التعليم بهدف إظهار قدرات الطلبة الكامنة والارتقاء بها ولم تعد الأساليب التقليدية في التدريس تلائم الحياة المعاصرة ، ولذلك ظهرت نظريات تربوية عديدة تساعد على اكتساب العديد من المهارات العقلية والاجتماعية والحركية ، وتمثل مهمة المعلم الحديث وفقاً للطرق الحالية في إتاحة الفرصة للمتعلمين لحصول المعرفة بأنفسهم ، والمشاركة بفاعلية في كافة أنشطة التعليم ، والإقبال على ذلك برغبة ونشاط حتى يبعثوا الاستقلال في الفكر والعمل والاعتماد على الذات. وهناك طرائق عديدة في التدريس: كأساليب العمل الجماعي ، ولعب الأدوار ، والزيارات الميدانية ، والتدريس المعلمي وحلقات البحث والمناقشة ، وهي أساليب تثري فكر المتعلم وتعمل على اتساع المجالات البحثية ، والتدريب على الفكر الابتكاري لديه.

تعرف إستراتيجية التدريس بأنها "مجموعة من إجراءات التدريس المختارة سلفا من قبل المعلم أو مصمم التدريس ، والتي خطط لاستخدامها إثناء تنفيذ التدريس بما يحقق الأهداف التدريسية المرجوة بأقصى فاعلية ممكنة ، وفي ضوء الإمكانيات المتاحة" (عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين ، 2011 ، ص 22) ، فهي بذلك عبارة عن مجموعة الخطوات المترجم إلى طرق تدريس ومهارات تدريسية تتلاءم مع خصائص المتعلم ، وطبيعة المقرر الدراسي والإمكانات المتاحة ، وذلك لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف التعليمية المحددة. ولما كان الاهتمام الآن قد انتقل من عملية التعليم إلى عملية التعلم ، ومن الفصل بينهما إلى ربطهما ، وتوضيح التفاعل بينهما فيما اصطلح عليه بعملية التعليم و التعلم ، فإن دور المعلم لم يعد هو الوحيد الذي يؤدي أثناء العملية التعليمية ، ولكن أصبح للمتعلم دورا في هذه العملية. تبرز أهمية تطبيق استراتيجيات التدريس هي تطوير ممارسات المعلمين التدريسية التي تشمل أساليب التدريس وطرائقه والمواقف التعليمية داخل الصف

الدراسي وخارجه من أجل الحصول علي نواتج علمية جديدة. فالمعلم عليه ان يسعى لتطوير ممارساته وتنمية كفاياته بجهده الشخصي لتحسين أدائه وصولا لتحقيق مخرجات تامة لها علاقة بمتطلبات سوق العمل ، ثم اتخاذ قرار خاص به يعمل من خلاله لتدريب طلبته على الاستقصاء والتعلم الذاتي وحل المشكلات ، أو توزيعهم زمرا تنهض بأعمال بحثية أو تشارك في عمليات عصف ذهني من شأنها أن تعمل على تنمية تفكيرهم ، وعلى تنمية مهاراتهم وقدراتهم (سلامة طناش ، 1989 ، ص 99).

كما تقوم استراتيجيات التدريس في تزويد الطلاب بذخيرة من مهارات التعلم أو اكتشاف الطلاب المبدعين ، وكذا إثارة دافعية الطلاب للنجاح الدراسي وخلق جو تعاوني بينهم ، فالاستراتيجيات التعليمية الحديثة تعنى بتنمية الطالب ، وتهتم بتطوير التفكير الإبداعي لديه وتهيئته مهاريا وجدانيا ومعرفيا ، ويسعى التعليم العالي للتعرف على مواهب الأفراد وقدراتهم من أجل تطويرها وتميئتها ، وتؤكد على أهمية تحفيز دافعية المتعلم وتنمية مهاراته ، وهذا ما يتطلب أستاذ مبدع يدير ويوجه ويرشد طلابه ويحفز تنمية طاقاتهم الإبداعية من خلال استخدامه لاستراتيجيات تدريس فعالة وحديثة تحفز الطالب على التعلم (سلامة طناش ، 1989 ، ص 99).

فطرق التدريس التي تشجع عملية التعلم ليست تلك الطرق التي تخبر الطلاب باستمرار بما ينبغي لهم أن يفعلوه وما ينبغي لهم أن يعرفوه ، وإنما هي تلك الطرق التي تشجع عملية التعلم عن طريق تيسير اكتساب المعرفة ؛ فلا يستطيع أحد أن يضطلع بهمة التعلم الصعبة والمعقدة سوى الطلاب أنفسهم .

إلى أن أسلوب التدريس القائم على نقل المعلومة/المتمرکز حول المعلم مرتبط بقوة بأسلوب التعلم السطحي وغير العميق ، وأن أسلوب التدريس القائم على تغيير المفاهيم/المتمرکز حول الطالب مرتبط بأسلوب التعلم العميق وغير السطحي للتعلم عن طريق الاعتماد على أنفسهم بمنزلة جزء متأصل في التدريس المتمرکز حول المتعلم ، وتؤكد الأبحاث التي أجريت على توجهات أعضاء هيئة التدريس نحو طرق التدريس أنه إذا كان تركيز المعلمين الأساسي على تغطية المحتوى ، فإن رد الطلاب سيكون عن طريق حفظ المواد التعليمية ، عادة بقدر قليل من الفهم أو بلا فهم على الإطلاق ، ويفتقرون إلى الحافز الذي يدفعهم نحو التعلم ، وعندما يتبع المعلمون التدريس المتمرکز حول المتعلم ، ويركزون على فهم المادة التعليمية ، ويلتزمون بمساعدة الطلاب في التحكم في عمليات التعلم فإن الطلاب يتعلمون المادة على مستوى أعمق ، وبسيطرون على عملية تعلمهم بطرق تقودهم إلى التحلي بالاستقلالية والاعتماد على الذات وبمزيد من الفاعلية.

إن من أهم الأمور التي يجب إعادة النظر فيها وتغييرها لكي يستطيع التعليم الجامعي أن يسهم بكفاءة وفاعلية في تعزيز إرادة التغيير نحو الأفضل ، ينبغي أن تتوافر مواصفات خاصة في أهدافه وطرائقه في التدريس ، باستخدام وتوظيف استراتيجيات وطرق وتقنيات حديثة في التدريس ، وبدلا من التأكيد على التطوير والتحديث وجودة العملية التعليمية ، يتم التركيز على الشكليات و تخريج الأعداد الكبيرة وكأن الجامعات هي مجرد مطابع للشهادات.

خاتمة

إن مسألة جودة البحوث العلمية تعتبر ضرورة اذ تشكل الأساس لجميع أنواع التنمية ، منها التقنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي يحتاجها المجتمع ، وذلك لارتباط أولويات البحث العلمي بأولويات خطط التنمية ، كما تتأثر التنمية بمستوى البحث المطلوب وحجم الموارد المتاحة له ، والتعليم الجامعي يعتبر مرتكزا أساسيا في تقدم المجتمعات وتنميتها ، وذلك من خلال إعداد الكوادر والطاقات والقوى البشرية المؤهلة في مجالات التعليم المختلفة التربوية والعلمية والمهنية ، بالتوجيه والإرشاد وصل مواهب الطالب وملكنه المعرفية وبناء شخصيته وتنمية قدراته

ومساعدته على إبرار واستخدام كل ما لديه من إمكانيات في الترشيد والتطوير والابتكار.

ولكي تؤدي الجامعة هذا الدور لأبد أن يتميز إنتاجها بالمستوى والجودة كيفاً وكماً، وأن تكون مدخلاتها ومخرجاتها ذات نوعية مميزة وتنافسية، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال التطوير والتحديث وجودة العملية التعليمية، فإلى جانب أهمية المناهج تشكل طرق التدريس حجر الأساس في عملية التطوير والتحديث والتجديد وعنصراً هاماً من عناصر العملية البحثية، من حيث رسم الخطة التعليمية بشكل عام، والممارسات التدريسية التي يقوم بها المعلمون من حيث تصميم العمل التدريسي وتطبيقه وتقويمه وتطويره.

التوصيات

- إن جودة البحث العلمي رهان من الرهانات والتحديات التي تواجه الدولة النامية عموماً والجامعة الجزائرية خصوصاً، لها لنتائج البحث العلمي من أهمية في تحقيق التنمية المجتمعية.
- يوصي الباحث بعدد من التوصيات التي يأمل أن تساهم في تفعيل وظيفة التدريس الجامعي في ظل الألفية الثالثة بتحدياتها لضمان جودة البحث العلمي وهي كالآتي:
- الجامعة مطالبة بأن تتفاعل مع المفغيرات والمستجدات وتعمل على تطوير نفسها وتحديث أساليبها بما يتناسب مع تغيرات العصر السريع، باستخدام وتوظيف استراتيجيات وطرق وتقنيات حديثة في التدريس.
- الاعتماد على أساليب واستراتيجيات تدريس حديثة ومتنوعة لها تأثيراً إيجابياً نحو تطوير العملية التعليمية والأكاديمية وبالتالي جودة البحث العلمي.
- تنمية مهارات التعلم وتنمية الوعي بعملية التعلم والتعليم
- الالتزام بالضوابط المنهجية في كتابة الأبحاث العلمية.

قائمة المراجع

- 1- المعجم الوسيط- الجزء الأول والثاني (2011)، ط 5، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
- 2- الجرجاوي زياد علي وحمام شريف علي (2005)، معوقات البحث العلمي في جامعة القدس المفتوحة ودور الجامعة في تطويره، ندوة واقع البحث العلمي وآفاق تطويره، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.
- 3- الخطيب رداح، الخطيب أحمد، الفرح وجيه (1984)، الإدارة والإشراف التربوي، دار الندوة للنشر، عمان.
- 4- الدرويش بشير محمد عاشور وآخرون (2005)، البحث العلمي في العلوم الإدارية والمالية الأسس والمفاهيم والنماذج، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس.
- 5- الشخيلي عبد القادر (2001)، البحث العلمي بين الحرية والمؤسسية، ط 1، دار مجدواي للنشر والتوزيع، عمان.
- 6- بدر أحمد (1987)، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط 4، وكالة المطبوعات، الكويت.
- 7- الصرايرة، خالد أحمد (2009)، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي بتر للمؤتمرات، المؤتمر التدريبي حول ملامح وآفاق الجودة الشاملة في التعليم العالي، عمان، الأردن.
- 8- النجار فريد (1995)، إدارة الجامعات بالجودة الشاملة، ط 1، ابتراك للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 9- تمار ناجي ومجموعة من المؤلفين (1994)، طرائق التدريس، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر.
- 10- توكول السيد منى (2013)، أخلاقيات البحث العلمي، جامعة المجمعة، كلية التربية الزلفي، المملكة العربية السعودية.
- 11- حللي عبد الرحمن (2017)، المدخل إلى منهجية البحث وفن الكتابة، مع تطبيقات في العلوم الشرعية، ط 1، مركز إنباء البحوث والدراسات، بيروت.
- 12- طنناش سلامة (1989)، تقييم أعضاء الهيئة التدريسية في مؤسسات التعليم العالي، مجلة ندوة، أبحاث مختارة، اتحاد الجامعات العربية جامعة البرموك.
- 13- عبد الحميد شاهين عبد الحميد حسن (2011)، مناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة الإسكندرية.
- 14- محمد حسين محمد (2011)، أسس البحث العلمي، دار النشر الدولي، الرياض.
- 15- مهتوكول السيد (2013)، جودة البحث العلمي: أداء-ارتقاء، وحدة البحث العلمي والدراسات العليا، كلية التربية الزلفي المملكة العربية السعودية.

17-الممارسة | التعلم - التعلم | Just another WordPress.com site

https://ohood2.wordpress.com/الممارس تاريخ الدخول 2019/04/21

18-تحليل الممارسات التعليمية 1- ما المقصود بالتحليل؟ حسب أطي..

تاريخ الدخول 2019/04/10 ekladata.com/nachatcficasa.eklablog.com/.../analyse-Pratiques.pdf

سياسة هتلر تجاه العراق 1930-1945

Hitler's Policy Towards Iraq 1933-1945

م. د منى محمد حسون السعدي / الكلية التربوية المفتوحة / وزارة التربية- العراق

Muna Mohammed Hassoon

Instructor, Professor Ph.d

The open Educational College

Ministry of Education

مقدمة:

بدأت ألمانيا بالسير على طريق التقدم الاقتصادي، والاجتماعي لتلحق بأكثر الدول الأوروبية تقدماً، بعد ان حققت وحدتها السياسية عام 1871، ثم لتتجاوز تلك الدول في زمن قياسي بفضل مجموعة عوامل مختلفة منها الاستيلاء على منطقتي الالزاس، واللورين، والتعويضات الحربية التي حصلت عليها من فرنسا على اثر انتصارها الحاسم عليها في ايلول 1870 (محمد محمد صالح واخرون، 1985) وفي غضون اقل من نصف قرن (1870-1913) عززت ألمانيا وحدتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية بشكل نادر في التاريخ، إذ سبقت بريطانيا- الموطن الأول للثورة الصناعية- في ميدان الانتاج الصناعي، والتجارة الخارجية، واحتلت المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية في الانتاج الصناعي العالمي مع بداية القرن العشرين، وتزامن كل ذلك مع توزيع افضل المستعمرات بين الدول الأوروبية الكبرى (هاشم صالح التكريتي، 1986؛ محمد كمال الدسوقي، 1969؛ رياض الصمد، 1983). فتحوّلت السياسة الخارجية الألمانية من مبدأ المحافظة على الوضع الراهن، والمحالفات إلى سياسة الاعتماد على امكانياتها الذاتية، والخروج إلى خارج الحدود الجغرافية لأوروبا، ويجاد مكان لألمانيا تحت الشمس (جواد محمد علي محمد رضا، 1982: otto Hammann, 1926).

اولت الاوساط الحاكمة الألمانية منطقة الشرق الاوسط أهمية خاصة لا لحاجتها للاسواق، والمواد الأولية فقط، بل لكونها مقبولة اكثر من معظم الاطراف الدولية الاخرى لدى شعوب الشرق، وحكامه، إذ اختار الالمان تصدير الخبرة العسكرية، فضلاً عن البضاعة الجيدة، والرخيصة وسيلة مثلى للتغلغل، والمنافسة، فتحول الوجود الالمانى في الدولة العثمانية إلى حقيقة مؤثرة خلال مدة قصيرة، فزدادت الصادرات الألمانية للدولة العثمانية في العقد الاخير من القرن التاسع عشر بنسبة 350% (ز.ي. هرشلاغ، 1973؛ محمد كمال الدسوقي، 1976).

فبدأت سياسة التوسع الالمانى للحصول على المستعمرات، ونتيجة السيطرة الكاملة للدول الكبرى على القارات كافة، وجدت ألمانيا ضالتها في الدولة العثمانية، وفي احد أهم ممتلكاتها وهو العراق (عبد الفتاح ابراهيم، 1935).

التوجه الالمانى نحو العراق لم يكن عفويًا بل جاء لعدة اسباب منها موقعه الستراتيجي، وامكانياته الاقتصادية، وخزينة الحضاري بالإضافة إلى اكتشاف النفط فيه منذ بداية القرن التاسع عشر، وبذلك احتل العراق موقعاً متميزاً في تطلعات الساسة، والكتاب الالمان، ولا سيما بين عامي 1871-1914، فأخذ يشغل

موقعاً متقدماً عند قادة ألمانيا الذين رغبوا بجعله احدي مستعمرات الرايخ الالمانى ، فالسيطرة على العراق ، واسيا الصغرى كخطوة اولى لوضع كل منطقة الشرق تحت السيطرة الألمانية ، ومقدمة لسط النفوذ الألماني على العالم كافة على حد تعبير ايفنس ليفي احد التوسعيين الألمان (جواد محمد علي محمد رضا، 1982). فأخذت السياسة الألمانية، والاحزاب ، واصحاب الاموال ، والتوسعيين ، ودعاة الاستيطان كلهم كانوا يخططون باتجاه السيطرة على العراق ، بالاضافة للجانب الاقتصادي الذي ادى دوراً مهماً بالتوجه الالمانى نحو العراق بسبب ازدياد عدد السكان الالمان نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة ، وزيادة الدخل ، فاصبحت ألمانيا بحاجة إلى مواد غذائية ، ومواد زراعية لازمة للصناعة كالقطن ، وحاجتهم إلى كميات كبيرة من المواد الأولية ، وبارخص الاسعار ، وعن اسواق جديدة لتصريف الفائض من الصناعة الألمانية ، لذا كان التوجه نحو العراق (جواد محمد علي محمد رضا ، 1982)، كما سعى الالمان لاستثمار ، واكتشاف الثروات المعدنية في العراق ، وعلى وجه الخصوص النفط الذي اصبح على درجة كبيرة من الاهمية في مطلع القرن العشرين نتيجة استخدامه لاغراض عسكرية ، وصناعية بعد ان تصدر نفط العراق الموقع الرئيسي الأول في الانتاج في الوطن العربي ، وهكذا اصبحت ألمانيا في مطلع القرن العشرين من الدول المنقبة ، والمستغلة لنفط العراق (جورج لوزوشكسي ، 1961 ؛ حكمت سامي سليمان ، 1958) اما بريطانيا فوجدت في ذلك تهديداً لمصالحها السياسية ، والاقتصادية في العراق ، والخليج العربي ، والهند ، بعد ان برزت بريطانيا كدولة قوية ، ومتميزة عن غيرها في مستعمراتها المنتشرة في القارات الخمس ، وكانت محوراً في الصراعات الدولية ، والحركة الاستعمارية العالمية حتى الحرب العالمية الأولى (محمود عبد الواحد محمود ، 1993)، ولا سيما ان بريطانيا كان لها الاسبقية في كافة القضايا في المنطقة ، والتي عملت للمحافظة على الطريق المؤدي للهند عبر العراق ، والخليج العربي ، والذي بات مهدداً بواسطة مشروع سكة حديد بغداد-برلين (قتيبة عبد الله عباس البدرى ، 2011). الامر الذ دفع بريطانيا لتصفية مشاكلها الثانوية مع الدول الاخرى ، وخاصة فرنسا ، وروسيا ، فنتج عن ذلك صراع بين الدولتين ظهرت اثاره بالتنافس الكبير بين المصالح النفطية البريطانية ، والألمانية في الحصول على امتيازات النفط في العراق (نوري عبد الحميد خليل ، 1975 ؛ محمد صالح منسي ، 1972). اثار هذا التقدم السريع لألمانيا في العراق مخاوف بريطانيا ، وقلقها ، مما دفعها إلى اجراء مفاوضات مع ألمانيا ، انتهت باتفاق وقعه وزير الخارجية البريطاني ادور غراي ((Edward Gray والسفير الالمانى في بريطانيا لينوفسكي (Lihnowsky) عرف هذا الاتفاق ب(سلام بغداد) نص على اعتراف بريطانيا بالمصالح الألمانية العثمانية في خط سكة حديد بغداد-برلين من حيدر باشا إلى البصرة ، عد هذا الاتفاق نجاحاً للدبلوماسية الألمانية ، الا ان قيام الحرب العالمية الأولى حال دون التصديق عليه(جودت جلال كامل عبد اللطيف ، 2013) ، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى(1914-1918) ، قدمت ألمانيا للجيش العثماني الخبرات الفنية ، والمساعدات العسكرية للصفود بوجه القوات البريطانية المتقدمة لاحتلال العراق ، فأرسلت العديد من الضباط إلى العراق لتقديم المشورة ، والاسناد للقوات العثمانية ، تمكن هؤلاء الضباط بخبرتهم في الحروب من مساعدة الجيش العثماني في ايقاف تقدم القوات البريطانية نحو بغداد ، واجبارها على التراجع احياناً ، فكان العراق احدي جبهات القتال بين المعسكرين ، وبتقدم القوات البريطانية شمالاً نحو بغداد استطاع القائد الالمانى فون درير غولتز((Von Der Gultz من الحاق الهزيمة بالقوات البريطانية ، واجبارها على

التراجع بعد محاصرتها بالكويت ، واجبار القائد البريطاني طاوزند(Townshend) على الاستسلام بعد حصار دام اربعة اشهر ، الا ان وفاة القائد الالماني غولتز ، وانسحاب قسم من القوات العثمانية إلى جهات اخرى خارج العراق سهل تقدم القوات البريطانية نحو العراق واحتلالها في 11 من اذار 1917 ، وفي 1 من تشرين الثاني 1918 توقفت العمليات العسكرية بين الدول المتحاربة بإعلان هدنة مودروس (رسل براون ، 1985 ؛ عبد الرزاق الحسني ، 1948).

أولاً: العلاقات الألمانية- العراقية 1919-1939

انتهت الحرب العالمية الأولى ، كما هو معروف بانتصار بريطانيا ، وفرنسا ، وكان من نتائجها إنهاء الإمبراطورية العثمانية ، وسيطرة القوى البريطانية ، والفرنسية المتحالفة على المنطقة الممتدة كلها بين البحر المتوسط ، والخليج العربي ، ولم تعد ألمانيا تمثل إحدى القوى ذات الأثر في الشرقين الأدنى ، والأوسط ، فقد أرغم الألمان ، على وفق معاهدة فرساي(1919) على التخلي عن ممتلكاتهم فيما وراء البحار ، وعن حقوقهم وامتيازاتهم كلها الخاصة في البلدان التابعة للدول الأوربية ، كما فقدت ألمانيا امتيازاتها وممتلكاتها كلها في الإمبراطورية العثمانية ، وفي بلغاريا ، وبعد الهزيمة لم يبق لألمانيا سوى قسط قليل من نشاطها الاقتصادي الواسع ، ونفوذها السياسي في الشرقين الأدنى ، والأوسط (سامي مسلم ، 1985 ؛ موريس كروزيه ، 1970). وعلى الرغم من ذلك ، ظلت سياسة التوسع نحو الشرق السمة البارزة التي تميز السياسة الخارجية الألمانية ، وهذه السياسة التوسعية نحو الشرق تحت شعارات براقة ، وخداعة مثل التفاهم مع الشعوب من أجل السلم ، والديمقراطية ، ففي عهد جمهورية فايمار التي تأسست عام 1919 تغير أسلوب السياسة الاستعمارية الألمانية ، لاسيما بعد إنهاء الدولة العثمانية ، إذ أصبح الألمان ينادون بشعار... " العرب ، والألمان هم الذين خدعتمهم إتفاقية فرساي وهم أول ضحايا الاستعمار... " (منى محمد حسون السعدي ، 2017) نهجت ألمانيا سياسة جديدة ، وأظهرت لهذه الشعوب بأنها الدولة المستقيمة المعادية للاستعمار والمؤيدة لنضال شعوب هذه المنطقة ضد السيطرة الأجنبية ؛ وذلك لتسهيل مهمة التوغل السلمي في هذه الدول لتحقيق سياسة التوسع الاستعماري(عدنان رشيد ، 1978).

وواجهت جمهورية فايمار مشكلات في غاية التعقيد ، من أبرزها مشكلة التعويضات التي تضمنتها معاهدة فرساي ، إذ توجب عليها دفع(300)مليون مارك ذهباً سنوياً لتسديد ما رتبته عليها معاهدة فرساي من تعويضات بلغت(132) مليار مارك ، وبذلك تحول التعويض الحربي الذي فرض على ألمانيا بموجب المعاهدة إلى عبء زائد على إقتصادها المنهار ، إذ غدا الفرد الألماني يعيش من دون مستوى الكفاف ، وفي احوال جوع متقن.(نصيف جاسم عباس الاحبابي ، 1994 ؛ نصيف جاسم عباس الاحبابي ، 1989).

وقد أدت الأوضاع الجديدة في ألمانيا إلى تغيير جذري لسياستها الخارجية ، إذ أصبح الغرض الأول للسياسة الخارجية الألمانية إعادة النظر في معاهدة فرساي ، والتحرر من القيود الثقيلة التي فرضتها ، وكذلك إستعادة وضع ألمانيا في أوروبا من جهة أخرى ، وكان من نتائج ذلك أن جمد نشاط ألمانيا في الوطن العربي ، وضعفت إستثماراتها المالية في البلدان العربية التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية (لوكاز هيرزويز ، 1968 ؛ علي محافظة ، 1985). فتراجع النشاط السياسي ، والاقتصادي لألمانيا في الشرق الاوسط عموماً ، والعراق على نحو خاص ، على الرغم مما كان لألمانيا من مصالح اقتصادية ، وثقافية في الاقطار العربية ، (سامي مسلم ، 1985).

أما على صعيد العلاقات السياسية بين البلدين ، فقد شهدت تطوراً ملموساً ، ففي عام 1921 سعت الحكومة الألمانية في الدول التابعة للتاج البريطاني إلى إنشاء ، واعتماد قنصليات جديدة ، ، إذ لم تكتمل سنة ونصف بعد توقيع معاهدة فرساي حتى أمكن لألمانيا إنشاء تمثيلها القنصلي الخاص ، بعدما أوضحت الحكومة البريطانية موافقتها المبدئية بإعادة إنشاء قنصليات ألمانية في المملكة المتحدة ، وكذلك في المستعمرات ، وتحقق ذلك بإعتراف ألمانيا بمعاهدة فرساي ، وهذا ساعد الألمان على تجاوز الاعتراضات البريطانية ضد القنصلية الألمانية التي تهتم على نحو أساس لحماية المصالح التجارية الألمانية ، وليس لتحقيق الواجبات السياسية ، (Mahmoud Kassim, 2000) فكانت المحاولة الألمانية الأولى لإعادة العلاقات مع العراق الطلب الذي قدمته ألمانيا عن طريق سفارتها في لندن برغبتها بتعيين قنصل لها في بغداد وحصلت الموافقة في 7 من كانون الأول 1926 على تعيين وليم لتن (William Litan) قنصلاً في بغداد ، وتم افتتاح القنصلية الألمانية في 7 من كانون الثاني 1927 ، وتم تعيين العلم الاثري يوليوس يوردان (Juleus Jordan) في 9 من كانون الثاني 1930 (فريتز غروبا ، ج 1، 1979).

كان لهذا التطور دور كبير في تنشيط العلاقات التجارية ، والاقتصادية بين البلدين ، إذ لوحظ تقدماً في تصدير البضائع الألمانية إلى العراق ، لكن ذلك لم يقترن بارتفاع مائل في صادرات العراق لألمانيا (حسين طعمة شذر ، 1988). وفي عام 1928 وصل فريق من العلماء مكوناً من احد عشر عالماً إلى منطقة كركوك للتنقيب عن النفط بعد عقد اتفاق لهذا الغرض بين شركة سيمنس (Simians) الألمانية ، وشركة النفط التركية (جودت جلال كامل عبد اللطيف ، 2013). وعلى نحو مرافق لهذه التطورات ، زار الملك فيصل الأول في 8 من آب 1930 برلين ضمن جولة اوروبية بصفة غير بهدف عدم اثاره بريطانيا في فترة حرجة رافقت التوقيع على معاهدة 1930 ، اجتمع فيصل مع الرئيس الالماني هندنبيرغ (Hindenburg)(1925-1934) وعدد من المسؤولين الالمان ، والتقى بعدد من رجال المال والصناعة ، بين لهم عن رغبته بمساهمة الشركات الألمانية في تطوير نفط العراق ، والاستعانة بالخبرة الألمانية ، والتقدم الفني لتطوير العراق ، وحث الحكومة الألمانية من خلالها على المشاركة بالامتياز الممنوح لها من خلال (شركة انماء النفط البريطانية) وقد ابدى المسؤولون الالمان ترحيبهم ، واستجابتهم لمقترحات الملك فيصل ، والعمل على عودة النشاط الالمانى ، ومساندتهم للعراق في مسألة قبوله في عصبة الأمم (جودت جلال كامل عبد اللطيف ، 2013 ؛ فريتز غروبا ، ج 1 ، 1979). أما النشاط الثقافي الالمانى ، فلم يكن واضحاً في تلك الم ويمكن تلخيصه بموافقة الحكومة الألمانية عام 1931 على قبول طالبين مبعوثين من الحومة العراقية إلى جامعة برلين ، وفي تموز من العام نفسه ، وافقت الحكومة العراقية على جلب اخصائي عيون ألماني الدكتور فرنسيس كولدنار (Frances Gouldnar) للعمل في طبابة العيون في الموصل (حسين طعمة شذر ، 1988).

إنَّ الوضع السياسي في أوروبا جعل ألمانيا تتفادى أي نوع من الخلاف للقوى الغربية ، وهذا لا ينطبق فقط على أوروبا على نحو خاص ، وإنما أيضاً على بلاد الشرق كذلك.

ففي عام 1926 اصبحت ألمانيا عضواً في عصبة الأمم ، وكان بإمكانها-رسمياً- ان يكون لها صوت مسموع في المسائل المتصلة بالعراق ، وفلسطين ، باعتبارها بلداً خاضعة للانتداب البريطاني ، لكن ألمانيا لم تقد من هذه الإمكانيات المحدودة نسبياً ، إذ كان أهم ما يعينها استعادة وضع ألمانيا في اوربا ، لهذا كان من الطبيعي

ان تتجنب القيام بأي نشاط سياسي في البلدان الخاضعة للسيطرة البريطانية (منى محمد حسون السعدي، 2017).

بعد أن استوفى العراق الشروط التي تؤهله للدخول في عصبة الأمم، أعلن مجلس العصبة قبول العراق عضواً في 3 تشرين الأول 1932، انتهى حكم الانتداب، وأصبح العراق دولة مستقلة، إلا أن النفوذ البريطاني لم ينته، وأن هذا الاستقلال كان شكلياً أكثر منه عملياً، وواقعياً، بحكم المعاهدة التي تم المصادقة عليها في 30 حزيران 1930 التي قيدت علاقات العراق الخارجية، وجعلتها مرتبطة ببريطانيا بما فيها من فقدان لمظاهر الاستقلال الخارجي، وتبعياتها الكثيرة التي لا تعود على العراق بأي فائدة، والتي حققت لبريطانيا مكاسب جديدة الأمر الذي جعل استقلال العراق منقوصاً (وسام هادي عكار التميمي، 2010؛ فاروق صالح العمر، 1977؛ حسين محمد الشبيبي، 1973).

شهدت فترة بداية استقلال العراق تطوراً ملموساً في العلاقات السياسية مع ألمانيا، ولا سيما بعد أن ايدت ألمانيا طلب العراق بدخول عصبة الأمم، فقد كان لألمانيا السبق من بين دول العالم في ترحيبها بإعلان قبول العراق في عضوية الأمم، وذلك من خلال برقية التهنئة التي أرسلها رئيس هندنبرغ إلى الملك فيصل الأول (عبد المجيد كامل التكريتي، 1991)، في 8 تشرين الأول 1932 فانعكس ذلك على طبيعة العلاقات بين البلدين لزيادة التقارب بينهما في مختلف المجالات، إذ عمدت ألمانيا إلى رفع تمثيلها الدبلوماسي من قنصلية إلى مفوضية في 25 تشرين الأول 1932، وأصبح فريتز غروبا وزير مفوضاً، ومدنوب فوق العادة لألمانيا في العراق، فلقى هذا الاجراء قبولاً، واستحساناً من قبل الحكومة العراقية والراي العام، وعد بادرة لتوثيق العلاقات بين البلدين، وتعزيزها (حسين طعمة شذر، 1988).

شكل صعود النازية إلى الحكم بتولي هتلر (بنامين ايل، 1965؛ علي مولاه، ج7، 2010؛ Fritz Redlich، 1999، في الثلاثين من كانون الثاني 1933 نقطة تحول كبيرة على الصعيد الداخلي، والخارجي. فحاول هتلر فرض نفوذه على الساحة السياسية في ألمانيا بتصفية الاحزاب جميعها التي تمارسها نشاطها في ألمانيا، والفي صلاحيات الحكومات المحلية، وأمر بمصادرة ممتلكات الجمعيات التعاونية (منى محمد حسون السعدي، 2017؛ محمد شكري فؤاد، 1947).

انتهز النازيون كل ثغرات جمهورية فايمار، والمشكلات الناجمة عن الازمة الاقتصادية العالمية (1929-1933) (إيمان متعب يحيى النعيمي، 2003) التي هزت ألمانيا أكثر من أي دولة اوروبية اخرى، إذ وعد هتلر النازيين العاطلين عن العمل بإلغاء البطالة، ورفع الاجور، وتحسين الاوضاع الاقتصادية (منى محمد حسون السعدي، 2017؛ العالم العربي (صحيفة)، 1932). بإحداث متغيرات سياسية، واقتصادية لاستعادة مكانة ألمانيا الدولية، بإيجاد اسواق خارجية للحصول على العملة الاجنبية التي تعاني من نقصها، وظهر هذا التوجه بخطاب هتلر في 3 شباط 1933 الذي عبر فيه عن طموحه بفتح اسواق الشرق امام المنتجات، والبضائع الألمانية، وعدها مجالاً حيواً للمنتجات الألمانية. لما كان للتجارة الخارجية من أهمية كبيرة في الاقتصاد الألماني الذي اعتاد على انتاج أكثر من حاجة ليتمكن من استيراد ما يحتاجه من المواد الأولية، الزراعية (نظام عباسي، 1945؛ حسين طعمة شذر، 1988).

على الرغم من ان السياسة الألمانية في بداية الثلاثينيات لم تضع في اولوياتها اقامة دعائم مستقبلية في المنطقة العربية، وبضمنها العراق لافتقار النازيين في بداية وصولهم إلى القوة الكافية التي تمكنهم من مواجهة الاستعمارين البريطاني، والفرنسي في الشرق الاوسط (جودت جلال كامل عبد اللطيف، 2013). لذا كان تعامل ألمانيا التجاري مع بلدان الشرق العربي، والعراق خاصة ضئيلاً، فخلال هذه الفترة لم تصل العلاقات الاقتصادية بين ألمانيا، والعراق إلى مستوى الطموح، ففي العراق بقيت بريطانيا تفرض سيطرتها على التجارة الخارجية على الرغم من حصول العراق على استقلاله في عام 1932، بالإضافة إلى ما كان يعاني منه الاقتصاد العراقي في مختلف جوانبه من انخفاض في معدلات الانتاج الزراعي خاصة، وتأثير الازمة الاقتصادية العالمية عليه بشكل عام (حسين طعمة شذر، 1988).

وبهذا نستطيع فهم طبيعة النشاط الالمانى، وتركيزها على سياسة خارجية تستهدف إلى توسيع النشاط الاقتصادي مع العراق دون التورط في القضايا السياسية، وتمثل النشاط الدبلوماسي الالمانى ب(فريتز غروبا)(1932-1939)، وبعض الشخصيات الألمانية الأخرى التي ساهمت في الترويج للثقافة الألمانية بين المثقفين العراقيين، بغية لفت الانظار إلى ألمانيا، وتقريب وجهات نظر الساسة العراقيين لتكوين علاقات اقتصادية، وسياسية مع ألمانيا، ولهذا قررت الحكومة العراقية في 30 آذار 1933 تأسيس مفوضية في برلين، وتعيين مفوض وزير لها، ويكون مقره في روما، رحبت الحكومة الألمانية بتأسيس المفوضية العراقية، وبالمقابل عمدت الحكومة الألمانية إلى توسيع نشاطها الدبلوماسي في العراق، ففتحت قنصلية عامة في بغداد في 3 نيسان 1933 على ان تكون مندمجة مع المفوضية، واختارت لهذا المنصب الوزير المفوض فريتز غروبا نفسه، وصادقت على تعيينه لحماية المصالح التجارية الألمانية، وتوسيعها، وعهدت اليه بالتوقيع على المعاهدات مع العراق (حسين طعمة شذر، 1988).

ان التدخل البريطاني في شؤون العراق الداخلية، واستقلال العراق، ودخوله عصبة الأمم من أهم الاسباب التي دفعت بعض الساسة العراقيين إلى محاولة الخروج من طوق النفوذ البريطاني، والسعي لإقامة علاقات متوازنة مع دول اجنبية اخرى لحل بعض مشاكل العراق السياسية، والاقتصادية، بما ينسجم مع التوجهات الألمانية التي كان لها الكثير من الانصار في العراق، ولا سيما بعد ان مارس الالمان في العراق في الثلاثينيات نشاط دعائي الهدف منه مواجهة النفوذ البريطاني المتنامي (جودت جلال كامل عبد اللطيف، 2013).، والترويج للدور الالمانى بين العناصر الوطنية العراقية التي ابدت اعجابها بألمانيا داعية للتقرب منها املاً في كسب تأييدها للقضايا الوطنية، والقومية لها عرف عن موقف هتلر المعادي لليهود، الذي جاء منسجماً مع الموقف العربي الداعي إلى انقاذ فلسطين منهم (د.ك.و.، 762/311 البلاط الملكي، المفوضية الملكية العراقية في برلين، بالرقم س/ 1072/13/318/318 بتاريخ 13 كانون الأول 1944 و38؛ رؤى ماهر بدري جبل الجنابي، 2014؛ احمد خضير عباس، 2014). وفي الوقت ذاته، كان لوفاة الملك فيصل الأول في 8 ايلول 1933، وتولي ابنه غازي (1933-1939) لعرش (حسام الساموك، 2005). وانتهاجه سياسة خارجية تجاه بعض الدول الأوروبية، وفقاً للمصالح الوطنية، والقومية للعراق، وجاء تقاربه مع ألمانيا تجسداً واضحاً لهذا النهج الجديد الذي ينأى عن السياسة البريطانية غير المتوافقة مع المصالح العراقية، ومحاولة الملك غازي الاستقلال في ممارسة صلاحياته الدستورية لتحقيق اهدافه الوطنية والقومية (مجيد خدوري، 1938). من خلال اظهاره نوع

من التوازن في السياسة الخارجية بتباعه سياسة لا تتناقض مع المصالح البريطانية ، والتزامه ببنود معاهدة 1930 ، على الرغم من اعجابه بألمانيا ، ومحاولته التقرب منها لما احرزته من تقدم سريع في مجال التسليح رغبة منه بتطوير الجيش العراقي وتزويده بالسلاح (لطي جعفر فرج ، 1987). وفي ظل هذا التقارب ، جرت اتصالات شكلية بين العراق ، وألمانيا ، ممثلة بالملك غازي ، والزعيم الالمانى هتلر ، فقد هنا هتلر الملك غازي في 8 من أيلول 1933 بمناسبة توليه العرش ، وقام الملك غازي بالمبادرة ذاتها في 22 من آب 1934 بمناسبة تولي هتلر منصب المستشارية في ألمانيا (حسين طعمة شذر ، 1988).

ادى اتساع قوة ألمانيا في العقد الرابع من القرن العشرين ، وحاجتها إلى الاسواق الخارجية ، والمواد الأولية إلى الاندفاع نحو الشرق العربي ، إذ ابدى هتلر بعد توليه الحكم في ألمانيا اهتماماً كبيراً في تطوير الاقتصاد الالمانى ، ولم تمض مدة قليلة حتى اخذ الاقتصاد الالمانى ينافس المصالح البريطانية ، والفرنسية في العالم محققاً الكثير من النجاح في هذا الميدان (د.ك. و. ، 311 / 762 البلاط الملكي ، المفوضية الملكية العراقية في برلين بالرقم س / 9/8 بتاريخ 22 كانون الأول 1936 ، و63 ؛ عمار شاكر محمود ، 2013). إذ ازدادت الصادرات الألمانية في عام واحد فقط من حكم النازيين لها ، فارتفعت من (68,462) مليون مارك إلى (82,228) مليون (وليم شرر ، ج 1 ، 1966 ؛ حسين طعمة شذر ، 1988)، فأصبحت ألمانيا بحاجة إلى اسواق لتصريف منتجاتها ، فقد تراكم لديها فائض أكبر من الانتاج الصناعي الرخيص نسبياً ، بفعل جودة البضاعة الألمانية ، وسعرها المنخفض نسبياً ، وعن طريق الصفقات التجارية المربحة التي عقدتها مع عشرات الدول عن طريق مفاوضات نالت اعجاب الكثير من الاقتصاديين (نصيف جاسم عباس الاحبابي ، 1989 ؛ الدكتور شاخت ، 1937).

تطور النشاط التجاري ، والاقتصادي الألماني في العراق على نحو في هذه الهدة ، فقد قدمت الحكومة الألمانية للعراق في 31 من آذار 1934 ضمانة مالية قدرها (125) ألف جنيه استرليني ذهب لاكمال مشاريع التنقيب عن النفط ، و25 من حزيران من العام نفسه قدمت ألمانيا ضمانة اخرى قدرها (500000) ألف جنيه استرليني لتنفيذ خطة مد سكة حديد من يبجي عبر الموصل إلى تل كوجك على الحدود العراقية السورية (فريتز غروبا ج 1 ، 1979). بالإضافة إلى قروض اخرى اكدت تطور العلاقات بين العراق وألمانيا (فريتز غروبا ، ج 1 ، 1979). وفي 25 من تشرين الثاني 1934 ، اعرب هتلر للملك غازي برسالة سلمها الوزير المفوض في بغداد فريتز غروبا عن رغبته في توطيد علاقات المودة بين البلدين ، وبمناسبة ولادة الامير فيصل الثاني (طارق ابراهيم شريف ، 2011 ؛ سامي مسلم ، 1985). ارسل هتلر برفقة تهنئة إلى الملك غازي ، الذي ارسل بدوره برفقة شكر جوابية (لطي جعفر فرج ، 1987). ومهما يكن ، لم تخرج العلاقات الألمانية-العراقية خلال الهدة (1933-1936) عن المجالين التجاري ، والثقافي ، إذ كان من الطبيعي ان تسير سياسة الرايخ الثالث في الاتجاه نفسه لبعض الوقت بعد سقوط جمهورية فايمر عام 1933 أو فيما بعد على أن تتجنب القيام بنشاط سياسي في البلدان الخاضعة للنفوذ البريطاني ، والفرنسي. وهذا ما أكدته دائرة الشرق في وزارة الخارجية الألمانية بتاريخ في السابع عشر من تموز 1933 ، التي حذرت من اي شكل من اشكال الاتصالات من اجل تعاون سياسي مع العرب ، إذ بينت هذه الدائرة ان اية خطوة نحوهم ستصل "الى لندن وباريس ... باسرع وقت." ، كما أكدت المذكرة أن سياسة ألمانيا الخارجية ستستمر في الشرق على غرار ما كانت عليه في الماضي ، وهي تسعى إلى

رعاية مصالحها الاقتصادية، والإمتناع عن القيام بأية خطوة يمكن ان تهدد مكانة بريطانيا، وفرنسا في المنطقة (منى محمد حسون السعدي، 2017). إذ تطلبت هذه السياسة وجود قاعدة إقتصادية متينة تكمن أهميتها من بنائها الإقتصادي القوي الذي يقوي قدراتها الإقتصادية، والسياسية، والعسكرية، بفضل ماورثته من عهد فايمار، وبتحويل العامل الألماني إلى رقيق صناعي مرتبط بسيدته صاحب العمل بحسب تعبير وليام شير (وليام شرر، 1966؛ عبد الرحمن عبد الغني، 1995). ففي المجال التجاري، عقدت ألمانيا معاهدة تجارية مع العراق في 4 آب 1934 نظمت المعاهدة الحركة التجارية بين البلدين التي شهدت تزايداً واضحاً خلال هذه المدة، تضمنت المعاهدة سبع مواد، أساسها معاملة كل من الدولتين المتعاهدتين للأخرى معاملة تفضيلية في المسائل الكمركية، وحرية النقل، والمعاملة المختصة بالعينات والنماذج، وفي التكاليف الداخلية المفروضة على أساس إنتاج وصنع البضائع، نتج عن هذه المعاهدة زيادة الصادرات العراقية بنسبة (26%) عام 1936 عن العام الذي سبقه، كما حققت ألمانيا فائدة كبيرة، إذ انتقلت من المرتبة العاشرة من بين الدول التي تستورد البضائع من العراق إلى الموقع السابع متقدمة بذلك على إيطاليا، وهولندا، وفرنسا (نظام عباسي، 1984؛ عبد الرزاق الحسني، ج4، 1977). وتأكيداً للعمل بمضامين المعاهدة ودعماً لاستمرار التعاون التجاري بين الطرفين دعت ألمانيا بعد أيام من توقيع المعاهدة التجار العراقيين للمشاركة في عرض منتوجاتهم خلال اقامتها معرض لايبزك (Leipzig) التجاري الدولي في ألمانيا (وليد عبود محمد شبيب الدليمي، 1999). اما من الناحية الثقافية، ولغرض تطوير التعليم في العراق، استقدمت وزارة المعارف الخبير الألماني سودهوف (Sohdhoof) لاستشارته في تأسيس مدرسة صناعية في العراق بعد موافقة الحكومة العراقية في 24 من كانون الثاني 1934، وصل سودهوف إلى بغداد في نيسان من العام نفسه، وبعد اطلاعه على اوضاع التعليم قدم تقريراً للحكومة العراقية حول السبل الكفيلة لتقويم اوضاع التعليم الصناعي في العراق (جودت جلال كامل عبد اللطيف، 2013)..

وفي الاطار نفسه، وافقت الحكومة العراقية عام 1935 على استخدام الخبير الألماني هوبر (Hoper) لإلقاء المحاضرات في اللغة الألمانية في المدارس الثانوية العراقية، والإفادة من عقيلته لتدريس التربية الرياضية في الثانوية المركزية للبنات في بغداد، اما فيما يخص البعثات العلمية، ونظراً لتفوق ألمانيا في بعض الاختصاصات المهمة كالطب، والهندسة، ارسلت الحكومة العراقية عدداً من البعثات العلمية إلى ألمانيا، حتى وصل مجموعهم إلى ثلاثين طالباً عام 1939، إلى جانب ثلاثين طالباً عراقياً ممن كانوا يدرسون في الجامعات الألمانية على نفقتهم الخاصة، واغلبهم كانوا ينتسبون إلى كلية الطب (حسين طعمة شذر، 1988). كان للصحافة العراقية دور كبير في توسيع العلاقات الثقافية، والعلمية مع ألمانيا، من خلال المقالات التي قامت بنشرها لهذا الغرض، والتي توضح فيها مكانة ألمانيا العلمية وما تقدمه من تسهيلات وخدمات للطلاب الدارسين في الجامعات الألمانية، مما زاد في عدد الطلبات المقدمة إلى وزارة المعارف لغرض الحصول على مقاعد دراسية في ألمانيا (يونس بحري، 1968).

وفي مجال الآثار والتنقيب، زار العراق عدد كبير من البعثات الأثرية الألمانية، عملت في مواقع اثرية عديدة في انحاء العراق، وقدمت دراسات، وبحوثاً في هذا المجال، وتعاقدت الحكومة العراقية مع خبراء اثار

ومهندسين في هندسة المدن لوضع تصميم لبناية المتحف العراقي ، وكذلك تصميم لمدينة بغداد (حسين طعمة شذر، 1988).

وهكذا، فقد حققت ألمانيا تقدماً واضحاً في العراق ، مما اسهم في تزايد النفوذ ، والمصالح الألمانية في العراق ، ولغرض زيادة التعاون التجاري بين ألمانيا والعراق ، ايجاد افضل السبل لتحقيق التعاون الاقتصادي ، زار العراق في 25 من تشرين الثاني 1936 وزير الاقتصاد الالماني الدكتور شاخت (Schacht) ، والتقى وزير الخارجية العراقي ناجي الاصيل ، ووزير المالية جعفر ابو التمن ، تبعه ولهام فونس فلوكه (Wilham Von Flogai) في اذار 1937 وهو اخصائي الماني كان هدفه ايجاد افضل السبل للتعاون التجاري بين البلدين ، إذ طلبت الحكومة العراقية من ألمانيا تجهيز العراق ببعض المواد التجارية عن طريق الشركات الألمانية كمحطات توليد الكهرباء ، وبلغت قيمة ما صدر الالمان إلى العراق في عام 1937 من ستة إلى سبعة ملايين مارك ، كما بلغت قيمة الواردات الألمانية من العراق من المواد الزراعية ، ومواد اخرى في العام نفسه ما مقداره (1,9) مليون مارك ، وقد اظهرت المؤسسات الألمانية اهتماماً متزايداً بالعراق لكونه سوقاً لتصريف مواردها الصناعية ، ورغبة منها بالحصول على العملة الاجنبية (حسين طعمة شذر ، 1988)..

اما فيما يخص المجال العسكري ، وشؤون الدفاع ، لتوسع الجيش العراقي ، وتسليحه بالاعتماد على موارد البلاد الذاتية ، والتوفيق بين الاغراض العسكرية ، والمدنية ، وبعد تردد الحكومة البريطانية بشأن توريد اسلحة اليه بحجة ان الجيش البريطاني بحاجة ماسة لتلك الاسلحة ، والتجهيزات الحديثة اتجه العراق نحو ألمانيا ، وعلى وفق ذلك قدم إلى العراق ممثلين عن شركات المانية مثل شركة راين ميتال بورسنك ((Rheinmetal Borsing) من برلين ، وشركة اوتو فولف (Ottowalf) من كولون ، قدمت لهما وزارة الدفاع العراقية قوائم بحاجاتها من الاسلحة لتجهيز الجيش العراقي وتم الاتفاق مع الشركتين لتجهيز العراق بثمانية عشر مدفعاً عيار (2ملم) مع ثمانية عشر ألف قذيفة ، بلغت اسعارها نحو مليون مارك (فريتز غروبا ، ج 1 ، 1979).

وتلبية لدعوة الألمانية ، قررت وزارة المعارف ايفاد عشرين طالباً من المدارس الثانوية المشمولين بنظام ألفتوة إلى ألمانيا للمشاركة في تجمع شباب هتلر الذي يقام بمناسبة العيد الوطني الالماني خلال النصف الأول من ايلول عام 1938 (وليد عبود محمد شبيب الدليمي ، 1999). حظي الوفد العراقي عند وصوله لألمانيا بترحيب كبير الذي زار بعض المواقع التاريخية الألمانية ، ومتحف الاسلحة ، وهكذا مثل العراق في اكبر مؤتمر عرفته أوروبا في تاريخها المعاصر ، وعند عودة الوفد قدمت وزارة الخارجية العراقية شكرها إلى الحكومة الألمانية تقديراً للحفاوة الذي استقبل بها الوفد خلال وجوده في ألمانيا ، وكان لاستقبال هتلر للوفد صدهاء في الاذاعة العراقية التي اذاعت تفاصيل مطولة عن العلاقات العراقية الألمانية وتطورها (يونس بحري ، 1968 ؛ لطفي جعفر فرج ، 1987).

ولأجل تنشيط حركة التبادل التجاري بين البلدين ، كثفت الشركات الصناعية ، والتجارية الألمانية من نشاطها لإجراء مداورات عديدة بينها وبين المؤسسات التجارية العراقية في بغداد ، والبصرة ، وابدت رغبتها في شراء ما تحتاج اليه من مواد الخام كالقطن ، الجلود ، والحبوب ، والمصارين ، والعصص مقابل ما يستورده

التجار العراقيون من المنتوجات الألمانية من الحديد ومنسوجات قطنية ، وصوفية ، كان لهذه المبادرة اثارها الكبير في تطوير العلاقات الاقتصادية بين العراق ، وألمانيا (حسين طعمة شذر ، 1988).
اتساع التعاون بين البلدين ، اثار مخاوف بريطانيا ولا سيما بعد ان لوحظ ان الوزير المفوض الالماني فريتز غروبا على صلة مستمرة بالملك غازي بوساطة بعض العناصر القومية التي تؤمن بالتعاون مع ألمانيا، اضعف ذلك إلى قلق البريطانيين من اذاعة الملك غازي لكونها مظهر من مظاهر الدعاية الألمانية ، وتحاملها على السياسة البريطانية وتهديد مصالحهم ، اذا علمنا ان الاذاعة كانت هدية هتلر للملك غازي عام 1938 ، اضعف إلى مشاعر الود التي اظهرها الرأي العام العراقي اثره في اثاره مخاوف بريطانيا وقلقها (يونس بحري ، 1968 ؛ لطفي جعفر فرج ، 1987).

إذ عدت الدعاية الألمانية من الاسلحة القاطعة التي اجاد النازيون استعمالها منذ عام 1933 حين تولي الحزب الحكم ، وفي السنوات الثلاث التي الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص ، ازداد الاهتمام الالماني بالشؤون العربية ، والاسلامية مما وجد صدهاء في وسائل الاعلام والصحافة الألمانية ، فضلاً عن ذلك اخذت الحكومة الألمانية تهتم بتنظيم الجمعيات التي تهتم بالشرق الادني ، وكذلك الاهتمام بتنظيم الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في ألمانيا ، فأصبحت البلدان العربية مسرحاً للدعاية النازية التي لجأت إلى طرائق شتى كتشجيع الرحلات إلى ألمانيا ، والدراسات فيها ، ودفع اجور الاعلانات الخاصة بالاتصالات الشخصية (احمد كامل منصور ، 2012).

تزامنت هذه الاحداث مع توتر الوضع الدولي المنذر بنشوب حرب بين الدول الاوربية ، فحاولت بريطانيا تذكير الساسة العراقيين بالتزاماتهم تجاه معاهدة 1930 ، في حين سعت البعثة الألمانية لاستغلال الرأي العام المساند للحصول على تعهد بوقوف العراق على الحياد في الأقل في حالة نشوب الحرب ، وابدى فريتز غروبا نشاطاً ملحوظاً بهذا الخصوص ، فالتقى رئيس الوزراء العراقي جميل المدفعي (17 آب 1937-25 كانون الأول 1938) (عبد الرزاق الحسني ، ج 10 ، 1977 ، استفسر عن موقف العراق من ألمانيا في حالة نشوب الحرب بينها ، وبين بريطانيا ، وقد اجابه رئيس الوزراء " ان العراق كحليف لبريطانيا سيكون مضطراً إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا ، الا انه غير مضطر إلى اعلان الحرب عليها" (فريتز غروبا ، ج 2 ، 1979) .
لكن موقف الرأي العام العراقي المتأثر بألمانيا وازدياد الدعاية الألمانية إلى جانب القضية الفلسطينية ، دفع جميل المدفعي إلى تغيير موقفه ، وذلك خلال لقائه فريتز غروبا في 28 ايلول 1938 حيث أشار إلى ان العراق وبسبب تعاطفه مع ألمانيا فانه سوف ينتزع جانب الحياد في حالة نشوب الحرب بين بريطانيا وألمانيا وانه يستغل اية فرصة ممكنة توفرها له معاهدة عام 1930 مع بريطانيا لتأجيل تطبيق اي قرار يتخذ ضد ألمانيا (لطفي جعفر فرج ، 1987).

. ادرك غروبا بعد هذه المقابلة ان السياسة العراقية لم تزل مقيدة بالسياسة البريطانية ، ومما زاد من هذا الامر الاوضاع الدولية التي تندر باحتمال حرب بين ألمانيا وبريطانيا ، وبهذا يمكن الإشارة إلى حالة من الضعف قد بدت واضحة في علاقات ألمانيا السياسية مع العراق منذ اواخر 1938 واولائل 1939 (يوندرايفسكي ، 1977).
ومما زاد من حالة الضعف تسلم نوري سعيد رئاسة الحكومة الجديدة في 25 كانون الأول 1938 (عبد الرزاق الحسني ، ج 10 ، 1977). كان معروفاً بميله لبريطانيا ، ومناوئته لألمانيا ، توقف شحن الاسلحة الألمانية وفق

الاتفاق المبرم في اواخر 1938، كما توقف مشروع تأسيس المدرسة الصناعية أفنية في بغداد، إذ كانت الجمعية الألمانية للتعليم قد ابدت استعدادها في كانون الأول 1938 لبنائها، فقد أكد نوري سعيد ان فكرة تأسيس المدرسة، والتي جاءت بفعل وتشجيع غروبا انما يراد منها ان تكون ((نواة لمؤسسة تخريبية لحساب الالمان)) (نجدة فتحي صفوت، 1984). وبشكل عام، ان مجيء نوري سعيد شكل فرصة لبريطانيا حاولت استغلالها بما ينسجم ومصالحها في وقت كان نذر الحرب تلوح بالأفق .

ثانياً: الحرب العالمية الثانية والموقف العراقي منها

بدأت الاحداث في أوروبا تسير نحو الصدام المسلح بعد فشل المفاوضات بين تلك الدول لتسوية خلافاتها بسبب تعنت ألمانيا، وإصرارها على التوسع على حساب الدول المجاورة لها، مما أثار مخاوف كل من بريطانيا، وفرنسا على نفوذهما في المناطق التي ينوي هتلر ضمها إلى ألمانيا، وازاء هذه التطورات بدأت كل من ألمانيا، وبريطانيا تعملان عن طريق سفرائهما لكسب ود الدول التي يعملون فيها لو اندلعت الحرب((Shirer, William, 1960). وعلى الرغم من أن مسرح العمليات العسكرية في مستهل الحرب العالمية الثانية كان بعيداً عن منطقة الشرق الاوسط؛ إلا أن المنطقة كانت محط اهتمام كلا الطرفين المتحاربين (نجدة فتحي صفوة، 1999؛ سفير محمد السعد، 1990).

وبطبيعة الحال، فان الازمة العالمية التي احدثها الخطر النازي، كان مناسبة لوضع نصوص معاهدة 1930 موضع التنفيذ بمقتضى الامتيازات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية التي تضمنتها المعاهدة، إذ ان السفارة البريطانية في العراق كانت تفسر هذه النصوص على انها تقتضي من العراق الوقوف إلى جانب بريطانيا في حال قيام الحرب(منى محمد حسون السعدي، 2017) لذا زار سفيرها بازل نيوتن(Baziz Newton)، وزير الخارجية العراقي علي جودت الايوبي طالباً منه قطع العلاقات مع ألمانيا، ويعلن الحرب عليها، عرض الايوبي بدوره الامر على رئيس الوزراء نوري السعيد الذي بادر في 5 من ايلول 1939 إلى عرض الموضوع على مجلس الوزراء، فوافق الاخير على قطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا، وتسفير رعاياها خارج العراق، وقد ورد في الاعلان " نظراً إلى الوضع العالمي الراهن وما يمكن ان يتولد من وجود الرعايا الالمان في العراق من ارتباكات، قرر مجلس الوزراء تسفير الرعايا المذكورين وقطع علاقات العراق مع الحكومة الألمانية وتخويل وزيرى الخارجية والداخلية اتخاذ ما يلزم من تدابير لهذا الغرض " (عبد الرزاق الحسني، 1971).

كانت تلك التطورات موضع انتقاد من بعض الساسة العراقيين، فقد اعترض وزير الدفاع طه الهاشمي ووزير العدلية محمود صبحي الدفتري، ووزير المالية رستم حيدر، ورئيس الديوان الملكي رشيد عالي الكيلاني على رغبة نوري السعيد باعلان الحرب على ألمانيا، كما عدت الاوساط السياسية في العراق اصرار نوري السعيد وتنفيذه لقطع العلاقات مع ألمانيا بانه خطأ كبير (فريتز غروبا، ج2، 1979)، وفي اليوم نفسه، ابلغ وزير الخارجية علي جودت السفير الالمانى فريتز غروبا بقرار الحكومة العراقية رسمياً، وطلب منه مغادرة البعثة الألمانية في العراق خلال اربع وعشرين ساعة تحت حراسة الشرطة عن طريق سوريا، وابرقت إلى القائم بإعمال السفارة العراقية في برلين عطا امين بان يطلب من الحكومة الألمانية منحه جواز سفره ومغادرة ألمانيا مع موظفي المفوضية العراقية هناك (فريتز غروبا، ج2، 1979؛ عبد الرزاق الحسني، 1971). اما الوصي عبد الاله فقد ارسل برقية إلى الملك جورج السادس (George VI) (1936-1952) - ملك بريطانيا- اكد فيها التزام

العراق بمعاهدة الصداقة والتحالف مع بريطانيا نصاً، وروحاً، أما نوري السعيد فقد عطل مجلس النواب، ولجأ إلى اصدار المراسيم المخالفة للدستور والهادفة إلى قمع كل معارضة لسياسته الموالية لبريطانيا، وكان من بين تلك المراسيم مرسوم مراقبة النشر رقم(54) لسنة1939، ومرسوم الطوارئ رقم(57) للعام نفسه، منتهكاً بذلك الحقوق والحريات التي كفلها الدستور للشعب(حامد الحمداني، 2016). وتطبيقاً لمعاهدة 1930، فتح نوري السعيد الباب على مصراعيه للقوات البريطانية لكي تحتل العراق من جديد، وليصبح العراق طرفاً في حرب استعمارية لاناقة له فيها ولا جمل.

كما اصدر نوري السعيد وزير الداخلية امراً بالقبض على الرعايا الالمان الموجودين في العراق وسلموا للسلطات البريطانية التي ارسلتهم إلى الهند اسرى حرب، اما اعضاء الهيئة الدبلوماسية فقد اعيدت اليهم جوازات سفرهم تمهيداً لسفرهم إلى ألمانيا، كما تولت السفارة الافغانية المصالح الألمانية في العراق(عبد الرزاق الحسني، ج5، 1977)، تمثل رد فعل الحكومة الألمانية بعد وصول نبا قرار العراق بقطع العلاقات الدبلوماسية بمحاصرة دار المفوضية العراقية في برلين ووضعت حرساً من الشرطة عليه، كما قامت بقطع هاتف المفوضية لعزلها عن الخارج، وقد احتج القائم بالإعمال العراقي عطا امين على هذا الاجراء لدى الخارجية الألمانية التي اكدت ان تلك الاجراءات جاءت لجهل الحكومة الألمانية مصير فريتز غروبا والرعايا الالمان في العراق منذ قطع العلاقات الدبلوماسية، ثم خففت الاجراءات وبدأت البعثة العراقية والرعايا العراقيون بمغادرة ألمانيا، وكلفت المفوضية الافغانية برعاية المصالح العراقية في ألمانيا، ان ألمانيا بهذا الاجراء قد نقضت وعودها التي اعربت عنها للقائم بالإعمال العراقي في برلين قبل قيام الحرب، وعن رغبتها في ابقاء المفوضية العراقية، ومزاولة اعمالها حسب المعتاد عند نشوب الحرب، والابقاء على العراقيين في ألمانيا وان يتمتعوا بكامل حريتهم (لوكاز هيرزويز، 1968). قوبل قرار الحكومة العراقية بقطع العلاقات باهتمام وارتياح من جانب الحكومة البريطانية، كما ابدت الصحف اهتمامها بالقرار المذكور، واثنت عليه (حسين طعمة شذر، 1988).

طراً تغير كبير على الموقف العسكري في أوروبا نتيجة إجتياح الجيوش الألمانية اراضي كل من بولندا، والنرويج، وبلجيكا، وهولندا، والدانمارك، وتوغلها في الاراضي الفرنسية، إذ لم تستطيع القوات البريطانية والفرنسية الصمود أمامها، ادت هذه التطورات إلى الاعتقاد بان بريطانيا ستسقط بعد ان سقطت فرنسا مما كان له أثره في تحول الرأي العراقي عن بريطانيا في وقت فشلت فيه الجهود العربية في الحصول على تعهدها بحل القضايا العربية ولا سيما ما يتعلق بفلسطين (د.ك.و.، البلاط الملكي 311/729، المفوضية الملكية العراقية في مصر كتاب بالرقم 5/207/5 بتاريخ 1 تموز 1940، و38؛ جعفر عباس حميدي، 1976؛ معاذ هلال جاسم، 2013؛ فؤاد صروف، 1945؛ زيفغريد كوغلفرانتس، 1992). تسارعت الاحداث في اثناء ذلك، وتطور المشهد العسكري على الساحة الاوربية، ودخلت ايطاليا الحرب في العاشر من حزيران 1940، وادت الانتصارات العسكرية الألمانية إلى رد فعل لدى الحكومة البريطانية التي أبدت قلقها من موقف الحكومة العراقية بعدم اعلان الحرب على دول المحور، الامر الذي أدى إلى تطور موقف كل العراق، وبريطانيا تطوراً جوهرياً(د.ك.و.، البلاط الملكي 311/724 المفوضية الملكية العراقية في مصر كتاب بالرقم

د/1602/600/472/472 بتاريخ 25 كانون الأول 1943، و24؛ عبد الخالق لاشين، 1977 ; Little (Tom,1967).

فأدرك الساسة العراقيون ، بان الحيداد في الحرب هي السياسة المثلى التي يجب اتباعها ، وعليه جاء قرار العراق ، بالتريث في قطع علاقاته الدبلوماسية مع ايطاليا بعد وقوفها الحرب إلى جانب ألمانيا ، وعم جدوى ذلك انطلاقاً من تجربتهم السابقة التي لم تكن الامم المتحدة لبريطانيا ، وعداء غير مسوغ لألمانيا ، ادى ذلك إلى عدم ثقة بريطانيا بوزارة رشيد عالي الكيلاني(عبد الرزاق الحسني ، ج10 ، 1977) ، واثار هذا القرار غضب السفير البريطاني الذي اسرع لمقابلة رئيس الوزراء في 12 حزيران ، وعبر له عن قلق بريطانيا من القرار ، ومن تردد الحكومة في قطع العلاقات مع ايطاليا ، وابلغه بان ذلك يؤثر على مصداقية العراق في تنفيذ بنود معاهدة التحالف الموقعة عام 1930 حاولت بريطانيا الضغط على الحكومة العراقية باساليبها العسكرية ، فابلغت السفارة البريطانية وزارة الخارجية العراقية بقرارها في 21 حزيران 1940 بانزال قواتها العسكرية في البصرة لغرض توجيهها إلى حيفا ، وطلبت السماح لها بتأسيس معسكرات للاستراحة في البصرة ، وبغداد ، والموصل لقواتها الجوية ، وافقت الحكومة العراقية على الطلب البريطاني (حامد الحمداني ، 2016).

الضغط البريطاني على الحكومة العراقية من جهة ، وفشل رشيد عالي الكيلاني ، وامين الحسيني مفتي فلسطين في الحصول على وعد من بريطانيا بخصوص سوريا ، وفلسطين قد شجعها على اجراء مفاوضات مباشرة مع الجانب الألماني ، ووقع الاختيار للقيام بهذه المهمة على عثمان كمال حداد الذي وصل إلى انقرة في الاسبوع الأول من آب 1940 فقام بتسليم كتاب المفتي إلى فون بابن(فرانز فون بابن ، ج2 ، 1952) ، بعدها استأنف حداد سفره إلى ألمانيا ووصل إلى برلين في 26 آب من العام نفسه ، واجتمع مع غروبا في اليوم نفسه ، سعى عثمان حداد بعد تأمين الاتصال مع الالمان إلى اعتراف المحور بالمطالب العربية التي تعني بالمقابل استعداد العراق لإقامة علاقات دبلوماسية مع ألمانيا ، واعلان حياده بالحرب ، واخراج نوري السعيد من وزارة الخارجية ، وان يكون لدول المحور موقع اقتصادي متميزاً ، واستثمار النفط فيه ، فضلاً عن قيام بثورات في فلسطين ، وشرق الاردن ضد بريطانيا مقابل اعطاء سوريا استقلالها (ابتسام حمود محمد ، 2009 ؛ فريتز غروبا ، ج2 ، 1979 ؛ مسعد رستم حمادي الراجحي ، 2013).

ومن جانب اخر ، غادر ناجي شوكت بغداد في 2 من آب 1940 ، للاتصال بسفير ألمانيا في انقرة فون بابن لاكمال مباحثاته معه ، حاملاً معه مسودة بالشروط التي يجب ان يتضمنها البيان الذي سيصدر عن دول المحور (عثمان كمال حداد ، 1952) ، وفي 23 من تشرين الأول 1940 اذيع البيان من اذاعي برلين ، وباري الا ان صياغته لم تصل للمستوى الذي يحقق طموحات العرب (سندس حسين علي ، 2012 ؛ ناجي شوكت ، ج1 ، 2002). دعا فون بابن حكومته اثر محادثاته مع ناجي شوكت إلى ضرورة ايجاد حل للمشكلة العربية ، كي لا يصاب العرب بخيبة امل (ابتسام حمود محمد ، 2009)

وعلى ضوء ذلك ، اكدت الحكومة الألمانية في 25 تشرين الثاني 1940 إلى الساسة العراقيين استعدادها لمساندة العراق في حالة هجوم بريطاني عليها ، كم حذرت من مغبة دخول العراق في نزاع مسلح مع بريطانيا (فريتز غروبا ، ج2 ، 1979).

وعلى الرغم من تحسن العلاقات العراقية الألمانية، إلا أن الضغوط البريطانية استطاعت أحداث تغيرات سياسية في العراق، اقبلت فيها حكومة الكيلاني التي اصررت على استمرار اتصالاتها بألمانيا املاً في تخلصها من السيطرة البريطانية.

ثالثاً: حركة مايس 1941 والموقف الألماني منها

قامت طائرات بريطانية بقصف القوات العراقية المرابطة في الحباية في الثاني من ايار 1941، قرر مجلس الوزراء العراقي اثناء خدمات الضباط، والمدنيين البريطانيين العاملين في العراق، واعداد العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا، وطلب المساعدة منها (عبد الرزاق الحسني، 1990). ايدت ألمانيا مساندة للحكومة العراقية في حربها ضد بريطانيا، واوصى هتلر ببذل جميع الجهود لهد حكومة الكيلاني بالمساعدات الحربية، ونقل بعض الطائرات إلى العراق (لوكار هيرزوزي، 1968). كانت الحكومة الألمانية قد اعدت لهذا الغرض مسحاً جويّاً وجغرافياً للعراق للافادة منه في حالة قيام بعمليات عسكرية او انزال جوي على الاراضي العراقية (بونداريفسكي، 1977).

وفي 24 من نيسان خصصت ألمانيا خمس طائرات نقل تقوم بنقل مئة طن من الاسلحة والتجهيزات العسكرية إلى العراق وسوريا تعقبها ستمائة طن اخرى ترسل عبر ايران وتركيا، وشملت المساعدات الألمانية عشر طائرات حربية وخمسين دبابة خفيفة واربعمائة وستين مدفعاً مضاداً للدبابات واسلحة اخرى، اما المساعدات المالية فقد حددت بثلاثة ملايين جنيه استرليني. (وليد عبود محمد شبيب الدليمي، 1999؛ جودت جلال كامل عبد اللطيف التكريتي، 2013). وارسلت طائرات لتأمين حماية الحقول والمنشآت النفطية التي من المتوقع مهاجمتها من قبل البريطانيين، وفي 8 ايار اكدت ألمانيا التزامها بمساعدة العراق بوضع مائة وخمسين طائرة تحت تصرف العراق حال انتهاء عملياتها العسكرية في كريت، وفي 11 من الشهر نفسه قدم غروبا عشرة الاف دينار للكيلاني، كما وعده بمليون دينار لاحقاً، اكد الكيلاني استعداده لتسديد المبالغ من المنتجات العراقية، وبالمقابل اشترط غروبا لقاء هذه المساعدات موافقة الحكومة العراقية على احتلال القوات الألمانية لحقول النفط، وافق الكيلاني بسبب ظروف الحرب على الرغم من احتجاج قادة الجيش (ابتسام حمود محمد، 2009). وفي 13 ايار وصل قطارين محملين بالاسلحة الألمانية تعهدت الحكومة العراقية على مقايضة اثمان تلك الاسلحة ببعض المنتجات الزراعية والنفطية وبناءً على ذلك وافق العراق باستئناف ضخ النفط إلى ميناء طرابلس (فريتز غروبا، ج2، 1979). وما ان علمت بريطانيا ذلك الاتفاق حتى لجأت إلى تجميد اعتمادات العراق بعد ان هربت جميع الموجودات من العملات الصعبة والودائع إلى البصرة مما دفع الكيلاني إلى بيان رغبة حكومته في ان تضع ألمانيا تحت تصرف العراق ثلاث ملايين باون ذهب كرصيد لتغطية العملة الورقية الجديدة التي ستصدرها المطابع الألمانية (نجدة فتحي صفوت، 1984). في 15 من ايار وصلت الطائرات الألمانية إلى الموصل، نجحت تلك الطائرات في الاغارة على معسكر الحباية وتدمير ثلاثة طائرات بريطانية، مما عزز من معنويات الجيش العراقي، وعلى ضوء ذلك بادرت الطائرات البريطانية إلى تدمير عدد من الطائرات المانية، لم يحد ذلك من النشاطات العسكرية الألمانية، وبعد معارك مستمرة حتى 21 من ايار فقدت ألمانيا خلالها ست عشرة طائرة، ان اسقاط الطائرات الألمانية وعم تعويضها بطائرات اخرى قد جعل

القوة الألمانية عاجزة عن الحد من العمليات العسكرية البريطانية اللاحقة واحتلالها أفلوجة للمرة الثانية في 22 ايار من العام نفسه (ابتسام حمود محمد، 2009).

بعد ان اصبح الوضع حرجا في بغداد غادرت البعثة الألمانية في 28 ايار إلى الموصل ، فاجتمع الكيلاني مع غروبا وناقش الوضع العسكري المتدهور ، وبعد فشل خطط العقداء الاربعة وعدم جدوى مقاومتهم ، توجهوا إلى خانقين في 29 ايار وتبعهم الكيلاني طالبين حق اللجوء السياسي من ايران وافقت السلطات الايرانية على ذلك (عثمان كمال حداد ، 1952).

خسرت ألمانيا نفوذها في العراق ، والشرق العربي بعد فشل المواجهة العسكرية واحتلال العراق من قبل القوات البريطانية ووقف العمليات العسكرية بتوقيع الهدنة في 31 ايار التي تضمنت اعتقال جميع الالمان الموجودين في العراق ، وحلت جميع المنظمات الوطنية والقومية المعروفة بميلها نحو ألمانيا ، الا ان ألمانيا على الرغم مما حدث في العراق وانتهاء دورها لم تتخلى عن قادتها ، لذا طلبت من ممثلي سفارتها في ايران الاتصال بالكيلاني وجماعته ، والتأكيد لهم بانها لم تتخلى عن اصدقائها ، وانها مستعدة لحمايتهم وتجهيزهم بالمال والسلاح ، فبادر الكيلاني إلى تسليم السفارة الألمانية بيانا اوضح فيه التطورات التي حدثت بالعراق ، واسباب فشله ، وعزمه على مواصلة العمل من اجل تحقيق طموحات العرب في الحرية والاستقلال (يسرى محمد عبيد حمزة ، 2009).

واقترح على السفير الالمانى عقد اتفاقية تعاوناً عسكرياً وسياسياً واقتصادياً مع الحكومة الألمانية يضمن من خلالها موقعه في العراق ، ارسل السفير الالمانى مقترح الكيلاني ، فعقد اجتماع في ألمانيا في 23 آب 1941 لبحث مستقبل التعاون مع العراق ، اضطر الكيلاني إلى مغادرة ايران متوجها إلى تركيا في 22 من تموز 1941 وعند وصوله التف حوله السياسيون العراقيين والعرب وخوله الاتصال بألمانيا للحصول على الاعتراف بحكومته ، ولكن تزايد الضغوط على الحكومة التركية من الحكومتين البريطانية والعراقية بتسليمه إلى السلطات العراقية ، دفعت الكيلاني إلى السفر إلى ألمانيا في 21 من تشرين الأول 1941 ، وفي 2 من كانون الأول التقى الكيلاني وزير الخارجية الالمانى وطلب منه ان تعترف ألمانيا به رئيساً لحكومة العراق في المنفى ووزيراً لخارجيتها ، وفي 22 كانون الأول من العام نفسه عرض الموضوع على هتلر فاوافق عليه (نجم الدين السهرودي ، ، 1988).

وفي 15 تموز 1941 قابل الكيلاني هتلر ، وعبر الاخير عن تقديره لانتفاضة العراق واكد عزمه على تخليص العراق من السيطرة البريطانية ، وعلى الرغم من ذلك وفي 11 كانون الثاني 1943 اوضح مجلس الوزراء العراقي موقفه من دول المحور عاداً اياها دولاً ذات مواقف عدائية ، وفي 13 من الشهر نفسه اعلن العراق الحرب عليها وفق الارادة الملكية التي صدرت في 13 من الشهر نفسه (عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج 1988 ، 6). وعلى اثر تراجع القوات الألمانية في عامي 1943-1944 ، اخذت الدعاية الألمانية تضعف في العراق بسبب انشغال الالمان في امور اكثر أهمية من القضية العربية ، وعند تدهور الوضع العسكري الالمانى اكثر خلال عام 1945 غادر رشيد عالي الكيلاني برلين متنقلاً بين عدد من الدول الاوربية والعربية ليصل اخيراً إلى المملكة العربية السعودية لاجماً سياسياً (نجم الدين السهرودي ، 1988 ؛ يسرى محمد عبيد ، 2009).

رابعاً: الخاتمة

- 1- تنامي دور ألمانيا لإيجاد موطن قدم لها في الشرق الأوسط منذ ان حققت وحدتها القومية في عام 1870، لم يكن التغلغل الألماني في العراق سهلاً، فقد اعترضته صعوبات عدة من الدول الكبرى وفي مقدمتها بريطانيا.
- 2- سوء التخطيط الاستراتيجي لألمانيا في الشرق الأوسط، إذ لم يكن لديها اية اهداف واضحة في تلك المنطقة، فجاءت حركاتها هناك وكأنها مجرد رد فعل سوقي لخبط الحلفاء واستنزاف قوة بريطانيا.
- 3- اندحار ألمانيا في الحرب العالمية الأولى جعلها تتهتم باستعادة مكانتها في أوروبا، وتحسين اوضاعها الداخلية، مما ادى ذلك إلى انحسار علاقاتها الدولية بما في ذلك العراق.
- 4- جاءت التطورات التي شهدتها العراق عام 1941 فرصة ثمينة لألمانيا الا ان فشلها عسكرياً في عملياتها الحربية اثر على نشاطاتها السياسية في العراق إلى الحد الذي أنهى الدور الألماني في العراق.
- 5- بدأت اخفاقات ألمانيا في السنوات الاخيرة من الحرب التي بلغت ذروتها عام 1943، كان ذلك ايذاناً لنهاية تطلعات ألمانيا في المشرق عامة والعراق بصورة خاصة وهكذا انتهت مرحلة مهمة من النشاط الألماني كان العراق فيها ساحة للصراع بين بريطانيا وألمانيا.

قائمة المصادر

- الوثائق الغير منشورة - الوثائق العراقية - وثائق دار الكتب والوثائق العراقية
311/724 المفوضية الملكية العراقية في القاهرة .
311/729 المفوضية الملكية العراقية في القاهرة.
311/762 المفوضية الملكية العراقية في برلين.
ابتسام حمود محمد، موقف ألمانيا من احداث العراق 1937-1941، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد 16، العدد 6، حزيران 2009.
احمد خضير عباس، نطاق العلاقات العراقية الكويتية بعد عام 1990، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بيروت العربية، بيروت، 2014.
احمد كامل منصور، الدعاية الألمانية في العراق دراسة تحليلية للاخبار والمقالات في الصحف(العقاب والبلاد والاستقلال للمدة 1-4-1940 الى 1-7-1941، رسالة ماجستير، كلية الاعلام، جامعة بغداد، 2012.
الدكتور شاخ، المستعمرات من الناحية الاقتصادية، "المقتطف"، (مجلة)، مصر، الجزء الثالث، المجلد التسعين، 1 مارس 1937، مصر.
العالم العربية(صحيفة)، العدد 2463، 2442 بتاريخ 28 شباط و24 آذار 1932.
ايهان متعب يحيى النعيمي، الازمة في الولايات المتحدة الامريكية الاسباب والنتائج(1933-1929)، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2003.
بنامين ايل، ادولف هتلر من القوة إلى الانهيار، ترجمة: فؤاد محلة سعدة، بيروت، 1965⁽¹¹⁾
بونداريفسكي، سياستان ازاء العالم العربي، موسكو، 1977.
جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق 1941-1953، مطبعة النعمان، النجف، 1976.
جواد محمد علي محمد رضا، العلاقات العراقية الألمانية 1871-1914، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية(سابقاً)، الجامعة المستنصرية، 1982.
حكمت سامي سليهان، نطق العراق، دار البيضة العربية، دمشق، 1958.
جودت جلال كامل عبد اللطيف، التنافس البريطاني-الألماني في العراق 1933-1945، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، 2013.
جورج لوزوشكسي، البترول والدولة في الشرق الأوسط، المكتب التجاري، بيروت، 1961.
حامد الحمداني، العراق وتداعيات الحرب العالمية الثانية، الحوار المتمدن، العدد 5158 بتاريخ 10 ايار 2016.
حسام الساموك، الملك غازي ودوره في انقلاب بكر صدقي عام 1936، الدار العربية للموسوعات، د. م، 2005
حسين طعمة شذر، العلاقات العراقية-الألمانية 1932-1941، رسالة ماجستير، كلية التربية/ابن رشد، جامعة بغداد، 1988.

- حسين محمد الشبيبي، الاستقلال والسيادة الوطنية، مطبعة الشعب، بغداد، 1973، ص 56-71.
- رسل برادون، حصار الكوت في الحرب بين الإنكليز والأتراك في العراق سنة 1914-1918، ترجمة: سليم طه التكريتي وعبد المجيد ياسين التكريتي، ج 2، بغداد، 1985.
- رؤى ماهر بدرى جبل الجنابي، محمود رياض ودوره في السياسة الخارجية المصرية والعربية 1948-1979، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، 2014.
- زيغفريد كوغلفرانتس، من نتائج الحرب العالمية الثانية، كيف "حرر" الرايخ الروسي دول شرقي أوروبا؟، ترجمة: غانم محمد، "افاق عربية"، (مجلة)، بغداد، العدد الأول، السنة السابعة عشرة، كانون الثاني 1992.
- زي.هرشلاخ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسني، بيروت، 1973.
- رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، بيروت، 1983.
- سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.
- سفير محمد السعد، لماذا فشلت حركة نيسان/مايس 1941 في العراق، "افاق عربية"، (مجلة)، بغداد، العدد الثامن، السنة الخامسة عشرة، آب 1990.
- سمعان بطرس فرج الله، العلاقات السياسية في القرن العشرين، مكتبة الانجلو، القاهرة، 1974.
- سندس حسين علي، توجهات الاذاعة العراقية الوطنية 1936-1958، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2012.
- طارق ابراهيم شريف، سيرة وحياة الملك فيصل الثاني (1958-1935) اخر ملوك العراق، دار غيداء للنشر والتوزيع، د. م، 2011.
- عبد الخالق لاشين، أضواء على موقف وزارة علي ماهر من الحرب العالمية الثانية، "دراسة وثائقية"، المجلة التاريخية المصرية، مصر، المجلد الرابع والعشرين، 1977.
- عبد الرحمن عبد الغني، ألمانيا النازية وفلسطين 1933-1945، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1995.
- عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج 1، صيدا، 1948.
- _____، الاسرار الخفية في حركة مايس السنة 1941 التحررية، ج 3، بيروت، 1971.
- _____، تاريخ الوزارات العراقية، ج 4، 6، 5، 10، 7، ط 7، بغداد، 1977.
- عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند، مطبعة الاهالي، بغداد، 1935.
- عبد المجيد كامل التكريتي، فيصل الأول ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991.
- عثمان كمال حداد، حركة رشيد عالي الكيلاني سنة 1941، بيروت، 1952.
- عدنان رشيد، العلاقات الألمانية العربية ومحاولات السيطرة على شعوب المنطقة في أفترة من عام 1871-1945، افاق عربية، بغداد، السنة الثالثة، العدد 11، تموز 1978.
- عمار شاكر محمود، تاريخ الدبلوماسية الاوربية بين الحربين " مؤتمر ميونخ عام 1938"، نشر وتوزيع مطبعة تموز، دمشق، 2013.
- علي مولا، الموسوعة العربية الميسرة، ج 7، المكتبة العصرية، بيروت، 2010.
- فاروق صالح العمر، المعاهدات العراقية البريطانية واثرها في السياسة الداخلية 1922-1948، دار الحرية، بغداد، 1977.
- فاروق صالح العمري، ثورة مايس 1941 ودول المحور في الوثائق البريطانية، بغداد، 2002.
- فرانز فون بابن، مذكرات فرانز فون بابن، بيروت، ج 2، 1952، ص 7.
- فريتز غروبا، رجال ومركز قوى في بلاد المشرق، ج 1، ج 2، ترجمة: فاروق الحريري، بغداد، 1979.
- فؤاد صروف، المشكلة الاقتصادية الكبرى في النسوية العالمية بعد الحرب، "المقتطف"، (مجلة)، مصر، الجزء الخامس من المجلد السادس بعد المئة، 1 مايو 1945.
- قتيبة عبد الله عباس البدرى، سكة حديد بغداد-برلين والتنافس الاقتصادي الدولي حولها 1871-1914، اطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي، بغداد، 2011.
- لطفي جعفر فرج، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي 1933-1939، مطبعة سومر، بغداد، 1987.
- لوكاز هيرزويز، ألمانيا هتلرية والمشرق العربي، ترجمة: حمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر، 1968.

- محمد شكري فؤاد ، دراسات في التاريخ الأوربي المعاصر(1939-1945) ، القاهرة ، 1947 .
- محمد صالح منسي ، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي ، القاهرة ، 1972 .
- محمد محمد صالح واخرون ، تاريخ ألمانيا في القرن التاسع عشر ، بغداد ، 1985 .
- محمد كمال الدسوقي ، تاريخ ألمانيا ، القاهرة ، 1969 .
- محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، 1976
- محمود عبد الواحد محمود ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية في الهند(1668-1600) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1993 .
- مجيد خدوري ، مؤسسات العراق الدستورية والقضائية ، بغداد ، 1938 .
- مسعد رستم حمادي الراجحي ، محمود الدرة ودوره العسكري والسياسي في العراق ، رسالة ماجستير ، كلية التربية/ابن رشد ، 2013 .
- معاذ هلال جاسم ، سياسة ونستون تشرشل تجاه الشرق الأوسط (تركيا-إيران-العراق)(1939-1945) أنموذجا ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الأنبار ، 2013 .
- منى محمد حسون السعدي ، العلاقات الألمانية-المصرية 1933-1945 ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، 2017
- موريس كروزيه ، العهد المعاصر ، ترجمة: يوسف أسعد داغر ، فريد م. داغر ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1970 .
- ناجي شوكت ، سيرة وذكريات ثمانين عاماً 1894-1974 ، ج 1 ، بغداد ، 1990 .
- نجم الدين السهرودي ، التاريخ لم يبدأ غداً حقائق وأسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني 41 و58 في العراق ، ط 2 ، بغداد ، 1988 .
- نجدة فتحي صفوت ، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب ، ط 2 ، بغداد ، 1984 .
- _____ ، من نافذة السفارة ، العرب في ضوء الوثائق البريطانية ، رياض الريس ، لندن ، 1999
- نصيف جاسم عباس الأحبابي ، العلاقات بين إيران وألمانيا النازية 1933-1945 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989 .
- _____ ، العلاقات بين تركيا وألمانيا النازية 1933-1945 ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1994 .
- نظام عباسي ، العلاقات الصهيونية النازية واثرا على فلسطين وحركة التحرر العربي 1933-1945 ، الكويت ، 1984 .
- نوري عبد الحميد خليل ، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق 1925-1952 ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1975 .
- هاشم صالح التكريتي ، التغلغل الالمانى في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى ، المؤرخ العربي ، العدد 27 ، السنة 12 ، 1986 .
- وسام هادي عكار التميمي ، عزيز شريف ودوره الفكري والسياسي في العراق حتى عام 1958 ، رسالة ماجستير ، كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد ، 2010 .
- وليام شيرر ، تاريخ ألمانيا هتلرية ، نشأة وسقوط الرايخ الثالث ، ج 1 ، ترجمة: خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1966 .
- وليد عبود محمد شبيب الدليمي ، السياسة الألمانية تجاه المشرق العربي(1933-1945) ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد ، 1999 .
- يسرى محمد عبيد حمزة ، موقف بريطانيا من النشاط الالمانى في العراق(1933-1945) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2009 .
- يونس بحري ، اسرار 2 مايس 1941 والحرب العراقية الانكليزية ، بغداد ، 1968 .
- Fritz , Redlich ,Hitler,New Yourk,1999; Francis,R.Nicasia,the Third Reich and the PalestineQuestion.London,1985.
- Little Tom ,Modern Egypt,London,1967 .
- Mahmoud Kassim ,Die diplomatischen Beziehungen Deutschlands zu Agypten 1919-1936 ,Band 6, Lit VERLAG MUNSTER – Hamburg,2000.
- Hammann,The World Policy of German 1890-1912,London,1926. otto
- Shirer, William .The Rise and fall of the third Reich, A history of Nazi Germany, New York, 1960.

**((صورة اللُّغة العربيَّة في الإعلام المرئي، وأثرها في بناء الهويَّة)) "فضائيَّة الجزيرة الإخباريَّة نموذجًا"
((Reality of Arabic In Satellite Visual Media AL Jazeera News Channel as an
Example))**

د. عمَّار عبد القادر محمَّد شبلي
جامعة بير زيت- فلسطين

التمهيد

لم تقتصر اللغة على أنها وسيلة للتواصل بين الأفراد في المجتمعات المتجانسة لغويًا، أو غير المتجانسة، بل أصبحت هوية الشعوب المختلفة، لأن اللغة صنوان الهوية، وتعد وسائل الإعلام المرئية من أكثر الأدوات جذبًا للمشاهدة، ولا سيما بعد الثورة التكنولوجية التي شهدتها هذا القطاع مطلع القرن الحادي والعشرين، وذلك لما تقدمه من برامج متنوعة: إخبارية وسياسية، واجتماعية وثقافية، وفكرية ودينية، ولما تتيحه للمواطن من خيارات لمتابعة شاشتها، إذ بمقدوره استقبال بث القناة من خلال هاتفه النقال، أو حاسوبه الشخصي. والتلفاز " هو الوسيلة الرئيسة التي تستغرق أكبر وقت من حياة المشاهدين، ويتبوأ المذيع الدرجة الثانية، ثم تأتي الصحيفة، وتليها المجلة"، (1) (فتحي إبراهيم خضر، اللغة العربية ووسائل الإعلام، ص 157. بلا تاريخ)؛ ولأن مادة الإعلام الأساسية هي اللغة، فإن بعض القنوات تُعنى بها عناية كبيرة، بهدف إخراج البرنامج خاليًا من اللحن، وبما أن التلفاز وسيلة ذات جمهور عريض يشترط الباحثون في لغة الإعلام " أن تكون هذه اللغة قادرة على إيصال المعنى بأقصر لفظ، وأغزر معنى، مع اعتماد الشفافية والإثارة التي تقتضيها عملية اجتذاب القراء". (2) (جواد عبد الستار، اللغة الإعلامية، ص 37. بلا تاريخ).
تهدف هذه الدراسة إلى وصف اللغة العربية في البرامج المختلفة التي تقدمها فضائية الجزيرة الإخبارية، ووقع الاختيار عليها لسببين:

الأول: ضخامة الشبكة، من حيث اتساع المنطقة التي يشملها البث، وسرعتها في الوصول إلى الحدث لنقله إعلاميًا إلى الجماهير، مهما كان نوعه، وأينما كان موقعه.
الثاني: تنوع البرامج التي تقدّمها القناة، وهي: نشرات الأخبار، وهذا الصباح، ومنتصف اليوم، وحصاد اليوم، والاتجاه المعاكس، ومن واشنطن، ومن وراء الخبر، وشاهد على العصر، ولم يكن هدف الدراسة الأساس هو رصد الأخطاء؛ والتعرف على أنواعها المختلفة، وإنما تقديم بعض المقترحات التي يمكن أن تسهم في تقليص هذه الأخطاء. ومما يلحظ على الدراسة أنها نات عن الإطار النظري لتخصص الإعلام، وما يتصل به من مصادر ومراجع، وركّزت على الجانب التطبيقي المتمثل في تتبُّع الأخطاء وتصوير حلول لها.
يتناول المحور الأول جهود القناة في توظيف اللغة العربية، والاهتمام بها بغية الارتقاء بمحتوى ما يُعرض على المشاهدين، بينما يركّز المحور الثاني على أنماط اللغة المستخدمة، منها اللغة الفصحى، واللغة العامية (المحكّية)، واللغة المزدوجة، واللغة الثنائية.

ويقوم المحور الثالث على تسجيل الأخطاء المتعددة سواءً أكانت في البرامج ، أم في التقارير التي يعدّها المرسلون ، من ذلك الأخطاء النحويّة والإملائيّة والطباعيّة ، وأخرى متعلقة في الصياغة والتراكيب اللغويّة ، وتجري هذه الدراسة على المادتين: المسموعة والمرئية (الصوتيّة والمكتوبة).

ويقدم هذا المحور أيضاً مقترحات وحلولاً للتخفيف من هذه الأخطاء ، ومحاولة التخلص منها للوصول إلى لغة تعبير صافية ، وكتابة سليمة ، وذلك انطلاقاً من الاعتزاز باللغة التي تعدّ أهمّ مرتكزات الموروث الحضاري ، والوسيلة التي تعبّر عن هويّة المجتمعات ورمزيتها.

المحور الأول: جهود الفضائيّة في توظيف اللغة والاهتمام بها

أولاً- برامج تتعلق بغير العاملين فيها ، أي مقدمة للمشاهدين. وتكون باللقاءات المباشرة التي تجريها القناة مع الأدباء والنقاد والشعراء ، ومنها برنامج المشاء.

ثانياً- إجراءات تخص المتقدمين للوظيفة والعاملين فيها: مقدمين ومذيعين ومراسلين.

قبل التعيين: يخضع المتقدم بطلب توظيف إلى ثلاثة اختبارات: اختبار في حقل التخصص وهو الإعلام ، واختبار في اللغة الإنجليزية ، وثالث في اللغة العربية.

المقابلة الشخصية: يتم التركيز فيها على عدد من الجوانب منها ، ثقافة المتقدم للوظيفة في اللغة العربية ، وقراءة بعض النصوص لقياس بعض المهارات المختلفة ، ومعرفة إن كان لدى المتقدم عيوب في النطق.

بعد التعيين: يخضع العاملون في فضائيّة الجزيرة ولا سيما من يظهر على الشاشة أو الموظفين الذين يشتغلون في تحرير النصوص إلى دورات تدريبية في نحو العربية ، لمعرفة حقّ الكلمة من حالات الإعراب الثلاث ، وأخرى في مهارات الكتابة والتعبير ، لتجنب الحشو والتكرار ، وتتخذ هذه الدورات طريقتين لتعزيز المهارات المختلفة: القاعدة وما يتشقق عنها من تفرّعات ، ثم السماعي القياسي ، وهذا لا ينطبق على الأمثلة السماعية التي شدّت عن القاعدة ، ويكون هذا الأمر بشكل متصل. ويشتغل في فضائيّة الجزيرة في الدوحة ما يقرب من خمسة إلى ستة مدققين لغويين يعملون على تحرير النصوص الإخبارية وصياغتها ، وأغلبهم من موريتانيا لطلاقة ألسنتهم.(3) (مقابلة شخصية مع الأستاذ عارف حجاوي مدير المعايير التحريرية في دائرة المعايير ومراقبة الجودة ، رام الله ، 2017-10-21. بلا تاريخ)

المحور الثاني: مستويات اللغة

أولاً- الفصحى: جاء في لسان العرب أن معنى الفصاحة هو البيان ، وكلام فصيح بمعنى بليغ ، ولسان فصيح بمعنى طلق ، وقصّح الأجنبي: تكلم العربية ، وفهم عليه.(4) (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فصح.)

يظهر بعد التنبع لبرامج فضائيّة الجزيرة أنها تعني بتوظيف الفصحى ، وجعلها المسيطرة ، وظهر ذلك في عدد من البرامج ، منها موجزات الأخبار ونشراتها ، وبرنامج من وراء الخبر ، ومن واشنطن ، وتقارير المراسلين التي خضعت للتدقيق اللغوي والإملائي.

وهناك من جعل الفصحى في مستويات أبرزها:

-مستوى الفصحى العربية السليمة: وتكثر في نشرات الأخبار وموجزاتها ، وفي البرامج الدينية.

-مستوى الفصحى الناقصة: وتطلق على لغة المثقفين والصالونات وتسمى اللغة الثالثة ، وهي تعتمد تسكين أواخر الكلم ، وتسقط الإعراب جملة وتفصيلاً ، حتى عدّها بعض الباحثين حلاً وسطاً بين الفصحى والعامية ،

وهي من الكثرة بحيث غدت اللغة الرئيسة الوريثة للفصحى في معظم الإذاعات اللبنانية والعربية أيضاً. (5) (سالم المعوش ، اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان ، ص195. بلا تاريخ) ، بينما قسم فاروق شوشة الفصحى إلى قسمين :

الفصحى التراثية: وهي الفصحى المثال والنموذج والقذوة المحفوظة بكل صفات الفصحى القديمة في معجماتها من المفردات ، وطريقة نطقها ، وصوتياتها ، ونظام جملها ، وهندسة تراكيبيها ، وهي متحققة في البرامج والأحاديث الدينية ، والتمثيلية ، والمسلسلات الدينية والتاريخية التراثية التي يلجأ كتابها ومؤلفوها إلى تمثيل عربية القرون الغابرة لمحاكاتها ، وإضفاء الصدق على أعمالهم الفنية. هذه الفصحى التراثية مثلها الأعلى هو القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وآثار الخلفاء ، والبلغاء ، والشعر العربي في عصر العربية الأولى. **الفصحى المعاصرة:** وهي التي يشيع استخدامها في الإذاعة المسموعة ، والمرئية ، والفضائيات ، وهي فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على وجه الخصوص ، بل هي مستودع المعارف والفنون والآداب في زماننا ، وتأخذ من الفصحى التراثية نظامها اللغوي: نحوًا ، وصرفًا ، وإعرابًا ؛ لكنها تتجاوزها وتزيد عليها في معجمها اللغوي ، وفي نظامها الصوتي ، وفي بنيتها التركيبية وحقولها الدلالية. وهي المستوى المستخدم في نشرات الأخبار ، والبرامج السياسية ، والتعليقات ، والنصوص الثقافية ، والعلمية ، والأدبية والفنية المكتوبة. (6) (فاروق شوشة ، أستاذ اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في جمهورية مصر العربية ، المحاضرة الخامسة ، حزيران ، 2003 ، ص 111-113. بلا تاريخ)

ثانياً- **المحكّية (العامية):** وتقسّم إلى ثلاثة:

عامية المثقفين: وهي عامية متأثرة بالفصحى وبالحضارة المعاصرة معًا ، تحررت من الإعراب وبعض مظاهر النطق الصحيح للأصوات.

عامية المتنورين: وهي التي تهبط في المستوى لتصبح لغة الحوارات الخفيفة التي تلامس موضوعات اجتماعية وفنية ورياضية ، وتشيع فيما يسمى في وقتنا بالث مباشر ، وهي لغة عامة المواطنين التي يستخدمونها في أمور الحياة اليومية من بيع ، وشراء ، ورواية أخبار.

عامية الأميين: وهي عامية الشريحة المتدنية في تحصيلها العلمي والثقافي ، وقد تنطق بها أصحاب الحرف ، أو شخصيات تريد أن تسخر من الأداء الصحيح واللغة الصحيحة ، فتبالغ في تجسيم الأخطاء ، وتشويه صور النطق السليم ، وقد تصل في سوقيتها وابتدالها إلى الاستخدام في السينما والمسرح ، والموجة الغنائية الشائعة على الأقل في مصر هذه الأيام. (7) (فتحي إبراهيم خضر ، اللغة العربية ووسائل الإعلام ، ص183).

ثالثاً- المهزوجة: تجمع بين الفصحى والعامية ، وخير مثال على ذلك برنامج هذا الصباح ، والاتجاه المعاكس ، وبرنامج بلا حدود. إذ تظهر فيها الفصحى ، والعامية بشكل جلي ، ولعل طبيعة هذه البرامج واشتراك الضيوف فيها تفرض على مقدم البرنامج هذا اللون من اللغة. ومن الأمثلة على ذلك في هذه الدراسة:

الخطأ	الصواب	البرنامج	المقدّم	الساعة	الدقيقة
مين ده	من هو	شاهد على العصر المنصف المرزوقي	أحمد منصور	الحلقة 23	الدقيقة السابعة
هذا القانون سنعنا عنو	عنه	هذا الصباح	حنان المعين	2017-10-27	8:9
عمّال على بطل	مثل شعبي	الاتجاه المعاكس	فيصل القاسم	2017-10-31	22:25

22:26	2017-10-31	فيصل القاسم	الاتجاه المعاكس	كلام شعبي	غمض فتح الملك السعودي في روسيا
22:33	2017-10-31	فيصل القاسم	الاتجاه المعاكس	يقول لك	بقلك

رابعا- الثنائية: ويقصد باللغة الثنائية وجود لغتين في النص الواحد، كان يكون النص باللغة العربية، وفيه عدد من الكلمات الأجنبية التي حلت في النص مكان الكلمات العربية. من ذلك:

الخطا	الصواب	البرنامج	المقدم	الساعة	الدقيقة
ثلاثة يوليو	الثالث من تموز	شاهد على العصر المنصف المرزوقي	أحمد منصور	الحلقة 23	الدقيقة الأولى من البرنامج
أخذت action زي ما بقولوا	ويقصد الأمر الحاسم	شاهد على العصر	أحمد منصور	الحلقة 23	الدقيقة 18
حكومة النهضة أجبرت في 22 أوغست على الاستقالة	الثاني والعشرين من شهر آب	شاهد على العصر	أحمد منصور	الحلقة 23	الدقيقة 24
أوائل ديسمبر	كانون أول	هذا الصباح	ربي خليل	تاريخ 10-14	9:27
أغسطس	أب	حصاد اليوم	مراسل (تقرير)	تاريخ 10-10	11:8
كان هذا في نظرهم toolate كما يقولون	اي متاخرا	نشرة أخبار	وليد العمري	28 أو 9-29	تقرير له
يبدو ان اليوم سيحدثنا جديد الأيفونات	الخلويات	هذا الصباح	مراد بوعلام	2017-11-5	9:11
يلتقط صور سلفي	صورا ذاتية	ما وراء الخبر	زياد بركات	2017-9-4	تقرير له

المحور الثالث: أنواع الأخطاء ومقترحات للحلول

أولاً- النحوية (ص-ك) تعني صوتي أو كتابي

الخطا	الصواب	ص-ك	البرنامج	مقدم- البرنامج	التاريخ	س-د
قال رئيس الوزراء الإسباني	رئيس	صوتي	نشرة أخبار	ازدهار شعشاعة	10-1	11:00
بعد خسارة التنظيم مدن مهمة	مدناً مهمة	صوتي	نشرة أخبار	عثمان أي فرح	9-29	11:21
303 أعضاء من كافة محافظات الجنوب	من محافظات الجنوب كافة	كتابي	ما وراء الخبر	شريط إخباري	10-15	7:51
ان هناك إحباط	إحباطا	صوتي	منتصف اليوم	محمد العلمي	10-20	3:05
تبرز تهافت	تبرز تهافتاً	صوتي	منتصف اليوم	محمد العلمي	10-20	3:07
لأن كثير من الأصوات	لأن كثيراً من الأصوات	صوتي	هذا الصباح	خالد عبد القادر	10-27	9:13
قالت بأنه اتفاقاً	بأنه اتفاق	صوتي	منتصف اليوم	محمد البقالي	10-20	3:37
التلوث يمثل تحدياً	التلوث يمثل تحدياً	صوتي	هذا الصباح	أحد المذيعين	11-3	10:18

11:22	10-17	إيمان عياد	حصاد اليوم	صوتي	بانه ستون	بانه ستين
11:30	10-17	المترجم: توفيق	حصاد اليوم	صوتي	يعتبر اغتيال شرساً	يعتبر اغتيال شرس
11:15	10-21	عبد الصمد	حصاد اليوم	صوتي	الاتجاهين- ويفضل (المسارين)	توجيه الاتجاهان
بدايته	11-5	محمد كريشان	ما وراء الخبر	صوتي	تساؤلات	طرح المراقبون تساؤلاتاً
الدقيقة 17	الحلقة 23	أحمد منصور	شاهد على العصر	صوتي	منفرداً	أصبح عندك كل رئيس جيش منفرد
الدقيقة 21	الحلقة 23	أحمد منصور	شاهد على العصر	صوتي	خفياً	أن هناك شيئاً خفي
الدقيقة الرابعة	9-29	عبد الرحيم فقراء	من واشنطن- مستقبل كردستان في حسابات واشنطن	صوتي	شيئاً	أم أنكم تقروون شيء آخر
الدقيقة السادسة	9-29	عبد الرحيم فقراء	من واشنطن- مستقبل كردستان في حسابات واشنطن	صوتي	حفاظاً	هو حقيقة حفاظاً
الدقيقة السادسة	9-29	المترجم	من واشنطن- مستقبل كردستان في حسابات واشنطن	صوتي	جزء	ونحن جزءاً من العراق
الدقيقة التاسعة	9-29	المترجم	من واشنطن- مستقبل كردستان في حسابات واشنطن	صوتي	الطرفين المقتلين	فإن الطرفان المقتلان
الدقيقة العاشرة	9-29	المترجم	من واشنطن- مستقبل كردستان في حسابات واشنطن	صوتي	الماضيتين	فإذا نظرتم إلى السنتين الماضيتان
الدقيقة التاسعة عشرة	9-29	عبد الرحيم فقراء	من واشنطن- مستقبل كردستان في حسابات واشنطن	صوتي	تصريحاً جديداً	وسمعنا تصريح جديد
السبعة مساء	2017-11-14		شريط إخباري		وفداً أوروبا	الحكومة الإسرائيلية تمنع وفد أوروبا

ثانياً- الإملائية

س- د	التاريخ	مقدم- البرنامج	البرنامج	ص- ك	الصواب	الخطأ
11:14	10-10	شريط إخباري		كتابي	ابن علي يلدن	بن علي يلدن
7:46	10-15	شريط إخباري		كتابي	ابن دغر يدعو	بن دغر يدعو

ثالثاً- أخطاء في الطباعة وضبط فاء الكلمة وعينها

د- س	التاريخ	مقدم- البرنامج	البرنامج	ص- ك	الصواب	الخطأ
11:9	9-30	شريط إخباري		كتابي	استمرار المجازر في منطقة خفض التصعيد	استمرار المجازر في منطقة لخفض التصعيد
	10-20	أثناء الدعاية للبرنامج	من واشنطن	صوتي	خيار	خيار

9:9	10-14	أحمد خليفة	هذا الصباح	صوتي	المعرض	المعرض
9:11	10-27	حنان المعين	هذا الصباح	صوتي	الوفيات	الوفيات
9:37	10-27	مراد بوعلام	هذا الصباح	صوتي	هو مُناخ	هو مُناخ للفن الإبداعي
11:29	10-21	عبد الصمد ناصر	حصاد اليوم	صوتي	المهمة	المهمة
10:16	11-5	إيمان عياد	حصاد اليوم	صوتي	الايضرب بنية	الايضرب بنية

رابعاً- أخطاء الصياغة

خطأ	الصواب	ص - ك	البرنامج	مقدم- البرنامج	التاريخ	د- س
وزارة الدفاع الروسية تنفي أسر ومقتل	أسر عدد ومقتل عدد آخر	كتابي		شريط إخباري	9-29	7:30
ان يلعب دوراً أساسياً	ان يؤدي دوراً	ص- ترجمة		مترجم	9-29	7:48
وكانت السلطات رفعت	وقد رفعت السلطات	صوتي	نشرة أخبار	عثمان أي فرح	9-29	11:27
اعتباراً من بعد ظهر اليوم	اعتباراً من ظهر	كتابي	نشرة أخبار	شريط إخباري	9-29	11:30
القاعدة التركية في الصومال تستوعب 1500 في مرحلة أولى	1500 جندي في المرحلة الأولى	كتابي		خبر عاجل	9-30	11:30
ماذا ستضيف تركيا لهذه الفسيفساء؟	ما الذي ستضيفه تركيا لهذه الفسيفساء؟	صوتي	نشرة أخبار	أحد المذيعين	9-30	11:31
حكومة الصومال ترمي لإعداد خريطة جديدة للملاحة بحجم جبل علي	ترمي إلى	كتابي		خبر عاجل	9-30	11:34
بحجم جبل علي	بحجم ميناء جبل علي	كتابي		خبر على الشاشة	10-10	11:28
من السابق لأوانه مناقشة توقيت ومكان المؤتمر الشعبي	من السابق لأوانه مناقشة توقيت المؤتمر الشعبي ومكانه	كتابي	منتصف اليوم	زاور شاور	في حدود 2017-10-10	
سيكون كل التفاصيل	صوتي	ستكون التفاصيل كلها	هذا الصباح	وائل الدحوح	10-12	9:12
يعلن التوصل لاتفاق	كتابي	إلى اتفاق	هذا الصباح	شريط إخباري	10-14	9:17
إلى شمال ووسط لبنان	صوتي	شمال لبنان ووسطه	هذا الصباح	ربي خليل	10-14	9:29
أكثر	أكثر	صوت	حصاد اليوم	إيمان عياد	10-17	11:11
هذا القرار جاء مباغتاً ومفاجئاً	مباغتاً أو مفاجئاً	صوتي	حصاد اليوم	زين العابدين توفيق	10-29	20:29
شبكة الجزيرة تحمل السلطات المصرية كامل المسؤولية	المسؤولية كاملة	كتابي		الشريط الإخباري	10-17	11:31

خامساً- عقبات وحلول: لعل أبرز العقبات التي تواجه المشتغلين في الإعلام وتؤثر على أدائه- وبخاصة ما يتصل باللغة العربية- هو الاستسهال، وتوظيف العامية أحياناً، وتنوع لهجات الموظفين في المؤسسة الإعلامية الواحدة، وضغط العمل التلفازي المتمثل بعامل الوقت، والضغوطات النفسية والعصبية، ورقابة المسؤول والمشاهد، والاتصال المباشر والحي مع وحدة التحكم التي ترافق المذيع في نشراته وتزوده بما يستجد، إذُ يوصف عمل الإعلامي- مثلما ورد على لسان عارف حجاوي- بأنه لهاث، ولا سيما في غرفة الأخبار، فالعشب لا ينبت على حجر متحرك، والمذيع عشب على حجر متحرك. ومن هنا يلاحظ الفرق بين عمل المذيعين، وبين مقدمي البرامج الذين يعطون وقتاً كافياً لإعداد حلقاتهم. ومن العقبات التي تواجه العاملين في ضبط أسنتهم الترجمة الفورية التي يركز فيها المترجم على المعنى، ويهمل ضبط الكلمة لصعوبة التوفيق بين الأمرين في آنٍ واحد.

من الحلول المقترحة التي يمكن أن تقلص من حجم الأخطاء:

الأول- تكليف العاملين في هذا القطاع بإعداد التقارير والأبحاث الخاصة التي تحمل موضوعات متنوعة قد تكون بعيدة عن اللغة العربية، كأن يتناول المعدادُ الزعامة والمواطنة، أو جانباً من قطاع الصناعة أو السياحة في أيِّ قُطر، مما يستدعي منه كتابة صحيحة، وإلقاءً سليماً.

الثاني- القراءة والاطلاع، وهذا من شأنه أن يوسع مدارك الإنسان، وينوع من ثقافته، ويزيد من حصيلته المعرفية؛ وبالتالي يسهل عليه استيعاب قواعد اللغة، كتابةً ونطقاً.

الثالث- تنوع عمل المذيع، الأمر الذي سيعطيه مساحة إضافية من الوقت للتشكيل في ثقافته اللغوية، ومهاراته المختلفة.

الرابع- التمرين على الصياغة الواضحة للخبر، بحيث تكون بعيدة عن الحشو، والتكرار واللبس، والمفردات الحوشية؛ وهذا ما يجنب الإرهاق للمذيع.

الخامس- كتابة الأعداد بالكلمات بدل الأرقام؛ ليتجنب المذيع التلعثم والارتباك في قراءتها(3).

السادس- يفضل ألا يعود المذيع عن الخطأ اللغوي الذي وقع به إذا لم يكن متثبناً من صوابه؛ لأن منهم من يستبدل الخطأ بالصواب.

السابع- إنشاء معهد يعمل على تأهيل الإعلاميين وتدريبهم على اللغة الإعلامية، وقواعد اللغة والإملاء؛ لأن اكتساب اللغة يعتمد في الأساس على الدربة والتمرين، بحيث يكون الحصول على شهادة هذا النوع من المعاهد شرط التقدم لوظيفة مذيع أو مقدم برامج أو مراسل في وسائل الإعلام المرئية.

الثامن- دخول العاملين في مسابقات تتناول المهارات المختلفة في اللغة العربية، وتخصيص جوائز لأفضل مذيع أو مقدم برامج، شريطة ألا يشترك فيها المدققون، والمتخصصون في اللغة العربية.

التاسع - تكوين مجموعة من موظفي الجزيرة على الشبكة الخلوية مثل: (الواتس أب) لمناقشة قضايا لغوية بسيطة، وغير معقدة تعمل على خدمة الصحفي، وتتيح له انتقاء الكلمة؛ لأن تراثنا غزير بالمعاني التي نحتاجها في المواقف المختلفة، وألا تقتصر أيضاً بدايات الأخبار على الروتين في القول.

العاشر- أن ينطلق المذيع أو مقدم الأخبار من قناعة تامة من أن اللغة العربية جزء أصيل من عمله، ومتطلب أساس لوظيفته، وأن يرى في اللغة مصدر فخر واعتزاز له، وأداة يتسلح بها، وعنصر جذب له، ويثق بأن الأمم

لا تتقدم إلا بلغاتها ، وهذا الأمر ليس مقتصرًا على العاملين في قطاع الإعلام ؛ بل على كل مواطن عربي ، عاملاً كان أم غير عامل ، متعلماً أم غير متعلم ، مثقفاً أم غير مثقف .

الحادي عشر- أن يرى في اللغات الإنسانية الأخرى لغات منافسة للعربية بما تقدمها هذه اللغات من خدمات للبشرية ، وفي الوقت نفسه يعدها لغاتٍ مساندةً للعربية مثلها العربية مساندة للغات أخرى ، فاللغات نوافذ لبعضها على المعارف ، والعلوم والثقافات والحضارات المتعددة ، مما يعود على اللغة الواحدة بالنفع جراء هذا الاحتكاك الذي يفترض أن يكون ضمن أسس ومعايير مضبوطة .

الثاني عشر- أن تعتمد معايير القبول في الإعلام المعدلات المرتفعة في الثانوية العامة بعامه ، وعلامة مبحث اللغة العربية بخاصة .

الثالث عشر- أن يعود المذيع إلى الصحف اليومية ، ويضبط بعض النصوص فيها ، ثم ينتقل إلى ضبط النصوص الشعرية .

الرابع عشر- دمج اللغة في الإعلام ، وذلك بزيادة مواد اللغة العربية في تخصص الإعلام .
الخامس عشر- أن تتاح للإعلامي فرصة مشاهدة نشرات زملائه ، ونشرات في فضائيات أخرى ، من أجل ملاحظة بعض الأخطاء والإفاداة منها .

السادس عشر- تحفيز العاملين في قطاع الإعلام الذين أصبحوا متمكنين من مهارات اللغة العربية .
خاتمة: بعد الفراغ من هذه الورقة العلمية تبين أن هناك عدداً من الملحوظات التي ربما تصلح لأن تكون نتائج لهذه الدراسة ، حيث كانت على النحو الآتي:

لم يقتصر تعدد الهويّات على تعدد اللغات فحسب ، بل تعددت الهويّات لتعدد اللهجات في اللغة العربية نفسها .

ظهور الضعف اللغوي عند المرسلين بعامه ؛ لعدم اعتمادهم على نصوص مضبوطة ، في حين يعتمد مذيعو نشرات الأخبار - في تقديري- على نصوص مشكولة تظهر القوة اللغوية غير الحقيقية عندهم .
محدودية الأخطاء الإملائية في المادة المكتوبة ، إذ يكاد الشريط الإخباري واللوحات الكتابية تخلو من هذه الأخطاء .

اعتماد العدد بالأرقام ، مما يوقع المقدم في بعض الأخطاء أحياناً . وأقترح أن يكون العدد أمام المذيع بالأرقام والكلمات في آنٍ واحد .

كانت الأخطاء النحوية أوسع انتشاراً من الأخطاء الأخرى .
هناك تفاوت في صفاء اللغة وخلوها من الأخطاء بين المذيعين ومقدمي البرامج أنفسهم .

يميل عدد من المحاورين إلى التسكين ، وبخاصة عند تقديم الأسئلة للضيوف .
تفرض طبيعة بعض برامج الجزيرة الحوارية على موظفيها استخدام اللغة الثنائية واللغة المزدوجة والعامية أيضاً .

وأنوّه إلى أنّ غياب بعض أسماء المذيعين ومقدمي البرامج في هذه الدراسة لا يعني أنها على مستوى عالٍ من اللغة وبريئة من الوقوع في اللحن .

الهوامش

- فتحي إبراهيم خضر ، اللغة العربية ووسائل الإعلام ، ص 157 .
 جواد عبد الستار ، اللغة الإعلامية ، ص 37 .
 مقابلة شخصية مع الأستاذ عارف حجاوي مدير المعايير التحريرية في دائرة المعايير ومراقبة الجودة ، رام الله ، 21-10-2017 .
 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فصح .
 سالم المعوش ، اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان ، ص195 .
 فاروق شوشة ، أستاذ اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في جمهورية مصر العربية ، المحاضرة الخامسة ، حزيران ، 2003 ، ص 111-113 .
 فتحي إبراهيم خضر ، اللغة العربية ووسائل الإعلام ، ص 183 .
- ثبت المصادر والمراجع**
 خضر ، فتحي إبراهيم ، اللغة العربية ووسائل الإعلام ، ط1 ، الشامل للنشر والتوزيع ، نابلس ، 2016 .
 عارف حجاوي مدير المعايير التحريرية في دائرة المعايير ومراقبة الجودة ، مقابلة شخصية ، رام الله ، 21-10-2017 .
 عبد الستار ، جواد ، اللغة الإعلامية: دراسة في صناعة النصوص الإعلامية وتحليلها ، دار الهلال ، إربد ، 1998 .
 فاروق شوشة ، أستاذ اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في جمهورية مصر العربية ، المحاضرة الخامسة ، حزيران ، 2003 ، ص 111-113 .
 المعوش ، سالم ، اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز والفضائيات في لبنان ، حزيران 2003 .
 ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، 2003 .

اللغة العربية والمعرفة

Arabic language and knowledge

م.د ساهرة حسين محمود

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة البصرة- العراق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين سابع النعم، والشكر لله تعالى ذي الجود والكرم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين النبي الأكرم الخاتم الأمين، والرسول الأعظم محمد بن عبد الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، الطيبين الطاهرين والأئمة الأخيار، واللجنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .
تعد اللغة عنوان أي أمة واللسان الناطق بهويتها، والمعبر عن خصوصياتها والمجسد لمقوماتها الفكرية والمعرفية. واللغة العربية هي جوهر الذاتية الخاصة للأمة العربية الإسلامية، والعنصر الرئيسي في البناء الثقافي والحضاري الذي رفعت الأمة صروحاً عالياً عبر الزمن؛ ولذلك كان التفريط فيه تقييداً لهذا العنصر الذي هو من أهم مقومات الأمة. فالدين الإسلامي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى بكتابه الحكيم بلسان عربي مبين؛ وأختار الرسول الأكرم محمد بن عبد الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، من خير أهل هذه اللغة التي شرفها الله تعالى وميزها بين لغات العالم أجمع .

فاللغة العربية اللغة الخالدة للقران الكريم، إذ قال تعالى ((أنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)) "سورة الزخرف الآية 3. فهي وسيلة الفرد في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه، والقادرة على العطاء المستمر والمستوعبة لحاجات العصر وملبية المتطلبات العامة، ومتفاعلة مع إحتياجات الحياة لتحقيق جوانبه الاجتماعية والفكرية. فهي من أهم الوسائل التي تحقق التواصل والتفاهم بين افراد المجتمع، وحلقة التواصل في ما بينها، إذ أمسى تعلمها حاجة ملحة في الحياة المعاصرة، التي تشهد ثورة معلوماتية كبيرة نتيجة التقدم في الإتصالات واستخدام التكنولوجيا الحديثة المتطورة .

وتعتبر اللغة العربية أقدم اللغات الحية على وجه الأرض؛ وعلى الأختلاف بين الباحثين حول عمرها، إلا أنه مضي عليها ما يزيد ألف وستمائة عام، وقد تكلف الله عزوجل بحفظها فقال تعالى ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (سورة الحجر الآية 3). ومنذ عصر الإسلام أنتشرت اللغة العربية في معظم أنحاء الأرض، فبلغت مابغها الإسلام من أنتشار، وأرتباطت بحياة الأشخاص فأصبحت لغة العلم والأدب والمعرفة والسياسة والحضارة - فضلاً عن كونها لغة الدين والعبادة - كما أنها تمكنت من أن تستوعب جميع الحضارات - كالعربية واليونانية والفارسية والهندية - المعاصره لها في ذلك الوقت، وأن تجعل منها حضارة واحدة عالمية المنزغ إنسانية الروبه، ولذلك لأول مرة في التاريخ "

أمست اللغة العربية لغة عالمية في ظل القرآن الكريم، واللغة الأم لمختلف الدول، وقع أختلاف الظروف المحيطة بها من أن الأخر لم تنقذ ضرورتها الملحة لها؛ فهي الوسيلة السليمية التي ترتبط بواقع الحياة والقادرة على توصيل الأفكار بعضها بعض، ونقل المعرفة بدقة وأتقان. فستظل لغة الفصاحة والبلاغة والمورد العذب المتفق، لكن في الحفاظ على هذه اللغة صون للهوية وحفظ الكيان، وأستمرار لفهم التراث المعرفي الحضاري الكبير. الذي تناقله الأجيال المختلفة وأضافت له في مختلف مجالات الحياة. المحور الأول دراسة منهجية اللغة العربية لأن نجاحها يكمن في الدعاية الناتجة من النشر والأعلان عبر الطباعة الجيدة والتقديم المتقن لها. تتميز المجتمعات البشرية بقوانينها التي تنظم العلاقة داخلياً بين أفرادها ومؤسستها وكل مكوناتها من جهة؛ وتنظم علاقاتها مع المجتمعات الأخرى من جهة أخرى، لذلك فإن طبيعة المجتمع وتطوير

نظمه بشكل الإرث الحضاري والفكري والتأريخي وحتى التشريعي والواقع العلمي والمعرفي والتنظيمي لذلك المجتمع: (محمد عدنان سالم ، 2010) ⁽¹⁾ لذلك أضحت اللغة من أشد وظائف الإنسان إنسانية ، مما دفع الكثير من العلماء والفلاسفة لدراستها- اللغة العربية – من زوايا متعددة ، أثر تراكم تراث معرفي ضخم في هذا المجال ولطبيعة النظريات المطروحة في هذا الجانب ، فيجب دراسة أكتساب اللغة بمختلف مراحل الطفولة ، وعن علاقتها بالفكر والمعرفة : (جمعة سيد يوسف ، 1990) ⁽²⁾ وقبل الشروع بدراسة نظريات منهجية اللغة العربية ، لأبد من التعريف باللغة من قبل وجهة نظر بعض العلماء الباحثين والمختصين في هذا المجال ومنهم :

- كينيث بايك اللغة بأنن " اللغة سلوك وهي وجه من وجوه النشاط البشري ، فالذي يجب ألا يعامل في جوهره منفصلاً عن النشاط البشري غير الشفوي .

- أما بلوتنك " اللغة شكل من أشكال التواصل ، نتعلم منه أستعمال قوانين معقدة تشكل رموزاً كلمات أو أشارات ، تولد بدورها عدد غير محدود من جمل ذات معنى " .

- باي فيعرفها " اللغة العربية إتصال بين أعضاء مجموعة من الناس عن طريق الأصوات ، تعمل من خلال حاسة النطق ، وذلك بأستعمال رموز صوتية ، تحمل معاني معينة " .

- ويدون " اللغة هي المكان الحقيقي والمعقول لأشكال النظام الاجتماعي ، وما يترتب عليها من أمور اجتماعية وسياسية محددة. ولكنها أيضاً مكان لأحاسيسنا الذاتية التي بنيناها " .

- برنوزلو مالبينوسكي " اللغة نوع من من الكلام يقوي الروابط عن طريق الكلام الذي يمارسه كل من البدو والحضر ، وأن كان هذا الحديث قصيراً عديم الفائدة فهو مهم للناس وضروي لهم ، ليكونوا في أنسجام تام مع بعضهم بعضاً " .

- أما هببولت أنها " إنتاج فردي واجتماعي في آن واحد ، وهي شكل ومضمون ، وهي آله وموضوع ، وهي نظام ثابت وضرورة متطورة ، وهي ظاهرة موضوعية وحقيقة ذاتية " : (موسى رشيد متاملة ، 1998) ⁽³⁾

أما ابن جني فيعرفها " أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " ، وهذا ما أكده العالم (دي سوسور) الذي يرى " أن اللغة جوهر في نظام من الرموز الصوتية " حاتم صالح الضامن ، 1989) ⁽⁴⁾

فالتطور الفكري والحضاري والعلمي لمجتمع ما يقترن بالتطور اللغوي لمفردات ومصطلحات والتقنيات اللغوية له ، " فاللغة فعل اجتماعي من حيث أنها أستجابة لحالة الإتصال البشري ، وفي النهاية هي حقيقة تاريخية وحركية هذه اللغة ترتبط بالبحث اللغوي وأشكال استجابته وتأثره بالعوامل المحيطة به ، وقد تسهم هذه الحركة في إحياء اللغة العربية " ، فينظر إلى اللغة الإنسانية " أنها تنظيم منفتح غير مغلق وتتجلى السمة الإبداعية فيها حول مقدرة المتكلم على إنتاج عدد غير متناهي من الجمل ، فاللغة تعكس مختلف مجالات الأبداع والتطور في المجتمع وفق معايير فكرية متعددة : (عبد الرزاق هندي ، 2012-2013) ⁽⁵⁾ ولذا تقتضي دراسة اللغة " درجة من التجريد على اعتبار أنها تكتشف عن الحقيقة الضمنية ، التي هي أساس أستعمال عدد كبير من الجمل والعبارات " : (مختار درقاوي ، 2014) ⁽⁶⁾

أمتضت الضرورة دراسة اللغة العربية في مطلع القرن العشرين ، بتأثير مناهج الدرس اللغوي الغربي ، " فأعتمدت على المنهج الوصفي بدلاً من المنهج المعياري ، الذي يقود إلى وضع أفتراضات وهمية وعلل ظنية ، لاتنفع الدارس للغة العربية نطقاً وكتابة ومهارة ، وإنما تزوده بملكات تحليلية وقدرات جدلية بعيدة عن روح الدرس اللغوي " : (محمد ذنون يونس الراشدي ، 2014). ⁽⁷⁾ أن معرفة كيفية أكتساب اللغة العربية وتطويرها وممارسة تدريسها على أسس إنسانية ونفسية واجتماعية وتربوية ؛ يبدأ بالطفل فأكتساب اللغة تنمو لديه "

كنموه الاجتماعي والعقلي والإنفعالي يتأثر بعوامل البيئة والوراثة، كما أن النمو اللغوي ارتبطه قوي بالأنواع المختلفة المشار إليها": (محمد زكي مشكور، 2015).⁽⁸⁾

فالطفل يكسب اللغة غير اللفظية واللفظية منذ ميلاده، عن طريق محيطة اللغوي والتي تبدأ بالأسرة وكذلك دور وسائل الترفيه والتثقيف المختلفة " كالحكاية التي يسمعها الطفل من جديه أو أحد الكبار، واللعبة والتلفاز، وكذا الكتاب الذي يحتوي على مقص وشعر ومسرح، وكذلك دور المؤسسات التربوية من قبل المدرسة كالأسرة ورياض الأطفال " ليكسب الطفل اللغة الغير اللفظية واللفظية منذ الميلاد وحتى مراحل حياته المختلفة، حتى يتمكن من استعمال اللغة بسهولة ويسر في تعامله الاجتماعي : (حفيظة تازوتي، 2013)⁽⁹⁾ إلا أن عملية اكتساب اللغة تتم بصورة تدريجية وقبل دخول الطفل للمدرسة، وذلك من البيئة التي يعيش فيها – الأسرة والروضة – عن طريق الإدراك الحسي والعقلي. ثم " يتعلمها من المدرسة التي يتلقى فيها تعليمه النظامي ويتعلمها بنفسه من المواقف التي يمر بها، والتي تؤدي إلى اكتسابه للمعرفة": (مشرف محمد مجول، 2015)⁽¹⁰⁾

أن عملية نقل المعلومات والمعارف إلى المتعلم تتم بطريقة تؤدي إلى تنمية قدراته والتأثير في شخصيته حتى يصل به إلى التصور الواضح والتفكير المنظم واللغة العربية المقصودة هنا هي العربية الفصحى، وماتحتويه من تراث أدبي وفكري": (هدى معطوف، أمال رضاني، 2016-2017).⁽¹¹⁾ ولبت اللهجة المحلية (العامية) فالقوالب الذهنية التي تعالج المعلومات الوافدة إلى الدماغ وتنظمها، تعطي الأولوية لشبكة العلاقات الدلالية السائدة داخل النظام اللغوي": (عبد الصمد لميش، 2018).⁽¹²⁾ ولئن اللغة العربية الفصحى أغنى اللغة المحلية في مفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها اللغوية، " وأن قواعدها أكثر تطوراً وتقنياً، وأوسع انتشاراً جغرافياً، لذلك فهي تصلح أداة فاعلة للتفكير المجرد واكتساب المعرفة، والتواصل مع التراث والتراكم الثقافي"، وأساس للتعاون بين جميع البلدان: (علي القاسمي، 2007).⁽¹³⁾

أن استخدام التقنية الحديثة في تعلم اللغة العربية وتعليمها ونشرها أثره في التواصل الحضاري، من خلال استخدام التعليم المبرمج والتعليم الذاتي، وتقنية الحاسوب والاتصال الجماهيري وتقنية الإعلام الرقمي لها هذا الأمر عظيم الأثر على اللغة العربية وإتقانها وانتشارها وتعليمها، وهو أمر تقني إعلامي أن واحد، لذا من الممكن أن تقوم التقنيات الحديثة لشكل أكلر وأفضل لتحقيق العديد من الخدمات والفوائد للغة وتمكين الجميع من الأطلاع عليها؛ لأنها تمكين- التقنيات الحديثة – من تقديم صورة واضحة عن الثقافة العربية الإسلامية، وإسهاماتها الحقيقية في الفكر الإنساني وفي تحقيق التواصل الحضاري ونشر اللغة العربية، وفي اللحاق بركب التقدم والتطور في ميدان تعلم اللغة وتعليمها: (صلاح عبد الحميد العربي، 1981).⁽¹⁴⁾

ان لوسائل الإعلام في مجال اللغة حقق فوائد كبيرة التطوير ماأصطلح على تسميته اللغة الثالثة، فاللغة الصحافية والأذاعية أصبحت لغة مشتركة للتفاهم، كما أنه مكن – رغم سلطويتهورغم التنافر في المواقف السياسية بين الأنظمة التبوظفت وسائل الإعلام في معاركها البينية – من زيادة التعارف والتقارب بين الشعوب، فالإعلام الرقمي المتطور عمق كثيراً من فرص الإطلاع، وبين مدى تأثيرها في عملية التثقيف والتربية وخاصة في نشر لغة عربية فصحى (☺) سلطان بلغيث، 2006).⁽¹⁵⁾ إذ تحظى اللغة العربية بتراث معرقي، فهي ذاخرة بالشعر والنثر والأدب وكلها معارف ثقافية، فضلاً عن أهميتها في القصص الإخبارية، إذ يمكن الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر عند بناء تقرير أو قصة، من أجل تزويد الناس برصيد لغوي جديد: (عابد توفيق الهاشمي، 2006).⁽¹⁶⁾

المحور الثاني: أن اللغة المحور الأساس لنقل المعلومات والأفكار باختلاف أنواعها وتشعب مجالاتها. أمس العالم اليوم قرية صغيرة بفضل تطور وسائل الاتصال الحديثة، ولكي تكون على "اتصال بهذا العالم والذي يأتي بكل لحظة بجديد في مجالات العلم والتكنولوجيا والسياسة والاقتصاد والتربية وغيرها"، كان لابد

لنا من ألقان اللغة الأم العربية: (موسى رشيد حتاملة، 1998).⁽¹⁷⁾ وللتكنولوجيا الحديثة دور مهم وكبير في نشر مختلف المعارف عبر شبكة الأتصال الداخلية و البريد الإلكتروني ونظم الأرشفة والإدارة الإلكترونية لضمان وصولها إلى كل الأفراد في كل الأحيان: (خالد عتيق سعيد عبد الله، جاسم محمد جرجيس، 2014).⁽¹⁸⁾ نكون على علم ودراية بما يجري حولنا ومجارات التطورات الحديثة والتأقلم معها، بالإضافة إلى فتح الأفاق الواسعة للتفاعل الحضاري والثقافي: (موسى رشيد حتاملة، 1998).⁽¹⁹⁾ إذ لم تعد وسائل الإعلام المختلفة وسيلة ترفيهية وتمضية للوقت، بل أضحت الآن في طليعة وسائل نشر اللغة العربية –المقروءة والمسموعة والمرئية – في تؤدي أغراضاً محددة وتحقيق أهدافاً معينة: (علي القاسمي، 2010)⁽²⁰⁾ إن العناية بنشر المعارف والأفكار وتداولها أحد أهم مداخل النهضة الحضارية المرتقبة، " وتعد المكتبة الرقمية في طليعة هذه الوسائل المعتمدة لتحقيق هذا الهدف، إذ هي وعاء المعارف بما يتوفر فيها من كتب ووثائق ونصوص، كما أنها ركيزة أساسية في اكتساب المعرفة": (سمير عبد الرحمن الشميري، 2013).⁽²¹⁾ فهي تلك المعارف العلمية تستند على وثائق مكتوبة أو مطبوعات – تعد مصدراً أساسياً للمعلومات ومعيارات مهمماً لمدى القدرة على تحصيل تلك المعرفة، مما يولد لدى المتعلم محفزاً قوياً لتلقي تلك المعلومات: (عبد الصمد لميش، 2019).⁽²²⁾ لذلك فإن تطور وسائل الإعلام والثورة المعلوماتية الهائلة، قد يبدأ طريقة القراءة دون أن يمس جوهرها، والأمر شئبان إذا قرأ صفحة مطبوعة على شاشة: (محمد عدنان سالم، 2010).⁽²³⁾ فقد وظف علماء اللغة قدرة اللغة العربية الفائقة، لترجمة العلوم والمعارف المتعددة والكثير من التخصصات في التكنولوجيا المعاصرة، لأنها تعتبر هوية الأمة وعنوان استقلالها، و وعاء ثقافتها وحضاراتها: (عبد الناصر علي، 2019).⁽²⁴⁾

فاللغة العربية من أهم الوسائل التي تحقق التواصل الاجتماعي والفكري بين فئات المجتمع، ففيها تظهر ميول الشخص واتجاهاته المتعددة، " فهي وظيفة ثقافية مهمة تحمل الثقافة مهمة تحمل الثقافة والعلوم والفنون والآداب من جيل إلى جيل؛ فهي تلعب دوراً حلوياً في تثقيف الفرد، ومن خلالها يتصل بغيره من الأفراد، لأنها أسلوب للتخاطب والاتصال، فمن دون اللغة اللغة والتعبير عن الأفكار بواسطتها لا يمكن للمجتمع أن يشهد النمو والتطور اللأزم لأنتاشه". وتعد اللغة أداة للتفكير والمعالجة في كل ما يدور في ذهن الإنسان من أفكار وأهتمامات، إذ بواسطتها تتم عملية التعلم والتعليم: (بشرى بوقضة، 2016-2017).⁽²⁵⁾ لذفان عملية اكتساب المعرفة أحد الأحيقيات الإنسانية الأساسية، غلتي هي حق أصيل للناس؛ لكنها أيضاً تعد سبيل التنمية الإنسانية في جميع مجالاتها. " فالتنمية الإنسانية في الجوهر، هي نزوع دائم لترقية الحالة الإنسانية للبشر من أوضاع تعد غير مقبولة في سياق حضاري معين إلى حالات أرقى من الوجود البشري، تؤدي بدورها إلى أرتقاء منظومة اكتساب المعرفة" (أسامة سعد الدين، 2019).⁽²⁶⁾ لذلك تمثل المعرفة أحد أهم مرتكزات التنمية الإنسانية الشاملة والمستدامة، فيجب على مكونات المجتمع وفئاته كافة، " الأنخراط في عملية نقل المعرفة وتوطينها وتوظيفها وإنتاجها، ومواجهة التحديات التي قد تتعرض سبيل بناء مجتمع المعرفة، سواء في التعليم أو البحث العلمي أو القطاعات الأخرى" (نخبة من الأستشاريين والخبراء، 2019).⁽²⁷⁾ وأن مجتمع المعرفة الحديث " لا يستطيع أن يتطور ويباشر حضوره العلمي والثقافي، إلا من خلال وجود الشريان الحيوي الذي يبيت فيه التقدم والعطاء بشكل دائم ومستمر والذي هو مرتبط بمفهوم الحرية من التعبير والإبداع، للوصول إلى مجتمع معرفي جديد ومتطور بشكل دائم": (وليد المسعودي، 2014).⁽²⁸⁾ وإن "أختلاف النظم المعرفية في طبيعة بنيتها يعني أنها تختلف في منطق تربيتها وبنائها وأكتسابها وتعلمها وتحصيلها، ومن ثم تعليمها للطلبة، لذلك تكون المعلومات والحقيقة والمفهوم والمبدأ والقاعدة والتصميم والفرضية والنظرية والاتجاهات والقيم والمهارات، هي البنات الأساسية في أي

نظام معرفي": (هدى محمد سلمان، 2015).⁽²⁹⁾ فالعمل الإنساني يفكر باللغة ويترجمها، والذي لا تقوم له قائمة بدون اللغة العربية، ولقد أستحدثت لنفسها في ظل التطور والمعلوماتية أدواتاً جديداً بجوار دورها الاقتصادي والسياسي، وتوهلها لأستيعاب كل التغيرات المستحدثة.

المحور الثالث: دو اللغة العربية في قراءة التاريخ.

إن اللغة العربية ليست جزءاً منفصلاً عن كيان الأمة الناطقة بها، فالعلاقة بينهما علاقة عضوية وثيقة، فسلامة هذا الجزء المهم هي من سلامة كيانها المرتبط بها. ولذلك فإن " اللغة العربية التي ترتبط بالأمة العربية والشعوب للإسلامية التي تتكلم اللغة العربية روحياً وثقافياً، بأعتبرها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولغة العبادات ولغة التراث الإسلامي التي تعزز به هذه الشعوب وتستمد منه هويتها وخصوصياتها الروحية والثقافية والحضارية، فهي لسان هذا الكيان المعبر عن ثقافته وحضارته" (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2013).⁽³⁰⁾

فاللغة إذأ جزء لا يتجزأ من سيادة الأمة، والحفاظ عليها هو خصوصياتها وضمان أستمرارها وإشعاعها، وحماية المكونات والمقومات والقيم"، التي تشكل العناصر الجوهرية لكيانها الحضاري: (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2008).⁽³¹⁾ "وأزدهار اللغة العربية يعدأ زدهاراً للحياة العقلية وتاريخها الثقافي والحضاري، وتحقق تقدماً في مجال العلوم والفنون والآداب وأن في قوتها قوة للأمة الناطقة بها، وتكتسب قوتها من إبداع أهلها بها، والذي يشمل مختلف نواحي الحياة العامة في المجتمع، وبعكس ذلك فإن في ضعف اللغة هو ضعف للأمة الناطقة بها، الذي يمتد إلى كافة مفاصل المجتمع، مما يؤثر سلباً في التراجع الثقافي والحضاري لهذه الأمة" (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2013).⁽³²⁾

إن توقف الأجيال عن قراءة تاريخهم وأحدث العالم ومستجدات الأفكار، يؤدي إلى التخلف والجمود ويعقدهم عن مرتبة الأجتهد أو يتحقق الإبداع، ويتخلفون عن ركب الحضارة والتقدم فيتجاوزخم التاريخ: (محمد عدنان سالم، 2010).⁽³³⁾ فاللغة العربية وسيلة للإطلاع على الثقافة العربية الإسلامية، وعلى الآداب والفنون المتعددة وعلى ما تزخر به مكتباتهم المختلفة من الذخائر بما تحتويه من تراث إنساني غني: (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2013).⁽³⁴⁾، لذلك فاللغة تحيا وتزدهر بحياة الأمة الناطقة بها، وبما يدع به أصحابها في مجال العلوم والآداب والمعارف وفي مختلف مجالات الحياة، فينالون بذلك المكاة اللأئقة بهم بين الأمم: (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2008).⁽³⁵⁾

فاللغة الأساس التكويني للأمة، في هذه المرحلة التي تهاجم فيها هويتها الثقافية والفكر والآداب والفنون المختلفة؛ وهي قادرة على الصمود بوجه موجات التغريب العاتية: (عبد العزيز بن عثمان التويجري، 2008).⁽³⁶⁾ فاللغة العربية هي " وعاء الحضارة وحافظة التراث الفكري والأدبي والاجتماعي للإنسان في مختلف عصوره الماضية": (هدى معطوف، آمال رمضان، 2016-2017).⁽³⁷⁾

خاتمة:

تعتبر اللغة العربية من أهم الوسائل التي تحقق التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع كافة، إذ أن لتعلمها لحاجة ملحة في الحياة المعاصرة، التي تشهد ثورة معلوماتية كبيرة نتيجة التقدم في الإتصالات. فاللغة العربية هي أتي خص الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز بها، فجعل آخر رسالة سماوية للعالمين بهذه اللغة، لعلو شأنها وكهال نضجها وتوقها على غيرها من اللغات في التعبير عن معاني بدقة ووضوح، فهي لغة القرآن الكريم ولسان البيان أعزها الله عزوجل ونشرها في كل مكان وزمان. ولئن كانت اللغة العربية بهذا العمق والشمول فإن مصدر قوتها ونهائها وزدهارها ورقبها، يضل دوماً مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بالمستوى الثقافي والحضاري والعلمي؛ الذي وصلت إليه الأمة العربية الإسلامية، فيقدر قوة الأمة تقوى لغتها، وبالعكس في ضعفها تضعف الأمة لانها جزء لا يتجزأ منها.

أن الأهتمام بهذه اللغة يعكس مدى الوضع الذي وصلت إليه لغة الضاد في الوقت الحاضر، ويعبر عن الشعور الذي أخذ يتنامى بأن اللغة هي رمز السيادة الوطنية والتميز، وفقدانها يعني فقدان الهوية التي هي قوام الأمة وعنوان شعبها، وهي الركن الأساس لخصيائتها الثقافية والحضارية؛ فلا قوة ولا قدرة على المقاومة والدفاع عن الحقوق، اذت ضعفت اللغة وتراجعت عن الوفاء بالمتطلبات الذي يتطلبها نمو المجتمع وأزدهاره وتقدمه. بل إن عزل اللغة عن مجرى الحياة العامة، يورث الضعف العام عن كيان الأمة الناطقة بها؛ فلا تستطيع الحفاظ على مقوماتها وحماية مصالحها وصون حقوقها وبناء ذاتها، فيجب سن القوانين التي تحمي اللغة العربية وتحافظ على سلامتها وصحتها في جميع المواقع التي تستخدم فيها اللغة العربية، باعتبار أن المساس بحرمة اللغة الوطنية يعني أنتهاك لسياسة الدولة. وهذا مبدأ دستوري يعمل به في الدول التي تحترم خصوصيات لغتها الحضارية والثقافية وتصون هويتها الوطنية.

هوامش البحث

- (1) محمد عدنان سالم، الكتاب في الألفية الثالثة لاورق!! ولا حدود!! (د.م، 2010)، ص.3.
- (2) جمعة سيد يوسف، سيكلوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، سلسلة (145)، كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت، 1990)، ص.7.
- (3) موسى رشيد حاتم، نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية، القسم الأول، (ديي، 1998)، ص ص 94-96.
- (4) حاتم صالح الضامن، عالم اللغة، ط1، مطبعة التعليم، (الموصل، 1989)، ص.32.
- (5) عبد الرزاق هندي، آثار الدرس اللساني في تفعيل الدرس اللغوي العربي " دراسة ميدانية في الجامعة الجزائرية"، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب واللغات، (جامعة الجزائر، 2012-2013)، ص أ.
- (6) مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، (الجزائر، 2015)، ص.9.
- (7) محمد ذنون يونس الراشدي، علم الوضع وأثره في الفكر اللغوي قديماً وحديثاً، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 18، المجلد 8، جامعة الموصل، (2014)، ص.12.
- (8) حميد زكي مشكور، اكتساب اللغة، (الجزائر، 2015)، ص.159.
- (9) حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصب للنشر، (الجزائر، 2003)، ص.2.
- (10) مشرق محمد مجول، استراتيجيات ماوراء المعرفة رؤية نظرية في عملية اكتساب المفاهيم النحوية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 21، (جامعة بابل، 2015)، ص 403؛ لهيب عبد الوهاب مصطفى، أثر استخدام دورة التعلم وخرائط المفاهيم في اكتساب المفاهيم التاريخية لطالبات الصف الأول المتوسط في مادة التاريخ والأنتجاه نحو المادة، أطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية (أبن رشد)، (جامعة بغداد، 2004)، ص.8.
- (11) هدى معطوف، آمال رمضان، معايير اختيار النصوص الأدبية في المناهج التعليمية -كتاب السنة الخامسة ابتدائي نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، (جامعة العربي التبسي تبسة - الجزائر، 2016-2017)، ص.7؛ عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ط2، دار النهضة العربية للنشر، (بيروت، 2004)، ص.89.
- (12) عبد الصمد لميش، معوقات اكتساب الفصاحة لدى طلبة قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة من وجهة نظر العرفانية التداولية، مجلة حوليات الآداب واللغات، العدد 11، المجلد 5، (الجزائر، 2018)، ص.96.

(13) علي القاسمي ، الطفل وأكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق ، بحث مشارك في المؤتمر السادس "لغة الطفل والواقع المعاصر" مجمع اللغة العربية ، (دمشق ، 2007) ، ص3.
(14) صلاح عبد الحميد العربي ، تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق ، مكتبة لبنان ، (بيروت ، 1981) ، ص17.

(15) سلطان بلغيت وسائل الإعلام و اللغة العربية الواقع والمأمول ، (د.م ، 2006) على الموقع:

<http://www.diwanalArab.com/spip.php?article>

(16) عابد توفيق الهاشمي ، طرائق تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها للمرحلة الدراسية ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 2006) ، ص ص 23، 25. للمزيد من المعلومات حول استخدام التكنولوجيا الحديثة في تعليم اللغة العربية رابع : هاني إسماعيل محمد ، مصطفى سركاه عبد السلام ، صعوبات أكتساب المحادثة العربية لغير الناطقين بها دراسة وصفية على طلاب جامعة غيرسون التركية ، بحث منشور ضمن كتاب سجل المؤتمر الدولي الأول ، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها " نظرة نحو المستقبل " ، إسطنبول – الرياض ، (2017) ، ص73.

(17) موسى رشيد حتاملة ، المصدر السابق ، ص93.

(18) خالد عتيف سعيدد عبد الله ، جاسم محمد جرجيس ، إدارة المعرفة : مفهومها وأهميتها ، دوافع تطبيقها في المكتبات العامة في دولة الإمارات العربية المتحدة من وجهة نظر مديرها ، (الدوحة ، 2014) ، ص 3 للمزيد من المعلومات راجع : سعد محمود كواز ، محمد نايف محمود ، إتجاهات تطور المعرفة في الدول العربية ، (جامعة الموصل ، د.ت) ، ص13.

(19) موسى رشيد حتاملة ، المصدر السابق ، ص93 ؛ جورج ن نحاس ، تعليم اللغة العربية من منظار معرفي ، (لبنان ، 1997) ، ص1 .

(20) علي القاسمي ، السياسة اللغوية والتنمية البشرية المفهوم والإنتاج ، (بيروت ، 2010) ، ص9.

(21) سمير عبد الرحمن الشمبري ، استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها وأثره في التواصل الحضاري ، مجلة جامعة الناصر ، العدد 2 ، (صنعاء ، 2013) ، ص149.

(22) عبد الصمد لميش ، المصدر السابق ، ص94.

(23) محمد عدنان سالم ، الكتاب العربي وتحديات الثقافة على مشارف القرن الحادي والعشرين ، (د.م ، 2010) ، ص7.

(24) عبد الناصر علي ، هل اللغة العربية قادرة على أستيعاب المعرفة العلمية والتكنولوجيا المعاصرة ؟ ، (د.م ، 2019) ص5 ، أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، (قاهرة ، 1988) ، ص89.

(25) بشرى بو قصة ، ضعف التحصيل اللغوي عند المتعلم في طور المتوسط ، متوسطة عيساوي عمار ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب واللغات ، (جامعة العربي التبسي – تبسة – الجزائر ، 2016-2017) ، ص أ.

(26) أسامة سعد الدين ، العربية بين أكتساب المعرفة وإنتاجها ، بحث منشور ضمن كتاب أعمال الندوة العالمية الدولية التي نظمها مركز اللغات في معهد الدوحة للدراسات العليا ، (قطر ، 2019) ، ص37.

(27) نخبة من الأستشاريين والخبراء ، تقرير المعرفة العربي للعام 2014 ، الشباب وتوطين المعرفة – دولة الإمارات العربية المتحدة ، أعداد بدعم ورعاية من مؤسسة محمد بن راشد المكتوم والمكتب الإقليمي للدول العربية ، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، طبع شركة دار العزيز للطباعة والنشر ، (دبي ، 2014) ، ص3.

(28) وليد المسعودي ، مجتمع المعرفة ضمن ثنائية الإبداع والخطر ، مجلة رهي التربوية ، العدد46-47 ، (د.م ، 2014) ، ص16.

- (29) هدى محمد سلمان ، الإتجاهات الحديثة لطرائق تدريس اللغة العربية نحو بيئة تعليمية معاصرة ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد 47 ، (جامعة بغداد ، 2015) ، ص34. للمزيد من المعلومات حول طبيعة النظام المعرفي للغة العربية راجع : الغالي أحرشواو ، التربية المعرفية وسيكولوجية الإرشاد في العالم العربي ، مجلة ، العدد 3 ، (المغرب ، 2017) ، ص9.
- (30) عبد العزيز بن عثمان التويجري ، حاضر اللغة العربية ، مطبعة الإيسيكو ، (الرباط ، 2013) ، ص31.
- (31) عبد العزيز بن عثمان التويجري ، اللغة العربية والعولمة ' منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، مطبعة الإيسيكو ، (الرباط ، 2018) ، ص8.
- (32) عبد العزيز بن عثمان التويجري ، حاضر اللغة العربية المصدر السابق ، ص7.
- (33) محمد عدنان سالم ، القراءة أولاص ، (د.م ، 2010) ، ص15.
- (34) عبد العزيز بن عثمان التويجري ، حاضر اللغة العربية المصدر السابق ، ص31.
- (35) عبد العزيز بن عثمان التويجري ، اللغة العربية والعولمة ، المصدر السابق ، ص8.
- (36) عبد العزيز بن عثمان التويجري ، حاضر اللغة العربية ، المصدر السابق ، ص28.
- (37) هدى معطوب وآخرون ، المصدر السابق ، ص1.

قائمة المصادر

- أسامة سعد الدين ، العربية بين أكتساب المعرفة وإنتاجها ، بحث منشور ضمن كتاب أعمال الندوة العالمية الدولية التي نظمها مركز اللغات في معهد الدوحة للدراسات العليا ، (قطر ، 2019).
- بشري بوقصة ، ضعف التحصيل اللغوي عند المتعلم في طور المتوسط ، متوسطة عيساوي عمار ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب واللغات ، (جامعة العربي التبسي - تبسة - الجزائر ، 2016-2017) .
- جمعة سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، عالم المعرفة ، سلسلة (145) ، كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، (الكويت ، 1990).
- حاتم صالح الضامن ، عالم اللغة ، ط1 ، مطبعة التعليم ، (الموصل ، 1989).
- حفيفة تازورتي ، أكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، دار القصب للنشر ، (الجزائر ، 2003) .
- حميد زكي مشكور ، أكتساب اللغة ، (الجزائر ، 2015).
- خالد عتيق سعيد عبد الله ، جاسم محمد جرجيس ، إدارة المعرفة : مفهومها وأهميتها ، دوافع تطبيقها في المكتبات العامة في دولة الإمارات العربية المتحدة من وجهة نظر مديرها ، (الدوحة ، 2014).
- سعد محمود كواز ، محمد نايف محمود ، إتجاهات تطور المعرفة في الدول العربية ، (جامعة الموصل ، د.ت) .
- سلطان بلغيث وسائل الإعلام و اللغة العربية الواقع والمأمول ، (د.م ، 2006) على الموقع:
<http://www.diwanalArab.com/spip.php?article>
- سمير عبد الرحمن الشميري ، استخدام التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها ونشرها وأثره في التواصل الحضاري ، مجلة جامعة الناصر ، العدد 2 ، (صنعاء ، 2013) .
- صلاح عبد الحميد العربي ، تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق ، مكتبة لبنان ، (بيروت ، 1981) .
11. عابد توفيق الهاشمي ، طرائق تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها للمرحلة الدراسية ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 2006) .
- عبد الرزاق هندي ، آثار الدرس اللساني في تفعيل الدرس اللغوي العربي " دراسة ميدانية في الجامعة الجزائرية " ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب واللغات ، (جامعة الجزائر ، 2012-2013).
- عبد الصمد لميش ، معوقات أكتساب الفصاحة لدى طلبة قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة من وجهة نظر العرفانية التداولية ، مجلة حوليات الآداب واللغات ، العدد 11 ، المجلد 5 ، (الجزائر ، 2018).
- عبد العزيز بن عثمان التويجري ، اللغة العربية والعولمة ' منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، مطبعة الإيسيكو ، (الرباط ، 2018) .
- عبد العزيز بن عثمان التويجري ، حاضر اللغة العربية ، مطبعة الإيسيكو ، (الرباط ، 2013).

- عبد الناصر علي ، هل اللغة العربية قادرة على أستيعاب المعرفة العلمية والتكنولوجيا المعاصرة ؟ ، (د.م ، 2019) ص5 ، أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، (قاهرة ، 1988).
- عبد الرحيم ، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، ط2 ، دار النهضة العربية للنشر ، (بيروت ، 2004).
- علي القاسمي ، السياسة اللغوية والتنمية البشرية المفهوم والإنتاج ، (بيروت ، 2010) .
- علي القاسمي ، الطفل وأكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق ، بحث مشارك في المؤتمر السادس "لغة الطفل والواقع المعاصر" مجمع اللغة العربية ، (دمشق ، 2007) .
- الغالي أحرشاو ، التربية المعرفية وسيكولوجية الأرشاد في العالم العربي ، مجلة ، العدد 3. (المغرب ، 2017).
- لهيب عبد الوهاب مصطفي ، أثر استخدام دورة التعلم وخرائط المفاهيم في أكتساب المفاهيم التاريخية لطالبات الصف الأول المتوسط في مادة التاريخ والأنتجاه نحو المادة ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، كلية التربية (أبن رشد) ، (جامعة بغداد ، 2004) .
- محمد ذنون يونس الراشدي ، علم الوضع وأثره في الفكر اللغوي قديماً وحديثاً ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد 18 ، المجلد 8 ، جامعة الموصل ، (2014) .
- محمد عدنان سالم ، القراءة أولاً ، (د.م ، 2010).
- محمد عدنان سالم ، الكتاب العربي وتحديات الثقافة على مشارف القرن الحادي والعشرين ، (د.م ، 2010) .
- محمد عدنان سالم ، الكتاب في الألفية الثالثة لاورق !! ولا حدود !! ، (د.م ، 2010).
- مختار درقاوي ، نظرية تشومسكي التحولية التوليدية الأسس والمفاهيم ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، العدد 13 ، (الجزائر ، 2015).
- مشرق محمد مجول ، أستراتيجيات ماوراء المعرفة رؤية نظرية في عملية أكتساب المفاهيم النحوية ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، العدد 21 ، (جامعة بابل ، 2015) .
- موسى رشيد حتاملة ، المصدر السابق ، ص93 ؛ جورج ن نحاس ، تعليم اللغة العربية من منظار معرفي ، (لبنان ، 1997) .
- موسى رشيد حتاملة ، نظريات أكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية ، القسم الأول ، (دي ، 1998).
- نخبة من الأستشاريين والخبراء ، تقرير المعرفة العربي للعام 2014 ، الشباب وتوطين المعرفة — دولة الإمارات العربية المتحدة ، أعداد بدعم ورعاية من مؤسسة محمد بن راشد المكتوم والمكتب الإقليمي للدول العربية ، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، طبع شركة دار العزيز للطباعة والنشر ، (دي ، 2014) .
- هاني إسماعيل محمد ، مصطفي سركاه عبد السلام ، صعوبات أكتساب المحادثة العربية لغبر الناطقين بها دراسة وصفية على طلاب جامعة غيرسون التركية ، بحث منشور ضمن كتاب سجل المؤتمر الدولي الأول ، تعليم اللغة العربية لغبر الناطقين بها " نظرة نحو المستقبل " ، إسطنبول — الرياض ، (2017).
- هدى محمد سلمان ، الإتجاهات الحديثة لطرائق تدريس اللغة العربية نحو بيئة تعليمية معاصرة ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد 47 ، (جامعة بغداد ، 2015).
- هدى معطوف ، آمال رضاني ، معايير أختيار النصوص الأدبية في المناهج التعليمية — كتاب السنة الخامسة أبتدائي نموذجاً ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب واللغات ، (جامعة العربي التسي تبسة — الجزائر ، 2016-2017).
- وليد المسعودي ، مجتمع المعرفة ضمن ثنائية الإبداع والخطر ، مجلة رأي التربوية ، العدد 46-47 ، (د.م ، 2014) .

السياحة الثقافية بمدينة فاس: واقع ورهانات Cultural tourism in Fez city: Reality and Bets

أ.سكينة البقالي جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس -المغرب
د. صباح سرغيني جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس -المغرب

مقدمة

تشكل السياحة الثقافية بمدينة فاس منتجا مهما يرتكز على الموروث الثقافي بشقيه المادي واللامادي سواء تعلق الأمر بزيارة المعالم التاريخية والأثرية (المتاحف، الأبراج، المدارس العتيقة...) أو حضور تظاهرات وفعاليات ثقافية ودينية من مواسم ومهرجانات (المهرجان الدولي للموسيقى العالمية العريقة، موسم سيدي أحمد التيجاني...).

ونظرا للمقومات التراثية التي تزخر بها مدينة فاس فقد حظيت باهتمام دولي جعلها تصنف كجمال تراثي إنساني عالمي وفضاء لممارسة السياحة الثقافية ببدايات جد مبكرة، وحاليا أضحت العلاقة بين الثقافة والسياحة في تطور جد مهم خاصة مع التوجهات الجديدة التي تركز على تهمين الموروث الثقافي وربطه بالوظيفة السياحية. إذ تؤكد الإحصائيات الوطنية على أن ما يفوق 50% من مجموع الزيارات السياحية للمغرب تفضل الوجهات التراثية ذات الإشعاع الثقافي بامتياز. فعلى مدى سنوات يتأرجح المنتج السياحي المغربي بين السياحة الشاطئية والسياحة الثقافية، ولعل هذه المنافسة بين المنتج الساحلي والثقافي ستكون نتائجها من نصيب السياحة الثقافية للإقبال المتزايد عليها (Berrian M, 1979).

ضمن هذا المنحى، تسعى هذه المداخلة إلى دراسة وتشخيص التنوع التراثي لمدينة فاس الذي يساهم بطريقة أو بأخرى في تشجيع السياحة الثقافية، وكذا سنتطرق إلى التدابير المتخذة لتثمين التراث وترقية القطاع الثقافي والسياحي بالمدينة. فما هو إذن واقع حال الموروث الثقافي بمدينة فاس؟ وماهي أهمية التكامل بين السياحة والإرث الثقافي والتراثي في النهوض بمشاريع التنمية؟. وذلك بالاعتماد على منهج وصفي تحليلي ينطلق من رصد مقومات واقع الموروث الثقافي وخصائصه وكذا التحولات التي عرفها وصولا إلى الإطار التحليلي الاستنتاجي الذي يقدم مجموعة من التدابير والاستراتيجيات لتثمين التراث ودمجه في المسلسل التنموي لترقية السياحة الثقافية بمدينة فاس وجعلها قاطرة للتنمية.

1. الإطار المفاهيمي للدراسة

- السياحة Tourism

تختلف تعريف السياحة باختلاف الزوايا التي ينظر إليها، فمنهم من يعرفها كظاهرة اجتماعية، والبعض الآخر يعرفها كظاهرة اقتصادية، ومنهم من يرى بأنها عامل لبعث العلاقات الإنسانية والتنمية الثقافية، ويمكن لنا استحضار تعريف العالم الألماني جوير فرويلر Guyer Freuler سنة 1905، والذي عرفها كما يلي: " السياحة ظاهرة من ظواهر عصرنا تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة وتغيير الهواء، وإلى مولد الإحساس بجمال الطبيعة، وإلى الشعور بالبهجة والمتعة" (نعيم عبد الظاهر وسراب إلياس، 2007)، " فالنشاط

السياسي يرتبط بالأنشطة الترويجية ويقوم على تنقلات فصلية، لسكان المدن، خاصة نحو جهات لها إمكانات طبيعية وتجهيزات ملائمة تستجيب لمتطلبات السائحين" (George, P, 1970). انطلاقاً من التعاريف السابقة نلاحظ أنه لا يوجد تعريف واحد للسياحة، لكن نستطيع القول أن النشاط السياحي ينبنى على عنصرين أساسيين هما التنقل والترفيه.

- التراث heritage

تدل كلمة التراث في الاصطلاح على "كل ما وصلنا عن أجدادنا من موروث لغوي وفكري ومعرفي وفلسفي وثقافي وديني وأدبي، ويحتل مكانة كبرى في تفكيرنا وسلوكنا وعلاقتنا الداخلية والخارجية." (محمد أزلماط 2013).

ويشمل التراث كل المقومات المادية (المتاحف، المواقع التاريخية والأثرية، المساجد، أي كل ما جادت به أيادي الصناع والحرفيين) وغير المادية (المهرجانات، المواسم، العادات والتقاليد...) التي خلفتها الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة، فبالإضافة إلى كونه هوية وشاهد على حضارة عريقة، فهو أيضاً ثروة تاريخية وثقافية خاصة مع توظيفه وتثمينه وجعله رافداً من روافد التنمية وعاملاً للجذب السياحي.

- السياحة الثقافية Cultural Tourism

تتطلب السياحة الثقافية معرفة أشياء جديدة ليست معروفة لدى السياح، وتتم عبر "زيارة المناطق الأثرية المشهورة بآثارها القديمة من مختلف الحضارات" (خالد كواش، 2007)، فهذا النوع من السياحة يجذب نوعاً معيناً من السياح الذين يرغبون في اكتشاف حضارة وثقافة وأفكار جديدة والاستمتاع بكل أنواع التراث. تشكل السياحة الثقافية مجموع العادات السياحية المرتبطة بالموروث الثقافي والتي تتجسد في زيارة المواقع التاريخية، وحضور فعاليات وتظاهرات ثقافية وفنية وفلكلورية، ناهيك عن حضور وزيارة المعارض بمختلف أنواعها، واقتناء منتوجات الصناعة التقليدية وبذلك يعتبر التراث مكوناً رئيسياً في النشاط السياحي الثقافي ورافداً من روافد التنمية.

2. مدينة فاس العتيقة تنوع تاريخي وتراثي ومجال للسياحة الثقافية بامتياز

إن المتأمل في أزقة ومعمار المجال العتيق لمدينة فاس يستخلص مدى العمق التاريخي والتنوع الثقافي الذي تزخر به المدينة، والذي ساهم في تشكيله إمارات ودول توالى على حكم فاس منذ نشأتها على يد الدولة الإدريسية في شخصها المولى إدريس الثاني سنة 192هـ/808م على ضفاف واد فاس. وقد أنشأت المدينة من مجموع عدوتين: عدوة القرويين بالجزء الغربي بمعلمتها الفريدة مسجد القرويين الذي بنته فاطمة الفهرية، وعدوة الأندلس بالجزء الشرقي ومعلمته المعروفة مسجد الأندلس مؤسسها أختها مريم الفهرية، والمعالم الأصيل للمدينة.

وقد عاشت مدينة فاس أهم فترات ازدهارها بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر عندما كانت عاصمة للدولة المرينية، واحتضنت ثاني أقدم جامعة في العالم بعد "جامع الزيتونة" وهي "جامعة القرويين" (صليحة عشي، 2011). لقد عملت الوفود التي حلت على مدينة فاس منذ فجر تأسيسها - سواء من القيروان بتونس أو من قرطبة بالأندلس - على إغناء الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب وانتعاش الحياة الحضارية بالمدينة نتيجة لهما حملوه من مقومات النمو الاقتصادي كالتجارة والصناعة التقليدية والأموال والمعارف...إلخ.

وعملت الحقب التاريخية التي مرت بها مدينة فاس في اكتساب وظائف عديدة بدءا بالعاصمة السياسية فالعاصمة الروحية والثقافية التي اكتسبتها انطلاقا من تركيز المعالم الدينية والتي شكلت محورا أساسيا في استقرار الساكنة.

ساهمت هذه المقومات وغيرها في احتضان النسيج العتيق لمدينة فاس العديد من المعالم الدينية والتاريخية 11000 بناية تاريخية من بينها 740 قصرا ومنازلا فخما ذو قيمة استثنائية و176 مسجدا، 83 ضريحا وزاوية ثم 11 مدرسة و43 مدرسة قرآنية، 70 نافورة تقليدية و40 حماما، و117 فندقا تقليديا (سكنينة البقالي وصباح سرغيني 2016).

وتأسيسا على ما سبق ذكره يعتبر النسيج الحضري التقليدي لمدينة فاس الأكثر تعبيرا عن التمدن الإسلامي، نظرا لحفاظه على إرثه الحضاري واستمراره حتى عالمنا المعاصر، (Naciri, M, 1982).

1.2 التراث المعماري بمدينة فاس العتيقة مورد من موارد السياحة الثقافية

كما سبقت الإشارة إليه سابقا فقد أضحت مدينة فاس متحفا تاريخيا ينبض بالحياة، فالمتروند على أزقة ودروب المدينة يتعرف عن قرب ما أعفله بعض صفحات الكتب والروايات عن معالم ومباني فاس العتيقة.

الساحات التراثية

تشكل الساحات بمدينة فاس العتيقة فضاءات تراثية وعنصر استقطاب سياحي بامتياز، حيث تتركز بها أغلب الأنشطة التجارية. ومن بينها ساحة بوجلود التي كانت فيما قبل فضاءا لمختلف الممارسات الشعبية "كالحفلة" والفلكلور وهي اليوم تستقطب أمسيات خاصة بتظاهرات فنية وثقافية، بالإضافة إلى ساحة النجارين التي تشمل متحف فنون الخشب وساحة الصفارين. وقد عرفت هذه الساحات وفي إطار برامج رد الاعتبار لتراث المدينة مختلف عمليات التأهيل والترميم ساهمت في توافد زيارات سياحية محلية ودولية.

الأبراج والمتاحف

شكلت الأبراج في تاريخ مدينة فاس نقط عسكرية لمراقبة المدينة من أي هجوم خارجي، وأحد العناصر الدفاعية المهمة (منير أقصي، 2012). وقد تم تشييد برج بالجهة الجنوبية وأطلق عليه إسم البرج الجنوبي - تم تحويل هذا البرج إلى متحف للأسلحة سنة 1963- وآخر بالجهة الشمالية يحمل إسم البرج الشمالي. أما فيما يخص المتاحف فتميز فيها بين العمومية والخاصة مثل متحف البطحاء، متحف النجارين، متحف بلغازي، كلها فضاءات عرفت ترميما مسبقا وإعادة التأهيل خاصة متحف النجارين الذي كان في السابق عبارة عن فندق، واستجابة لمبادرة إنقاذ معالم مدينة فاس قامت مؤسسة محمد كريم العمراني، بترميم وتحويل هذه المعلمة الحضارية إلى متحف خاص بفنون الخشب، بالإضافة إلى ترميم السقاية وأصبح يطلق عليه إسم "مجموعة النجارين". ونظرا لاهتمام السياح بثقافة وتاريخ المدينة تعرف أغلبية المتاحف زيارات سياحية مهمة خاصة الوافدين الأجانب.

الدور التقليدية والفنادق

تتميز مدينة فاس الأصيلة بتنوع الدور التاريخية التي حافظت على طابعها المعماري وأصالتها الحضارية فبعدما كانت في الأصل مقرا للسكنى للعديد من الشخصيات النافذة في المخزن وفي إدارة الحماية، أضحت اليوم تشغل وظائف مختلفة على سبيل المثال دار الباشا التازي التي أصبحت مقرا لجمعية روح فاس، التي

تسهر على تنظيم المهرجان الدولي للموسيقى العالمية العريقة ومن أهم هذه الدور نجد قصر المنهي ، دار عديل رياض إدريس المقرري.

أما بالنسبة للفنادق التقليدية فقد شكلت فيما سبق مراكز تجارية لبيع وشراء السلع ، وقد ساهم شكلها الهندسي المكون من طابق سفلي لتخزين المنتوجات وطابق ثاني مخصص لمبيت التجار (EL Idrissi EL Omari. M, 2013) في تنمية اقتصاد المدينة عبر مختلف الحقب التاريخية. فإليها يعود الفضل في ربط تجارة المدينة مع باقي المدن الأخرى ومع الخارج ، من حيث أسلوب بنائها وشكل هندستها أو من حيث توزيعها على طول الطرق الرئيسية والأسواق الهامة وكونها نقطة للإنتاج والتبادل التجاري والصناعي (عزدين بلمليح 1988).

ومن أهم هذه الفنادق نذكر فندق التجارين وفندق التطوانيين ، فالأول بني على عهد السلطان المولى إسماعيل (1672-1727) ، واستعمل كمستودع للسلع النفيسة التي كان يتاجر فيها التجار الكبار بالمدينة وقد تحول حاليا إلى متحف لفنون الخشب بعد عمليات الترميم. أما الثاني فيوجد بالقرب من جامع القرويين وقد كان مخصصا لاستقبال التجار الوافدين من تطوان وأضحى اليوم بحلة جديدة يستقبل فضاءات لعرض منتوجات الصناعة التقليدية.

2.2 تنوع التراث الديني بمدينة فاس العتيقة

اكتسبت مدينة فاس لقب العاصمة العلمية والروحية نظرا للتركز القوي للمنشآت الدينية كالمساجد والأضرحة والزوايا والمدارس ، ومن أهم ما يميز هذه المنشآت عن غيرها هو الارتباط القوي الذي نسجه الساكنة والسياح مع هذه البنيات الروحية. فقد أضحى مختلف هذه الفضاءات قبلة للزوار من مختلف البلدان العربية منها والأجنبية.

المسجد بمدينة فاس العتيقة فضاء ديني ذو بعد روحي

المسجد بفاس ثلاثة أنواع: مسجد فقط ما لا تقام فيه صلاة الجمعة والمسجد الجامع ما تقام فيه الجمعة ، والمصلى وهي عبارة عن ساحة كبيرة معدة للصلاة فقط تصلى فيها صلاة العيدين. إلى جانب وظيفتها الدينية فقد اضطلعت المساجد بالدور التعليمي ، وهو ما جعل مدينة فاس تحتضن نسبة هامة من المساجد التاريخية 176 مسجد ، منها على وجه الخصوص جامع القرويين الذي شكل قبلة للعلماء وطالبي العلم من مختلف البلدان ، حيث درس فيه الكيمياء وعلوم الفلك إلى جانب علوم الدين والفقه. ولا تزال القرويين تحظى بكل العناية عبر الترميم والصيانة.

أهمية المدارس العتيقة بمدينة فاس

نظرا لأهمية المدارس في نشر تعاليم الدين والثقافة الفكرية ، سميت المدينة قديما بمدينة المدارس العتيقة ويرجع تاريخ معظم المدارس الموجودة إلى عهد المرينيين ، حيث شهد المغرب في تلك الفترة نهضة فكرية وفنية ، وتضم مدينة فاس 11 مدرسة من أهمها المدرسة البوعنانية ، مدرسة الصهريج ومدرسة العطارين...إلخ.

الزوايا والأضرحة

اهتم المغاربة بإنشاء الزوايا منذ عصور مبكرة فقد شكلت نزلا للمسافرين ومدارس لتلقين علوم الدين واللغة ، وإلى جانب الزوايا

تعتبر الأضرحة أيضا إحدى جوانب الممارسة الدينية عند المغاربة، ومدينة فاس لاتخرج عن هذه القاعدة بحيث تحتضن العديد من الأضرحة مما يدل على النهضة الروحية التي عرفتها المدينة خلال مراحل تاريخية، ومن أمثلة ذلك نجد الزاوية الكتانية، الدراوية وضريح سيدي عبد القادر الفاسي، ويبقى ضريح المولى إدريس مؤسس المدينة والزاوية التيجانية من بين الفضاءات الأكثر استقطابا للزوار.

3.2 الصناعة التقليدية بمدينة فاس

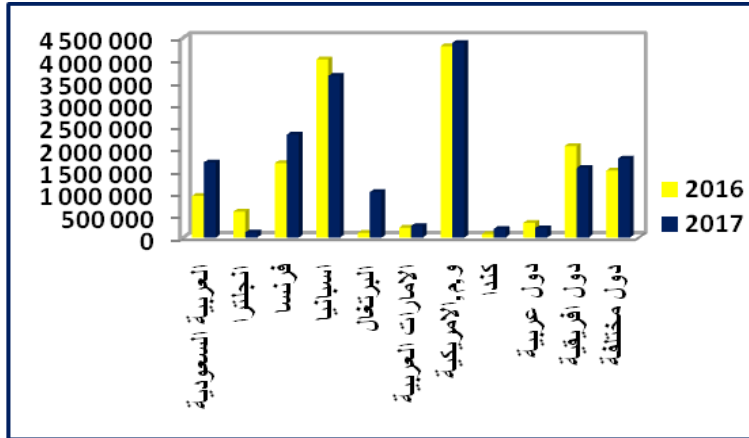
ارتبط تاريخ مدينة فاس أيضا بالأنشطة الحرفية المتعددة، التي شكلت أساس نسيجها الاقتصادي وإشعاعها الحضري والحضاري، وطينا ودوليا، واعتراف المجتمع الدولي بإسهامات فاس في إغناء التراث الإنساني خير دليل على غنى الإبداع في الفنون التقليدية التي مازالت تجسدها مختلف الأحياء التي ارتبط إسمها بالحرف الموجودة فيها كحي الصقارين، الصباغين، العطارين، التجارين وغيرها من الأحياء التي أضحت مزارا سياحيا مهما بالنسبة للسياح الأجانب.

ويساهم قطاع الصناعة التقليدية في تحسين المردودية السياحية بمدينة فاس، وذلك لما يحظى من اهتمام من طرف السياح والزائرين للمدينة، فحسب إحصائيات المديرية الجهوية للصناعة التقليدية بمدينة فاس فقد تجاوز حجم مشتريات السياح 40% من المتوسط السنوي لحجم الصادرات غي المباشر. ناهيك عن ذلك فقد عرف مجموع صادرات منتجات الصناعة التقليدية خلال سنة 2017 نموا ملحوظا مقارنة مع سنة 2016 بزيادة 8.5%، بحيث يتصدر الزليج المرتبة الأولى (أكثر من 5 مليون درهم سنة 2017)، تليه وحسب المردودية الملابس التقليدية (أكثر من 4 مليون درهم).

ناهيك عن ذلك فقد أخذت منتجات الصناعة التقليدية تأخذ حيزا كبيرا داخل الأسواق الأوروبية المستوردة.

مبيان رقم 1: تطور صادرات منتجات الصناعة التقليدية خلال سنتي 2016-2017

حسب الدول المستوردة



المصدر: إحصائيات المديرية الجهوية للصناعة التقليدية فاس 2018

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا وفرنسا من أهم البلدان المستوردة لمختلف منتجات الصناعة التقليدية الفاسية، وتتجلى أهمية قطاع الصناعة التقليدية أيضا في مساهمتها بـ 30 مليون درهم من العملة

الصعبة ، إذ تتركز بالمدينة 42% من وحدات الصناعة التقليدية ، كما تشغل 47% من الصانع التقليديين ، ويعمل 25% من ساكنة فاس ، و75% من ساكنة المدينة العتيقة. محتضنا أكثر من 50 000 صانع تقليدي ، موزعين على 205 حرفة.

4.2 المهرجانات دعامة أساسية لتنشيط السياحة الثقافية بمدينة فاس

أضحت ظاهرة المهرجانات تتسع بسرعة فائقة وتنتشر في كل ربوع المملكة بحكم التحولات العميقة التي شهدتها المغرب ، فمختلف هذه التظاهرات تشكل فضاءات مفتوحة للتنشيط الثقافي العمومي ، تجذب أنظار جمهور غفير من المهتمين بمختلف أطرافهم (محمد الزرهوني 2013). ولعل الغاية من ذلك تتمثل في الترفيه والتسلية إضافة إلى ترسيخ ثقافة الاختلاف والإقبال على الآخر (منير البسكري 2013).

وتعتبر مدينة فاس من بين المدن المغربية التي تعيش دينامية ثقافية متميزة من خلال إحياء وخلق مجموعة من المهرجانات والمواسم ذات الإشعاع القوي ليس فقط على المستوى الوطني بل الدولي أيضا.

وفي ضوء هذا التعريف وهذه المكانة التي تميز المهرجانات فقد كان لمدينة فاس نصيب وافر في تنظيم هذه التظاهرات الثقافية المتشعبة بروح الثقافة العريقة الموروثة عبر الأجيال والتي كان لها حضور وازن أعطى للمدينة صفات عديدة مثل المدينة الروحية.

تعد هذه المهرجانات التراثية والفنية موعدا سنويا تجذب إليها زوارا من مختلف الجنسيات ، مغاربة كانوا أو أجانب للاستمتاع بكل ما ستجود به هذه التظاهرات من جديد ، حيث يجسد مهرجان الثقافة الصوفية مختلف مظاهر التصوف والطرائق الصوفية معتمدا على مبادئ كبرى للتسامح والبعد الروحي للإسلام. هذا وأضاف المهرجان الوطني للموسيقى الأندلسية ميزة أساسية تهدف إلى تثبيت الهوية المغربية والثقافة الإسلامية العريقة.

كما استطاع مهرجان فاس للثقافة الأمازيغية أن يسلط الضوء على الخصوصية الثقافية للمغرب وأن يبرز مكونات هذه الثقافة في صورة تؤكد للملتقى أن التعايش الثقافي هو شعار كل المغاربة.

ولعل ما يلفت الانتباه حرص المنظمين على إدراج مجموعة من الندوات الفكرية والعلمية المرافقة لهاته المهرجانات بهدف التعريف بها وتوسيع دائرة انتشار هذا الفن. ويعتبر مهرجان فاس الدولي للموسيقى العريقة الحدث الأكبر الذي جعل من مدينة فاس مدينة للتعايش. وشكلت سنة 1994 الانطلاقة الأولى للمهرجان الدولي للموسيقى العالمية العريقة ، تحت شعار "ذكريات روحية من المشرق والغرب" من تنظيم جمعية فاس سايس (سكنينة البقالي وصباح سرغيني 2017).

وقد عرف هذا المهرجان مرحلة النضج انطلاقا من سنة 2002 حيث سلك مسارا جديدا أكثر انفتاحا على المستويين الوطني والدولي ، وأصبح يستقطب أشهر الفرق العالمية ، ويشغل فضاءات تراثية بالمدينة كما توضح الخريطة التالي:

خريطة رقم 1: أهم فضاءات مهرجان الموسيقى العالمية العريقة

- تشجيع الاستثمارات في الميدان السياحي وتعزيز البنيات السياحية الموجودة.
- إنعاش المداخل المحصلة على مستوى الأنشطة المرتبطة بالمهرجان كالمطاعم والفنادق ودور الضيافة المصنفة وغير المصنفة، والنقل بشقيه العمومي والخاص وباقي الخدمات التي تسهم في تنشيط المدينة وتحسين الظروف المعيشية للسكان المحلية.

3. السياحة الثقافية بمدينة فاس: تحديات ورهانات

أصبحت مدينة فاس محطة أساسية للسياحة الثقافية منذ مخطط 1965-1967م، ودعمت عبر هذا المخطط طاقتها الإيوائية السياحية، لتشكل المدينة حلقة هامة في إطار الدورة السياحية الخاصة "بجولة المدن الملكية" (إسماعيل عمران 2004)، وتم الاعتراف بمدينة فاس تراثا حضاريا وإنسانيا عالميا نظرا لما تزخر به المدينة من إمكانات ثقافية وسياحية مهمة، واعتبرت إحدى أهم المدن العتيقة بالمملكة فقد كانت ولازمت قطبا مهما للسياحة الثقافية، ونظرا لمخزونها الثقافي الغني جعلها تدمج ضمن خريطة السياحة العالمية. وفي إطار دراسة واقع السياحة الثقافية بمدينة فاس لا بد من الإشارة إلى التحديات التي تواجه النشاط السياحي بالمدينة، والعمل وفق مقاربة شمولية تهدف إلى بلورة مشاريع وبرامج هادفة تهتم النهوض بالموثوث الثقافي باعتباره منتوجا سياحيا قابلا للتسويق والترويج.

1.3 الإكراهات والتحديات المعرقله لتطور السياحة الثقافية

إن معالجة هذه الفقرة من الدراسة تميط اللثام عن جزء من المشاكل التي تتخط فيها السياحة على مستوى مدينة فاس، والتي تشبه في جوهرها طبيعة المشاكل التي تعاني منها بعض المدن السياحية المغربية الكبرى. ويمكن القول أن بعض هذه المشاكل الطارئة ترتبط بمستوى التجهيز الذي تعرفه المرافق العمومية بمدينة فاس، وأخرى ترتبط بطبيعة النشاط السياحي نفسه الذي غالبا ما يستدرج بعض الممارسات التي تكون مصاحبة له. وهنا نستحضر بعض التحديات التي تعرقل دينامية السياحة الثقافية بمدينة فاس.

ضعف التنشيط والترفيه السياحي

تعاني مدينة فاس مثلها مثل غيرها من المدن المغربية من قصور واضح على مستوى عمليات التنشيط السياحي، وبصرف النظر عن العدد القليل من المؤسسات السياحية فعمليات التنشيط بها تظل ضعيفة. مقارنة مع الدول المنافسة التي تقدم مجموعة واسعة من المرافق الرياضية والثقافية، وتقديم اختيارات كبيرة في المطاعم والمنتزهات وقاعات المؤتمرات.

حضور بعض المرشدين غير المرخص لهم يعرقل مجرى السياحة بالمدينة

يظهر هذا المشكل في المعاناة التي يتخط فيها المهنيون الصغار في القطاع السياحي بالمدينة الأصلية فاس، حيث الركود التجاري هو السائد عند الكثير منهم بالرغم من تواجد محلاتهم التجارية بالأزقة والشوارع الرئيسية التي يمر بها مختلف الأفواج السياحية المتوافدة على مدينة فاس خلال الموسم السياحي من كل سنة، والذي ينطلق بالنسبة للسياح الغربيين مع حلول فصل الربيع من كل سنة حيث الجو مناسب لزيارة المدينة وتصفح خفاياها.

هذا وتتجلى معاناة بعض المهنيين الصغار بالقطاع السياحي من خلال بعض التجاوزات الصادرة من طرف بعض المرشدين السياحيين الذين يفتقدون إلى الضمير المهني، حيث يدسون من خلال تصرفاتهم الطائشة

على أخلاقية المهنة وسمعة القطاع، وكذا سمعة المدينة العريقة ذات الصيت الوطني والدولي، كوجهة سياحية بامتياز بالنظر إلى ما تنعم به من مؤهلات متنوعة.

النقل بمدينة فاس العتيقة بين التطور وتحديات الواقع

تعرف مدينة فاس الأصيلة بأزقتها الضيقة وبمبانيها الملتصقة هذا الطابع التقليدي يعرقل التطور السياحي بالمدينة، حيث يصعب على السائحين التنقل في شوارع مزدحمة بسبب كثرة المارة والدواب، خاصة وأن أغلبية الأنشطة الاقتصادية تتركز بهذه الأزقة، ونتيجة لهذا الوضع يضطر المرشد إلى أخذ السياح إلى أماكن أقل ازدحاما والتي قد تكون غير مفيدة لزيارة السائحين. ناهيك عن مشكل النقل الجوي الذي يشكل الوريد الأساسي للسياحة خاصة وأن مدينة فاس غير مبرمجة بما فيه الكفاية في حركة الطيران، فبالرغم من الجهود المبذولة على مستوى الخطوط الجوية المغربية فأسطولها يبقى ضعيفا وغير كافي لتلبية حاجيات السياح المتزايدة خاصة وأن النقل الجوي يغطي سوى 43% من السياح الوافدين على المغرب.

إشكالية المباني الأليمة للسقوط

ترتبط ظاهرة المباني المهتدة بالانهيار في الغالب بنسيج ذو كثافة سكانية مرتفعة، إذ تبلغ ساكنة فاس- المدينة حاليا 70592 نسمة حسب إحصاء 2014، حيث تعاني المباني من إشكالية التدهور نتيجة لمجموعة من العوامل، ترتبط بطبيعة البناء نفسها بفعل التقادم، وأخرى تتعلق بالمناخ (محمد الرفيق، 2018). إلا أن أهمها يرتبط بالسكنة التي تعاني من ضعف الوعي بأهمية التراث وضعف الإمكانيات المادية وتأثير ذلك على الوضعية الصعبة التي يعرفها الإطار المبني بفاس

جدول رقم 1: المباني المهتدة بالانهيار بالنسيج العتيق لفاس

المصدر: وكالة التنمية ورد الاعتبار لفاس 2014

المجموع	الدرجة 3	الدرجة 2	الدرجة 1	
3093	821	747	1525	فاس المدينة
573	175	194	204	المشور فاس الجديد
3666	996	941	1729	المجموع

تهم ظاهرة السكن المهتد بالانهيار بفاس حوالي 6000 بناية منها 3666 بناية "بالمدينة الأصيلة" "وفاس الجديد" والباقي بالسكن غير القانوني بكل من المنطقة الشمالية والجنانات وسهب الورد، وذلك حسب إحصاء مندوبية وزارة السكنى وسياسة المدينة لسنة 2014. وتختلف وضعية تدهور المباني حسب الدرجات. إن تشخيص واقع الإطار المبني للمجال العتيق بفاس يبرز الحالة المتردية التي باتت تعيشها أغلب الأحياء سواء تعلق الأمر بالمعالم التاريخية أو بالمباني السكنية التي دخلت في مسلسل طبعته صورة التقادم والتدهور. فقد أصبح النسيج العتيق يفقد جماليته نتيجة لانتشار الأعمدة الخشبية المدعمة للمباني الشبيهة الذي يؤثر على مرفولوجية المدينة ومن شأنه التأثير أيضا على الزيارات السياحية للمجال.

وفي ظل هذه الصورة التي تعكس بعض التحديات التي تعرقل مسار النمو السياحي الثقافي بمدينة فاس بات من اللازم بلورة خطط وبرامج هادفة لتنمية القطاع السياحي بمدينة فاس ودمج المنتج الثقافي ضمن الوظيفة

السياحية بالمدينة. فإلى أي حد يمكن لإستراتيجية الإنقاذ أن تشكل دافعا لازدهار السياحة الثقافية عبر
المجهدودات المبدولة إلى حد الآن؟

2.3 السياحة الثقافية رهان لتأهيل التراث الثقافي

تمخض عن إعلان مدينة فاس تراث عالمي مشروع إنقاذ مدينة فاس العتيقة الذي أعطى ثماره في مختلف
الميادين وخاصة الميدان السياحي.

فبالإضافة إلى ما تتميز به المدينة الأصيلة من إشعاع حضاري، يضل منتوجها السياحي الثقافي المتميز
والفريد، أرضية خصبة لإقلاع سياحي حقيقي ومتوازن، خاصة وأن السياحة الثقافية تشكل اليوم حافزا
أساسيا لتنقل عدد كبير من السياح. انطلقت الدراسات وتنفيذ المشاريع ابتداءا من أواخر الثمانينات، فنفذ
بعضها ما بين 1987 و2008 ومازال البعض الآخر في طور الإنجاز إلى غاية 2017.

1.2.3 فترة 2000-2005

خلال هذه الفترة تم إنجاز برامج متنوعة من بينها البرنامج المندمج لرد الاعتبار لمدينة فاس الممول من طرف
البنك الدولي وذلك في إطار اتفاقية بينه وبين الدولة المغربية وجماعة فاس المدينة والمشور فاس الجديد
ووكالة التنمية ورد الاعتبار فاس ضم مجموعة من المشاريع المهمة في عدة مجالات أهمها:

. ترميم المآثر التاريخية: من أجل الحفاظ على المعالم الأثرية والتاريخية لمدينة فاس تم نهج عدة مشاريع
تهدف إلى حماية مجموعة من المآثر مشروع ترميم البرج الجنوبي والبرج الشمالي .

بالإضافة إلى ترميم متحف البطحاء وخزانة القرويين من طرف وزارة الشؤون الثقافية، المدرسة البوعنانية من
طرف مؤسسة بنجلون مزيان، جامعي الأندلس والقرويين من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
وانطلاقا من عملية الترميم هذه أضحت هذه الأماكن التاريخية محطة للزيارات السياحية وخصوصا بالنسبة
للسياح الأجانب.

. تحسين المناظر العمرانية وتطوير السياحة: شمل هذا المشروع تأهيل كل من سوق الحنا بتكلفة 6.75
مليون درهم، وسوق الرصيف بتكلفة 1.57 مليون درهم. وقد ساهم هذا المشروع في توفير محلات خاصة
بالتجار وفي ظروف محمية وبالتالي إعطاء منظر جميل يعمل على استقطاب أعداد مهمة من السياح. خاصة
وأنها توجد بأحياء تتميز بحركة وديناميكية طوال اليوم.

الصورة رقم 2: سوق الحنة بعد عملية الإصلاح

الصورة رقم 1: سوق الحنة قبل عملية الإصلاح



المصدر: قسم التدبير والتسيير لوكالة التنمية ورد الاعتبار لمدينة فاس 2014

مشروع تهيئة المدارات السياحية

يعتبر مشروع المدارات السياحية من بين أهم المشاريع السياحية التي تصب في منحى تنشيط السياحة. وقد خص إلى تقسيم الزيارة السياحية إلى ستة مدارات؛ مدار الأسوار والقلاع، مدار فاس الجديد، مدار القصور والحدائق الأندلسية، مدار المآثر والأسواق، مدار الحرف التقليدية ومدار حي الأندلس. يغطي كل مدار منها منتوجا ثقافيا معيناً تشابه فيه المكونات الثقافية، مما يسمح بالتعرف على مختلف الحلقات المكونة للمشهد الثقافي (مصطفى بن جريدة 2014).

وقد أدمجت التكنولوجيات الحديثة في المشروع لتمكين المستعملين من الاستفادة من مجموعة واسعة من الخدمات

ولتشجيع تطوير المحتويات الجيدة ووضعها رهن إشارة السياح بشكل مباشر، تم تثبيت 380 لوحة منها: 228 لوحة توجيهية لتحديد مسار المدارات و 70 لوحة توضيحية للتعريف بالقيمة الثقافية للمآثر التاريخية و 10 لوحات إعلامية على شكل خرائط سياحية متضمنة لمختلف المدارات داخل وحول المدينة.

2.2.3 فترة 2005-2013

تميزت هذه الفترة بتوسيع الرؤية المشتركة للمشروع وأهميته الاستراتيجية بالنسبة للتنمية المحلية بفضل الجهود والتنسيق بين الفاعلين المحليين وبالخصوص عمالة فاس والجماعتين الحضريتين لفاس والمشور فاس الجديد. وقد شملت هذه الفترة انطلاق برامج محلية على مستوى تأهيل مدينة فاس ككل وكذا إدماج مشروع رد الاعتبار لمدينة فاس ضمن سياسات وبرامج حكومية ذات الصلة. وبذلك اتسع نطاق تمويل المشروع إلى هذه البرامج ونذكر منها:

المخطط التنموي الجهوي للسياحة.

المخطط التنموي الجهوي للصناعة التقليدية.

برنامج تحدي الألفية الممول من طرف الحكومة الأمريكية.

المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

وفي هذه الفترة عرفت مدينة فاس إنجاز مشاريع ذات وقع اجتماعي واقتصادي وسياحي بالغ الأهمية وقد حظيت برعاية خاصة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس:

تقوية وتثمين المسارات السياحية

إذا كان مشروع إحداث المسارات السياحية في السابق ارتكز على تنظيم وفود سياحية داخل أحياء المجال العتيق لمدينة فاس، من خلال تنويع المزارات السياحية وجعلها عامل جذب للسياح، فإن مشروع تقوية وتثمين المسارات السياحية لسنة 2013 يتمحور حول رؤية جديدة مفادها دعم أنشطة الصناعة التقليدية وتسويق المنتوجات الحرفية وتنويع المزارات التراثية فالمرآنة على الصناعة التقليدية للتنمية يعتبر رهانا في تسويق وجهة فاس السياحية (حسن حجامي، 2018).

ترميم المعالم التاريخية: من خلال ترميم المدارس العتيقة (العطارين، الشراطين، الصهريج، السباعيين، المصباحية)، كما سيتم ترميم الأسوار التاريخية على طول 15 كلم، فترميم هذه المدارس سيضفي عليها طابعا خاصا يساهم في تكثيف الزيارات السياحية إليها.

البنيات التحتية: تعميم ترصيف الأزقة في إطار برامج بلدية فاس وتهيئة مدخل الرصيف ، والذي يعتبر من بين المشاريع السياحية المهمة التي تهدف إلى تنشيط هذا القطاع ، وبعد مدخل الرصيف نقطة رئيسية للعبور إلى ما وراء أسوار المدينة الأصلية وعلى أهمية هذا الموقع فقد تم العمل على تهيئته بتمويل من الوزارة الداخلية بشراكة مع الجماعة الحضرية لمدينة فاس. تم تمويله ب 18 مليون و800 ألف درهم ، انطلق الأشغال سنة 2009 وانتهت سنة 2011.

وقد تم إنجاز هذا المشروع من أجل تسهيل الولوج إلى المدينة الأصلية نحو الخدمات الأساسية والموقع يعرف استقطابا سياحيا مهما. كما تضمن المشروع تهيئة الساحة ، وتحسين الواجهات على مستوى سيد العواد وتهيئة مواقف حافلات النقل الحضري ، والزيادة من الطاقة الاستيعابية لمواقف السيارات عند مدخل باب الجديد.

دعم الصناعة التقليدية وتطوير القدرات: شمل هذا المحور مجموعة من المشاريع من بينها:

مشروع تهيئة ساحة للايدونة لترقية الصناعة التقليدية وتنشيط السياحة بالمدينة

تعتبر ساحة للايدونة مركزا للصناعة التقليدية النحاس أساسا ، هذا وتتضمن محاور التدخل في معالجة البنيات الآيلة للسقوط وترميم المنشآت المتواجدة بالمنطقة ذات القيمة المعمارية التاريخية مع وضع تصميم عصري يتماشى والطابع الهندسي للمدينة الأصلية ، والتي من خلالها تتحول ساحة للايدونة التي تمتد على مساحة 7400 متر مربع إلى مركب حيوي متعدد الخدمات يحتوي على فضاءات لأنشطة الصناعة التقليدية ، ومتاجر ومقاهي ومطاعم لجعل المدينة تنتج اقتصاديا وتكون مؤهلة لتصبح قطبا سياحيا متميزا.

مشروع ترميم الفنادق العتيقة

يهدف هذا المشروع إلى تحويل الفنادق التقليدية إلى فضاءات لعرض منتوجات تقليدية سيعطي شحنة قوية لتنشيط السياحة بالمدينة. وقد خصص لهذا الغرض أربع فنادق رئيسية بفندق الشمايين والسبيطريين والسطاوينين والبركة ، وقد خصص لهذا المشروع مبلغ مالي قدر ب 83.94 مليون درهم منها 50 مليون من طرف الحكومة المغربية والباقي من طرف وكالة تحدي الألفية بالولايات المتحدة الأمريكية. حاليا انتهت أشغال الترميم والإصلاحات وستفتح الفنادق أبوابها ابتداء من الشهر المقبل.

الصورة رقم 3: فندق السبيطريين قبل عملية إعادة البناء



الصورة رقم 4: فندق السبطين بعد عملية إعادة البناء



المصدر: المديرية الجهوية للصناعة التقليدية بفاس 2015 : " حصيلة المخطط الجهوي للصناعة التقليدية بفاس "

انطلاقاً من هذه المشاريع يتضح لنا من أن عملية إعادة بناء وترميم الفنادق العتيقة سيكون له وقع إيجابي على مستويات عديدة أهمها:

- تنشيط السياحة بالمدينة من خلال تكثيف الزيارات السياحية وبالتالي جلب أكبر عدد من السياح إلى هذه الفنادق التي ستكون بمثابة معرض يحتضن مختلفة الصناعات التقليدية التي تميز المدينة.

- المحافظة على بعض الصناعات التقليدية المهتدة بالزوال والانقراض.

خلق فرص شغل بالنسبة للسكان المحلية خاصة من فئة الإناث، حيث تم تخصيص فندق خاص لهذا الغرض وهو فندق البركة.

- إعطاء جمالية للمدينة الأصيلة من خلال إعادة استغلال وتثمين موروثها المعماري التاريخي في العمليات السياحية بمدينة فاس.

- تشجيع القيام بمبادرات أخرى تهتم مجال تنشيط السياحة بالمدينة.

مشروع زيارات فاس: مشروع واعد لتنشيط السياحة وتنمية دخل الأسر

مكن مشروع زيارات فاس الخاص بالسياحة العائلية السياح من التعرف عن قرب على التقاليد والحياة الاجتماعية وأسلوب العيش في المغرب، وعلى مستوى آخر، حيث أنقذ هذا المشروع العائلات من الفقر والحاجة وخلق فرص للعمل لعدد مهم من الشباب، كما ساهم في المحافظة على الموروث الثقافي. ويقوم هذا المشروع على استقبال السائح واستضافته بالمنزل. وقد عمل المجلس الجهوي للسياحة على اختيار المنازل المناسبة لهذا المشروع وساعد الأسر التي تملك بيوتا في المدينة الأصيلة بفاس على الترميم والبناء.

3.2.3 برنامج إعادة التأهيل والتنمية المندمجة لمدينة فاس 2018-2022

صادقت جماعة فاس في دورة ماي 2018 على مشروع اتفاقية وشراكة تمويل بينها ومجموعة من الشركاء من أجل تمويل برنامج إعادة التأهيل والتنمية المندمجة لمدينة فاس 2018-2022 ويتعلق الأمر بترميم ورد الاعتبار لـ73 موقعا بالمدينة والذي يشمل 11 معلمة تاريخية و10 أماكن عبادة وأماكن روحية ووحدة صناعية وتجارية و37 فضاءا ترفيهيا بما فيها حمامات ومرافق صحية ونافورات و13 بناية ودار المكينة وذلك بكلفة اجمالية تقدر بـ388 مليون درهم. ويشمل هذا البرنامج إنجاز ستة مشاريع كبرى تتضمن معالم وفضاءات مختلفة:

المعالم التاريخية والأماكن الرمزية

يشمل هذا المشروع تأهيل 11 معلمة تاريخية وأماكن رمزية؛ ترميم متحف البطحاء وبناء متحف للثقافة اليهودية، ترميم موزع الشبكة المائية التقليدية ببوجلود، تأهيل مارستان سيدي فرج، سوق السمارين، هري بوطويل وغيرها من المواقع التاريخية بتكلفة قدرت بـ106 مليون درهم.

تأهيل أماكن العبادة

خصص هذا المحور من البرنامج إلى إعادة تأهيل 15 من الأماكن الدينية والروحية كمسجد الأنوار، مسجد الرصيف، مسجد الأندلس وبعض المقابر كمقابر المرينيين ومقبرة الملاح، مقبرة المسيحيين ثم مقبرة باب محروق. وقد تطلب إنجاز هذا المشروع تكلفة 91 مليون درهم.

الصناعة التقليدية والتجارة

ينبغي مشروع تأهيل الصناعة التقليدية على إعادة تأهيل 39 موقعا تاريخيا للأنشطة الاقتصادية، ويشمل ترميم وتثمين الفنادق العتيقة من بينها فندق المشاطين، فندق العطارين، فندق قاعة السمن وغيرها من الفنادق التي تتطلب عملية ترميمها وإعادة تأهيلها ما يناهز 113 مليون درهم. ناهيك عن ترميم سوق العطارين وتحسين الواجهة العامة لشارع بولخصيصات.

ترميم الحمامات والمرافق الصحية

ويشمل هذا المشروع إعادة تأهيل 37 فضاءا بتكلفة 20 مليون درهم من بينها حمامات (حمام مخفية، حمام الصفارين) وسقايات (سقاية الرصيف، سقاية الأندلس، سقاية سيدي احمد التيجاني، سقاية الشراييين وغيرها من السقايات التي أضحت تعاني من التلف وعدم الاهتمام)، بالإضافة إلى المرافق الصحية/ دار الوضوء (البوعنانية، الشراييين، النخالين، سيدي احمد الشاوي).

ويتعزز هذا البرنامج ذو الأهمية البالغة ببرنامج تهيئة مواقف السيارات ورد الاعتبار للمجالات العمومية ووضع نظام تعريفي للمدينة العتيقة لفاس، وبروم هذا البرنامج الذي خصص له غلاف ملاي بقيمة 400 مليون درهم، حيث سيتم ولوج الأشخاص إلى المدينة العتيقة من خلال تهيئة 8 مواقف للسيارات من بينها موقف باب الحمراء، باب الجديد، سيدي بونافع، باب بوجلود، عين أزلتين بطاقة استيعابية تناهز 3200 مرآبا.

شكلت المشاريع المنجزة أو التي هي في طريق الإنجاز ركيزة أساسية عملت وستعمل أيضا على تعزيز دينامية التنمية التي تعرفها المدينة العتيقة لفاس وتدعيم جاذبيتها السياحية الثقافية، وإنعاش التراث الحضاري والإنساني فضلا عن تحسين مداخل الصناع التقليديين وتنمية الاقتصاد الاجتماعي.

خاتمة

تزرخ مدينة فاس بغنى المؤهلات الثقافية والتاريخية أهلها لتصنف كتراث عالمي إنساني. إلا أن الواقع الحالي لمآثرها وموروثها التاريخي بات يعاني من التلف والتقدم. وفي خضم هذه الوضعية تقرر إطلاق برامج الإنقاذ ورد الاعتبار لمدينة فاس ، والتي عرفت إدراج مشاريع متنوعة ومهمة خاصة خلال العقد الأخير. وانطلاقاً من أهمية التراث في الوظيفة السياحية تمت بلورة مجموعة من المخططات التي تقوم على العمل وفق مقاربة سياحية لإنقاذ التراث من مثل المخطط التنموي الجهوي للسياحة بفاس ، المخطط التنموي الجهوي للصناعة التقليدية وغيرها من المخططات التي ساهمت في إنجاز مجموعة من المشاريع التنموية من مثل: مشروع تثمين وتقوية المدارات السياحية ، تأهيل المعالم التراثية والاهتمام بالتراث اللامادي في إطار تنشيط السياحة بمدينة فاس.

ناهيك عن برنامج إعادة التأهيل والتنمية المندمجة لمدينة فاس 2018-2022 الذي يعتبر رؤية مستقبلية لمواكبة مسار تأهيل وتثمين الموروث الثقافي في إطار الاستدامة. وعلى العموم تشكل السياحة والتراث عملة واحدة كل يكمل ويؤثر في الآخر ، فالوظيفة السياحية تنقذ بعض المعالم التاريخية وتعمل على حماية وتأهيل بعض أجزاء المدينة ، كما تعتبر المعالم التراثية قبلة للعديد من الزوار لذلك بات من الضروري بذل مجهودات مضاعفة وتوفير الإمكانيات المادية الضخمة لمسايرة متطلبات التنمية السياحية بمدينة فاس.

المراجع

- أحمد الأزمي (2000): الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن 19 " ، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز - فاس ، الجزء الأول.
- إسماعيل عمران 2004 التنمية السياحية بالمغرب: واقع وأبعاد ورهانات " ، دار الأمان ، الطبعة الأولى ، الرباط.
- حسن حجاجي ، (2018): الولوجية والتنمية السياحية بمدينة فاس القديمة ، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز - فاس.
- خالد كواش ، (2007): السياحة: مفهوما ، أركانها ، أنواعها ، دار التنوير ، الجزائر.
- سكينة البقالي وصباح سرغيني (2017): التنشيط السياحي بمدينة فاس: الواقع والآفاق ، سلسلة الندوات رقم 52 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس.
- سكينة البقالي وصباح سرغيني (2016): الحفاظ على التراث بالنسجة العتيقة ، حالة المساكن المهدهة بالإنهيار ودور الضيافة بمدينة فاس الأصيلة ، مجلة التراث والتنمية كلية الآداب ظهر المهرز فاس ، العدد الثالث.
- صليحة عشي (2011): الأداء الاقتصادي والاجتماعي للسياحة في الجزائر وتونس والمغرب ، أطروحة لنيل الدكتوراه في العلوم الاقتصادية ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ، باتنة ، الجزائر.
- عزدين بللمليح (1988): فنادق لها تاريخ ، مجلة الجواهر ، العدد 28/10
- محمد الرفيق ، (2018): المباني الأيلة للسقوط بمدينة فاس: الأسباب ، الأشكال ، وطرق التدبير ، مطبعة وراقه بلال ، الطبعة الأولى ، فاس ، المغرب.
- محمد الزهوني (2013): المواسم والمهرجانات بالمغرب في مسرح النقاش العمومي ، في كتاب: المواسم والمهرجانات ، فضاءات لتثمين الموروث الثقافي ، أشغال الدورة الرابعة والعشرين للملتقى الثقافي لمدينة صفرو ، الطبعة الأولى ، مطبعة سوجبريس ، فاس ، المغرب.
- محمد أزماط (2013): السياق المعرفي للتراث الثقافي ، تصورا وتوظيفا ، في كتاب: المواسم والمهرجانات ، فضاءات لتثمين الموروث الثقافي ، أشغال الدورة الرابعة والعشرين للملتقى الثقافي لمدينة صفرو ، الطبعة الأولى ، مطبعة سوجبريس ، فاس.

- مصطفى بن جويده (2014): تفعيل دعوات الترويج من ماي الجاري إلى يونيو المقبل لفائدة المبادرات السياحية المحتضنة للصناعة التقليدية بفاس"، جريدة الصحراء المغربية العدد 9122، 10 يناير.
- منير أقصي، (2012): النظام الدفاعي العتيق لمدينة فاس، دراسة تاريخية وأثرية للمباني العسكرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرز-فاس.
- منير البسكري (2013): الاستراتيجية الوطنية للمواسم والمهرجانات بالمغرب مدينة صفرو أنموذجا، في كتاب: المواسم والمهرجانات، فضاءات لثمين الموروث الثقافي، أشغال الدورة الرابعة والعشرين للملتقى الثقافي لمدينة صفرو، الطبعة الأولى، مطبعة سوجريس، فاس. المغرب.
- نعيم عبد الظاهر وسراب إلياس (2007): "مبادئ السياحة"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان، الأردن.
- Berrian, M, (1979) : L'espace touristique Marocain, Centre interuniversitaire d'études méditerranéennes, Université de tours.
- EL Idrissi EL Omari, M, (2013) : La médina de Fès éléments de l'architecture traditionnelle Aaouite, Imprimerie Oumayma, Fès.
- George, P, (1970) : Dictionnaire de la géographie. P.U.F, Paris.
- Naciri, M, (1982) : La médina de Fès trame urbain en impasses et impasse de la planification urbain « in présent et avenir des médinas ». URBAMA, Université de Tours.

الحرب الدولية على الإرهاب لم تبدأ بعد...

The International War against Terrorism has not started yet

د.شاهر إسماعيل الشاهر، مدرسة الدراسات الدولية، جامعة صن يات سين-
الصين

Shaher Ismael Al-Shaher, School of International Studies, Sun Yat-

Sen

مقدمة:

سوف أتحدث في موضوع على غاية من الأهمية، يؤرق الساسة والباحثين في وقتنا الراهن، وبشكل تهديداً حقيقياً لكل بلدان العالم، دولاً ومجتمعات، ألا وهو الإرهاب ودور المؤسسات السياسية والدينية في مجابهته والتصدي له. فالدين، إضافة إلى كونه حالة إيمانية، هو حالة اجتماعية محددة بطروف تاريخية معينة، وبنية اجتماعية اقتصادية معينة. والدين بجوهره، حالة إيمانية وجدانية، قبل أن يكون حالة عقلية. وعندما يتناغم العقل والوجدان في بوتقة واحدة حول الإيمان، حينئذ يأخذ الدين بعده الإنساني الحقيقي.

وليس من الجديد الحديث عن وجود فاعلين جدد من غير الدول على الساحة السياسية، سواء الداخلية أم الدولية، إذ كان من بين أهم تداعيات العولمة وثورة تكنولوجيا المعلومات صعود دور الجماعات، والشركات، والمؤسسات العابرة للحدود، كما نشط دور المنظمات الدولية، سواء الإقليمية أو العالمية، فضلاً عن اتجاه بعض التحليلات إلى التركيز على دور "الأفراد" كفاعلين مؤثرين سياسياً، وهو ما تأكد مثلاً في أحداث "ثورات الربيع العربي" التي بدأت في تونس في العام 2011 ولا زالت نيرانها حتى اليوم.

وما يزيد اليوم من خطر هذه التنظيمات هو أن المسافة التقنية بينها وبين الجيوش النظامية تقلصت تدريجياً إلى الحد الذي أصبحت فيه التنظيمات قادرة على تكييف الطائرات والصواريخ وأنماط المتفجرات لتجعلها أقل تكلفة من أسلحة الجيوش وبفعالية موازية؛ وسينتقل الأمر لاحقاً للأسلحة الجرثومية والكيميائية والنووية وأجهزة التجسس، لا سيما أن مشاعية المعرفة وتزايد نسبة العلماء المتعاطفين مع هذه التنظيمات تعزز هذا الاتجاه، وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط.

وبعد أحداث "الربيع العربي" وظهور تنظيم "الدولة الإسلامية" وعودة انبعاث تنظيم القاعدة، وصل متوسط عدد الهجمات الإرهابية في العالم إلى 478 في الفترة (2013-2017)، بالمقارنة مع 374 في السنوات الخمس التي سبقت العام 2011 (بيري كاماك، 2017).

ومنذ العام 2011، ارتفع عدد ضحايا الحروب في العالم حول العالم بواقع أربعة أضعاف قياساً إلى أعلى مستوى منذ العام 1994 أثناء الإبادة الجماعية في رواندا، علماً بأن 70 في المئة من هذه الحالات وقع في الدول العربية.

ومنذ العام 2012، قفز معدل نشوب النزاع العالمي مرة أخرى، وهو ما يتناسب مع معدل الذروة الحديث البالغ 52 في العام 2015. وفي العام 2016، تمّ تسجيل 12 حرباً أهلية، وهو العدد الأعلى منذ نهاية الحرب

العالمية الثانية عام 1945، وجميعها -باستثناء نيجيريا- اندلعت في دول ذات أغلبية مسلمة من أفريقيا جنوب الصحراء حتى جنوب آسيا.

وما إن بدء الاضطرابات في هذه البلدان إلا وتظهر التيارات الدينية ذات الفكر السلفي الجهادي المتطرف. لتظهر أنها هي من وراء هذا الحراك. وكان قد ظهر في العصر الحديث ما يعرف بالسلفية الجهادية، وهو مصطلح أطلق منذ نهاية الثمانينيات على بعض جماعات الإسلام السياسي التي تبنت الجهاد منهجاً للتغيير، ويعلن هذا التيار أن الجهاد أحد أركانه، وأن الجهاد الذي يجب وجوباً عينياً على المسلمين يتم تطبيقه ضد العدو المحتل وضد النظام الحاكم المبدل للشريعة الإسلامية ويحكم بالقوانين الوضعية أو النظام المبالغ في الظلم والقهر. ومن أشهر الجماعات التي تنتمي للمنهج السالف ذكره، جماعة أنصار بيت المقدس، والقاعدة وحركة طالبان، والدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، وجبهة النصرة، وجماعة شباب المجاهدين في الصومال، وجماعة أنصار الشريعة في تونس، ...إلخ.

والسلفية الجهادية مصطلح مثبت في الأدبيات الجهادية نفسها منذ سنوات، وتحديدًا منذ ثمانينيات القرن العشرين عند الرموز الأساسيين الذين يحملون لواء هذا الخط المتشدد ويمثلونه، مثل أبو محمد المقدسي، عبد القادر عبد العزيز (سيد إمام)، أبو قتادة الفلسطيني، أبو مصعب السوري، أيمن الظواهري، وإن كانت صياغاته النظرية الأولى تمت في مصر في الستينيات على يد سيد قطب.

وتتميز الجماعات الإسلامية بعدد من الصفات، أهمها:

- أنها حولت الدين الذي يحض على الأخلاق إلى أيديولوجية فاسدة. فهذه الجماعات تخاصم التطور التاريخي، لذلك يجب أن تفشل. فالتاريخ يتقدم نحو الدولة الوطنية وهم يتراجعون.

- كل الجماعات والتيارات التي اتخذت العنف وسيلة للتغيير فشلت، وحتى لو وصلت إلى السلطة فلن تستقر فيها. فهذه الجماعات شعاراتها جوفاء وهزيلة، ومسلكت هذه الجماعات يقوم على خداع الناس، وقد فشلت في تقديم النموذج الذي يمكن ان يحتذى به.

- للجماعات الاسلامية مشروع براق في ظاهره، معتم في داخله. فهم يمارسون السياسة في السر، والعالم يتجه إلى ممارسة السياسة في العلن. والعالم يسير نحو القوانين وهم يرفضون هذه القوانين.

- مشروع هذه الجماعات مشروع هوياتي، والهوية الدينية أكثر الهويات فتكاً. فهذه الجماعات تسعى لتحقيق المستحيل بجعل أتباعها متشابهين. لا يؤمنون بالفروق الفردية بين البشر والحقوق الخاصة.

- وتطرح الجماعات الإسلامية مقولات هشة، مثل: الحاكمية - حق الردة- الإسلام دين ودولة، ...إلخ.

ومن أجل مواجهة هذا الفكر المتطرف الإرهابي نحتاج إلى ثورة متكاملة بكل ابعادها، في الفكر والعلم والثقافة والرؤية السياسية والممارسة، وعقد اجتماعي، يستلهم قيم المعاصرة والاصالة، بين الحكومات والشعوب.

أهمية البحث: بما أن المواجهة الفكرية للجماعات الإرهابية لا تقل أهمية عن المواجهة الأمنية والعسكرية. ومن منطلق إيماننا أن الفكر هو الحامل الرئيس الذي تنهض به الأمم وتبنى من خلاله الأوطان وتستشرف مستقبلها، كان على المؤسسات الفكرية العمل على تعزيز الوعي التنويري لدى الشعوب في مواجهة الخطر الذي يشكله هذا الفكر المتطرف والجماعات التي تتبناه، وتداعيات انتشار هذا الفكر الهدام على كيانات الدول

وتعايش المجتمعات ووحدها وانسجامها. فالفكر الديني سلاح ذو حدين ، فهو قابل أن يكون مدمراً للبشرية ، أو أن يكون مصلحاً لها. فهناك خط فاصل بين أن ينتج الفكر الديني ثماراً إنسانية أو منتجات إرهابية ، وهذا الخط هو خط الواقع والقيم الأخلاقية. فعندما يضاف الواقع إلى النص ينتج ثماراً إنسانية ، لكن عندما يطرح الواقع من النص فإنه ينتج العنف والتشدد والكرهية.

فرضية البحث: مكافحة الفكر الإرهابي تحتاج إلى ثورة متكاملة بكل أبعادها ، في الفكر والعلم والثقافة والرؤية السياسية والممارسة ، وعقد اجتماعي ، يستلهم قيم المعاصرة والاصالة ، بين الحكومات والشعوب. فالقضية ليست مسألة اصلاح ديني ، وليست مسألة إعمال العقل في رؤية النص وتحليله ، بل هي عملية شاملة ، ومنظومة متكاملة في الأدب ، الفن ، العلم ، الثقافة ، التربية ، السياسة ، الاقتصاد والمجتمع ، تجعل من إنسانية الإنسان باعتبارها قيمة حضارية محورياً لفعالها الخلاق ، بما يحقق التطور والتقدم الحضاري في مسيرة التاريخ البشري.

إشكالية البحث: إن تحديات الإرهاب أصبحت تهدد حياة المواطن وأمنه واستقراره ، بحيث توارى حلم تحقيق الديمقراطية وراء الأمل الأهم بأن يبقى المواطن العربي على حياته وحياة أسرته في وجه مليشيات مسلحة تبنت التطرف الديني. ويتفاقم هذا الخطر مع استخدام مثل تلك التنظيمات الإرهابية من قبل بعض القوى الإقليمية أو الدولية كأداة لمد نفوذها ، أو تهديد قوى منافسة أخرى. والحقيقة أن المسألة الملحة في وقتنا الراهن هي تعايش المسلمين أنفسهم داخل الدين الواحد ، أكثر بكثير من البحث في مسألة تعايشهم مع الأديان الأخرى ، لأن ما يقتل من المسلمين في صراعاتهم الدينية البينية يفوق بما لا يقاس أولئك الذين يقتلون بأسباب صراع بعض المسلمين مع أتباع الديانات الأخرى.

سؤال البحث: هذه الورقة هي محاولة للإجابة عن سؤال جوهرى ، يتمثل في أنه طالما الإرهاب فكر ، فهل نجابه الفكر بالسلاح؟ فالسلاح يمكن أن يقضي على عدد من الإرهابيين ، لكنه بالتأكيد لن يقضي على الإرهاب. وما هو دور الفكر التنويري في محاربة الإرهاب وآليات البنى التنويرية في محاربة الفكر الإرهابي والقضاء على بناه الفكرية الهدامة؟

أولاً: الاغتراب السياسي وتراجع دور الدولة كسبب رئيس للإرهاب

يعرف جورج إس. لونغ الاغتراب السياسي بأنه حالة من الشعور بعدم الرضا ، وخيبة الأمل والانفصال عن القادة السياسيين والسياسات الحكومية والنظام السياسي ، ويرى أن مشاعر الاغتراب تضم على الأقل خمسة مكونات ، وهي: الشعور بالعجز ، الاستياء ، عدم الثقة ، الغربة ، اليأس.

تعد الدولة من أهم المنظمات السياسية الموجودة في المجتمع ، ولا يمكن مقارنة أهميتها وسيادتها بأهمية وسيادة أية منظمة أخرى ، وذلك نظراً لسلطتها العليا التي تمارسها مع الأفراد والمنظمات ، ونظراً للوظائف المهمة التي تقدمها لأبناء المجتمع ، ومنذ أن بدأ الاهتمام بموضوع الدولة باعتبارها تنظيم سياسي أو سلطة سياسية أو كنظام اقتصادي وإداري .. الخ

وربما نجد ثمة خلط بين مفهومي السلطة والدولة في التداول بين رجال الإعلام والسياسة وبعض المفكرين ، على الرغم من أن الإدراك المعرفي يفترض وضع مساحة لتحديد معايير السلطة ، ومعايير الدولة ، باعتبار أن العلاقة بين السلطة والدولة علاقة تركيبية ، فالسلطات الحاكمة قد اتخذت أشكالاً عدة عبر حركة التاريخ ،

وتبنت قيماً ومفاهيم قد تعتبر متناقضة ، لكنها في الأغلب لم تتبنى فهماً لموقعها في مساحة الزمن ، ومن هنا كانت السلطات الحاكمة تتبدل ، أو تعيش مراحل تغير ، بعضها يطول ، والآخر يقصر ، وكما أنه لا يمكن أن يتم تفسير الدولة بالسلطة ، فالسلطة لا تعني الدولة بالضرورة ، كما أن الدولة ما كانت أبداً تلك الفكرة المتهافتة التي تفسرها بعض النظريات ضيقة الأفق والتي سعت إلى تبني أفكار غير منهجية في محاولة منها لإرضاء الحاكم ففسرت الدولة باعتبارها (مساحة من الأرض تسكنها مجموعة بشرية وهذه الأخيرة يقودها حاكم) ، فهذا التفسير من التهافت بحيث أنه لا يمكن أن ينطبق على أدنى معايير الدولة. وإذا كان الأمر كذلك فكل عائلة أو عشيرة يمكن أن تصبح دولة؟ وهذا التفسير هو في الحقيقة يجافي ما اتفق عليه المؤرخون وعلماء السياسة والاجتماع في تفسير مفهوم الدولة.

ويرى أليكسي دو توكفيل أن قدرة المجتمع على الإضرار بحرية الفرد تتجاوز قدرة الدولة على ذلك. فالمجتمع الصالح كما يقول ج.س.مل هو من يحمل فكراً صالحاً؛ والفكر الصالح لا ينشأ في مجتمع مهووس بملاحقة خصوصيات الأفراد ، والميراث السلطوي للمجتمع يؤخر انطلاق الحداثة أكثر مما يؤخرها تحفظ الدولة وتعنتها. ودولته المجتمع تعني هيمنة الدولة على مختلف أبعاد الوجود الاجتماعي ، مما يولد نوعاً جديداً من الاستبداد السياسي نعته توكفيل بالاستبداد الناعم. فالسلطة ، هي التي تعمل على تقوية الدولة أو انهيارها ، بينما انهيار السلطة لا يعني انهيار الدولة متى ما كانت قوية وقادرة على حماية نفسها ومكتسباتها.. كما أن بناء السلطة لنفسها لا يعني بناء الدولة ، فقد تنجح السلطة في بناء نفسها وتحكم قبضتها وتفرض هيمنتها على المجتمع ، ولكنها تقشل في بناء دولة قوية ذات عزة ومنعة وسؤدد وسيادة. (شاهر إسماعيل الشاهر ، 2015). أما المواطنة فهي مفهوم مشتق من الوطن ، يرتبط في تطبيقاته بالدولة الحديثة ، التي نتجت عن عصر الأنوار الأوروبي ، والثورة الصناعية ، والثورات الاجتماعية التي شهدتها القارة الأوروبية منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وتحديداً مع الثورة الفرنسية عام 1789. فالمعنى كما هو مستخدم الآن ، وافتد من خارج الإطار المعرفي العربي. وتعتمد المواطنة على تكريس الحقوق العامة والحريات الفردية أهمها الحقوق المدنية والسياسية وحرية الرأي والتعبير ، وعلى المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص والشفافية ، وترمي إلى عدم اختزال الوطن في حزب أو قبيلة أو طائفة وأنه لا وجود لأقلية في المجتمع ، بل مواطنون متساوون ومساهمون في صنع القرار الوطني. وفي ظل دولة المواطنة ، يعيش المنتهون للدولة ، تحت خيمة الوطن ، يتمتعون بذات الحقوق ، ولا يعود للتشكيل الديموغرافي أو الانتماء الديني أو المذهبي أو القبلي ، أو الإثني ، قيمة تضيي تميزاً في الحقوق على الآخرين. والمواطنة بهذا المفهوم ، تعطي للاختلاف والتنوع شكلاً إيجابياً ، بضيف قوة للمجتمع ولا يأخذ منها. (عبدالله المجيد ، 2018).

أما الإرهاب فهو عمل إجرامي مارسه جماعات من كل الأديان ومن كل المذاهب ، ولكن في العقدين الأخيرين كانت غالبية الأعمال الإرهابية في العالم تعود إلى جماعات تدعي الإسلام. وبما أنه لا يوجد جماعة إسلامية ليس لها فكر سياسي ، حتى الجماعات الصوفية ، فحسن البناء كان صوفياً. ونشير إلى أنه وفي الوقت الذي تضمنت فيه إحدى اللوائح الأمريكية للمنظمات الإرهابية خمساً وثلاثين منظمة ، اختص العرب وحدهم بخمس عشرة منظمة إرهابية حسب التصنيف الأمريكي ، واختص الفلسطينيون وحدهم بسبع منظمات. بالإضافة إلى حزب الله. ومعنى هذا أن أكثر من نصف "الإرهاب العربي-الإسلامي" كان موجهاً ضد الاحتلال

الصهيوني، وتلك ظاهرة تستوجب التأمل والدراسة، والتمييز بين الإرهاب والمقاومة الوطنية. (شاهر إسماعيل الشاهر، 2017). فانتشار الإرهاب في المنطقة العربية ناجم بشكل أساسي عن حالة الاحتياط والفقير والبطالة والتهميش التي يعيشها شبابنا نتيجة لسوء التنمية في بلداننا. وسوء التنمية في الوطن العربي ليس ناجماً عن نقص في الموارد الأولية والامكانيات، بل ناجم عن سوء السياسات وغياب العدالة، فتعثر مسار التنمية العربية ليس قدراً بل نتيجة قصور في السياسات المعتمدة. كما لا يمكننا اغفال حالة التهميش السياسي للشباب وغياب دوره وفاعليته ما جعله فريسة سهلة أمام حركات الإسلام السياسي التي استقطبت الشباب نتيجة غياب الأحزاب ومنع العمل السياسي فكانت الحركات الإسلامية هي البديل.

يقول ابن خلدون إن "الشعوب المقهورة تسوء أخلاقها" وكلما طال تهميش إنسانها يصبح كالبهيمة، لا يهيمه سوى اللقمة والغريزة. فالفشل في تنمية البلدان الفقيرة يضعف شرعية الأنظمة ويقوي النزاعات السياسية على حد سواء ما بين بلدان الجنوب ضد بعضها بعضاً، أو ما بينها وبين بلدان الشمال. وإن الفشل الاقتصادي يضاف إليه النزاع الديني أو العرقي، اللذان يشكلان إذا ما اجتمعا الوقود لإشعال مناطق التوتر والاضطراب. وينتج عن ذلك، لا محال، متطرفون بأئسون يأسون ومقاتلون شباب وحروب مدنية وفوضى عارمة. (عبدالله المجيدل، 2018).

وفي ظل تراجع دور الدولة، لن نستطيع مواجهة التيارات الدينية والدولة تنسحب من تقديم الخدمات للبسطاء، ولا يمكن أن نواجه هذا التيار وهناك تمييز طبقي في المجتمع، لابل تماهي وشبه غياب للطبقة الوسطى التي يفترض أن تشكل الشريحة الأكبر من الناس. لا يمكن أن نواجه هذا التيار وهناك تمييز في الوظائف والمناصب والمواقع السياسية. فمقاومة هذا التيار تتطلب إقامة العدل الاجتماعي وهذا وحده ما يقطع الطريق على هذه الجماعات.

وهنا نشير إلى أهمية التدخل الإيجابي للدولة (التدخل المحمود)، وهو ذاك النوع الذي يخفض التمايز لكل من الدولة والدين وبالتالي بناء الدولة المدنية الحديثة والبناء الديمقراطي. فالدولة العلمانية تضع قواعد العلاقة بين الدولة والدين على أساس الاستقلال. فالعلمانية ليست ضد الدين، بل هي سند وعضد له، ولكنها تنزع هيمنة رجال الدين على المجتمع باسم الدين، وتعيد الدين إلى فضائه الطبيعي، وهي العلاقة المباشرة بين الخالق والمخلوق. ففصل الدين عن السياسة يشكل عنواناً مهماً وأساسياً في عملية التطوير والتنمية، وكما كان أعمال هذا الفصل في أوروبا طريقاً للتقدم العلمي والارتقاء الإنساني، يجب النظر إلى هدف فصل الدين عن الدولة أنه طريقة لنهضة جديدة، دون الاعتقاد أن هذا الفصل سيؤدي إلى إبعاد الله عن حياة المجتمع، فعملية الخلط بين ما هو ديني وما هو سياسي كانت حتمية بسبب الظروف الموضوعية لتطور المجتمعات والطبيعة الإنسانية التي تريد إيجاد حيز للروحي إلى جانب الدنيوي. ففرضية لزوم الدولة للدين فرضية زائفة، وتدخل الدولة في الدين ليس أقل سوءاً من تدخل الدين في الدولة. فالدولة المدنية هي الحل للعديد من المشكلات الاجتماعية الناتجة عن "توترات الهوية عند المسلمين". (شاهر إسماعيل الشاهر، 2017).

وتستند الدولة المدنية إلى احترام حقوق المواطنين على أساس مبادئ الحرية والعدالة والمساواة، بغض النظر عن انتماءاتهم الأولية: الدينية واللغوية والعرقية، وذلك على أساس أن الديمقراطية لا يمكن أن تتشأ في

دولة تكون فيها النزعات الأولية، العرقية واللغوية والدينية، مبالغاً فيها لدى أفراد الجماعات المكونة لهذه الدولة، بحيث يفتقرون إلى الإحساس بالأمة الواحدة وإلى الاعتراف بحقوق الآخرين.

ثانياً: نحو استراتيجية دولية لمكافحة الإرهاب: الإرهاب ظاهرة عالمية الانتشار مردها التطرف بشكل أساسي، ديني كان أم سياسي، وهو ليس محصوراً بمجتمع دون آخر، ودولة دون أخرى، فالتطرف موجود في كل المجتمعات الإنسانية مع فوارق في مستوى ونوعية هذا التطرف، ولا يوجد مجتمع بمنأى عن الاستهداف الإرهابي، وهو الحاصل عالمياً اليوم. وإن المواجهة العسكرية والحلول الأمنية لا تكفي وحدها لمكافحة الإرهاب، لأن الإرهاب ليس هو المرض، بل هو العرض لمرض فكري ما. وهذا لا يقلل على الإطلاق من ضرورة، بل وحتمية، المواجهة المسلحة والأمنية للمشكلة، خاصة مع الإرهابيين المسلحين. فمكافحة الإرهاب والتطرف على المستوى الفكري تحتاج إلى استراتيجية متكاملة، لها خمسة محاور:

1- تجديد الخطاب الديني ونشر قيم التسامح والمحبة والسلام، لا القتل والعنف: يلعب الخطاب الديني المتطرف التكفيري (بشقيه الفكري والسياسي) دوراً خطراً في بثّ روح التفرقة بين طوائف المجتمع وإشعال نار الصراعات بينها، وزرع الكراهية والعنف بين مختلف مكونات المجتمع، سواء بين أديان المجتمع أو بين طوائف الدين الواحد ومذاهبه. ويحدث ذلك بصورة خاصّة في المجتمعات متعددة الديانات والطوائف والمذاهب، عبر فرض أيديولوجية دينية أحادية الرؤية والتوجه، ممّا يحرم الآخرين من حرية التمتع بممارسة حقوقهم الدينية وشعائرهم.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى دور جهاز الاستخبارات البريطاني الشديد الفعاليّة في تنمية كثير من الطوائف والمذاهب الدينية في كثير من البلدان المستعمرة، والظهور في الوقت نفسه بصورة الحمل الوديع وراعي الحريات والأديان والديموقراطيات، كما برع الساسة الإنكليز في استغلال العامل الدينيّ أبعث استغلال لتحقيق أهداف السياسة البريطانية الاستعمارية، فلم تخرج بريطانيا المُستعمرة من أيّ بلد سيطرت عليه إلا وتركت فيه بؤرة صراع؛ إمّا بإيجاد قضية حدودية تكون مادة لنزاع مرتقب مع جيران البلد المُستعمر، أو طائفة دينية مشتقة من الديانة الرئيسة في تلك الدول.

وليس الدور الفرنسي بأقلّ سوءاً أو خبثاً من البريطاني. وورثت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الدور بعد الحرب العالمية الثانية، وبصورة خاصة بعد التورط السوفياتي في أفغانستان عام 1979، حيث دأبت السياسة الأمريكية على خلق الأجيال المناسبة لابتيار التنظيمات الجهادية والإرهابية المتطرفة بغية الاستفادة منها واستغلالها في تحقيق أهدافها السياسية، من خلال إيجاد "الفُرَاعَات" لتتمكّن من إشعار البلدان التي تمتلك الثروات النفطية بالخطر، وبالتالي تتجه لإنفاق ثرواتها على التسلح وشراء المعدات العسكرية بدلاً من إنفاقها على التنمية والجامعات والبحث العلمي. فتجديد الخطاب الديني لن يكون متاحاً إلا بفكر تنويري يبدأ في تصويب الخطاب الديني الذي خضع للأسف لمقاربات مشوهة أخرجته عن سياق رسالته الحضارية والإنسانية. أما الاكتفاء بمحاولات إصلاح الخطاب الديني دون رؤية حضارية قائمة على منهجية تنويرية تنطلق من أن سعادة الإنسان، وسيادة قيم العدل والتسامح هي غاية كل الأديان بما فيها الأديان الوضعية. وهدف المقاصد الكلية للشرائع، لا يشكل إلا حركة في المكان، إذا لم يكن التنوير وفقاً لهذه الرؤية. ويعد محمد عبده أحد رواد

حركة التنوير العربية ، فقد ظهر كثير من الدعوات والمشاريع الاصلاحية منذ ايامه وحتى اليوم ، وقد ركزت هذه الدعوات على فكرة أساسية تمثلت بتجديد الخطاب الديني وتجديد الفقه والاصلاح الديني .. الخ.

2- البحث عن وسائل تعليمية فعالة لمواجهة التطرف والعنف: للتعليم دور في دعم الحوار والعيش المشترك والتسامح لتأثيره في العقول ، ويمكن للجامعة أن تقدم أرضية صلبة من الثقافة والتعليم من خلال تطوير وتعزيز المناهج وتقديم الرعاية والاهتمام في تثقيف الخريجين بأسلوب منفتح بعيداً عن الهيمنة والإرهاب النفسي. لذلك ينبغي ألا يقتصر تعليم التسامح وتدريبه على مواد دراسية محددة أو مواضيع معينة ، وإنما يتطلب أن يكون التسامح ثقافة جامعية ، وأسلوب حياة جامعية ، والابتعاد عن التفسير الحرفي للنص وتكفير الآخر. وتشير الدراسات في مختلف الدول إلى تأثير التعليم في ممارسة الديمقراطية ، فالأفراد الأكثر تعليماً هم الأكثر تسامحاً مع الاختلاف. لذلك لا بدّ من تعليم التسامح والتخيط له في المناهج الدراسية في المدارس والجامعات. وللبيئة التعليمية الشاملة للمنهج والنشاط دور رئيس في تكريس ثقافة التسامح كما للمعلم الدور الأبرز في تعليم مفاهيم التسامح وتجسيدها في سلوكيات تلامذته وتمثلها في منظومتهم القيمية ، باعتباره أنموذجاً هادياً للتسامح بين طلابه. كما لا بدّ من مراجعة المناهج الدراسية السائدة لضمان خلوها من بذور التعصب والتمييز بأشكالهما كافة.

"كن جريئاً في استخدام عقلك" ، كان ذلك هو الشعار الذي اعتمد به الفيلسوف الألماني "كانط" عصر التنوير الأوروبي ، حيث الدعوة للتشجع في استخدام العقل في النظر للأمور العقلية والعملية. وهذا الشعار تماماً هو ما نحتاج إليه بشدة ونحن نعتمد مسيرتنا في طريق التنوير ، فلا نحتاج أكثر من حرية العقل ، وحرية الضمير ، حرية العقل في أن يحكم على الأشياء وأن ينقد ما يقدم إليه على أنه مسلمات وبديهيات من قضايا متنوعة ، سياسية ودينية واجتماعية ، وحرية ضمير حر في تشكيل قيمه ، وتحديد مجالات إبداعه. لنصل إلى كشف حقيقة الجماعات الدينية السياسية ، وخطورة أفكارها ، لأنها مستمرة في الخداع ، وتسويق الوهم ومحاولة اقناع الناس بأنها هي الحل ، بينما هي المشكلة بحد ذاتها. وضرورة كشف هذه الجماعات أمام أفراد المجتمع ، وخاصة أمام الشباب الذي يعد ضحية الفكر الممسوخ لهذه الجماعات. وبالتالي تطبيق مشروع للإصلاح الديني والاصلاح المجتمعي ، يكون هدفه القضاء على ما يسمى " الفكر السياسي الإسلامي ". من خلال احتواء فكري للشباب ، والتركيز على دور وسائل الاعلام في التوعية ، وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي ، لأن هذه الحركات دخلوا إلى شبابنا عن طريقها.

3- التركيز على المعالجة النفسية للمتطرفين والعمل على إزالة فكرة "كراهية الآخر" من ذهنهم: والعمل على جعلهم يرفضون العنف كوسيلة للتعامل مع الآخرين ، وذلك من خلال تطوير المناهج التربوية في المدارس ، والتركيز على خطاب التسامح في وسائل الإعلام المختلفة.

فنشوء حركات الإسلام السياسي في بعض المجتمعات العربية والإسلامية ، في بدايات القرن العشرين ، جاء كرد على تردي الأوضاع للأمتين العربية والإسلامية ، في ظل غياب الرد الحضاري لحقيقي لحالة التردّي في الأوضاع آنذاك ، وقد شكل انطلاق جماعة الاخوان المسلمين في مصر على يد حسن البنا عام 1924 أول مظاهر الإسلام السياسي الحديث ، وقد تأثر حسن البنا بفكر أبو الأعلى المودودي ومحب الدين الخطيب ، وابن تيمية وغيرهم ، وكل هؤلاء تأثر بالفكر الاصلاحى لمحمد عبده ، ولكنهم حادوا عن فكره الأساسي المتمثل

في الانفتاح على الغرب ، والاستفادة من تجربته ، وتركزت رؤيتهم على محاربة الغرب ومناهضته ، والاتجاه إلى تبنى أفكار ابن تيمية التي تكفر الآخر وتدعو إلى الجهاد ضده. ثم ظهرت بعد ذلك كتابات سيد قطب ، التي دعت إلى العنف والعودة إلى الجذور الأولى للإسلام ، من أجل تأسيس الحكم الإسلامي الصحيح ، وهو حكم الله على الأرض ، الذي سمي فيما بعد "الحاكمية".

إن مشروع الإسلام السياسي لم يفلح حتى هذه اللحظة في أن يقدم الحل المنشود كما طرح منذ عشرينيات القرن الماضي وحتى هذه اللحظة. ولتفنيد المقولات والمقدمات الفاسدة التي انطلقت منها هذه التيارات ، والتي لا يمكن أن تقضي إلا إلى نتائج خاطئة وفقاً لعلم المنطق ، فإن محاولة التصدي لها لا بد أن تصوب المنطق الذي انتشرت بوساطته في المجتمعات الإسلامية. واليوم وبعد مرور عدة عقود لم تعد هذه الطروحات كافية ، فقد مر زمن طويل ، واتسعت الهوة بيننا وبين العالم ، ولم يبق أمامنا سوى السعي إلى التنوير الذي يجب أن يتبناه المجتمع ككل ، والدولة إذا كانت دولة عصرية ومنفتحة على العالم ، والمفكرين الذين يعدون الحامل الأساس لهذا مشروع. ف صندوق الانتخابات يمكن أن يوصل الأحزاب الإسلامية إلى الحكم ، ولكنه ليس كافياً للحكم وهذا كلام في غاية الدقة.

4- العمل على استخدام وسائل نفسية ناجعة: لمعالجة الإرهابيين والردع النفسي لهم إن اقتضى الأمر. فأخطر شيء أن تتعامل مع من يريد الموت ، حليماً بجنان وأنها من خمر وحوريات ، لذلك يكون التعامل مع هؤلاء صعب وخطر جداً لأنهم تعرضوا لفسيل دماغ خطير. فخطر حركات الإسلام السياسي لا يهدد الدول والمجتمعات العربية والإسلامية فقط ، وإنما يشوه صورة الإسلام نفسه ، ويقدم المبررات لأعدائنا لإلصاق تهمة الإرهاب والتخلف والتطرف بالإسلام. فهذه الجماعات لا تطرح سوى الأكاذيب ، ولا تمتلك سوى الوهم والجنة الموعودة ، لتستهدف الشباب من خلال التركيز على الآخرة لشباب لا أمل له من هذه الدنيا. وهذه التيارات تنطلق من خطأ منهجي فادح ، فهم يضعون الفكرة ثم يبحثون في القرآن أو الحديث عما يبرر هذه السلوكيات. وهناك مبدأ وجد واستمر في العديد من التقاليد الدينية والأخلاقية للجنس البشري لآلاف السنين: ما لا تحبه لنفسك لا تفعله للآخرين ، ويجب أن يكون هذا المبدأ غير قابل للتغيير أو الإلغاء ، وغير مشروط لجميع نواحي الحياة في المجتمعات ، وللأجناس والأمم والأديان". (هانز كينغ ، 2007 ، ص 207).

5- الاهتمام بالثقافة: من فن وموسيقى والعمل على نشر قيم الجمال والإبداع في المجتمع. فالجماعات المتطرفة تعادي كل هذه القيم وما استهدفهم للمتاحف والآثار إلا دليل على ذلك. إننا نحتاج إلى ثورة ثقافية تصل حد التنوير. ثورة بكل ابعادها ، في الفكر والعلم والثقافة والرؤية السياسية والممارسة ، وعقد اجتماعي ، يستلهم قيم المعاصرة والاصالة ، بين الحكومات والشعوب. هكذا كان التنوير في أوروبا في القرون الوسطى. فالتنوير ليس مسألة اصلاح ديني ، وليس مسألة إعمال العقل في رؤية النص وتحليله ، بل هو عملية شاملة ، ومنظومة متكاملة في الأدب ، الفن ، العلم ، الثقافة ، التربية ، السياسة ، الاقتصاد والمجتمع ، تجعل من إنسانية الإنسان باعتبارها قيمة حضارية محورياً لفعالها الخلاق ، بما يحقق التطور والتقدم الحضاري في مسيرة التاريخ البشري. ولو بحثنا عن تراث نستند إليه في تأصيل مصطلح " التنوير " نكاد لا نصل إلى شيء. فمفهوم التنوير بحاجة إلى أن يوضع ضمن جملة من المفاهيم التي تحتاج إلى أن يتم توضيحها توضيحاً تاريخياً. أي بالعودة إلى متى استخدم هذا المفهوم ؟ وأين استخدم ؟ وكيف استخدم ؟ وما إلى ذلك من الأسئلة.

ففي عام 1784 طرحت صحيفة ألمانية على المثقفين سؤال ما التنوير؟ فكان رد الفيلسوف كانت: " إنه خروج الإنسان من قصوره الذي هو نفسه مسؤولاً عنه ، قصور عجزه عن استعمال عقله دون إشراك الغير ، قصور هو نفسه مسؤولاً عنه لأن سببه يكمن ليس في عيباً في العقل ، بل بالافتقار الى القرار والشجاعة في استعمال العقل". وعملية التنوير عملية مستمرة، تخضع للنقد والفحص والتشكيك الدائم من أجل الأفضل ، حيث لا إرتكان إلى خرافة أو سلطوية ، وبالتالي لا تتحول مسيرة التنوير هي الأخرى إلى خرافة من ناحية ، وممارسة سلطوية عقلياً وقيماً من ناحية أخرى. والتنوير اليوم مبني على التدبير ، تدبير الإنسان لحياته لا الاتكال على الله في تدبير كل شيء بحياتك. بينما يرى المتشددون أن التنوير والتدبير تقيضين (من لم يدبر دبر له) ، أي أن الله هو من سيدبر له أمره. والتنوير هو ما يخرجنا من ظلام الطوائف والمذاهب والمرجعيات الدينية والايديولوجيا. أما الجماعات الإسلامية فترى أن التنوير ابن بيئة غير بيئتنا ، نبت في تربة غير تربتنا ، وبالتالي لا يصلح لنا وهذا وهم وغير صحيح فالديمقراطية نبتت وصلحت في الشرق والغرب. وأن الخروج من الوضع الراهن لا يتم بالتنوير الذي يعني التقدم بالتاريخ نحو الأمام إنما بالعودة إلى الخلف وإعادة انتاج الماضي ، باعتباره كان ماضياً عظيماً.

ويرى الباحث أن: (شاهر إسماعيل الشاهر ، 2018).

- 1- الإيمان مسألة فردية* : لأنها تخص الفرد المسلم في علاقته بالله ، فعلاقة الإنسان بربه لا تحتاج إلى وساطة ، لكن الجماعات الإسلامية حولت الإسلام إلى حالة جماعية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..). فطالما الإيمان ليس مسألة فردية في بلادنا فلا يمكننا الحديث عن تنوير.
- 2- أن نؤمن بأن العقل والعلم لا يتناقضان مع الدين ، فالعقل السليم لا يستبعد إمكانية الوحي ، لأن الخالق القادر لا يصعب عليه شيء ، ولو تناقض العقل والدين نأخذ بالعقل ولن يتناقضان.
- 3- تعزيز الأخلاق في سلوكنا: فالرؤية الدينية التي تطرحها الجماعات الإسلامية تفتقر إلى المسائل الأخلاقية. فالأخلاق ليست بديلاً للدين ، لكن الأدیان كلها تحض على الأخلاق (إنك لعلی خلق عظیم). وأن يقوم الوعي الأخلاقي على المحبة ، وأن علاقتنا بالعالم قائمة على المحبة لا على الكراهية والالغاء.
- 4- التمييز بين الدين والسلطة: فالدين علاقة بين العبد وخالقه ، ويجب أن لا يتحول الدين إلى ايديولوجيا ، وأن لا يدعي الحاكم أنه يحكم باسم الله ، أو يحتكر تفسير النص ، أو أن تفسير الشريعة الإسلامية مناطاً به ، ؟ أو أن ندعي أننا الفرقة الناجية... إلخ. فالفرد ليس له سلطة مطلقة ، والحكم يقوم على نظام دقيق يخضع لقواعد علمية يكون الحاكم جزءاً هاماً فيها ، لكنه ليس كل شيء.
- 5- العمل على تحديث المجتمع: فلا يمكن الحديث عن تنوير في مجتمع متخلف ، فيه قيم بالية ، فتحديث المجتمع ضرورة للتقدم إلى الأمام.

* - فمناط التكليف فردي ، وكل فرد سيحاسب يوم القيامة فرداً ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن الحساب بالثواب والعقاب لا يكون إلا فردياً.

خاتمة:

مما تقدم نرى أنه لا بد أن يشتمل الخطاب الموجه إلى الرأي العام على بعد ديني توجيهي يتم من خلاله تصحيح المفاهيم المغلوطة ، وذلك من خلال السماح للعلماء المعتدلين بالتعبير عن رؤيتهم لصحيح الدين ، ومن اللازم في هذا الإطار كذلك أن يتم تخصيص جانب كبير من هذا الخطاب لقطاع الشباب والأحداث لاسيما وأنه غالباً ما يكون لديهم استعداد أكبر للانفتاح على الأفكار والرؤى القيّمية. ولعل هذا هو السبب ذاته الذي يدفع البعض إلى طرح أهمية إعادة النظر في المناهج التعليمية والعملية التعليمية بصفة عامة بحيث تدعم من قيمة التسامح وقبول الآخر وذلك تمشياً مع القيم الأصيلة في الدين الإسلامي ، فضلاً عن التطورات المتلاحقة التي يشهدها العالم اليوم.

وبالتالي فإن هدف التنوير يتجلى في:

- تصحيح صورة العرب والمسلمين أمام المجتمعات الأخرى. فالقوالب الفكرية الشائعة عن العربي والمسلم في وسائل الإعلام الغربية ، والشارع الغربي عموماً ، تختزلها عبارة ال (5 B) فهو: (Bedouin, Bazar, Belly, Dancer, Billionaire, Bomber) أي أن الإنسان العربي هو واحد من خمسة ، فهو بدوي بربري ، أو بائع غشاش ، أو راقصة مبتذلة تثير الشهوات (المرأة) ، أو ملباردير مستهتر ومسرف ، أو إرهابي .
- انقاذ المسلمين أنفسهم من التخلف ومن الإرهاب ، فبسبب الحركات الإسلامية انتقلنا من كيف نصنع المستقبل ؟ إلى كيف نحافظ على ذاتنا؟ .

- كف الأذى عن اتباع الديانات والمذاهب الأخرى ، فالجماعات الإسلامية تكفر وتستحل أموال غير المسلمين وأعراضهم ، لا بل حتى أنها تستحل باقي المسلمين المختلفين معها في التوجه والمذهب بعد تكفيرهم .
- رفع الضرر الذي يلحق بالمجتمعات غير الإسلامية بسبب الجماعات الإسلامية. فنظام طالبان أو تنظيم القاعدة أو داعش لا يمثلون إشراقه الإسلام. إنهم تعلموا في مدارس ركزت على جمود الحرف ولم تركز على رحابة المعنى ، لذلك كفوا عن التركيز على القيم الإنسانية في قلب القيم الروحية والقيم الأخلاقية. وهنا نشير إلى أن الإسلام وصل إلى دول لم تصلها الفتوحات كاندونيسيا التي تعد أكبر دولة إسلامية ، فلا إكراه في الدين .
واليوم ، وبعد مرور 66 عاماً على تأسيس حزب التحرير الاسلامي ، زاد عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة منذ ذلك التاريخ 133 دولة ، ولم تظهر دولة الخلافة الموعودة...

المراجع

ذياب موسى البدينة ، قيم التسامح في مناهج التعليم الجامعي ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب .
شاهر إسماعيل الشاهر وآخرون ، الدولة السورية والتحديات الراهنة ، دمشق: مركز الدراسات العسكرية ، 2017.
شاهر إسماعيل الشاهر ، " تداعيات الأزمة الخليجية على سورية" ، مجلة دراسات عسكرية استراتيجية ، دمشق: مركز الدراسات العسكرية ، العدد /6/ ، 2017.
شاهر إسماعيل الشاهر ، " وهم الديمقراطية الأمريكية" ، مجلة دراسات عسكرية استراتيجية ، دمشق: مركز الدراسات العسكرية ، العدد /6/ ، 2016.
شاهر إسماعيل الشاهر ، " أثر الهويات الفرعية في بناء الدولة الوطنية" ، مجلة دراسات عسكرية استراتيجية ، دمشق: مركز الدراسات العسكرية ، العدد /5/ ، 2017.
شاهر إسماعيل الشاهر ، "الاستراتيجية السورية لمكافحة الإرهاب" ، مجلة دراسات عسكرية استراتيجية ، دمشق: مركز الدراسات العسكرية ، العدد /1/ ، 2018.

- شاهر إسماعيل الشاهر ، "من "دولة السلطنة" و"سلطنة الدولة"... إلى الأناكورية... لماذا فقدت السلطنة قيمتها...؟" ، مجلة الفكر السياسي ، دمشق: اتحاد الكتاب العرب ، العدد 48-49 ، خريف 2013.
- شاهر إسماعيل الشاهر ، "من تجديد الخطاب الديني إلى التنوير" ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق: اتحاد الكتاب العرب ، العدد 562 ، شباط 2018.
- شاهر إسماعيل الشاهر ، "من تشخيص السلطنة... إلى تأسيس السلطنة... دور مؤسسة الرئاسة في عملية صنع القرار" ، مجلة الفكر السياسي ، دمشق: اتحاد الكتاب العرب ، العدد 50 ، ربيع 2014.
- شاهر إسماعيل الشاهر ، الدولة في التحليل السياسي المقارن ، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2015.
- شاهر إسماعيل الشاهر ، السياسة الخارجية السورية (2000-2010) عقد التحديات الكبرى ، دمشق: دار العراب ، ط1.
- عبد الله المجيدل ، علم الاجتماع التربوي والمدرسي ، ط1 ، دمشق: دار معد ، 2008.
- عبدالله المجيدل ، "ثقافة التسامح في مواجهة التطرف ونبذ العنف" ، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الشباب والتطرف ، تونس: مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية والاقتصادية ، أيار 2018.
- مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان(2012). قيم التسامح في المناهج المدرسية العربية ، الشبكة العربية التسامح ، رام الله ، فلسطين.
- معزز عبد الله ، وآخرون ، علم النفس الاجتماعي ، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001.
- هانز كينغ ، "الحوار بين الأديان والأمم" ، مجلة التسامح ؛ العدد 17 شتاء 2007 ، مسقط ، الغمانية للتوزيع والتسويق.
- ¹Saad El- D. M. (2004). The Role of the Universities in fostering the Islamic- Christian mutual living and Dialogue,121 IAU Seminar on Intercultural Learning and Dialogue in Higher Education central European University (CEU), Budapest, Hungary, 12 and 13November.
- ¹Chzhen, Y. (2013). Education and democratization: tolerance of diversity, political engagement, and understanding of democracy, Paper prepared for the Education for All Global Monitoring Report Teaching and learning.

النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت وآليات السيطرة.
Critical Theory of Frankfurt School and Control Mechanisms.
د. طاهر لقواس علي، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - الجزائر

1/- مشروع النظرية النقدية ومنطلقاتها الفكرية:

تعد مدرسة فرانكفورت النقدية من أهم المدارس الفلسفية التي تولدت في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية كانت سائدة في ألمانيا في العشرينيات من القرن المنصرم، والتي تعتبر من العوامل الرئيسية لنشأة المدرسة، ولقد أشار "تومبوتوم" إلى هذه العوامل في حديثه عن المنطلقات الفكرية للمدرسة قائلا: " يتعلق الأمر هنا بعدم مجيء المشروع العلمي الذي قدمته هذه المدرسة من فراغ، حيث أزلت ظهوره وتطوره ملاسبات موضوعية، مثلتها شروط مادية، وإنتاج نظري مواكب لتلك الشروط، ومعبر عن قضاياها" (توم بوتومور، 1998، ص 19). وهذا يعني أن مدرسة فرانكفورت هي وليدة سياق تاريخي بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية، يشير بوتومور إليه بقوله: " فلقد توأمت وقائع مادية بعينها على التأثير في مشروع هذه المدرسة، منها اندلاع الحرب العالمية الأولى، وقيام الثورة البلشفية، وإخفاق الثورة في ألمانيا، وعدم نجاح الحركات الاشتراكية الراديكالية في أوروبا الغربية، وظهور الستالينية في الاتحاد السوفياتي، والنظم الفاشية والنازية في إيطاليا وألمانيا، وهيمنة النظم الرأسمالية وتعزيز سيطرتها الاقتصادية والإيديولوجية، خاصة بعد خروجها من الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي مرت بها في الثلاثينيات." (توم بوتومور، 1998، ص 19).

انطلاقاً من هذه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت ألمانيا في تلك الفترة، ظهرت مدرسة فرانكفورت، مؤسسها نظريتها النقدية "ولعل أهم ما يميز هذه المدرسة الفلسفية يتحدد في كونها اتخذت النقد منهجاً لها، وحاولت القيام بممارسة نقدية جذرية للحضارة الغربية قصد إعادة النظر في أسسها ونتائجها في ضوء التحولات الأساسية الكبرى التي أفرزتها الحداثة الغربية، وخاصة منذ الأنوار، التي تعتبر نقطة تحول جوهرية في مسار هذه الحداثة، كما أنها لعبت دوراً هاماً في رصد مختلف الأعراض الباثولوجية (المرضية) التي عرفتها المجتمعات الغربية المعاصرة كالتيشؤ والاعتراب وضياح مكان الفرد وأزمة المعنى وغيرها" (كمال بومير، 2010، ص 9). يتضح مما سبق أن ظهور مدرسة فرانكفورت لم يكن من باب الصدفة أو من فراغ، وإنما كان ذلك نتيجة حتمية أفرزتها ظروف وعوامل متعددة ومتباينة في آن واحد.

انطلاقاً من هذه الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية الصعبة التي أحاطت بنشأة مدرسة فرانكفورت، والتي رغم ذلك استطاعت أن تنشأ، واستطاع روادها مواجهتها كل المعوقات والصعوبات خاصة السياسة منها، تجعلنا نتساءل عن المصادر الفلسفية التي استمد منها مفكرو هذه المدرسة للروح النقدية والتي تتجلى في " توجيه انتقادات جذرية وعميقة للمفاهيم والقيم التي تأسست عليها هذه الحضارة ومجتمعاتها، كالعقلانية والحرية والتقدم العلمي والتقني وما ارتبط بها من نزعات وضعية وعلموية وتقنولوجية، وغيرها من النزعات التي عملت على الحفاظ على الوضع القائم والمصالح المهيمنة فيه" (كمال بومير، 2010، ص 9). وبالتالي

إعادة النظر في أسس الحضارة الغربية بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والكشف عن مختلف الآليات الأيديولوجية والسياسية التي تتحكم فيها.

رغم أن مدرسة فرانكفورت تعود في نشأتها إلى عدة أصول فكرية مختلفة ومتعددة إلا أننا نقف هنا عند بعض الأصول الفلسفية والاجتماعية والتي لعبت دوراً هاماً في إبراز النظرية النقدية لدى هذه المدرسة " النظرية النقدية مدينة أساساً في علاقتها مع الفلسفة الهيغيلية والماركسية والكانطية والوضعية ، في أبعادها الفكرية والفلسفية والاجتماعية ونقدها للعقل - الأنوار - التقنية - السلطة - الدولة - الرأسمالية ، دون أن نغض الطرف عن الأثر الذي تركته أعمال كل من ماكس فيبر وبخاصة كتابه " الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية " سنة 1905 وجورج لوكاش في " التاريخ والوعي الطبقي " 1923 ، وكارل مانهايم في " إيديولوجيا ويوتوبيا " سنة 1929 . (عبود المحمداوي واسماعيل مهنانة ، 2012 ، ص 56)

هذه هي المرجعيات الفكرية التي أدت إلى ظهور مجموعة من المفكرين النقاد الذين ركزوا جهودهم على الاهتمام بالأحداث الاجتماعية النقدية وبلورتها في نظرية مستقلة وتوجيهها من كونها مجرد جهود فردية متفرقة إلى تيار نقدي مستقل ، عُرف باسم "مدرسة فرانكفورت". لذلك لا بد من الوقوف عند أهم هذه المرجعيات والأصول الفكرية تأثيراً في بلورة المنظومة الفكرية لرواد مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول باعتباره جيل التأسيس .

أ/- الأصول الفلسفية: لقد كان لفلسفة "كانط" النقدية حضوراً بارزاً في فكر الفلاسفة المعاصرين ، وبالذات على فلاسفة مدرسة فرانكفورت ، فهذا الرجوع للفلسفة الكانطية الهدف منه الوقوف على أثر هذه الفلسفة في فكر فلاسفة مدرسة فرانكفورت من الجيل الأول "هوركهايم" و"أدورنو". فقد تأثراً في صياغة مشروعها الفلسفي والاجتماعي بفلسفة "كانط" عامة أو على الأقل بروح النقد لديه. "إن النظرية النقدية في سياق صياغتها لأسئلتها وأساليب محاكمتها للوضعية ولنتائج الحداثة ، لم تكف عن محاوره المتن الفلسفي الألماني ، غير أن "كانط" و"هيغل" كانا أكثر الفلاسفة عرضة للنقد. صحيح أن دراساتهم لم تقتصر على هذين الفيلسوفين ، لكن نسقي "كانط" و"هيغل" وفرا لأصحاب النظرية النقدية انفتاحات متعددة للتفكير والتأمل" (نور الدين أفاية ، 1998 ، ص 24).

ومن جهة أخرى نجد لدى "هيغل" حضوراً قوياً في بلورة الفكر الفلسفي لمدرسة فرانكفورت النقدية في جيلها الأول ويتضح ذلك جلياً من خلال الدرس الافتتاحي الذي ألقاه "هوركهايمر" ، بمناسبة تعيينه مديراً لمركز البحوث الاجتماعية (وهو الاسم الأول لمدرسة فرانكفورت) ، والذي أكد فيه بأن الفلسفة الاجتماعية ، التي هو بصدد الإعلان عن برنامج عملها ، تستمد وجودها مباشرة من تجربة الوعي الفينومونولوجي لهيغل. "فإن فلاسفة النظرية النقدية ، ولا سيما "أدورنو" ، جعل الإشكالية الفلسفية تدور بين نسقي كانط وهيغل ، لقد حاوروا كل الفلاسفة الألمان ، لكن "كانط" و"هيغل" شكلاً أهم متن فلسفي انطلقت منه النظرية النقدية لتجربة وممارسة نقدها" (نور الدين أفاية ، 1998 ، ص 25). يتضح ذلك الحضور للفلسفة الهيغيلية من خلال النقد الذي وجهه كل من "هوركهايمر" و"أدورنو" و"ماركوز" وفي دراساتهم المتعددة بحيث جعلوا من الفلسفة الهيغيلية محور نقدهم.

والمتصفح لكتاب " بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية "لهوركهايمر" ، يقف على كثير من المحطات التي يعود فيها صاحب الكتاب إلى "هيجل" في سياق حديثه عن الجدل في منظوره ، فيقول: "وكما يعرض هيجل في موضع آخر ، "إنما الجدل هو الذي ينهي إلى الفهم ، إلى الاختلاف ، طبيعته المتناهية والمظهر الزائف الذي هو استقلالية نتاجاته وهو الذي يعيده إلى الوحدة" (هوركهايمر، 2006، ص 62). فلقد أفرد "هوركهايمر" في هذا المؤلف عنصرا خاصا عنونه بـ "هيجل ومشكلة الميتافيزيقا" والذي يبرز فيه تفسير هيجل لمشكلة الميتافيزيقا.

إن الأثر الهيجلي على الجيل الأول يتمثل بشكل أساسي في عظمة المنهج الجدلي ، الذي جعلته مدرسة فرانكفورت أكثر ديناميكية من خلال رؤيتها النقدية التي ربطت بواسطتها الجدل بالواقع الاجتماعي ، وهو ما مكن فلاسفتها من اكتشاف جملة التناقضات الكامنة في الظواهر المدروسة ، فتمكنوا من رفض النزعة الوضعية التي تشيؤ عالم الإنسان وبالتالي تجعله يشعر بالاغتراب.

ب/- الأصول الاجتماعية: لقد اعتبرت الماركسية: " أن بعض الطبقات التي تملك وسائل الإنتاج تهيمن بالضرورة على قوى الإنتاج الأخرى التي تحرم من حق الملكية الخاصة. غير أن ظهور قوى جديدة منتجة ومالكين جدد لقوى الإنتاج ، يساهم في إدخال المجتمع في تناقضات مع العلاقات الاجتماعية السابقة. الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى تغييرها في اتجاه جديد للهيمنة تحدده الطبقات الصاعدة. لذلك يمكن القول بأن التناقض الداخلي بين قوى الإنتاج الجديدة والعلاقات الاجتماعية القديمة مع ما يتبعها من صراع طبقي يخرج من رحمها ، هو ما يفسر التحولات التاريخية لأنماط الإنتاج." (حسن مصدق ، 2005 ، ص 46)

فالماركسية وإن اجتهدت في فضح الممارسات الرأسمالية وانعكاساتها السلبية على المجتمعات البشرية الغربية خاصة ، فإنها سعت إلى البحث عن التعقيد المعرفي للمجتمع الرأسمالي ، إذ تكون فيه المنظومة المعرفية برمتها والتي تتضمن الأشكال القانونية والدينية وكل ما ينتمي إلى فضاء الفكر هو في جوهره نتيجة فوقية أو استجابة شرطية لمستوى التطور الاقتصادي في العالم السفلي ، وهي تبعية حتمية ، نظرا لكون الوضع الاجتماعي هو الذي يحدد مستوى ودرجة الوعي وليس العكس (عבוד المحمداوي وإسماعيل مهنانة ، 2012 ، ص 476). وهذا يعني أن ماركس يرفض رفضا قاطعاً أية أسبقية للفكر على المادة ، وأي فكر قبلي يقوم على تمثيلات مستقلة عن التجربة التاريخية وبمعزل عنها. وما يصدق على عدم استقلالية القانون والسياسة المجتمعية ، يصدق أيضا على تلك الاستقلالية الوهمية والمزعومة للفكر عن الواقع وصيغ الوعي الاجتماعي (حسن مصدق ، 2005 ، ص 46)

لقد شكلت الماركسية إذن وجهة للنقد الفرانكفورتية لما كانت تحمله من رغبة في تحرير المستضعفين ومناهضة أشكال الهيمنة والإقصاء واستلاب لجهود العمال التي ترتبت عن الهيمنة الرأسمالية ، وهو ما جعل فلاسفة وعلماء اجتماع هذه المدرسة ينخرطون في جهد نقدي يرمي إلى رصد مختلف الأمراض المرضية التي أصابت عصرنا كالتشيؤ والاغتراب والصنمية ، مما حدا بهم إلى أن يقيموا نقدا حادا ليتوبيا التقدم التقني والنظريات التبشيرية بعالم الأحلام الموعود ، كما انتقدوا في حينه النزعة العلمية التي تتصور المعرفة كطبيعة موضوعية مجردة عن المصلحة... (حسن مصدق ، 2005 ، ص 46)

وهذا يعني أن الدراسة الفلسفية لمدرسة فرانكفورت كغيرها من الدراسات الفلسفية الألمانية التزمت بتقليد فلسفي ألماني ، وهو تقليد النقد ، كنشاط تنظيري ينصب على المنتج الفكري وكممارسة واقعية ترمي إلى دفع

الفكر نحو التورط في إشكالية التغيير الاجتماعي (المحمداوي ومهناة، 2012، ص 480).. و"بناء على ذلك أرست المدرسة منظورا جديدا يقوم على فلسفة اجتماعية ترى ذاتها كمنظرة نقدية، فعوض أن تنخرط بالانتماء إلى المجتمع وتسلم بنظمه، لم تتردد عن نقده والبقاء خارجه، لتقوم بدورها كاملا في النقد كاشفة عن مصادر العطب الذي يطاله وتوجه موضوعيا نحو تغييره." (حسن مصدق، 2005، ص 46)

وهذا يعني أن مدرسة فرانكفورت وإن اعتبرت مدرسة ماركسية بحكم التأسيس، نظرا لكون مؤسسيها الأوائل كانوا من المنتهين للماركسية، تاريخيا، يمكن القول بأن النظرية النقدية تمتد بجذورها إلى الماركسية، عبر حلقات أسبوع العمل الماركسية، التي انبثقت منها فكرة تكوين معهد البحوث الاجتماعية... ومن الواضح أيضا أن المعهد كان مواكبا لكافة التطورات في (الإتحاد السوفياتي) بعد ثورة 1917، وأن "هوركهايمر" حاول أن يطبق الماركسية باعتبارها فلسفة نقدية على صعيد نظرية المعرفة. (توم بوتومور، 1998، ص ص 25-26)

إلا أن هذا الانتفاء لا يعني الصلة التي تلغي البعد، والإقرار بالأساس الماركسي للمدرسة لا يلغي حق الاختلاف معها، فكانت علاقتها تتضمن الانتفاء والاختلاف، فيمكن الحكم على فترة رئاسة "كارل جرونبرغ" للمعهد بمرحلة الانتفاء، أما فترة رئاسة "ماكس هوركهايمر"، فيمكن تسميتها بمرحلة الاختلاف، ففي الوقت الذي كان فيه أصحاب النظرية الماركسية الأوائل يراهنون على إعادة بناء المجتمع على أسس ماركسية كحل لطغيان العقل الذي نجم عنه انهيار المعرفة وأزمة في العقل التاريخي، فإن "هوركهايمر" يرى أنّ المراهنة على البروليتاريا كقوة دافعة ليس كافيا لعملية التحرر، فالنظرية النقدية أخذت بعض مقوماتها، لاسيما في البداية، من الماركسية لكنها قطعت مع تعاليها في الوقت الذي تبين لروادها أنّ للماركسية نظاما توتاليتاريا يمكنه تسييح الحرية وخنق البعد النقدي للتفكير. (نور الدين أفاية، 1998، ص ص 21-22)

إنّ منظري مدرسة فرانكفورت قد تأثروا بالماركسية حتى اعتبر البعض أن هذه المدرسة ليست لإفرا من فروع الماركسية، لكن أصحاب النظرية النقدية وإن تبنا الماركسية كمبدأ أو كمنهج، فإنهم لم يلتزموا بها كليا ولم يتشبثوا بمقولاتها المتمركزة حول نقد النظام الاقتصادي الرأسمالي وحول الایدولوجيا بصفة عامة، بل تركزت ماركسيتهم على نقد الاعتراّب والأسباب الكامنة وراءه في المجتمعات الصناعية، ولم يكن المصدر الأساسي لهذا النقد هو النظرية الماركسية برمته ولا الارتباط بالطبقة العاملة بقدر ما كان التأثير ب"ماركس" "فله يعود الفضل في هبوب عاصفة النقد والتغيير التي اجتاحت كل التيارات الفلسفية التي جاءت بعده، فمنذ أن أعلن في بيانه الشيوعي المبكر عام 1844 عن الحاجة إلى "نقد قاس لكل شيء موجود"، كان هذا إيذانا بميلاد نظرية نقدية للمجتمع تعد نموذجا لخطاب علمي اجتماعي في منتصف القرن التاسع عشر" (عطيات أبو السعود، ص 65). ومن جهة أخرى يتضح كذلك تأثر رواد المدرسة من الجيل الأول بالنزعة النقدية عند المفكر الماركسي "جورج لوكاش" "أما من ناحية المنهج الذي اتبعوه في النظر والتطبيق فقد استندوا إلى روح الفلسفة الماركسية مع الابتعاد عن معظم مقولاتها الأساسية.

إنّ ارتباط مدرسة فرانكفورت بالفلسفة الماركسية المادية لا يمكن إنكاره باعتراف روادها أنفسهم، فنجد "هربرت ماركوز" في كتابه (فلسفات النفي) يؤكد هذا الارتباط، قائلا: "إن النظرية النقدية حسب مُعتقد مؤسسيها مرتبطة أساسا بالمادية (...). وهناك عنصران رئيسيان يربطان المادية بالنظرية الاجتماعية الصحيحة: الاهتمام بالسعادة الإنسانية والاعتقاد بأن هذه السعادة لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال

تبدل الظروف المادية للوجود. والمجرى الفعلي للتبديل والمقاييس الرئيسية التي يجب الأخذ بها للوصول إلى تنظيم عقلائي للمجتمع إنما يُشخصها تحليل للظروف الاقتصادية والسياسية في الموقف التاريخي المحدد." (هربرت ماركوز ، 2011 ، ص 144)

لقد أرست مدرسة فرانكفورت منظوراً جديداً يقوم على فلسفة اجتماعية ترى ذاتها كمنظورية نقدية ، فعوض أن تنخرط بالانتماء إلى المجتمع وتُسلم بنظمه ، لم تتردد في نقده والبقاء خارجه ، لتقوم بدورها كاملاً في النقد ، كاشفة عن مصادر العطب الذي أصابه وتتوجه موضوعياً نحو تغييره. يقوم منظورها للنشاط الفلسفي على ضرورة إنتاج فكر تحرري غير أسطوري ، يرتبط بشكل وثيق بالعلوم الإنسانية التي تحاول إصلاح ذات المجتمع على ضوء الغايات العقلانية المرتبطة بالفعل التاريخي.(حسن مصدق ، 1998 ، ص 29)

لقد صاغ الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت ، مشروع مزدوج تمثلت أولى حلقاته من ناحية في بلورة فلسفة اجتماعية تتعاون مع تخصصات مختلفة ، بهدف إغماء موضوعاتها وإشكالياتها من ناحية أخرى. وتمثلت غاية هذا المشروع المزدوج في الربط بين الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية بطريقة محكمة ، غير أن العراقيين التي صادفته على المستوى النظري والتقلبات المفاجئة التي اعترضت باحثي المعهد وجهت مجرى الأمور في اتجاه لم يكن متوقفاً.

2/ - العقلانية الأداتية وآليات السيطرة: تعتبر مدرسة فرانكفورت من أهم الاتجاهات المعاصرة التي عملت على مساءلة ونقد المشروع الفلسفي التنويري الغربي ، من خلال روادها الأوائل والذي كان في طبيعتهم كل من "ماكس هوركهايمر" ، و"تيودور أدورنو" ، و"هربرت ماركوز". وذلك من خلال القيام بنقد جذري للفكر والحضارة الغربيين ، ولهذا مثل كتاب "جدل التنوير" الذي كان ثمرة جهد مشترك بين "هوركهايمر" و"أدورنو" منعطفاً حاسماً في تاريخ النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت.

إذا كانت فلسفة الأنوار جعلت من العقل أداة جوهرية لممارسة النقد من أجل الخروج بالإنسان الأوروبي من حالة السيطرة التي مارسها عليه مختلف المؤسسات ، والدفع به لكي يمارس حريته ويعبر عن إرادته في المعرفة. فإن مدرسة فرانكفورت جعلت أيضاً من العقل أداة لممارسة النقد للعقل الأنواري. وفي هذا يقول "هوركهايمر": "إذا كنا نقول بأنه بالأنوار وبالقدرة الثقافية نريد تحرير الإنسان من الاعتقاد الخرافي في قوى شريرة ، وفي شياطين وحكايات خارقة ، وفي القدر الأعمى ، أي بإيجاز تحريره من كل خوف ، فإن ذلك يقتضي إدانة ما تم الإجماع على تسميته بالعقل. وهذه أكبر خدمة يمكن للعقل أن يقدمها" (نور الدين أفابية ، 1998 ، ص 28).

ومن هذا المنطلق يتضح أن القيم التي بشرت بها فلسفة الأنوار والقائمة على العقلانية والحرية والتقدم ، قد انقلبت على أعقابها في المرحلة المعاصرة من تاريخنا ، إذ تحولت تلك القيم إلى أدوات للاستغلال والسيطرة والتي أصبحت تهدد الوجود الإنساني. ولكن إذا كان كتاب "جدل التنوير" يُعد نصاً تأسيسياً في نقد التنوير في الفلسفة المعاصرة ، فهل هذا يعني رفضاً له؟ "ما يوجهه" "هوركهايمر" و"أدورنو" (وكل أعضاء مدرسة فرانكفورت) من انتقادات ومآخذ على فلسفة الأنوار ليست في حقيقة الأمر موجهة إلى القيم التي حملتها وبشرت بها هذه الفلسفة وإنما هي موجهة أساساً إلى ذلك الانحراف الذي عرفه مشروع التنوير عن مساره

الحقيقي، وعن القيم التي حملها والشعارات التي دافع عنها (العقل، الحرية، التقدم، العدالة...) (كما بومير، 2010، ص 20).

ومن هنا نفيد، أن التنوير الذي مجد العقل وآمن به إيماناً لا حد له، وكان هدفه تحرير الإنسان من مختلف القيود، هذا التنوير قد أصابته انتكاسة ترجع إلى مصدرين: "الأول هو النزعة العلمية أو الوضعية التي حددت العلم بوقائع معينة واستبدلت الصيغ الرياضية بالمفاهيم وحولت الكيفيات إلى وظائف، ورفضت أي شيء يمكن اعتباره وهمياً أو خيالياً أو بلا معنى. والثاني هو العقل الأداة غير النقدي للعلم الذي اعتمد على الشكلائية (النزعة الشكلية). فالعلم كمنهج تحليلي لا يستطيع أن يضفي معنى أو قيمة على أي شيء غير قابل للقياس وغير خاضع للصبغة الرياضية" (عطيوات أبو السعود، ص 70-71). إن التنوير الذي كان هدفه الأصلي هو تحرير العقل البشري من الأسطورة تحول إلى أسطورة تخفي الهيمنة والسيطرة والتسلط.

من هنا حاول فلاسفة النظرية النقدية، ولا سيما "هوركهايمر"، و"أدورنو"، و"ماركوز"، انطلاقاً من ممارستهم للنقد، بنقد السلطة والعائلة، ونقد مفهوم التحرر البرجوازي، ونقد الفاشية، والكشف عن آليات السيطرة في الثقافة، ونقد الدولة الحديثة ومؤسسات السياسة التوليتارية... الخ. ومن ثم جعلوا من نقد العقل الذي أفرز مؤسسات الحداثة في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة، منطلقاً جوهرياً في نظرتهم للفلسفة الحديثة ولتجليات العقلانية ومظاهر الحداثة.

ويرى مفكرو مدرسة فرانكفورت أن العقلانية تعود إلى الفيلسوف الفرنسي "ديكارت"، الذي أعلن عن طريق الكوجيتو، بداية تشكل الذات كأساس متين وثابت مقابل الموضوع الذي يمثل الأشياء والموجودات الخارجية. ولقد جعل ديكارت من المعرفة العلمية والتقنية سلطة أو قوة غرضها الأساسي تملك الطبيعة والسيطرة عليها، وهو نفس الموقف الذي ذهب إليه "فرنسيس بيكون" من خلال جعله للمعرفة العلمية قوة وسيطرة. "ومنذ تلك اللحظة التي تأسست فيها المعرفة كأداة للسيطرة، ظهرت ما يسميه مفكرو النظرية النقدية "بالعقلانية الأداة" وهي نمط من المعرفة تقوم بتوظيف وتوجيه العقل نحو الملاحظة والتجريب والتكميم الحسابي- الرياضي، وهذا النمط المعرفي تقني في أساسه، وذلك لأن المعرفة العلمية التي تبلورت منذ العصر الحديث قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتقنية كونها أداة لتحقيق النجاعة والفاعلية ولهذا كانت العقلانية الأداة نتيجة حتمية لفكرة الصراع من أجل السيطرة على الطبيعة" (كمال بومير، 2010، ص 28).

ومن هنا يتضح أن فكرة السيطرة على الطبيعة التي قامت بشكل واضح في الفلسفة الحديثة مع "ديكارت" و"بيكون" من أجل تحقيق مصلحة الإنسان وسعادته، قد تحولت إلى السيطرة على الإنسان نفسه، وهذا ما تطرقنا له في المبحث الثاني من الفصل الأول وبيننا كيف جعل "مكيافلي" من المعرفة العلمية التي انبثقت مع الأمانة الحديثة، واستغلالها في كيفية الممارسة السياسية وبالتالي ممارسة السيطرة على الأفراد وفق قواعد وقوانين ثابتة مثلها مثل الطبيعة. وبذلك جعل من السياسة تحذو حذو العلم الطبيعي.

لهذا وجه فلاسفة مدرسة فرانكفورت انتقاداتهما الحادة إلى النزعة الوضعية التي ذهبت إلى تطبيق المنهج العلمي التجريبي على الظواهر الإنسانية بنفس الكيفية مثلها هو في الظواهر الطبيعية. ومن هنا اعتبر فلاسفة

مدرسة فرانكفورت أن الوضعية تؤسس لفكرة السيطرة باسم المعرفة العلمية والتقنية والتي يمكن أن تكون أداة بيد القوى السياسية والاجتماعية المتسلطة.

فالمعرفة العلمية التي سُخرت لفهم الطبيعة والتحكم فيها تم استخدامها أيضاً للتحكم في الإنسان ، بمعنى أن منطق النظام الذي تصوره الإنسان للسيطرة على الطبيعة ، تم نقله بالكامل للتحكم بالأفراد والجماعات. وهذا ما يتبادر إلى ذهننا عند فحص مختلف التنظيمات القانونية والإدارية وأشكال الترشيد والضبط والتقنين والعقلنة لمختلف جوانب الحياة في العالم المعاصر ، فكل هذه الآليات تعمل وفق نظمها ومنطقها الداخلي وتكرارها يُكرر إنتاج المجتمع طبقاً لمقاسات ومواصفات معينة. لكن مدرسة فرانكفورت ترفض أي تناظر أو تماثل تجريبي قد يُعقد بين الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، يمكن صياغته في قواعد وقوانين. فقواعد السلوك البشري لا تمت بصلة للقواعد التي تتحكم في ظواهر الطبيعة. (حسن مصدق ، 2005 ، ص 36)

ومن هنا يتضح ، أن العقلانية الأداة التي اقترنت بالزعة الوضعية ، كانت تهدف إلى السيطرة على الفرد ، وهذا ما تجسد فعلاً في المجتمعات المعاصرة إذ أصبح الإنسان يعيش في ظل سيطرت مختلف المؤسسات السياسية والاقتصادية بواسطة التكنولوجيا ، إذ أصبحت الدولة المتقدمة تكنولوجياً من أكثر الدول تحكماً في الأفراد بواسطة المعرفة العلمية والتقنية ، وبالتالي أصبح هناك تلام بين المعرفة والسلطة في المجتمعات المعاصرة ، بحيث ارتبطت مختلف المؤسسات بالمعرفة العلمية والتقنية ، مما زادها سلطة وسيطرة على الأفراد ، حتى تحولوا إلى مجرد أشياء أو سلعة.

انطلاقاً من الوضع الذي انتهى إليه الإنسان المعاصر من حالة الاغتراب ومختلف أشكال السيطرة في شتى المجالات (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية) ، اتضح لدى مدرسة فرانكفورت أن مشروع التنوير الذي ناد به فلاسفة الحداثة ابتداءً من ديكارت وصولاً إلى "هيجل" والذي كان يهدف إلى تحرير الإنسان من مختلف أشكال السيطرة التي عرفها الإنسان في ظل المؤسسات الدينية والسياسية التي كانت سائدة في أوروبا ، قد انتهى إلى عكس ما كان يهدف إليه حيث اختفت الحرية وغاب العقل والتقدم الإنساني. ومن هنا كانت مهمة النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت القيام بنقد جذري لمشروع التنوير. ويقدم "هوركهايمر" و"أدورنو" ، مفهوماً للتنوير في كتابهما المشترك "جدل التنوير" بقولهما: "يعتبر التنوير ، وعلى مر الزمن ، وبالمعنى العريض تعبيراً عن فكرة التقدم ، وهدفه تحرير الإنسان من الخوف وجعله سيداً... كان برنامج التنوير برنامجاً يهدف لفك السحر عن العالم. لقد أراد التحرر من الأساطير وأن يحمل للمخيلة سند العلم". (هوركهايمر وأدورنو ، 2006 ، ص 23) وبذلك حاول أصحاب مدرسة فرانكفورت الكشف عن مختلف أشكال السيطرة وأسباب انحراف مسار التنوير.

إن نظرة فلسفة الأنوار إلى العقل على أنه عقل مطلق هي التي جعلت التنوير ينحرف عن مساره الصحيح ويتحول من أداة للسيطرة على الطبيعة إلى أداة للسيطرة على الإنسان ، ولذلك رأى "هوركهايمر" : "أن التنوير المضاد للدين واليهودية يدمر انسجام العقل (أو الإنسان) مع العالم الخارجي ، ما ترتب عليه ظهور نمطين للعقل: أحدهما عقل تنويري غايته التحرر والعدالة والغاء التشيؤ ، والآخر عقل أداتي غايته التسلط والسيطرة ويؤدي إلى المادية والعدمية. وكلا النمطين متعارض". (حسن حنفي وآخرون ، 2005 ، ص 540)

يرى "هوركهايمر"، أن أداة حل هذه الأزمة هو العقل نفسه، بحيث تصبح مهمة العقل هي نقد ما يسمى بالعقل، أي أن تواجه النظرية النقدية العقل بالعقل نفسه، وذلك بأن يضع نفسه في خدمة الكل أو المجموع الاجتماعي القائم. أنها- أي النظرية النقدية - تعارض العقل الذي تهيمن عليه أية سلطة خارجية، كما تعارض العقل الذي يصر في صراعه من أجل البقاء على أن يخضع الآخر وينكر عليه حريته، وذلك حتى تستعيد النظرية النقدية المفهوم أو التصور المثالي الذي يهتم بإلغاء الظلم الاجتماعي. ومن هنا يتساءل "هوركهايمر": "لماذا سقطت الإنسانية في بربرية جديدة، بدلا من أن ترتقي إلى وضع إنساني أصيل؟. أو بصيغة أخرى: كيف أن الإنسانية التي بدل أن تلتزم بشروط إنسانية حقة، سرعان ما راحت تغرق في شكل جديد من أشكال البربرية؟". (هوركهايمر وأدورنو، 2006، ص 13)

إذا كان التنوير الأوروبي جاء ليحارب ويقضي على كل أشكال الممارسات اللامعقولة التي هيمنت على الإنسان الأوروبي، من خلال حمله لقيم الحرية والمساواة والتقدم... الخ، معيدا للعقل دوره الفعال في إحداث هذا التغيير المنشود. فلا يمكن التشكيك في دور العقل الأنواري في تحقيق هذه السيطرة، لكن مدرسة فرانكفورت النقدية أرادت مساءلة الفكر التنويري وعقلانيته نظرا لانحرافه عن الأهداف التي وجد من أجلها. وبرزت هذه المسألة النقدية في كتاب "جدل التنوير". فانحراف التنوير "يشكل أزمة أصابت العقل الغربي وهي التي دفعت بالتساؤل في نص جدل التنوير عن أسباب تراجع هذا العقل وظهوره في شكل جديد ينبئ بالأفول والتهايوي، في الوقت الذي تعززت فيه الهيمنة الرأسمالية وتساعد الامتداد السلطوي والأيدولوجي، ليتحول العقل من مهمة النظر الفكري إلى مجرد وسيلة هيمنة وقمع". (عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة، 2012، ص 68). وهذا يعني أن العقل الذي أتخذ من طرف الإنسان أداة لمعرفة الطبيعة وبالتالي السيطرة عليها، ومدافعا عن القيم الإنسانية التي حملها المشروع التنويري قد انحرف عن هذه المهام ليصبح أداة للسيطرة على الإنسان ذاته.

هذه التناقضات التي عرفتتها المجتمعات الغربية المعاصرة، هي التي جعلت جهود رواد مدرسة فرانكفورت وعلى رأسهم "أدورنو" تنصب على القيام بنقد جذري (راديكالي) لهذه الصراعات والتناقضات الاجتماعية وما ارتبط بها من مظاهر الاغتراب والتشويش التي عرفتتها هذه المجتمعات في ظل تحكم ما يسمى بالعقل الأداة الذي تحول إلى أداة سيطرة كلية لا على الطبيعة فقط وإنما على الإنسان أيضا. (كمال بومنيير وآخرون، 2011، ص 16)

فاهتمام "أدورنو" الفلسفي انصب إذن على نقد العقل الأداة الذي توجه في خضم التطور التاريخي الغربي نحو تحقيق أهداف السيطرة والتسلط الكامل على الطبيعة والإنسان، تولدت عنه النظم الشمولية والتسلطية كالنازية والفاشية والستالينية الشيوعية، وبذلك دمر العقل نفسه وفشل مشروع الحدأة وانتهى إلى البربرية، ولم تتحقق في آخر المطاف وعود فلاسفة التنوير في تحرير الإنسان وفي تحقيق سعادته، بل انقلبت ضدها تماما. (كمال بومنيير، 2012، ص 43)

وهذا يعني أن التطور الصناعي الذي ترتب عن التنوير سيطر على الأفراد إلى درجة أنهم صاروا يعانون اغترابا مزدوجا عن أنفسهم وعن محيطهم. وهذا ما يؤكد انحراف العقل التنويري الأداة عن مهامه، والذي لم يقف عند حدود السيطرة على الطبيعة وتسخيرها للإنسان، بل تجاوز ذلك ليسيطر على الإنسان ذاته. ويشير

"أدورنو" إلى انحراف التنوير عن مساره الصحيح ، قائلا: "كما أن الأساطير قد أكملت التنوير ، فإن هذا التنوير قد ارتبك أكثر فأكثر في علم الأساطير. استقى التنوير جوهر مادته من الأساطير مع أنه كان يريد القضاء عليها ، وحين مارس وظيفة الحكم ظل واقعا أسير سحرها". (هوركهايمر وأدورنو ، 2006 ، ص 32)

وبذلك فالتنوير ينفي ذاته بذاته ، أي أن مشروع التحرر الإنساني الذي يقوده التنوير ، ينتفي بقيد العقل الأسطوري الأنواري الجديد المتجلي في العقل الأداتي ، إذ أن التنوير بممارسته النقد للأساطير راح ينزع نحو جمع الأساطير وكشفها ومن ثم رفضها ونقدها وتحول ذلك المنهج بمثابة المعتقد. لذلك يرى أدورنو أن التنوير قد تحول من فكر تقدمي وتحرري إلى أسطورة تخفي السيطرة والهيمنة. ونجد إشارة صريحة إلى هذا المعنى في كتاب (جدل التنوير) ومضمونها "وفي أيامنا فإن الآلة مع إفادتها للإنسان فهي تقوم ببتيره. في ظل شكل الآلة يتطور العقل المتشيع نحو مجتمع يصلح الفكر المتجمد في التجهيز المادي والفكري مع ما يعيش حرا مرسلًا هذا الفكر للمجتمع كما إلى ذاته الفعلية" (هوركهايمر وأدورنو ، 2006 ، ص 60)

لقد ارتبط العقل الأداتي في نهاية المطاف بالشقاء والعذاب ومختلف أشكال السيطرة والهيمنة الجديدة التي لم تعرفها البشرية في تاريخها (...). لذلك عمل "أدورنو" على إخضاع العقل الأداتي لنقد لا هوادة فيه لفضح عمليات التشويه والتزييف التي يمارسها هذا العقل في حياة الإنسان المعاصر ، والتي بلغت مستوى لا مثيل له من انسداد ألقها في التحرر والاعتناق من مختلف أشكال القهر والاعتراب والتشويء ، والتي تتجه لا محالة - إن بقيت تابعة للعقل الأداتي - نحو الكارثة على رغم التقدم العلمي والتقني ، ورغم التطور المادي وارتفاع مستوى الرفاهية والتسامح والحرية الشكلية. (كمال بومنيير وآخرون ، 2011 ، ص 25)

لقد أعلن "أدورنو" بأسه وخيبة أمله بالعقل الأداتي الذي انتهى به الأمر إلى إفراز النظم الشمولية والتوتاليتارية ، كالفاشية والشيوعية والنازية ، ومختلف أشكال السيطرة الجديدة التي تعرفها المجتمعات المعاصرة ... فهذا الذي أدى إلى معاداته لهذا العقل الذي انحرف عن مساره وتوجه إلى خدمة القوى والمؤسسات المسيطرة التي تنظم الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي ... إن ما حاول "أدورنو" تقويضه ليس العقل برمته ، وإنما بالأحرى ما يسميه بالعقل الأداتي للكشف عن آلياته القمعية والتسلطية ، ومعرفة الأسباب التي حولته من قوة للتحرر إلى قوة للسيطرة والهيمنة الكلية على الإنسان. وهو الذي يقتضي - حسب أدورنو- نقد العقل بالعقل ذاته ، لا التضحية بالعقل ، ومن ثم الوقوع في العدمية. (كمال بومنيير وآخرون ، 2011 ، ص 26)

وفي تفسيرهما للسيطرة التي يخضع لها الفرد في ظل الرأسمالية الاحتكارية ، يذهب "هوركهايمر" و"أدورنو" في كتابهما "جدل التنوير" إلى صناعة الثقافة ، التي تهدد حرية الفرد ، إذ أصبحت المؤسسات الرأسمالية تتخذ من كل الأشكال الثقافية (الموسيقى ، السينما ، الفن) كأدوات لممارسة السيطرة والهيمنة على الفرد وتغريبه داخل المجتمع. ويظهر ذلك من خلال "الربط بين الإنتاج الفني ومظاهره وبين أجهزة الدعاية والدور السياسي الاقتصادي لأجهزة الاستهلاك الجماهيرية ... ليكتشف حقيقة "الثقافة المصنعة" ... ثقافة آلية مستوعبة تمثل الواقع الصناعي المغترب و"فكره" التخديري الفاقد لمحتوياته الجذرية بسبب من تمثله داخل ثقافة جماهيرية استهلاكية عامة ترضي حاجة جماعية ، لتدعم عبر إرضائها هيمنة الدولة ومؤسساتها" (علاء طاهر ، ص 69).

ومن هنا كشف "هوركهايمر" و"أدورنو" عن حقيقة الثقافة التي تتم صناعتها عبر أجهزة الاتصال من إذاعة وتلفزيون وصحف ، وهي ثقافة مصطنعة ، لا تمثل حاجات البشر الحقيقية ، وإنما هي من إنتاج المجتمع

الصناعي والتكنولوجي المتقدم ، الذي تغدو الثقافة فيه ثقافة آية ، تمثل الواقع الصناعي المغترب ، وهي ثقافة تخديرية للجماهير.

فإذا كان العقل التنويري واقعا في أزمة حادة كما تصورها رواد مدرسة فرانكفورت ، فما هو السبيل الذي يمكننا من إنقاذ هذا العقل وتخليصه من أبعاده التسلطية والأدائية؟.

يرى رواد مدرسة فرانكفورت "أن تحرر الإنسان من الهيمنة ، بكل أشكالها ، لا يتم من خلال الاحتجاجات العامة أو التحرر الجنسي أو العمل الثوري ، وإنما من خلال الفن الأصيل الذي يحمل في طياته إمكانية هدم وإقالة ما هو قائم ، ويرى أن المعرفة الحقة والمعرفة الأعظم هي الفن وليس العلم ، ذلك لأن العلم معرفة ناقصة ولا تعكس إلا الحقائق القائمة والسائدة" (حسن محمد ، 1993 ، ص 120). إذ يعتقد "أدورنو" أن الفن هو السبيل الوحيد للتخلص من الهيمنة والسيطرة بكل أشكالها ، التي يعيشها الفرد في المجتمع المعاصر .

لقد أكد "أدورنو" على دور الفن في انتشار الفرد من الفوضى الثقافية التي عملت الرأسمالية على ترسيخها في المجتمع الرأسمالي ، بإمكان الفن أن يسهم في تحرير الانسان. "إن للفن وظيفة نقدية ثورية يخلقها لعالم جمالي معادل لانغلاقية الواقع ومواجهة لها ، فحين تغدو الحياة اليومية أداة سلب دائم للوعي وقمعه وفق تصنيع واتجاه آلي تحدده المؤسسة الرسمية ونمط الحياة والأفكار المعززة من قبلها ، يغدو العالم الذي يخلقه الأثر الفني... منطقة لإعادة تنوير الوعي ومنحه لطاقته الرافضة من جديد بعد انتشاره من وسط بضاعي يلهث وراء الاستهلاك... ففي الفن يستعيد العقل قابليته على الحلم والتحليق فوق ما هو محدود نحو فضاءات غير محدودة""(علاء طاهر ، ص ص 70-71). ومن هنا يمكننا أن نتساءل هل بإمكان الفن أن يحرر الإنسان من السيطرة التي يخضع لها الإنسان من قبل مختلف المؤسسات الاقتصادية والسياسية والثقافية ، التي مارست سيطرتها منذ عصر التنوير باسم العلم وتطبيقاته التكنولوجية.

خاتمة:

انطلاقاً مما سبق يتضح لنا الدور الهام الذي قام به رواد مدرسة فرانكفورت في نقد أسس العقلانية الأدائية التي رسخت مفهوم السيطرة والهيمنة والتي جعلت من الإنسان مجرد آلة يتم التحكم فيه من قبل المؤسسات المختلفة. كما يتضح من جهة أخرى ذلك التلازم وثيق الصلة بين المعرفة بمختلف أشكالها وخاصة العلمية منها والسلطة بمختلف مظهراتها. تلك العلاقة التي كانت تهدف إلى تحرير الإنسان من مختلف أنواع السيطرة والاستبداد ، والتي بدأت مع عصر التنوير الذي ثار ضد كل أنواع السيطرة اللاهوتية الكنسية ، غير أن العقلانية التنويرية سرعان ما انقلبت على نفسها وتحولت إلى عقلانية أدائية ، اتسعت من خلالها دائرة السيطرة والاستغلال مما أصبح معها الإنسان المعاصر أكثر اغتراباً واستبداداً.

فعلى الرغم مما عرفته المجتمعات المتقدمة ، من تقدم علمي وتكنولوجي ، كان بإمكانه أن يعزز للفرد الحرية والعدالة وغيرها ، إلا أن ذلك وسع من حجم السيطرة والهيمنة التي يعيشها الفرد في ظل التكنولوجيا. فهي سيطرة شاملة لمختلف مكونات الفرد النفسية والاجتماعية والسياسية ، وهذا ما دفع برواد مدرسة فرانكفورت بالدعوة إلى البعد الجمالي "الاستيطيقي" كبديل للعقلانية الأدائية ، فالجمالية هي البعد الوحيد الذي يحقق للفرد المعاصر الخلاص من الوضع الذي يعيشه ، وذلك من خلال الفن .

المصادر والمراجع:

أ/ المصادر:

- 1/ ماركوز هيربت (2011)، فلسفات النفي - دراسات في النظرية النقدية - تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.
- 2/ هوركهيايمر ماكس (2006)، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، تر: محمد علي اليوسفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
- 3/ هوركهيايمر ماكس ونيودورف أدورنو(2006)، جدل التنوير-شذرات فلسفية، تر: جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة بيروت-لبنان.
- ب/ المراجع:
- 1/ أبو السعود عطيات (د، ت)، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين- وبحوث فلسفية أخرى، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، الاسكندرية- مصر.
- 2/ أفاية محمد نور الدين (1998)، الحدائث والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة- نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق -المغرب.
- 3/ المحمداوي علي عبود وإسماعيل مهنانة، (2012)، مدرسة فرانكفورت النقدية- جدل التحرر والتواصل والاعتراف، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر.
- 4/ بومنيير كمال (2010)، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر.
- 5/ بومنيير كمال (2010)، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت- من ماكس هوركايمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر.
- 6/ بومنيير كمال وجمال مفرج وآخرون (2011)، ثيودور أدورنو، من النقد إلى الإستيقا- مقاربات فلسفية، دار الأمان، الرباط-المغرب.
- 7/ بومنيير كمال (2012)، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر.
- 8/ بوتومور توم، (1998)، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، دار أوبا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس (ليبيا).
- 8/ حسن محمد حسن (1993)، النظرية النقدية عند هيربت ماركيز، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- 9/ طاهر علاء (د، ت)، مدرسة فرانكفورت- من هوركهيايمر إلى هابرماس، منشورات مركز الإنماء القومي- بيروت، لبنان.
- 10/ مصدق حسن (2005)، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت- النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب.

دور الصناعات التقليدية في الترويج للسياحة التراثية – الجنوب الجزائري نموذجا -
د. بن سعيد مسعودة أمال

جامعة طاهري محمد- الجزائر - جامعة طاهري محمد -الجزائر-

مقدمة:

تعتبر الصناعة التقليدية مكون أصيل للذاكرة الحضارية ورصيد مخزون للخبرات الحياتية والإمكانات الإنتاجية الذاتية المتاحة داخل كل مجتمع محلي. كما وتعد الصناعة التقليدية والحرفية جزءا هاما من تراثنا الشعبي والثقافي باعتبارها همزة وصل حضارية نقلت من خلالها معالمنا الثقافية والحضارية ، وتخلق نوعا من التوازن بين الريف والمدينة من خلال مساهمتها في الاستثمار .

تعطي الصناعة التقليدية في المجتمع الجزائري صورة صادقة عن جهود الإنسان للتكيف مع بيئته ، وحسن استغلال مواردها الطبيعية وتطويعها لصالحه. كما وتدل على عظمة الأجداد ونباهة الأبناء لما تحمله من اتجاهات متميزة للتفكير والخيال ، وبالتالي الإبداع المنطلق والمرتكز على خصوصيتنا الحضارية .

ومع تزايد الاهتمام بقطاع السياحة ، أخذت الكثير من الحكومات على عاتقها تسويق المناطق التراثية التي تتوفر فيها الموارد السياحية كالمواقع التاريخية والأثرية ، والتي يمكن تطويرها من أجل جذب الزوار والسياح إلى هذه المناطق وإشباع رغباتهم في التعرف على التراث ، حيث أن التراث العمراني من المنظور التاريخي الحضاري هو كنز حضاري ثمين ؛ فهو يشكل شاهدا ورمزا صادقا على الإبداع الإنساني ورؤية فنية عبر مسيرة التاريخ الحضارية والعمرانية ، فهو يعمل على إبراز عناصر الفن والجمال والتميز والأصالة ، ويعكس جانبا من جوانب الهوية الوطنية للدول .

وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة على الإشكالية التالية: ما مدى الصناعات التقليدية في الترويج للسياحة التراثية ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم تقسيم الدراسة إلى محورين أساسيين ، حيث تمثل المحور الأول في سرد المفاهيم الأساسية لمصطلحات الدراسة ، أما المحور الثاني فتمثل في البحث عن واقع الصناعات التقليدية في الترويج للسياحة التراثية بمنطقة الجنوب الجزائري كنموذج ، وذلك من خلال إبراز أهم الصناعات التقليدية التي تزخر بها المنطقة وأيضا أهم العادات والتقاليد وكيف ساهمت في تفعيل السياحة التراثية .

المحور الأول: مفاهيم نظرية

1. مفهوم الصناعة التقليدية: إن الصناعة التقليدية كما قال الأديب الجزائري مالك حداد: "تعتبر سفيرا بدون أوراق اعتماد ، ولكن بألقاب المجد والشرف" ، وعلى هذا الأساس فإن الصناعة التقليدية تمثل همزة وصل بين الماضي والحاضر وبين الماضي والمستقبل. وهي تمثل عنصرا أساسيا في الثقافة وتؤكد على الشخصية الوطنية بثرائها وتنوعها وخصوصيتها ، حيث تجسد حضارة عريقة لشعب بأكمله سواء كانت هذه الصناعة في شرق البلاد أو غربها أو شمالها أو جنوبها ، فإنها تتميز بجمال رائع وذوق فني رفيع ، وكذلك الوفاء للتقاليد

والعادات ، الأمر الذي يجعلها تتحول إلى تحفة أنيقة للشعب فهي مستمدة من المقومات الثقافية المشتركة.
(برسولي و بن صالح ، 2016 ، ص 16)

1.1. تعريفها وتقسيماتها: هي تلك الصناعات البدوية التي يقوم بمزاولتها فرد أو مجموعة من الأفراد لغرض إنتاج أو تصنيع منتجات حرفية من المادة المحلية الطبيعية بالطرق التقليدية بهدف استخدامها في الاحتياجات اليومية للأفراد أو المنشآت أو لغرض الاقتناء الدائم أو المؤقت ، ويعتمد الحرفي في عمله على مهاراته الفردية الذهنية واليدوية التي اكتسبها من تطور ممارسته للعمل الحرفي باستخدام الخامات الأولية المتوفرة في بيئته الطبيعية المحلية.

تعددت التعريفات التي تناولت الصناعات التقليدية اختلفت كل منها باختلاف شرائح العاملين في هذا القطاع سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة ، ومن أهم تلك التعاريف نذكر ما يلي:

- عرفت المنظمة الدولية للتجارة والتنمية CNUCED الصناعات التقليدية بأنها: المنتجات المنتجة باليد على كل الوحدات المنجزة بمساعدة الأدوات والوسائل البسيطة ، وكل المعدات المستعملة من طرف الحرفي والتي تحتوي في جزء كبير منها على عمل اليد". (صديقي ، 2002 ، ص 73)

- نصت المادة من الأمر 96-01 المؤرخ في 10/01/1996 والمحدد للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف على أن: " الصناعة التقليدية والحرف هي كل نشاط إنتاج أو إبداع أو تحويل أو ترميم فني أو صيانة أو تصليح أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي وتمارس بصفة رئيسية ودائمة ، وفي شكل مستمر أو متنقل أو معرضي ، وبكيفية فردية أو ضمن تعاونية للصناعة التقليدية والحرف أو مقاوله للصناعة التقليدية والحرف ".
(الجريدة الرسمية ، 1996 ، ص 04)

وعليه نستخلص أن الصناعات التقليدية موروثات ثقافية تحمل تعابير وملامح تاريخية وتمثل هوية الشعوب وتراثها الإنساني بما تحمله في طياتها من جذور حضارية متراكمة نتيجة التفاعل بين الأمم والشعوب.

ومن خلال التعاريف السابقة الذكر يتبين لنا أن الصناعات التقليدية تتميز بثلاثة خصائص:

- غالبية العمل يدوي ؛

- إمكانية الاستعانة بالآلات ؛

- الطابع النفعي " الاستعمالي " أو التزييني للمنتج التقليدي.

كما يمكن تقسيم الصناعات التقليدية حسب وظيفة منتجاتها إلى نوعين هما: (الجريدة الرسمية ، 1996 ، ص 04)

أ. الصناعات التقليدية الفنية: والتي تتميز بأصالتها وطابعها الانفرادي وإبداعها ، وتشير هذه الأخيرة إلى مجمل التعابير المتعلقة بالتقاليد والفنون لمختلف المناطق الجغرافية المحلية ، وهذا النوع من الصناعة يتطلب تأهيل عالي للحرفي في المجال الفني وتمثل وظيفة هذا الصنف من الحرف في التزيين أساسا. (شنيبي ، 2010 ، ص 55)

وتتميز المنتجات التقليدية الفنية بارتفاع أسعارها لأنها تستغرق مدة طويل في الصنع وتتطلب مهارات فنية عالية.

ب. **الصناعات التقليدية الوظيفية:** تتم التصاميم في هذا الصنف عادة بالطابع التكراري والبساطة ، ويعتمد هذا النوع من المنتجات في نشاطها على العمل المتسلسل ، أي توزيع المهام في كل مراحل الإنتاج وهذا بغض النظر عن الحرفيين الذين ينتجون منتجات استعمالية والذين يعملون منعزلين في منازلهم. (شنيبي ، 2010 ، ص 56)

وتتمثل أهمية منتجات هذا النوع في قيمتها الاستعمالية في الحياة اليومية ، وهذا الأخير معرض لكثير من منافسة على المستوى الداخلي والخارجي ، هذا يرجع لضغوط المنتجات الإحلالية لقطاع الصناعة التقليدية التي تنافسها في السعر والنوعي يرمز لميدان الصناعة التقليدية والصناعة التقليدية الفنية الوظيفية بالرمز وتحتوي على ثماني قطاعات للنشاط وهي: (مرسوم تنفيذي ، 2007) " العمل على الجلود ، العمل على المعادن ، على الخشب ، على الصوف والمواد المماثلة ، القماش والنسيج ، الطين ، الجبس ، الحجر..... ، المواد الغذائية و مواد مختلفة أخرى .

2.1. أهمية الصناعة التقليدية: تعتبر الصناعات والحرف التقليدية نقطة تواصل والهام حضاري للسياح ، ذلك كونها تمثل مصدرا تكامليا وأداة لجذب السياح ، من خلال مساهمتها في التعريف بخصائص البيئة الداخلية لكل منطقة ، واستعراض عاداتها وتقاليدها ، كما تسهم هذه الحرف والصناعات التقليدية في التنمية السياحية التي ترتبط بالمكان ارتباطا وثيقا من حيث القيمة والأهمية والخصائص البيئية والجمالية بالمنطقة. ولاستغلال هاته المنتجات وفق خصوصياتها المحلية والحضارية لتطوير وتنمية السياحة الداخلية من خلال البيئة والشكل والعلاقة التبادلية التي تجمع بينهم.(جعيل و زحوط ، 2012 ، ص 14)

كما تسهم الصناعات التقليدية في خلق مناصب عمل دائمة لكثير من الشباب العاطل عن العمل ، وذلك من خلال إنشاء ورشات للحرف والصناعات التقليدية ، والحصول على مهن أو نشاطات فنية تراثية في ظل الثراء والتنوع في الأنشطة التراثية للمجتمع الجزائري .

3.1. تحديات ومعوقات الصناعات التقليدية: مازالت الصناعات التقليدية تعاني من بعض نقاط الضعف والتي يمكن أن اختصارها في النقاط التالية:

- تراجع الاهتمام بالصناعات التقليدية في السنوات الأخيرة ؛
 - ضعف البنية التنظيمية لقطاع الصناعات التقليدية ؛
 - منافسة شديدة من قبل الصناعات التقليدية للبلدان المجاورة وقطاع الصناعة الحديثة ؛
 - نقص في القدرات المادية والتمويلية للحرفيين مما اثر في نوعية المنتج وحجم إنتاجه.
- 2. السياحة التراثية:**عرفت منظمة السياحة العالمية (WTO) سنة 1992السياحة على أنها "مجموعة أنشطة الأشخاص المسافرين و المقيمين في أماكن تقع خارج بيئتهم المعتادة لمدة تقل عن السنة بقصد الراحة أو العمل ، أو أغراض أخرى". (صحراوي ، 2012 ، ص 12)

أما السياحة التراثية هي شكل من أشكال السياحة التي تهدف إلى التراث الثقافي للمكان. ويجب أن لا نخلط بين السياحة التراثية والسياحة الثقافية ؛ رغم أنهما مصطلحين قريبين من بعضهما البعض ، إلا أن تركيز السياحة التراثية يكون على الآثار من الماضي ، أما السياحة الثقافية فتركز على الأشكال المعاصرة للثقافة مثل العمارة الحديثة. كما أن السياحة التراثية هي مفهوم محدد بشكل واسع يتضمن جزءاً هاماً من السياحة. ويركز

سياح التراث على المدن التاريخية والمناظر الطبيعية القديمة والمباني القديمة المحددة والكنائس والقلاع والتحصينات وأيضاً التراث الصناعي ، والحدائق التاريخية ، ساحات المعارك والمتاحف... الخ
1.2. تعريف السياحة التراثية: تعرف بأنها جميع الأصول والموجودات التي تركها لنا الأجداد والآباء وتمثل في كافة الإنجازات الحضارية بأشكالها المختلفة والتي تعكس بصورة عديدة، وتشمل " المتاحف والمدرجات... الخ (عبيدات ، 2000 ، ص105).

- كما تعرف السياحة التراثية أيضاً بأنها: "السفر لتجربة الأماكن والأنشطة التي تمثل في الأصل قصص وشعوب الماضي".

- أما منظمة اليونسكو فقد استخدمت مصطلح الساحة التراثية الثقافية ، والذي عرفته على أنه: "السفر المهم بتجربة البيئات الثقافية بما فيها من مواقع طبيعية ومبنيّة وفنون مرئية وأساليب حياة وقيم وعادات مناسبات خاصة".

- ويشير مفهوم السياحة التراثية بحسب الصندوق الوطني للحفاظ على التراث التاريخي بأنها السفر من أجل تجربة الأنشطة والأماكن والاطلاع على التحف وقصص الناس التاريخية وثقافتهم ومواردهم الطبيعية وغيرها من الأمور. وفي تعريف آخر للسياحة التراثية بأنها نوع من السياحة الموجهة نحو الثقافة والتاريخ من أجل الاطلاع على الآثار وحضارات الناس في الماضي والحاضر.(What is Heritage Tourism?)

أما الترويج السياحي فيعد أحد أهم عناصر المزيج التسويقي السياحي ، إن لم يكن أكثرها أهمية ، حيث أن نجاح أي برنامج سياحي يتوقف على القدرة على ترويجه وبالتالي تحقيق الأهداف المسطرة لإقناع وجذب أكبر قدر ممكن من السياح لزيارة المقاصد السياحية.

ويعرف الترويج السياحي بأنه: "عملية إحداث المعرفة لدى السائح عن الشركة وبرامجها وإحداث تفاعل إيجابي بين السائح وبين المعلومات التي حصل عليها عن طريق الجهود الترويجية وتشجيعه وتحفيزه على القيام بسلوك إيجابي محوره التعاقد على أحد البرامج السياحية التي تقدمها الشركة أو خلق طلب كامن لديه يظل يشعره بالتوتر والقلق حتى يقوم بإشباعه". (حجاب ، 2000 ، ص75)

2.2. كيفية تطوير السياحة التراثية: من أهم العوامل التي يمكن أن تسهم في تقوية وتنمية قطاع السياحة التراثية ما يلي: (الصريرة ، 2017 ، صفحة 50)

إعادة هيكلة وترميم المواقع الأثرية ؛ الأمر الذي يعمل على جذب السياح من الخارج والداخل على حدّ سواء ؛ الاهتمام بالمهرجانات والنشاطات التي تُقام داخل المواقع الأثرية ؛ الأمر الذي يعمل على تنشيط العملية السياحية ؛

تعديل القوانين والتشريعات الخاصة بالسياحة لتناسب مع السياحة ومع ما يريده السائح وذلك لتنشيط السياحة التراثية ؛

العمل على استقطاب السائحين من مختلف البلدان وذلك من خلال تسهيل الإجراءات القانونية للسياحة التراثية.؛

لاهتمام بالدعاية والإعلان عن المواقع الأثرية على المستوى المحلي والدولي ؛ الأمر الذي يعنّش قطاع السياحة ويستقطب مختلف أنواع السياح.

3. دور الصناعات التقليدية في ترقية السياحة التراثية: تظهر الأهمية الاقتصادية لقطاع الصناعات التقليدية في أهمية الحرف التقليدية في الإنتاج القومي ، كما تعتبر هذه الحرف ركيزة حيوية للقطاع السياحي حيث تعمل على تدعيمه وترقيته فهي تمثل 10% من إيرادات السياحة حسب المنظمة العالمية للسياحة ، فالسائح يبحث دائما على أخذ منتج تذكاري يعكس ثقافة البلد المضيف له حتى يعبر عن المنطقة التي زارها.

ومن ثم تأتي عملية ترقية السياحة التراثية ، حيث تعتبر الصناعات التقليدية أحد أهم عناصر التسويق ، حيث تعمل على جذب المستهلكين وإقناعهم بالمنتجات التسويقية ، من خلال جعل تلك الحرف والصناعات التقليدية عادة في الشراء لدى السائح ، والتعريف بها والتعرض إلى خلفياتها الاجتماعية والثقافية وجعلها في صورة تجذب السائح ويقدر قيمتها. ويتم خلق استثمار في المجال أو ترقية السياحة كذلك من خلال الإشهار السياحي والإعلامي للمنتج أو الصناعة التقليدية ، وكذا بخلق التظاهرات المختلفة للتعريف بالمؤهلات السياحية وخاصة المناطق الصحراوية التي تزخر بالتنوع الجغرافي والثقافي. خاصة مع تزايد الاهتمام بقطاع الصناعات التقليدية وفتح المجال للاستثمار للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة من أجل تطويره وترقيته بإحياء التراث الثقافي للحرف واكتسابها الصبغة المؤسساتية والعمل على تقنينها.

المحور الثاني: دور الصناعة التقليدية في الترويج للسياحة التراثية بمنطقة الجنوب الجزائري: تنوع الصناعات التقليدية في الجزائر بتنوع المنطقة وما يتوفر فيها من مواد أولية من جهة ، وما مر بها من تاريخ وحضارة من جهة أخرى ، فهي تستوحي أشكالها ورسوماتها من محيطها الوطني والمغاربي والعالمي ، ومن تراثها العربي الإسلامي والبربري الإفريقي.

يرجع تاريخ الصناعات التقليدية في الجزائر إلى العصور القديمة أي إلى العصور البدائية الأولى ، حيث سكن الإنسان الكهوف والمغارات وكان يعيش حياةً بسيطةً يعتمد فيها على الطبيعة اعتماداً كلياً في مأكله ومشربه حيث وُجدت آثارٌ في الجنوب الجزائري في منطقة تدعى (الهوقار) تدلّ على أنّ سكان هذه المناطق استخدموا الطين والفخار لصنع أدواتهم المنزلية ، وما زالت بعض القبائل التي تسكن الأرياف في تلك المناطق تحتفظ ببعض هذه الأدوات وتصنعها وتستهملها مثل: صناعة وعاء كبير من الطين يثبت في إحدى واجهات البيت يستخدم لحفظ الحبوب التي يتم تخزينها لفصل الشتاء ، وكان يُصنّع مثل هذه الأشياء في بلادنا وتُستهمل لنفس الغاية وتسمى " الكواره "

كما وتعتبر السياحة التراثية بمنطقة الجنوب الجزائري سياحة واعدة ، لتزايد الإقبال عليها في السنوات الأخيرة حيث يشهد الموسم السياحي الشتوي توافد السياح الأجانب الذين يفضلون الوجهة الصحراوية نظرا لمناظرها الطبيعية الخلابة ، وكذا مناخها المعتدل في تلك الفترة من السنة ، واغلبهم أوروبيين والذين يشكلون 90% من السياح الجانِب ، ومنهم على وجه الخصوص الفرنسيون في المرتبة الأولى ، ثم كل من الألمان والإيطاليون حيث تسويتهم الصحراء لقضاء عطلة رأس السنة. وتعتبر الصناعات التقليدية من أهم مقومات السياحة الصحراوية ومن الركائز الأساسية للحفاظ على التراث الثقافي لمنطقة ما ، وكذلك من موارد التنمية الاقتصادية . تعطي الصناعات التقليدية في الجنوب الجزائري صورة صادقة عن جهود الإنسان للتكيف مع بيئته وحسن استغلال مواردها الطبيعية تطويعها لصالحه ، وتدلل على عظمة الأجداد ونباهة الأبناء لها تحمله من اتجاهات

مميزة في التفكير والخيال وبالتالي الإبداع المنطلق والمركّز على خصوصيتها الحضارية ، ومن أهم الصناعات التقليدية التي المتواجد بالجنوب الجزائري ما يلي : (برسولي و بن صالح ، 2016 ، ص 17)
الصناعات الخشبية: تعد من أبرز الحرف اليدوية في الصحراء الجزائرية نظرا لأهميتها في الحياة البدوية ، من أهمها: الآلات الموسيقية ، الهودج ، الكدحة ، الأطباق... الخ ويتم زخرفة هذه المصنوعات بأشكال هندسية تتميز بطابعها العربي الإسلامي والإفريقي ؛

صناعة النسيج: تعتبر من أقدم الصناعات اليدوية ، وهي تشمل جميع المنتجات التقليدية التي تستعمل فيها مواد ليفية ذات طبيعة نباتية كسعف النخيل والحلفاء ، أو ذات طبيعة حيوانية كالصوف والشعر من أهمها: الزرابي ، أو السجاد أو البساط التقليدي ، والتي تنعكس فيها معالم الهوية الثقافية من خلال ألوانها وأشكالها والرموز المستعملة فيها ، والتي تمثل لوحة فنية بامتياز حيث تعبر فيها المرأة عن مشاعرها وأحاسيسها وتفاصيل حياتهم الاجتماعية والبيئة التي ينتمون إليها ، ولعل من أشهر الزرابي المعروفة في الجنوب الجزائري نجد "زربو غرداية" ، التي تنسجها المرأة الغرداوية بشكل خاص ، تختزل فيها كل موروثها الثقافية ، وتختلف أحجامها وأشكالها وتصنيفاتها ومن أهم تلك الأنواع نجد: (سرقمة ، بدون سنة نشر ، ص 34)
زربية العظم: تصنع من صوف الماشية والقماش ، وتشكل من عدة رموز وأشكال تسمى بـ "الرقمة" ، متواصلة وتعتبر عن إبداع المرأة ؛

زربية النيلة: تختلف في رموزها كليا عن الأولى ، حيث أن رموزها تكون على شكل وحدات متقطعة تعبر عن مختلف الأشياء المكونة للبيئة الصحراوية يستعمل في نسيجها هي أيضا الصوف والقماش ؛
الحنبل: وهو زربية تشكل رموزه من عدة مستطيلات ويستعمل فيها لونين فقط وتسج من مادتي الصوف والقماش ؛

الفراشية: هي شبيهة في أشكالها بالحنبل ولكنها تختلف معه من حيث ألوانها المتعددة.
بالإضافة إلى صاعة الزرابي هناك الألبسة التقليدية مثل: "البرنوس ، الجلابة" ، والخيام... الخ.
الصناعات الجلدية: في هذا المجال نجد المرأة الصحراوية هي لمبدع الأساسي ، وتعتمد في مادتها الأولية على جلد الغنم والإبل ، من أهمها: بعض الآلات الموسيقية النادرة مثل الشكوة ، الكربة ، بعض الملابس الجلدية ، المحافظ بغرض حماية الأغراض والوثائق النادرة كالمخطوطات والعقود من التلف... الخ ؛

صناعة الحلي التقليدية: تعتبر الحلي أداة شاهدة تبرز قيمة الجسم وتحميه وحفظه من العين ، كما يمكن أن تكون شاهدة للثقافة و الإيديولوجية لفئة اجتماعية معينة ، فهي تحوي الخبرة الفنية والفكرية. وحسب ما يعرف تاريخياً أن صناعة الحلي ترجع إلى فترة ما قبل التاريخ بموادها وأشكالها وتقنياتها ، ويمكن القول أن هذه الأخيرة تكون بالصهر والإذابة ثم القولية فالقطع وإضافة الفتيلة المعدنية أو التحييب أو الحز و التثقيب .
فحلي المنطقة متواجدة على العموم بقورارة ، توات ، وتيديكلت ، حيث تقترب من تقنيات صناعة موريتانيا والمغرب الأقصى ويتركز على الخصوص بمنطقة برج باجي مختار ، أدرار ، زاوية كنتة ، تيميمون من أهم المنتجات نذكر: الخلل الخوصة ، السانقو. (مديرية السياحة لولاية أدرار)

الفخار والطين: تعتبر صناعة الأدوات المنزلية الخاصة بالأكل والشرب من أقدم الصناعات التي مارسها الشعب الجزائري ؛ حيث يُحضرون الطين الصلصالي من الأودية ويعجنونه بشكل جيد حتى تماسك العجينة

فيصنعون منها الأواني المطلوبة ، وتبدأ عملية زخرفتها ، ثم يضعونها في فرن ذي حرارة عالية من أجل أن تكتسب الصلابة المطلوبة ثم تصبغ بألوان طبيعية جميلة لتصبح بعدها صالحة للاستعمال .
والفخار عموماً متواجداً على مستوى مختلف أرجاء الجنوب الجزائري ، لكن الأكثر شهرة هو الفخار الأسود الذي يصنع بولاية أدرار وبقصر تمنطيط تحديداً حيث تعدت شهرته حدود الوطن .



بعض الصناعات التقليدية بمنطقة الجنوب الجزائري

بالإضافة إلى الصناعات التقليدية ، تحتفل المناطق الصحراوية بالجنوب الجزائري بالعديد من العادات والتقاليد التي تسهم في ترقية السياحة التراثية واستقطاب السياح إليها من كل المناطق ، والتي أدخلت ضمن منظومة القيم الاجتماعية . ومن بين تلك العادات نجد ما يسمى بـ :
- **المهرجانات الوطنية** : ويعتبر مهرجان أهليل من أهم المهرجانات بمنطقة الجنوب الجزائري ، يستند أساس رؤية هذا الفن على أن " الجانِب الدنيوي منه يقوم بمعالجة مختلف الممارسات الاجتماعية في الحياة اليومية للسكان بينما يتناول الجانب الديني المواضيع الدينية التي تحتل مكانة هامة داخل هذه الاحتفالية وتبرز مختلف الممارسات كالمتمن الشعري الديني الذي يتطرق إلى مدح النبي والأولياء الصالحين ."

ويضم المهرجان كلَّ فرقة عازفين على آلات القنبري الوترية (عود ذو رقبة طويلة وعليه وتران من الأمعاء الحيوانية) التي صنعها سكان الواحات الجزائرية ، ومغني وفرقة ترديد تتكون أحياناً من 100 شخص يقفون ملتصقي الأكتاف ويتحركون في شكل دائري ، ويصفقون ويتبعون رئيس الفرقة الذي يقف في وسط الدائرة. وقد أدرجت منظمة اليونسكو مهرجان أهليل قورارة سنة 2005 ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي اللامادي للبشرية التي تضم 90 من أبرز المأثورات اللامادية ، على قائمتها ، لتتأسس حينها تظاهرات ثقافية تقدّم عروضاً للأهليل المنتشر في صحراء الجنوب الجزائري. (لعموري ، 2017)



مهرجان أهليل بمنطقة تيميمون بولاية أدرار

تطلق فعاليات المهرجان في مدينة تيميمون بمحافظة أدرار (1400 كيلومتر جنوب الجزائر العاصمة) ، من 28 إلى غاية الثلاثين من كانون الأول / ديسمبر الجاري ، بمشاركة قرابة أربعين فرقةً موسيقية متخصصة في هذا الفن التراثي. يُذكر أن الأهليل مزيج من الإنشاد والشعر الشفوي والرقص والموسيقى التي تعزف على آلات شعبية مثل "التامجا" ، و"القنبري" ، و"زمزاد" ، و"الطنجة" .

وتتوزع الفرق المشاركة بين فرق تابعة لجمعيات ناشطة في مجال تراث أهليل ، وفرق تؤدّي أنماطاً موسيقية تراثية مختلفة. إلى جانب العروض الموسيقية التي تُقام على خشبة "مسرح الهواء الطلق" في تيميمون ، تُنظّم ندوة فكرية حول "أهليل" بمشاركة "مخبر فضاء الصحراء في مدونة السرد الجزائري" في جامعة أدرار ، و"بيت الشعر الجزائري" ، بمشاركة عددٍ من الباحثين والأكاديميين. وتكرّم الدورة الناشط الثقافي في مجال التراث ،

مولاي سليمان الصديق المعروف باسم "مولاي تيمي"، والذي عُرف بنشاطاته في خدمة تراث المنطقة، ومرافقته عدداً من الباحثين والأكاديميين الذين اشتغلوا على هذا التراث، وأبرزهم مولود معمري. يُعدّ المهرجان الذي يحتفي بهذا الشكل الفتي بأنه "مظهر موسيقي وأدبي في آن واحد، ومشهد مسرحي دينوي وفي الوقت نفسه احتفالاً ديني تقريباً"، وهو من التظاهرات الثقافية القليلة التي تمكّنت من الاستمرار بشكل منتظم منذ تأسيسها. غير أن ذلك يبدو غير كافٍ، خصوصاً مع اقتصار الفعاليات، أو تكاد، على الجانب الفرجوي والفولكلوري، دون العمل على استكمال ما بدأ من عملٍ لتوثيق ودراسة وترجمة هذا الفن، وتجديده أيضاً.

(العربي الجديد، 2017)

- الوعدة: وتسمى أيضاً بالمعروف أو الزيارة، وهو عبارة عن لقاء سنوي يقام تخليداً لبعض الأولياء الصالحين، يجتمع فيها أحفادهم ومحبيهم، من أجل المشاركة في تلاوة القرآن الكريم والأدعية والمدايح الدينية وإطعام الزوار والوافدين من كل مناطق وصلة الرحم، ومن بين المناطق التي تقام فيها هذه الزيارات، نجد زيارة الشيخ عبد الهالك الرقاني التي تقام في الفاتح من شهر ماي من كل سنة وذلك بقصر الرقاني، وأيضاً وعدة سيدي الشيخ¹ أو ركب سيدي الشيخ التي تقام بمنطقة الأبيض سيد الشيخ بولاية البيض، وأيضاً بزواوية كنتة بمنطقة تيميمون بولاية أدرار، والعديد منها أيضاً بمنطقة عسلة بولاية النعامة و...إلخ؛

- احتفالات بمولد النبوي الشريف: وهي من أهم الاحتفالات التي تقام في الثاني عشر من ربيع الثاني من كل سنة، بولاية بشار وبمنطقة بني عباس، حيث يعتبر من أكبر الاحتفالات الدينية التي تقام في منطقة الساورة وفي الجزائر عموماً، بحيث تعرف هذه المنطقة استقطاب عدد كبير من السياح المحليين والأجانب للمشاركة في هذه المناسبة الدينية، حيث يتم استعراض بعض الرقصات المصحوبة بإطلاق البارود، بالإضافة إلى أكلا تقليدية مثل المخلع والكسكس و...إلخ.

اسمه: عبد القادر ب محمد بن سليمان بن أبي سماحة نشأ في نواحي قصر أربوات، وهي عبار عن واحة واقعة¹ على الطريق المؤد إلى ولاية البيض على بعد حوالي 23 كلم من هذه الأخيرة.



الاحتفال بمولد النبي الشريف بمنطقة بني عباس بولاية بشار

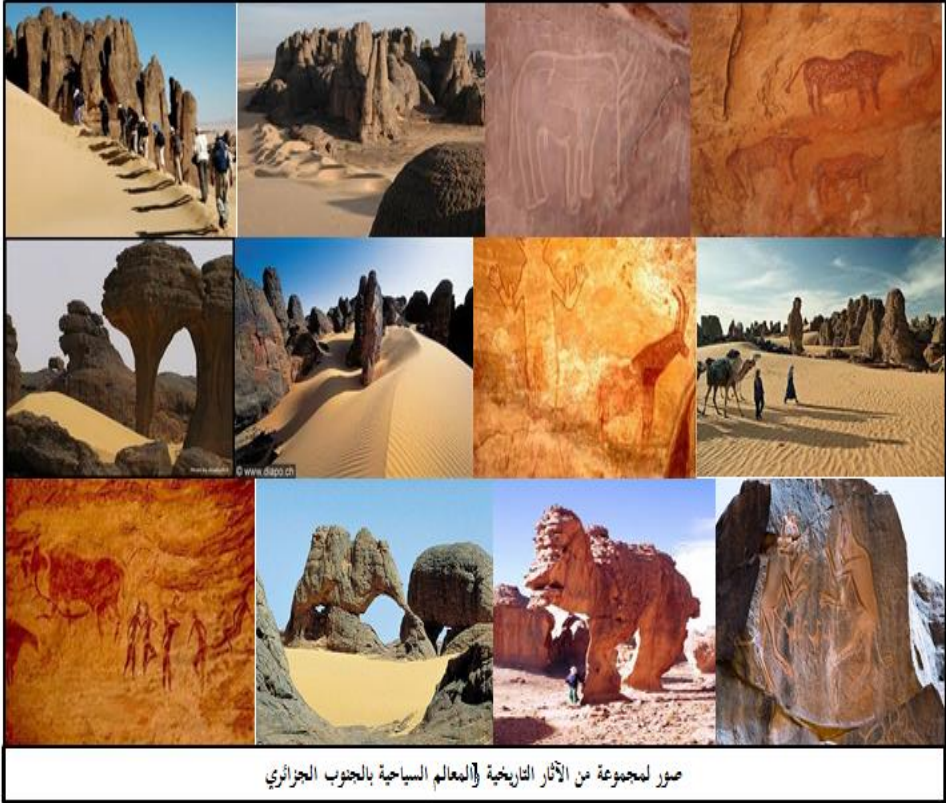
وفي اليوم السابع بعد الاحتفال بمولد خير البرية عليه الصلاة والسلام، يقام احتفال آخر يسمى بالسبوع بمنطقة تيميمون بولاية أدرار، يتم فيه تلاوة القرآن التصديق على الفقراء والمساكين وتحضير أشهي المأكولات المحلية التي تشتهر بها المنطقة إضافة إلى مسابقات دينية في تلاوة وحفظ القرآن الكريم.

- الاحتفال برأس السنة الميلادية الجديدة: حيث يتم الاحتفال بها كل سنة بجوهرة الساورة تاغيت التي تقع على بعد 97 كلم جنوب بشار، وهي وجهة سياحية مشهورة لاستقبال السياح الجزائريين والأجانب، لأنها تحتوي على كنوزا من تراث طبيعي وتاريخي تجعل منها قطبا سياحيا ممتازا، منها القصور التاريخية والصخور الأثرية وكذا الفرق الفلكلورية المتنوعة التي تجعل السائح يهتم بها ويحاول معرفة تاريخها والتعرف على أشكالها المتنوعة. كما يمكن للسائح أن يلحظ في تاغيت ديكورا طبيعيا فهي محمية طبيعية، ومنظر تاغيت يعبر عن جمالها خاصة الرمال الذهبية التي تعكس ضوء الشمس والنخيل المبعثرة في الواحات التي تجعل السائح يبهرون لجمالها.



الاحتفال برأس السنة الميلادية بمنطقة تاغيت بولاية بشار

كما نجد بتاغيت ثروة حيوانية مهمة كالجمال التي يفضل السائح التجول بها لاكتشاف المنطقة والتعرف على عاداتها وتقاليدها ، لأن أهالي تاغيت يقومون باحتفالات متنوعة كالأعراس والأعياد خلالها يقدمون عدة معايير تميزهم عن المناطق الأخرى. بالإضافة إلى القصر القديم الذي يعتبر معلما تاريخيا هاما ، ويحكي فترة من الفترات المهمة التي عاشها الساوريون في خضم حضارة قامت بالمنطقة والنقوش الصخرية للإنسان البدائي الأول ، التي عبر بيها عن بيئته و الحيوانات التي عاشت معه ، يعود تاريخ هذه المحطات من 7 آلاف إلى 10 آلاف سنة قبل الميلاد كما يعتبر الفن الصخري أهم وأقدم دليل إنساني والثقافي في المنطقة.



صور لمجموعة من الآثار التاريخية والمعالم السياحية بالجنوب الجزائري

- القصور: وهي عبارة عن تكتل من مجموعة من المنازل ، يتوسطها أو يعلوها المسجد ، وتوجد بداخله أزقة أو دروب ، يحيط بالقصر شور كبير يحتوي على أبراج وله مدخل واحد ، ويحيط بهذا السور خندق وكل هذه الاحتياطات لدفع الغازات والتصدي للهجمات التي كانت تتعرض لها هذه القصور في فترات سابقة.



صور أهم القصور المتواجدة بالجنوب الجزائري

ولعل من هذه القصور في الجنوب الجزائري قصور بوسمغون وتبوت في منطقة البيض ، وأيضا القنادسة وموغل في منطقة الساورة (ولاية بشار)، وكذا قصر تمنطيط وتماسخت وتاخيفت وتازولت بمنطقة توات (ولاية أدرار)، وقصر تماسين بولاية ورقلة، وقصبة باجودة بعين صالح، وقصور غرداية (بنورة، بني يزجن، مليكة، العطف، بريان، القرارة...)، حيث صنفها منظمة اليونسكو سنة 1982 في قوائم التراث العالمي، فقد عمّرها سكان المنطقة منذ أزيد من 1000 سنة. فهي مشيّدَة بطريقة تضمن توزيع المياه فيها، وبهندسة معمارية مدروسة، كما أنه وللحفاظ عليها، خضعت ل20 عملية ترميم. (أصوات مغربية، 2018)

وأیضا قصر تمرنة القديمة بمنطقة وادي ريغ (ولاية وادي سوف) والذي تعود نشأته إلى فترة الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، وقد بني هذا القصر في مكان مرتفع، تحيط به غابات النخيل والأشجار المثمرة من جميع الجهات، لعل من خصائص هذا القصر هو أنه سيد على ربوة يحيط به سور وخنق، وقد سكنته قبائل الراغة؛ وهم العنصر البربري الأمازيغي الذين سميت باسمهم المنطقة (وادي ريغ)، ويعود أصلهم إلى قبيلة ريغة وسنجاس الزناتيين، ويحتوى القصر على مجموعة من الشوارع الرئيسية والثانوية أو ما تعرف بـ"سكة نافده".

خلاصة الدراسة:

من خلال ما تم التطرق إليه في هذه الورقة البحثية، خلصنا إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- أن الصناعات التقليدية لم تعد موروثاً حضارياً وثقافياً تتناوله الأجيال فحسب ، بل أصبح قطاع حيوي جد مهم في تكوين الناتج الداخلي الإجمالي ، وعنصراً مهماً للترويج للسياحة عموماً والسياحة التراثية بشكل خاص ، غير أن الجهود لا تزال تحتاج إلى مزيد من التحسين لبلوغ الأهداف المرجوة من هذه الصناعات وخاصة فيما يخص في الترويج للسياحة التراثية ؛
- السياحة التراثية هي دافع هام للحفاظ على السياح الذين يزورون المدينة بسبب الآثار التراثية والمباني القديمة الموجودة والمتاحف ولذلك فهي مهمة من وجهة نظر اقتصادية ؛
- تعتبر الصناعات التقليدية الوجه الآخر للسياحة التراثية ، لأنها من أهم الأدوات الترويجية لجذب وتنمية السياحة التراثية بالعالم عامة وبمنطقة الجنوب الجزائري خاصة ؛
- تعتبر السياحة الثقافية التراثية القطاع الأسرع نموًا في صناعة السياحة ، نظرًا لوجود اتجاه نحو زيادة التخصص بين السياح. ويتجلى هذا الاتجاه في ارتفاع حجم السياح الذين يسعون إلى المغامرة والثقافة والتاريخ وعلم الآثار والتفاعل مع السكان المحليين ؛
- لم تحظ العادات والتقاليد بمنطقة الجنوب الجزائري إلى حد اليوم بالاهتمام الذي تستحقه من طرف الباحثين والدارسين والمهتمين خصوصاً المتخصصين منهم في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، والدراسات السلوكية ، فهي ذات أبعاد أنثروبولوجية واسعة تعبر عن الذهنية الشعبية والخلفيات التي تعتمدها كمنطلقات في التفكير ؛
- تخلي الأجيال الحاضرة على بعض العادات والتقاليد بسبب العولمة والتغيرات الحديثة ، وأيضاً بسبب عدم تعريف الأجيال المتعاقبة عليها أو السعي إلى الحفاظ عليها وتنميتها أدى إلى تراجع في سوق الصناعات التقليدية والحرف وبالتالي انخفاض في نسبة السياحة التراثية ؛
- بناءً على النتائج التي خرجت بها الدراسة تم استنتاج مجموعة من المقترحات التي يمكن أن تسهم في النهوض بالسياحة التراثية وقطاع الصناعات التقليدية:
- ضرورة تجسيد البرنامج الترويجي والإعلامي لإدماج الصناعة التقليدية في الأنشطة السياحية ، من خلال إصدار مجلات سياحية حرفية متخصصة تعنى بالترويج للمنتجات الحرفية ، وتسهم في رفع مستوى الإقبال على المنتجات الحرفية وبالتالي السياحة ؛
- التوزيع الواسع والعرض للصناعات التقليدية في الفنادق وداخل المناطق السياحية ، وتهيئة وتزوين الفنادق باستخدام الحرف التقليدية المتصلة بالعمارة والتأثيث ، وهذه المهمة لها أثر ترويجي كبير للسياحة ؛
- استخدام مواقع التواصل الاجتماعي للترويج لأي نشاط في هذا المجال ؛
- الاهتمام في إعادة ترميم المواقع الأثرية في الجنوب الجزائري مثل مدينة تاغيث لما لها من أهمية كبيرة في جذب السياح ؛
- تكتيف الدعاية والترويج للنشاطات والمهرجانات التي تقام في المواقع الأثرية ؛
- مواكبة التطورات التكنولوجية الحديثة لتنشيط حركة السياحة التراثية وتفعيل عملية استقطاب السياح من خارج الجزائر.

قائمة المراجع:

- What is Heritage Tourism? (s.d.). Consulté le 07 27, 2019, sur Cultural Heritage Tourism.org: <https://culturalheritagetourism.org/what-is-heritage-tourism/>
- أصوات مغربية. (05 ماي، 2018). أصوات مغربية. تاريخ الاسترداد 23 جوان، 2019، من قصور الصحراء الجزائرية.. معالم للسياحة والتاريخ: <https://www.maghrebvoices.com/a/desert-palaces/435100.html>
- العربي الجديد (2017). ديسمبر " رécupéré sur " (26مهرجان أهليل "بحث عن القوال الصغير: <https://www.alaraby.co.uk>
- جعيل ج. & زحوط، إ. (2012). نوفمبر (19-20) الحرف والصناعات التقليدية كفرصة لترقية السياحة الداخلية في الجزائر. مداخلة للمشاركة في ملتقى وطني بعنوان "فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر". باتنة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر.
- حجاب م. م. (2000). الترويج والعلاقات العامة. مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- صديقي، ش. (2002). دفع صادرات الزرابي التقليدية الجزائرية بتطبيق مقاربة التسويق الدولي. رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية.
- عاشور سرقمة. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من العادات والتقاليد بمناطق الجنوب الجزائري: <https://ouvrages.crasc.dz/pdfs/2016-carrefours-sahariens-ara-achour%20sergma.pdf>
- عبد الرحيم شنيبي. (2010). دور التسويق السياحي في إنعاش الصناعة التقليدية والحرفية. رسالة ماجستير في علوم التسيير. جامعة غرداية.
- فايزة لعموري. (25 ديسمبر، 2017). الإذاعة الجزائرية. تاريخ الاسترداد 23 جوان، 2019، من محافظ مهرجان أهليل للإذاعة: مشاركة أزيد من 40 فرقة خاصة في الطبعة الـ 11 للمهرجان: <http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20171225/129569.html>
- فوزية برسولي، و كريمة بن صالح. (2016). دور الصناعات التقليدية في الترويج للسياحة الصحراوية الجزائرية. مجلة التنمية الاقتصادية(01).
- للجمهورية الجزائرية الجريدة الرسمية. (10 جانفي، 1996). الأمر رقم 96/01. (3). الجزائر.
- محمد الصرايرة. (2017). السياحة التراثية ودورها في صناملية استقطاب السائحين إلى الأردنعة السياحة وتفعيل ع. المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، 11(2/1)، 50.
- مديرية السياحة لولاية أدرار. (s.d.). الصناعات التقليدية بأقاليم توات رécupéré sur توات. <http://www.taouat.net>
- مرسوم تنفيذي. (31 أكتوبر، 2007). قائمة نشاطات الصناعة التقليدية. (339/07). دار الصناعة التقليدية تامنغست.
- مروان صحراوي. (2012). التسويق السياحي وأثره على الطلب السياحي. رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص تسويق الخدمات. جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

التدريب عنصر استراتيجي لتنمية الموارد البشرية

Training is a strategic component of human resources development

د. بن دريدي منير ، جامعة سوق اهراس ، الجزائر
د. طرابلسي عبد الحق ، جامعة سوق اهراس ، الجزائر.

مقدمة:

إن التوجه الحديث للمؤسسات الحديثة بشتى أنواعها يؤكد على ضرورة الاهتمام بالموارد البشرية باعتبارها أصل من الأصول الأساسية التي تشكل المكون الرئيسي في استراتيجيات المؤسسة ، ففي ظل الحراك الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي يميز المجتمعات أصبح لزاما الاعتماد على موارد بشرية تمتاز بمعارف ومهارات وكفاءات تمكنها من التسيير الفعال لباقي موارد المؤسسة .

في السابق كان الاعتماد على الأصول المادية هو أساس حركية المؤسسات والمنتج الرئيسي لثروة الأمم ، لكن هذا التوجه سرعان ما سقط وحل محله الاعتقاد الحقيقي بأهمية رأس المال البشري كمنتج ودافع لحركية المجتمعات والمنظمات ، واعتباره الوسيلة والغاية في نفس الوقت في عملية التنمية الشاملة ، فلا يمكن الحديث عن التنمية دون الحديث عن تنمية موارد بشرية من خلال التدريب الذي يعتبر أحد الوسائل التي تستخدمها الإدارة من أجل تطوير القدرات العلمية والسلوكية للعمال ، فقد أصبح حاجة ملحة وضرورية في المنظمات المعاصرة وسلاح تعتمد عليه وتستخدمه في مواجهة كل التحديات والتحولت سواء الداخلية أو الخارجية ، وعليه نظر السؤال: ما هي الاستراتيجية التدريبية الفعالة لتنمية الموارد البشرية ؟ وللإجابة على هذا التساؤل سوف نستعرض اهم المفاهيم والمبادئ والتصورات التي قدمت في مجال التأسيس لتدريب يضمن الفعالية القصوى للموارد البشرية في شتى انواع المؤسسات.

أولا. مفاهيم أساسية:

1. مفهوم التدريب: يرى جل الباحثين "أن التدريب والتطوير يتضمنان كل خبرات التعلم التي يزود بها العاملون من أجل إحداث تغيير في السلوك يؤدي إلى تحقيق أغراض وأهداف المؤسسة" (ويليام تريسي ، 2004 ، ص 15) . فالتدريب هنا هو عملية للتعلم يتم من خلاله نقل الخبرات للموارد البشرية من اجل سد الفجوة بين المجهود المبذول والمجهود المراد الوصول إليه وذلك بغية تحقيق أهداف المؤسسة . يعرف التدريب كذلك بأنه "محاولة لتغيير سلوك الأفراد بجعلهم يستخدمون طرقا وأساليب مختلفة في أداء عملهم ، أي يجعلهم يسلكون بعد التدريب بشكل مختلف عما كانوا يتبعونه قبل التدريب" (علي السلمي ، د س ، ص 346)

كما يعرف التدريب على انه " نشاط مخطط يهدف إلى إحداث تغيرات مقصودة في الأفراد العاملين والجماعات العاملة بتزويدهم بالمعلومات والخبرات والمهارات والسلوكيات اللازمة بما يؤثر على معدلات الأداء للخدمات وتحسين مستوى الإنتاجية ، وهو أحد مسؤوليات الإدارة الأساسية سواء في قطاع الإنتاج أو الخدمات" (منال طلعت محمود ، 2003 ، ص 216)، نستنتج من هذا التعريف أن التدريب ليس نشاطا

اعتباطيا بل هو نظام كامل متكامل يقوم على أساس خطط وبرامج موجهة لتغيير سلوكيات الأفراد بما يسمح لهم باكتساب مهارات جديدة تجعلهم يتحكمون في العمل بشكل جيد ما ينعكس ايجابيا على مخرجات المؤسسة مهما كان نشاطها ، ولعل هذا ما يؤكد المعادلة التالية: (Shimon L Dolan et Randall S) (Schuler, 1995, p 399)

$R(\text{rendement}) = f(\text{connaissances, habiletés, attitudes, situation})$.

الأداء = دالة (المعارف ، الاستعدادات ، الاتجاهات ، الظروف).

2. مفهوم تنمية الموارد البشرية: تعرف بأنها "عملية تعزيز وتدعيم فعالية الفرد الحالية والمستقبلية والعمل على تغيير كل من سلوك واتجاهات الفرد في العمل بما يساهم في تحقيق الأهداف المرجوة من عملية التنمية ، والتي تستلزم تعديل كل من الإدراك والمهارات حسب المسار الوظيفي" (Douglas T. Hall &) (Janes G Goodale, 1986, P302)

تعرف كذلك بأنها "تلك العمليات المتكاملة المخططة موضوعيا والقائمة على معلومات صحيحة والهادفة إلى إيجاد قوة عمل متناسبة مع متطلبات العمل في مؤسسات محددة والمتفهمة لظروف وقواعد وأساليب الأداء المطلوبة وإمكاناته" (محمد سمير أحمد ، 2009 ، ص 78).

وتعرف تنمية الموارد البشرية بأنها "مرحلة تأتي بعد الحصول على الأفراد الملائمين لأداء العمل ، ويقصد بها رفع مستوى مهاراتهم وخبراتهم وذلك عن طريق التدريب الملائم لطبيعة العمل المطلوب انجازه" (ماهر عليش ، 1971).

من خلال كل التعريفات السابقة يمكننا الإلمام بمفهوم التدريب باعتباره يهدف إلى ما يلي (ويليام تريسي ، 2004 ، ص 15):

- تنمية مهارات مجموعات و فرق العمل اللازمة لتحقيق أغراض وأهداف المؤسسة.
- تنمية معارف ومهارات الأفراد العاملين اللازمة لأداء الأعمال والواجبات والهمام بالمؤسسة.
- تنمية مهارات جديدة لدى العاملين الحاليين لتمكينهم من الاحتفاظ بقدرتهم على الإنتاج على الرغم من التغيرات التقنية أو التغيرات في الأجهزة أو الإجراءات والأساليب ، أو المنتجات أو الأسواق .
- إعداد عاملين يتم اختيارهم لتولي المناصب الإشرافية ، والإدارة العليا في المنظمة (عملية التعاقب الإداري أو التدوير الوظيفي).

- تحسين إنتاجية كل من الأفراد و فرق العمل .

- تشجيع التطوير الذاتي للعاملين ومشاركتهم في برامج للتعليم الذاتي.

ثانيا. مبادئ التدريب: تتكون " برامج التدريب من كل فرص التدريب الفردية والجماعية التي يتم توفيرها للعاملين على كل المستويات ابتداء من العاملين التنفيذيين حديثي التعيين إلى مستويات الإدارة العليا" (ويليام تريسي ، 2004 ، ص 23) ، وعليه فالعملية التدريبية لا بد لها أن تخضع لعدة أسس ومبادئ حتى تنجح وتحقق الفعالية ، ومن أهم هذه المبادئ ما يلي (صلاح الدين محمد عبد الباقي ، 2000 ، ص 217-218).

1. التدريب نشاط ضروري ومستمر: والمقصود هنا أن التدريب ليس أمرا كماليا تلجأ إليه الإدارة وتنصرف عنه باختيارها ، ولكن التدريب أصبح نشاطا ضروريا ؛ فبعد اختيار الفرد لشغل وظيفة معينة ، تأتي عملية الإعداد

والتهيئة والتي تهدف إلى تعريفه بالعمل المسند إليه ، وتم رعايته من طرف مسؤوله المباشر أو أحد العاملين القدامى فيمن تتوفر فيهم شروط معينة.

كذلك تعد البرامج التدريبية للعاملين القدامى بالمنظمة ، لإكسابهم مهارات ومعارف جديدة يتطلبها التقدم التكنولوجي ، وتساعد في تحسين قدرتهم على إنجاز العمل ، وتمكينهم من الإحاطة بالأساليب والاتجاهات الفنية والمهنية المحيطة بأداء العمل.

2.التدريب نظام متكامل: نشاط التدريب ليس عشوائياً ، كما أنه نشاط هادف ، ويكون التكامل في نظام التدريب على ثلاث مستويات كالآتي :

أ-التكامل بين متطلبات التدريب: إذ يجب أن يحدد القصور الذي يعاني منه المورد البشري أو المشاكل التي تعاني المنظمة ، وبعد ذلك يتم تحديد الخبرات والمعارف المطلوب إكسابها للمتدربين ، لتأتي بعد ذلك اختيار القائمين بالعمل التدريبي من مدرّبين ومسؤولين آخرين.

ب-التكامل في مراحل التدريب: يجب أن يكون هناك تسلسل وترابط بين مختلف الأنشطة التدريبية ؛ فتكون البداية بتحديد الاحتياجات التدريبية والذي يتم بالاستعانة بالتقارير المقدمة من طرف المسؤول عن العاملين وكذا أخصائي تحليل العمل ، لتأتي بعد ذلك مرحلة تصميم البرامج التدريبية ويكون هذا وفقاً للاحتياجات المطلوبة ، ثم تكون المرحلة الأخيرة وهي عملية تنفيذ وتقييم الأنشطة التدريبية.

ج-التكامل في نتائج التدريب: حيث ينبغي أن يتوافر قدر كاف من التوازن والتكامل بين هذه النتائج وهي: النتائج الاقتصادية ؛ والمتمثلة في تحسين النتائج ، خفض التكاليف ، ...الخ.

النتائج السلوكية ؛ والمتمثلة في تحسين العلاقات الإنسانية ، الإقبال على العمل... الخ.

النتائج البشرية ؛ والمتمثلة في زيادة عدد الموارد البشرية ممن تتوفر لديهم المعلومات والخبرات والقدرات والتي تعتبر ضرورية لأداء عمليات وواجبات محددة.

ويضيف مدحت محمد العديد من المبادئ الأخرى هي(مدحت محمد أبو النصر ، 2005 ، ص38-40).

مبدأ الاستثمارية: يقصد باستمرار التدريب هو أن يبدأ التدريب فور انتهاء مرحلة التعليم وقبل استلام العمل (تدريب ما قبل الخدمة)، ثم يستمر التدريب ملازماً للفرد فيحصل الفرد على تدريب بدء الخدمة وخلال تدرجه الوظيفي في المؤسسة وتحركاته الوظيفية الأفقية يحصل على ما يسمى بتدريب أثناء الخدمة.

مبدأ توالي الخبرات أو التقدم المنظم: يقصد به ترتيب محتويات المنهج التدريبي والخبرات المطلوب توصيلها على وجه يضمن انتقال توقعات إدارة التدريب من المتدربين من مستوى إلى مستوى أعلى منه بشكل مضطرب ، سواء اتصل ذلك بالمعارف التي يتلقاها ، أو المهارات التي يتم تدريبه عليها أو القيم والاتجاهات التي يكتسبها ، بحيث نتوقع منه أنه بنهاية مرور المتدرب بالخبرات المطلوبة كلها يكون المتدرب مستعداً بالفعل لممارسة مسؤولياته الوظيفية (إذا كان ذلك تدريب بدء الخدمة) أو ممارسة مسؤولياته الوظيفية بشكل أفضل مما كان عليه (إذا كان ذلك تدريب أثناء الخدمة).

مبدأ التدرج: يبدأ التدريب بمعالجة الموضوعات البسيطة ثم يتدرج إلى الأكثر صعوبة ، وهكذا حتى يصل إلى معالجة أكثر المشكلات صعوبة وتعقيداً.

مبدأ الهدف: يجب أن يكون الهدف من التدريب محدد وواضح طبقا للاحتياجات الفعلية للمتدربين ، مع مراعاة أن يكون الهدف موضوعيا وواقعا وقابلا للتطبيق والقياس.

مبدأ مواكبة التطور: حتى يكون التدريب معينا لا ينضب يتزود منه الجميع بكل ما هو جديد وحديث في شتى مجالات العمل ، وبأحدث أساليب وتكنولوجيا التدريب .

مبدأ الواقعية: فالتدريب لا بد أن يكون واقعي ، بمعنى انه يلبي الاحتياجات الفعلية للمتدربين ، ويتناسب مع مستوياتهم ومعارفهم وقدراتهم .

مبدأ الشمول: حيث أن التدريب يوجه إلى كافة المستويات الوظيفية بالمؤسسة ويشمل جميع الفئات في الهيكل الوظيفي .

مبدأ مراعاة التوقيت المناسب: على التدريب أن يراعي التوقيت المناسب عند وضع وتنفيذ البرامج التدريبية. بمعنى أن يكون توقيت عقد البرامج مناسبة لظروف المتدربين بحيث لا يتعارض مع متطلبات العمل في فترات إعداد الموازنات أو الجرد.... الخ.

مبدأ المشاركة: فمشاركة المتدرب في عملية التدريب لا تؤدي إلى سرعة التدريب فقط ، ولكن تؤدي أيضا إلى رسوخ ما تعلمه الفرد لفترة أطول . فالمتدرب في قاعة التدريب الذي يشارك في الحوار والمناقشة والاستفسار تكون فرصته للتعلم أفضل من المتدرب الذي يكون وجوده سلبيا .

مبدأ التكرار: حيث يساعد التكرار على تثبيت ما تعلمه الفرد . ويرى علماء النفس أن التكرار يجب أن يكون موزعا على فترة طويلة نسبيا حتى تكون له فعاليته.

ثالثا دور التدريب:

1.3 التدريب وتحقيق الهيزة التنافسية: لكي نفهم الدور المحوري الذي تلعبه الموارد البشرية في الوقت الحالي ، فإنه من المهم فهم الكيفية التي تتغير بها الشركات والأسباب الكامنة وراء ذلك. فالمنظمات حاليا تخضع للعديد من الضغوط التي تفرز عليها ضرورة أن تكون الأفضل والأسرع والأقوى على المنافسة.... ولعل العولمة والتطورات الفنية والميل إلى التخفيف من القواعد والإجراءات تمثل اتجاهات تكمن وراء حدوث هذه الضغوط التنافسية. هذا بالإضافة إلى اتجاهات أخرى مثل التغيرات في تركيبة القوى العاملة (جاري ديسلر ، 2003 ، ص45) ، ولعل خير دليل الدور المهم للتدريب هو حالة شركة فيديرال إكسبريس تحصلت عام 1990 على جائزة " مالكوم بالدريج " للجودة ، وهي شهادة عالمية في الجودة. وهذا لا شيء إلا لتفوق هذه الشركة على نظيراتها في خدمة العملاء. وتقوم هذه المؤسسة بتطبيقات إدارية متعددة ، فهي تقيس كل يوم درجة رضا الزبائن عن خدماتها ، تقيم مواعيد التسليم ، سلامة الرسائل والطرود... الخ. وما يميز هذه الشركة حقيقة ، هو إنفاق مبالغ معتبرة على التدريب بما يعادل 3% من موازنتها السنوية ، أي ما يوازي 225 مليون دولار سنويا ، وقد اعتمدت استخدام مدربين مؤهلين في مجال تطوير الجودة ، لتعريف العاملين بالتطورات الحديثة في هذا الجانب وإكسابهم المهارات الضرورية للتحسين المستمر (جمال الدين محمد الهرسي ، 2003 ، ص33).

2.3 التدريب ووظائف الموارد البشرية: إن سيرورة المؤسسات لا يمكنها أن تتحقق إلا إذا كان هناك انسجام بين كل وظائفها ، فالتدريب لا يمكن أن يقوم بدوره إلا إذا كان مرتبطا ارتباطا وثيقا ببقية نشاطات ووظائف المؤسسة الأخرى ، لذلك سنحاول كشف النقاب على العلاقات التي تربط بين كل هذه الأنشطة كما يلي:

التدريب وتخطيط الموارد البشرية: إن تخطيط القوى العاملة يعد جزءاً مكملاً من إستراتيجية المنظمة ، وكذا عملية تخطيط الموارد البشرية بها. فمثلاً الخطط الخاصة بدخول مجالات جديدة في دنيا الأعمال ، أو لتشبيد مواقع جديدة ، أو لتخفيض مستوى الأنشطة ، كلها تؤثر في عدد ونوعية الوظائف المطلوب شغلها ، وفي ذات الوقت ، فإن القرارات المتعلقة بكيفية شغل هذه الوظائف يلزم أن تستكمل بالجوانب الأخرى الخاصة بخطط الموارد البشرية بالمنظمة ، على سبيل المثال بخطط تقييم وتدريب الموظفين الحاليين والجدد(جاري ديسلر ، 2003 ، ص149) ومن ثم فتخطيط الموارد البشرية يحدد المعالم الكبرى لوظيفة التدريب بهدف وضع برامج تدريبية لتحقيق التوازن في كم ونوعية الموارد البشرية.

التدريب والتوظيف: تفضل الكثير من المؤسسات التوظيف الداخلي لما يحققه من مزايا ، وخاصة في تقليل التكاليف الناجمة عن استقطاب واختيار وإدماج الأفراد الجدد. بالإضافة إلى ذلك ، فهو يزيد من فرص الترقية لصالح الموارد البشرية الداخلية .وبالنسبة للتوظيف الخارجي ، فأنشطة التدريب تعتبر ضرورية(Shimon L Dolan et Randall S SchulerL , 1995, p402

التدريب وتقييم الأداء: يساعد حل من تحليل الوظائف وتقييم الأداء في إعداد وتحديد الاحتياجات التدريبية ، فتحليل مهام منصب العمل يؤدي إلى تحديد عناصر الأداء التي تشكل حاجة الأفراد لمعرفة ومهارات جديدة للقيام بعملهم ، وبالتالي بناء قاعدة صلبة من طرف المؤسسة تساعدها على تحديد الاحتياجات التدريبية بشكل موضوعي وصحيح يساهم بدوره في وضع برنامج تدريبي ملائم ، وبالتالي نجاح العملية التدريبية هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فتقييم الأداء يساعد كثيرا القائمين على الموارد البشرية بملاحظة إذا كان الأفراد على دراية كاملة بضروريات العمل ومتطلباته ، وعليه تظهر احتياجاتهم للتدريب لتحسين أدائهم.

رابعا. تنمية الموارد البشرية: لقد بدأ الاهتمام المتزايد بتنمية الموارد البشرية "كحقل علمي سنة 1958"(حسين يرقى ، 2007-2008 ، ص89) من طرف العديد من العلماء والمهتمين بالإدارة ، حيث جاءت كتابات المفكر ليونارد نادلر سنة 1979 لتقسم وظائف الموارد البشرية إلى ثلاث فروع أساسية هي: تنمية الموارد البشرية ، إدارة الموارد البشرية وبيئة الموارد البشرية ، حيث حدد مضمون كل وظيفة على النحو التالي:

جدول رقم(4): الفروع الرئيسية الثلاث لوظائف الموارد البشرية في المنظمة:

تحسين بيئة الموارد البشرية	إدارة الموارد البشرية	تنمية الموارد البشرية
-الإثراء الوظيفي (job enrichment)	-التعيين(recruitment)	-التدريب(Training)
-التوسع الوظيفي(job enlgment)	-الاختيار(selection)	-التعلم(Education)
-التطوير التنظيمي (organiational development)	-التوظيف(Placement)	-التطوير(Development)
	-التقييم(evaluation)	
	-التعويض(Comensation)	
	-تخطيط القوى العاملة (work force planning)	

Source: (Leonard Nadler et Garland D.Wiggs, 1986, P4).

من خلال الجدول نجد أن الكاتب ركز على التدريب كأساس لتنمية الموارد البشرية باعتباره الحلقة الأولى المهمة التي تؤدي إلى فعالية وتحسين أداء الموارد البشرية داخل المؤسسة، لذلك فإن هناك فرق بين التوجه المعاصر والتوجه التقليدي في مجال التدريب وتنمية الموارد البشرية كالتالي:

جدول رقم(5): مقارنة بين التوجه التقليدي والمعاصر لتنمية الموارد البشرية:

التوجه التقليدي	التوجه المعاصر
-التدريب سياسة من سياسات المؤسسة.	-تنمية الموارد البشرية إستراتيجية من استراتيجيات المؤسسة.
-التدريب عند الحاجة.	-تنمية الموارد البشرية عملية مستمرة.
-التدريب لتغطية حاجات الحاضر.	-تنمية الموارد البشرية للحاضر واحتياجات المستقبل.
-سياسة التدريب لا تعتمد على التنبؤ.	-إستراتيجية تنمية الموارد البشرية تعتمد على التنبؤ.
-التركيز على تدريب الخط الأول والإدارة المباشرة.	-تنمية الموارد البشرية تركز على العاملين بالمؤسسة.
-مسؤولية التدريب محدودة.	-تنمية الموارد البشرية مسؤولية مشتركة بين الجميع.
-التدريب تكلفة.	-تنمية الموارد البشرية استثمار بشري.
-الهدف الأساسي معالجة نقاط الضعف في الأداء.	-شمولية الهدف لمعالجة نقاط الضعف وتقوية نقاط القوة.
-التركيز على الأداء الحالي ومستلزماته.	-تعلم الأشياء الجديدة هو أساس تنمية الموارد البشرية.
-ادوات ومساعدات تدريبية بسيطة.	-تقنيات تدريب وتعليم عالية المستوى.
-التركيز على الجانب النظري والتدريسي.	-التركيز على الجانب التطبيقي وكيف تفعل الأشياء بشكلها الصحيح وخاصة الجديدة منها.
-لا تأخذ التنمية الذاتية حيزا كبيرا.	-التركيز على التنمية الذاتية بشكل كبير.

المصدر: (عمر وصفي عقيلي، 2005، ص446).

خامسا. تنمية الموارد البشرية نظام للتدريب الاستراتيجي المستمر:

تؤكد الأدبيات المعاصرة في مجال الإدارة بوجه عام وإدارة الموارد البشرية بوجه خاص، على النظر إلى المؤسسات المعاصرة بأنها ليست وحسب مكان للعمل؛ بل أيضا مكان للتعلم (Work place Learning). واعتبار مسألة التنمية جزءا من إستراتيجيتها والتي تستمر باستمرارها، بهذا تحولت إستراتيجية تنمية الموارد البشرية إلى نظام استراتيجي للتعلم المستمر (مانع سبرينة، 2014-2015، ص74)، حيث يتكون هذا النظام من (عمر وصفي عقيلي، 2005، ص441):

المدخلات: تشتمل على متدربين من فئات ونوعيات مختلفة من الموارد البشرية، لديها حاجات تدريبية متنوعة يتطلبها أداء أعمال المؤسسة الحالية وحاجات تنموية تحتاجها في إنجاز استراتيجياتها المستقبلية، كما تشمل المدخلات على برامج تنمية الموارد البشرية وما تحتويه من مدرّبين ومدراء ومستلزمات تدريبية وموارد مالية.

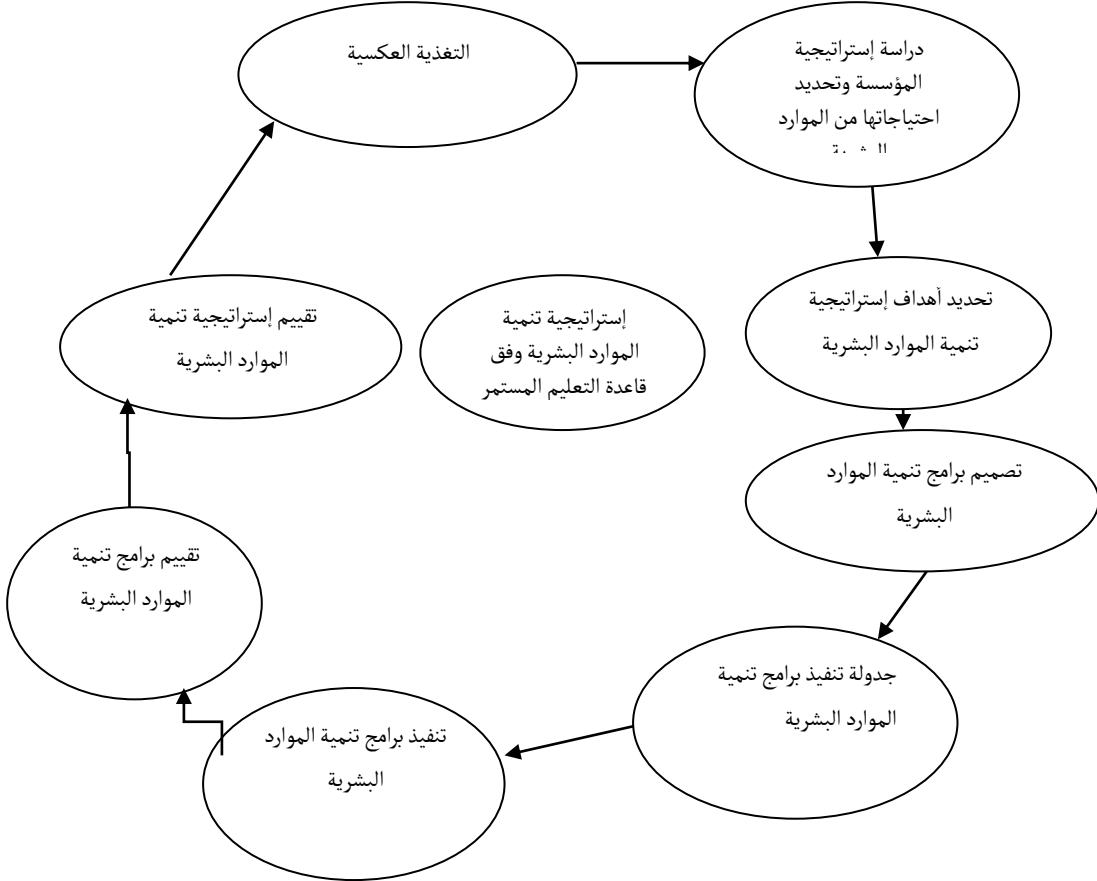
الأنشطة: تتمثل فيما يقوم به المدرّبين والمتدربين في البرامج التدريبية من فعاليات وأنشطة تعلم، لتحقيق أهداف إستراتيجية تنمية الموارد البشرية، حيث يتعلمون كيف تؤدي الأعمال بشكلها الصحيح، كما يتعلمون الأشياء الجديدة.

المخرجات: تمثل التطور والتحسين في مهارات الموارد البشرية واكتسابها مهارات جديدة تمكنها من أداء مهام وأعمال مستقبلية جديدة.

التغذية العكسية: تمثل تقييم مدى الاستفادة من برامج تنمية الموارد البشرية وتحديد الثغرات التي حدثت في تنفيذها ، للاستفادة منها في البرامج القادمة.

ويمكن تفصيل هذا النظام أكثر من خلال المخطط التالي:

شكل رقم (1): تصميم إستراتيجية تنمية الموارد البشرية وفق نموذج الدائرة المستمرة



المصدر: (عمر وصفي عقيلي ، 2005 ، ص 453).

سادسا. تنمية الموارد البشرية وإدارة الجودة الشاملة:

إن الجهود التي تبذلها المؤسسات لتنمية مواردها البشرية خاصة التي حققت نجاحا في تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة ، قد اعتمدت أساسا على عمليات تدريبية مختلفة رافقت مراحل سيرها في خطوات تطبيق هذا النظام ، وذلك ضمن مرورها على المراحل التالية(فريد زين الدين ، ، 2002 ، ص30):
التدريب المفاهيمي: يهدف إلى توضيح الجودة للعاملين وكذلك إبراز التأثير المحتمل لهذا الأداء الكلي للمؤسسة.

التدريب على أدوات الجودة: هذا النوع من التدريب يركز على أهم أدوات الجودة والتدريب على استعمالها.
التدريب على موضوعات خاصة: يتعلق هذا التدريب بموضوعات الجودة المحددة والخاصة بأداء الوظيفة.

التدريب على القيادة: يتعلق بالموارد البشرية في الإدارة العليا والمديرين الذي سيقومون بمبادرة تطبيق إدارة الجودة الشاملة.

ولعل أهم العمليات التي تقوم عليها معظم الأنشطة التدريبية التي تصاحب نظام تنمية الموارد البشرية من منظور الجودة الشاملة تتمثل في (علي السلمي ، 2008 ، ص285):

- دراسة وتحليل المناخ الخارجي للمؤسسة وتبني الفرص والتهديدات للنشاط التدريبي.
- دراسة وتحليل المناخ الداخلي للمؤسسة وتبين الإمكانيات المساندة للنشاط التدريبي والمعوقات القائمة والمحتملة.
- تحديد الإستراتيجية العامة للتدريب في ضوء إستراتيجية إدارة الموارد البشرية بالمؤسسة.
- تحديد الأهداف الإستراتيجية والإجرائية للتدريب.
- تحديد سياسات التدريب ومعايير وقواعد الاحتكام للمفاضلة بين البدائل واتخاذ القرارات في قضايا التدريب ومشكلاته.

- تحديد العملاء المباشرين للتدريب وأصحاب المصلحة المرتبطين بهم في العمل.
- تحديد احتياجات العملاء وأصحاب المصلحة وترجمتها إلى أهداف تدريبية.
- دراسة إمكانية تحقيق احتياجات العملاء التدريبية والمعوقات المحتملة.
- إعداد خطة التدريب العامة وتقصيلاتها التنفيذية.
- تطوير المنتجات التدريبية.
- تخطيط وتصميم وتوقيت الفعاليات والموارد التدريبية.

سابعاً. أثر إستراتيجية تنمية الموارد البشرية على أداء الأفراد:

1. مفهوم الأداء: يعرف أداء الموارد البشرية على أنه: "درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد وهو يعكس الكيفية التي يحقق أو يشبع بها الفرد متطلبات الوظيفة" (راوية محمد حسن ، 2004 ، ص 209). ويعرف أيضاً بأنه " كل ما يسهم في تحسين الثنائية قيمة - تكلفة ، أي تحسين الإنشاء الصافي للقيمة (Creation nette de valeur)" (Philippe Lorino, 2001, P11).

وعرفه عصمت سليم " بأنه نظام يتم من خلاله تحديد مدى كفاءة أداء العاملين لأعمالهم. كما يعرف تقييم الأداء بأنه دراسة وتحليل أداء العاملين لعملهم ، وملاحظة سلوكهم وتصرفاتهم أثناء العمل ، وذلك للحكم على مدى نجاحهم ومستوى كفاءتهم في القيام بأعمالهم الحالية ، وأيضاً للحكم على إمكانيات النمو والتقدم للفرد في المستقبل ، وتحمله لمسئوليات أكبر أو ترقية لوظيفة أخرى" (عصمت سليم القرالة ، 2011 ، ص54).

وعليه فإن هناك العديد من الأهداف التي تصبو إليها المؤسسة من وراء عملية تقييم مواردها البشرية نذكرها كما يلي (محمد سعيد سلطان ، دس ، ص 123):

- تنمية المنافسة بين الأفراد وتشجيعهم على بذل مجهودات أكبر في العمل.
- الكشف عن نواحي القوة والضعف في أداء الأفراد ومن ثمة العمل على تحسينه وتطويره إما ذاتياً أو عن طريق الإدارة بوسائلها الخاصة.
- الرفع من مستوى الكفاءة الإنتاجية للمنظمة.

-اكتشاف الكفاءات والقدرات العالية من أجل شغل مناصب أعلى.
-تحسين وتدعيم سبل الاتصال وإرساء علاقات اجتماعية جيدة بين الرؤساء والمرؤوسين.
-العمل على تحقيق مبدأ وضع الفرد في المكان المناسب لقدراته ومهاراته.
-توفير المعلومات والبيانات اللازمة لاتخاذ قرارات إدارية تخص شؤون الموارد البشرية كتحديد الاحتياجات التدريبية مثلاً.

-توفير أساس موضوعي وعادل لتوزيع المكافآت والأجور على الأفراد بناء على مستوى أدائهم.
إن تحديدنا لمفهوم الأداء يلزم علينا ضرورة التنبيه إلى عدم الغفلة عن مصطلحين أساسيين يكونان جوهر ولب الأداء وهما الكفاءة والفعالية ، حيث يتم تحديد مفهوم الأداء على أساس ثلاثة مداخل هي:
مدخل الكفاءة: حيث تعرف هذه الأخيرة بأنها "القدرة على استغلال الموارد أفضل استغلال لتحقيق أهداف المنفعة" (أحمد يوسف دودين ، 2012 ، ص136)، فهي إذن الكيفية التي تتبعها وتستخدمها المؤسسة في مجال مواردها البشرية ، المادية والمالية من أجل تحقيق أهدافها.
مدخل الفعالية: يقصد بها "هي معيار يعكس درجة تحقيق الأهداف المسطرة(الداوي الشيخ2009-2010 ، ص219)، فهي المقياس أو الأداة التي يمكن من خلالها مراقبة سيرورة المؤسسة ، أي أن الفعالية هي التي تعكس العلاقة بين الأهداف المحققة والأهداف المسطرة.

ويمكننا التفريق بين هذين المصطلحين من خلال الجدول التالي:

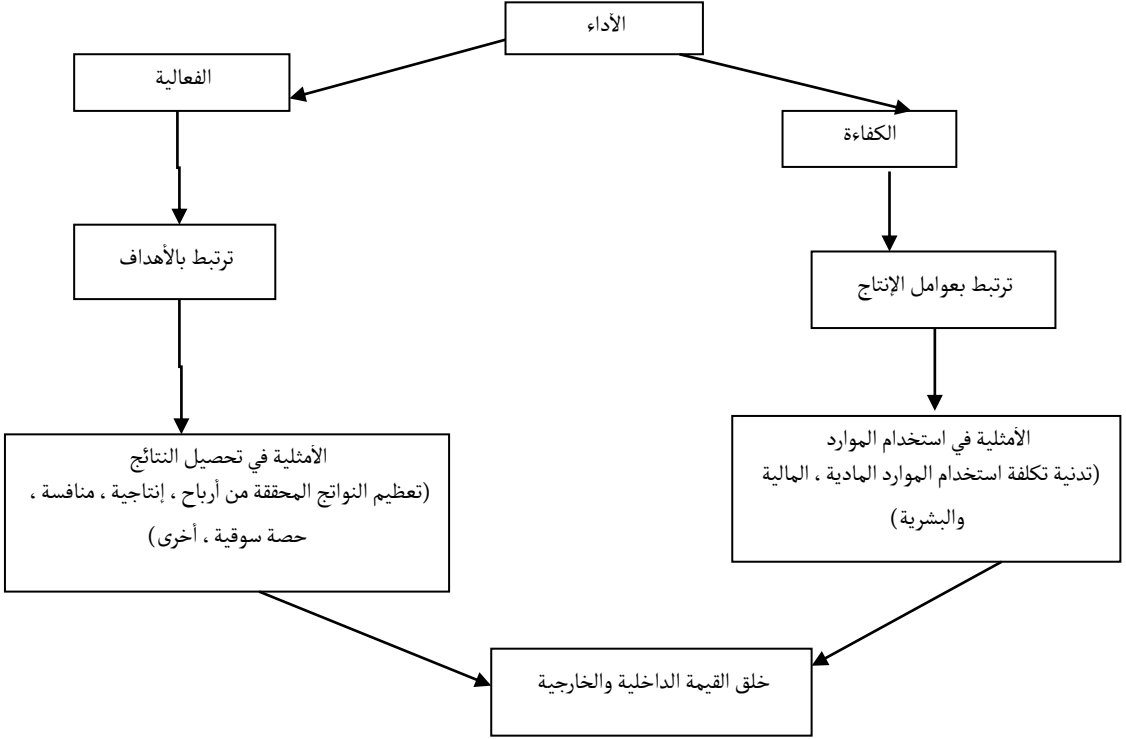
جدول رقم(6): مقارنة بين الكفاءة والفعالية

معايير القياس	تحلل	تعالج	تهتم	
المدخلات مثل: العمل ، المعلومات ، المواد ، المعدات.	كيفية الوصول	الموارد	بالوسيلة	الكفاءة
المخرجات مثل: الأرباح ، العائد ، رقم الأعمال.	نقطة الوصول	النتائج	بالهدف	الفعالية

المصدر: (نور الدين شنوفي ، 2004-2005 ، ص27).

مدخل الكفاءة والفعالية: يعرف الأداء وفقاً لمصطلحي الكفاءة والفعالية على أنه « انعكاس لكيفية استخدام المؤسسة للموارد المالية والبشرية واستغلالها بكفاءة وفعالية ، بصورة تجعلها قادرة على تحقيق أهدافها"(عداي الحسين فلاح حسن ، 2000 ، ص231) ، ويمكننا التعبير عن هذا الاقتران بالمخطط التالي:

شكل رقم (2): الأداء وفقا لمصطلحي الكفاءة والفعالية:



المصدر: (سبرينة مانع ، 2014-2015 ، ص 210).

2. مظاهر ضعف الأداء: توجد العديد من مظاهر ضعف الموارد البشرية أهمها (محمد لبد ، 1997 ، ص 39):

- عدم إنهاء الأعمال في الوقت المحدد.
- الصدام المستمر بين الإدارة والموظفين ، وخاصة الجدد.
- عدم الانسجام مع ثقافة المؤسسة السائدة.
- فقدان الحافزية وازدياد حالة اللامبالاة لدى العاملين.
- تجنب وفقدان روح المخاطرة والتأخير في اتخاذ القرارات.
- عدم وجود الرغبة في النمو والتطور الوظيفي.

خاتمة:

إن الاستراتيجيات المعتمدة حاليا من طرف معظم المؤسسات على اختلاف أنواعها تعتمد في الأساس على قدرتها على الحفاظ وعلى تنمية مواردها البشرية من خلال اعتبار الموارد البشرية هي المصدر الأساسي التي تحصل منه المؤسسة على احتياجاتها من اليد العاملة المؤهلة ، حيث لا يتأتى هذا إلا من خلال وضع وصياغة إستراتيجية قابلة للتنفيذ تأخذ بعين الاعتبار التدريب كعامل مهم وأساسي يقوم على مبادئ وطرق واضحة تساهم بشكل فعال في تنمية مهارات وقدرات أفرادها من خلال الاعتماد على تقييم أداء يقوم على أسس علمية.

قائمة المراجع:

- أحمد يوسف دودين(2012)، إدارة الأعمال الحديثة (وظائف المنظمة)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- جاري ديسلر(2003)، إدارة الموارد البشرية ، ترجمة محمد سيد أحمد عبد المتعال ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، السعودية .
- جمال الدين محمد المرسي(2003)، الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية ، الدار الجامعية ، الإسكندرية .
- راوية محمد حسن(2004)، إدارة الموارد البشرية -رؤية مستقبلية-، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، مصر .
- صلاح الدين محمد عبد الباقي(2000)، إدارة الموارد البشرية ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، مصر .
- عداي الحسين فلاح حسن(2000)، الإدارة الإستراتيجية ، دار وائل للنشر ، ط1، عمان ، الأردن .
- عصمت سليم القرالة(2011)، الحكمانية في الأداء الوظيفي ، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع ، الأردن .
- علي السلمي(دس)، إدارة الأفراد و الكفاءة الإنتاجية ، دار غريب للطباعة ، القاهرة .
- علي السلمي(2008)، إدارة الموارد البشرية منظور إستراتيجي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .
- عمر وصفي عقيلي(2005)، إدارة الموارد البشرية المعاصرة ، بعد إستراتيجي ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان .
- ماهر عليش(1971)، إدارة الموارد البشرية ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، مصر .
- محمد سعيد سلطان (د س)، إدارة الموارد البشرية ، الدار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية ، مصر .
- محمد سمير أحمد(2009)، الإدارة الإستراتيجية وتنمية الموارد البشرية ، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط1، عمان ، الأردن .
- محمد لبدية(1997)، مهارات إدارة الصراع ، دار الكتب للنشر ، ط1، القاهرة ، مصر .
- مدحت محمد أبو النصر(2005)، مفهوم ومراحل وأخلاقيات مهنة التدريب بالمنظمات العربية، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .
- منال طلعت محمود(2003)، أساسيات في علم الإدارة ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر .
- ويليام تريسي(2004)، تصميم نظم التدريب والتطوير ، ترجمة سعد أحمد الجبالي ، معهد الإدارة العامة ، الرياض ، المملكة السعودية .
- الداوي الشيخ(2009-2010)، تحليل الأسس النظرية لمفهوم الأداء ، مجلة الباحث العدد 07 ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر .
- فريد زين الدين(سبتمبر 2002)، كيف تزيد فرص نجاح التدريب في مجال إدارة الجودة الشاملة ، مجلة إدارة الأعمال ، العدد 98 ، جمعية إدارة الأعمال العربية ، القاهرة .
- حسين يرقي(2007-2008)، إستراتيجية تنمية الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية— حالة مؤسسة سوناطراك-، أطروحة دكتوراه منشورة ، جامعة الجزائر .
- سبرينة مانع(2014-2015)، أثر إستراتيجية تنمية الموارد البشرية على أداء الأفراد في الجامعات ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر .
- نور الدين شنوفي(2004-2005)، تفعيل نظام تقييم أداء العامل في المؤسسة العمومية الاقتصادية، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية ، جامعة الجزائر .
- Douglas T. Hall & Janes G Goodale(1986), Human Resource Management Strategy design and Implementation, Scolt, Foreman and Company, USA.
- Philippe Lorino(2001), Méthodes et pratiques de la performance : le pilotage par les processus et les compétences, les éditions d'organisation, Paris.
- Shimon L Dolan et Randall S Schuler(1995), La gestion des ressources humaines au seuil de l'an 2000, Ed dure nouveau pédagogique, Québec.

التحديات الأمنية الجديدة في المنطقة المغاربية : قراءة في استراتيجيات مكافحة"

د. ديبشي عقيلة أستاذة محاضرة جامعة باريس 8- فرنسا

د. صاغور هشام أستاذ محاضر جامعة غليزان-الجزائر-

مقدمة

اختلف أداء دول المنطقة المغاربية تجاه المخاطر والتحديات الإرهابية ، محليا وإقليميا فعلى المستوى المحلي وضع كل بلد سياسة أمنية محلية للتصدي لجماعات العنف المسلحة التي تزايدت في مرحلة ما بعد هجومات 11 سبتمبر 2001، حتى بداية ما يسمى "بالربيع العربي" ، وقد تمثلت هذه السياسة المحلية في إعادة النظر في مناهج وأساليب وطرق لمواجهة التحديات الأمنية في المنطقة وصولاً إلى المسائل الدينية ، وإدخال تعديلات على تشكيلات الخطاب الديني السائد ، في محاولة لتخفيف منابع التطرف والإرهاب بدءاً من الأصول كما هو حال المغرب ، الذي وضع منذ عام 2004 ، عقب تفجيرات الدار البيضاء في 2003 ، سياسة أطلق عليها رسمياً تسمية "إعادة هيكلة الحقل الديني" ، كما تمثلت تلك السياسة في إجراء تعديلات قانونية بهدف التصدي للأعمال الإرهابية.

وعليه سنقوم باستعراض الاستراتيجيات التي تبنتها دول المغرب العربي والساحل الإفريقي مع الشركاء الدوليين ، سواء في إطار الاتحاد الإفريقي أو في شراكات مع القوى العظمى كفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

أولاً: على المستوى الإقليمي: لما تعددت المبادرات الإقليمية للأمن والتعاون في أي منطقة ، فمن المفروض أن يكون ذلك دلالة على وعي دولها بضرورة التعاون الإقليمي ، صيانة لأمنها القومي أيضاً ، لكنها غالباً ما تعبر عن تنافس ، متفاوت الحدة بين دول المنطقة فضلاً عن ذلك تعدد المبادرات يجعل الدول المعنية تتخلى عن مبادرات سابقة بمجرد ظهور عقبة أو إعلان مبادرة جديدة ، والنتيجة أنها لا تتجح سواء في مساعيها السابقة أو اللاحقة ، وقد يحتدم التنافس إلى درجة أن كل دولة تريد أن تكون لها مبادرتها الإقليمية والنتيجة هي هدر للوقت والجهود الإقليمية وازدواجية في العمل (أليات إقليمية عدة تهتم بالمنطقة نفسها ، وبالقضية نفسها ، من دون تنسيق وتعاضد للجهود) ، فيما تتفاقم الأزمات العابرة للأوطان ، والتي لا تجد من يتكلف بها بجدية وبمواظبة ، ومع تصلب عود الفواعل ما دون الدولة في منطقة الساحل والصحراء ، بداية من مطلع العقد الحالي وخصوصاً مع الأزمتهن اللببية والمالية ، ظهرت إلى الوجود أطر عدة للتعاون الإقليمي لكنها تبقى هي الأخرى من دون تأثير حقيقي على مجرى الأحداث.

1. **مبادرة دول الميدان (اتفاقية تمناست):** وجاءت هذه الاتفاقية من خلال مقترح جزائري سنة 2010 ، وتضم كلاً من الجزائر ومالي والنيجر وموريتانيا لكنها لا تضم لا تونس ولا المغرب ، فالأخير استبعدته الجزائر من مبادرة دول الميدان ، بدعوى أنه ليس بلداً ساحلياً ، وتهدف هذه المبادرة إلى إرساء التعاون الأمني بين الدول الأعضاء ، لاسيما في مجال مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة ، وتعد هذه المبادرة أول إطار إقليمي للتعاون ، يستند إلى بعد عملياتي واضح ، حيث زودت بقيادة أركان مشتركة (لجيوش الدول المشاركة) ، مقرها

تامنراست (أقصى الجنوب الجزائري)، (عبد النور بن عنتر، 2015) حيث تم التنصيب الرسمي لغرفة القيادة المصغرة للعمليات العسكرية المشتركة لمكافحة الإرهاب وملاحقة القاعدة في منطقة الساحل والصحراء تحت اسم (لجنة الأركان العملياتية المشتركة) وفعال "خطة تمناست"، والتي تم الاتفاق عليها لتتضمن قرارا مشتركا بإنشاء مركز قيادة للتنسيق الأمني والعسكري المشترك يكون مقرها مدينة "تمناست" بالإضافة لإنشاء قوة مشتركة مكونة من دول المنطقة قوامها خمسة وعشرون ألف (25000) جندي منهم خمسة آلاف (5000) من طوارق مالي لشن عمليات عسكرية ضد مواقع الجماعات الإرهابية ولملاحقة عناصر القاعدة والجريمة المنظمة إلى ما وراء حدود دول مجموعة الساحل والصحراء. (نور الدين دخان و عيدون حامدي ، 2016)

2. الخلية الاستخباراتية: تمخض عن اجتماع قادة أجهزة الأمن والاستخبارات في 15-09-2010 لكل من الجزائر مالي ، النيجر وموريتانيا إنشاء خلية استخباراتية مقرها "تمناست" تتولى إعداد إستراتيجية مشتركة لمكافحة الإرهاب والجريمة العابرة للأوطان ، من خلال تعزيز دور المخابرات في الميادين الأمنية والاقتصادية والهالية و المعلوماتية للدول المعنية ، تقوم هاته الخلية بجملة من المهام منها:
- رصد نشاط جماعات تنظيم القاعدة والجريمة العابرة للحدود عن طريق التصنت على اتصالاتهم ، وتوظيف أشخاص يعرفون الصحراء لتحديد أماكنهم والطرق التي يسلكونها في الصحراء.
- تحديد واختراق شبكات دعم الجماعات الإرهابية للتأكد من مدى قدرة التنظيم على دعم صفوفه من قبائل الصحراء ، خصوصا شباب قبائل عرب الطوارق.

- تعرف بدقة على المهربين الذين يتعاملون مع القاعدة في بيع الرعايا الغربيين.
- يوجد هؤلاء البائعون في موريتانيا والنيجر ومالي وأشهرهم عمر الصحراوي.
- ستحدث دوريات مختلطة على طول الحدود وتعزيز التبادل الاستعلامي بين قطاعي الدفاع والأمن.
بناء على عملية جمع المعلومات وتحليلها والتدقيق فيها تتولى لجنة الأركان العملياتية المشتركة شن عمليات عسكرية ضد مواقع مفترضة للتنظيم والجريمة المنظمة ، إضافة إلى تأطير التعاون بين مصالح الأمن الحدودية وحركة الأشخاص والممتلكات ، والتنسيق بين ولاة ومحافظي المناطق الحدودية وترقية السلم والاستقرار والأمن والتضامن والرفاهية والتنمية لفائدة دول المنطقة. (الحامدي عيدون 2015).

3. الاتفاق الجزائر وتونس وليبيا (تعزيز أمن الحدود): عقد رؤساء حكومات تونس والجزائر وليبيا اجتماعا في يوم 12-01-2013 بمدينة "غدامس" الليبية لمناقشة أوضاع الأمن على الحدود بين الدول الثلاث ، هدف الاتفاق على تعزيز القدرات والإجراءات الأمنية على الحدود المشتركة ، وتفعيل التعاون الأمني بين الدول وعقد اجتماعات دورية لمتابعة التقدم الحاصل وبحث في القضايا السياسية والاقتصادية⁽¹⁾ ، إضافة إلى ضرورة التنسيق بين كل المصالح المعنية على مستوى الحدود في الجزائر وليبيا وتونس ، لمقاومة إشكالية الإرهاب والتطرف الديني ، ولم يستبعد رؤساء الحكومات الثلاث ، استعمال القوة (قوة القانون) لتحقيق ما أطلقوا عليه

⁽¹⁾ اتفق رئيس الوزراء الجزائري عبد المالك سلال مع نظيره التونسي حمادي الجبال والليبي علي زيدان على عقد اجتماعات كل 4 أشهر ، لبحث القضايا الأمنية المطروحة بحدة بالحدود المشتركة بين البلدان الثلاثة ، وتم الاتفاق أيضا على تحضير اتفاق أمني مشترك وتسيير دوريات أمنية مشتركة.

تسمية " أمن وطمأنينة سكان المنطقة" وتناول الاجتماع المخاطر الأمنية في الحدود وبالمنطقة بكاملها ، على خلفية التدخل العسكري الفرنسي في مالي، لإنهاء سيطرة الجماعات الإسلامية المسلحة في شمال البلاد. (الحامدي عيدون 2015)

وانتهت هذه القمة بوضع استراتيجية للتنسيق الأمني ، وتتضمن ما يلي:

-بناء منظومة معلوماتية مشتركة لمراقبة الحدود.

-إقامة لجان دورية مشتركة لتبادل المعلومات بين الحكومات الثلاث.

-تفعيل دور المجتمع المدني في توطيد العلاقة بين شعوب الدول الثلاث ، وخاصة في المناطق

الحدودية. (سعيد ياسين 2017)

4: اتفاق الجزائر ومصر وتونس في إطار آلية دول الجوار الإقليمي: على هامش قمة دول عدم الانحياز المنعقد في 2012 اتفقت كل من الجزائر ومصر على البدء في آلية لتفعيل دور دول الجوار وذلك بهدف الحفاظ وعدم انهيار الدولة الليبية ، وقد استهلّت باجتماع على هامش قمة الاتحاد الإفريقي في غينيا 2014 ، أما الاجتماع الثاني فقد تم في مدينة الحمامات التونسية ، حيث اتفق وزراء الخارجية المجتمعون على وضع خطة عملية للمساهمة في حل الأزمة الليبية ، وتقرر تشكيل فريق عمل برئاسة وزير الخارجية التونسي ، أحدهما أمني على أن تتولى الجزائر تنسيق أعماله ، والثاني سياسي وتتولى مصر تنسيق أعماله ، وذلك لتوفير آليات التفاعل اللازمة مع الأزمة الليبية سعياً لتخفيض مستوى التهديدات الليبية لدول الجوار الإقليمي ومحاولة بلورة ملامح عملية سياسية ليبية يتم دعمها إقليمياً.

أما الاجتماع الثالث لآلية دول الجوار الإقليمي فقد كان في 2014-08-25 بالعاصمة المصرية القاهرة ، حيث تبلورت المبادرة المصرية-الجزائرية لحل الأزمة السياسية في ليبيا داعيتا إلى :

- دعوة المجتمع الدولي للتنسيق بين التحركات الإقليمية والدولية.

- التأكيد على ضرورة وحدة واستقلالية الأراضي الليبية.

- ورفض التدخل الأجنبي فيها .

- الوقف الفوري لكل العمليات المسلحة من أجل دعم العملية السياسية.

- تعزيز الحوار مع الأطراف السياسية التي تنبذ العنف وصولاً لتحقيق الوفاق الوطني والمصالحة ووضع دستور جديد للبلاد.

- تفعيل الدور " آلية دول جوار ليبيا" وخصوصيتها فيما يتعلق بتطورات الوضع فيها وضرورة إشراكها في مختلف المبادرات الإقليمية والدولية الهادفة لإيجاد تسوية توافقية للأزمة الليبية.

- دعوة جميع الميليشيات والعناصر المسلحة بالتنازل عن السلاح والخيار العسكري في إطار اتفاق سياسي بين كل الفرقاء الذين ينبذون العنف ووفق آلية مستقلة تعمل برعاية إقليمية من دول الجوار ومساندة دولية.

-تعهد دول الجوار بتقديم المساعدة للحكومة الليبية في جهودها لتأمين وضبط الحدود مع دول الجوار وفق برنامج متكامل ، ووقف كل الأنشطة غير المشروعة للتهريب بكافة أنواعه. (اوشريف يسرى ، 2016)

5: مجموعة الخمسة الساحلية: مبادرة ظهرت هي مجموعة الخمسة (05) الساحل التي تضم موريتانيا ومالي والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد ، وتروم إلى الأهداف نفسها ، أي محاربة الإرهاب والجريمة المنظمة ، وتتميز هذه

المجموعة الجديدة باشتراكها في خصائص عدة ، وبضعف دولها وغياب قوة إقليمية بين أعضائها ، لكنها تنفرد عن غيرها من المبادرات من حيث ارتباطها وتعاونها الواضح مع قوى خارجية ، لاسيما فرنسا ، حيث تعد دول هذه المجموعة شريكا قويا لفرنسا في عملياتها العسكرية في الساحل ، وبلغت درجة التناغم السياسي بينها وبين فرنسا إلى درجة أن المجموعة دعت في منتصف ديسمبر 2014 إلى تدخل دولي في ليبيا ، في وقت كانت تعمل فيه الحكومة الفرنسية على تسويق فكرة التدخل ، حتى لا تتحول ليبيا إلى معقل للإرهابيين على حد قولها ، وقد أثار هذا الموقف الساحلي حفيظة الجزائر التي تتحرك لإيجاد تسوية سلمية في ليبيا ، رافضة أي تدخل أجنبي. (عبد النور بن عنتر، 2015)

6: مبادرات دول الساحل

شرعت بلدان منطقة الساحل في إجراء مجموعة من الإصلاحات الوطنية الرامية إلى التصدي للتحديات المزمنة المتعلقة بالحكومة والأمن والتنمية والشؤون الإنسانية ، مع أن حجم هذه التحديات يتفاوت من بلد لآخر ، وتم الشروع في برامج رائدة في عدد من البلدان دعما لهذه الجهود . وتعتبر الإقليمية الأمنية والتنسيق الجهوي ، المقاربة الأفضل والأنسب لمواجهة المشاكل والتهديدات الأمنية الموجودة في منطقة الساحل الإفريقي ، ويرجع هذا إلى عجز إستراتيجية المعالجة الأحادية والفردية لهذا المشكل ، هذا ما فرض على دول المنطقة ضرورة التنسيق مع بعضها البعض والعمل جماعيا لمواجهة هذه التحديات في إطار مؤسساتي تتمثل في الاتحاد الإفريقي والشراكة الجديدة لتنمية إفريقيا -نيباد- (مهاد صليحة، 2015)

ويجب الإشارة إلى لجوء دول الساحل الإفريقي إلى اعتماد الإقليمية الأمنية أو المقاربة الإقليمية للأمن كآلية أو إستراتيجية لمواجهة التحديات الأمنية في المنطقة بغض النظر عن نجاح أو فشل هذه الإستراتيجية- جاء كاستجابة لمجموعة من العوامل أهمها:

طبيعة الدول في هذه المنطقة التي توصف بالفشل والضعف والهشاشة في أدائها وبنائها المؤسساتي ووحدتها الوطنية خاصة وأن السلطات المركزية في هذه الدول عاجزة عن ضبط حدودها ومراقبة إقليمها ، وهذا ما يؤدي في كثير من الحالات خاصة في شروط الحياة الضرورية التي أقرها مفهوم الأمن الإنساني إلى انتشار الفوضى واللااستقرار.

-شساعة منطقة الساحل الإفريقي هذا ما يجعل المراقبة الأمنية للحدود مستحيلة على أي دولة اعتبارا لضعف إمكانياتها العسكرية ، الأمر الذي تطلب تعاونا قويا بين دول الميدان ودعما دوليا لمساعدة هذه الدول بما تحتاجه من عتاد وخبرات ومعلومات استخباراتية.

-الطبيعة المرنة والمعقدة وخاصة قابلية الانتشار التي تتميز بها التهديدات الأمنية الراهنة لكونها تهديدات عابرة للحدود ولهذا تعتبر المقاربة الإقليمية للأمن من بين أهم المقاربات التي تقدم حولا ممكنة للمشاكل التي تعيشها المنطقة الساحلية الصحراوية سواء كانت هذه المشاكل والتهديدات تقليدية كالحروب الداخلية وحركات التمرد أو كانت جديدة مثل الإرهاب والجريمة المنظمة والهجرة غير الشرعية... الخ ، لأن هذا النوع من المقاربات يركز على أهمية وضرورة العمل الجماعي الإقليمي الذي يضمن التضامن الأمني بين دول

المنطقة في إطار معاهداتي ومؤسساتي هذا ما يخفف بشكل كبير الآثار السلبية الناجمة عن هذه التهديدات التي تهدد دول التكتل الأمني. (مهاد صليحة، 2015)

فقد أطلقت حكومة النيجر في عام 2012، "إستراتيجية تنمية وتأمين مناطق الساحل الصحراوية في النيجر". وتحتل الحكومة الموريتانية موقع الصدارة في الجهود الرامية إلى التشجيع على تعزيز إدارة الحدود الإقليمية، وفي هذا الصدد، استضافت المؤتمر الوزاري للاتحاد الأفريقي المتعلق بتعزيز التعاون الأمني في منطقة الساحل والصحراء الكبرى في 17 مارس 2013، بالإضافة أيضاً إستراتيجية للأمن الغذائي، وإستراتيجية للحماية الاجتماعية وبرنامجاً مشتركاً بشأن التغذية، وإطار التعجيل بإنجاز الأهداف الإنمائية للألفية المتعلقة بصحة الأم.

أما حكومة بوركينا فاسو فهي تقود جهود الوساطة التي تضطلع بها الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا في مالي، فيما وضعت فيما يخص الجبهة الداخلية خطة عمل لمعالجة انعدام الأمن الغذائي على المدى الطويل، وتعهدت حكومة تشاد بتوفير 400 مليون دولار من عام 2012 إلى عام 2015 لتحويل القطاع الريفي من أجل إرساء الأساس للأمن الغذائي المستمر، وقدمت في جانفي 2013 مساهمة هامة وفي الوقت المناسب في جهود حفظ السلام في مالي وعقب إنهاء عمليات القتال الرئيسية، قامت حكومة مالي المؤقتة، من جانبها، بوضع وإطلاق خطة شاملة للإنعاش المستدام لعامي 2013 و 2014 وتتضمن الخطة الركائز المتعلقة بالهياكل الأساسية والخدمات الاجتماعية الأساسية، والأمن الغذائي، والحوكمة، واللامركزية. (تقرير الأمين العام، 2013)

7: المبادرات على مستوى الاتحاد الأفريقي: عمل الإتحاد الإفريقي منذ تأسيسه إلى تعزيز السلم والأمن في القارة الإفريقية، واعتمد الإتحاد الكثير من الآليات التشريعية والمؤسسية والمبادرات لمواجهة الظاهرة الإرهابية في القارة، بحيث أن تشابك المصالح والنفوذ وكذلك الرهانات المستقبلية للقارة الإفريقية بالنسبة لمكانتها الدولية والتنافس الدولي عليها، ورغبة الدول الإفريقية في تجاوز التهديدات الأمنية والتفكير في بناء مسار تنموي مستمر على أساس الأمن والاستقرار، كل هذه العوامل جعلت من توفير الأمن والاستقرار مطلباً أساسياً للمنطقة، ولذلك تعددت الجهود الإفريقية في مجال مكافحة الظاهرة الإرهابية في القارة.

برنامج الحدود للاتحاد الإفريقي (AUBP (Programme The African Union Border): تم الإعلان عن برنامج الحدود التابع للاتحاد الإفريقي من طرف الدول الأعضاء للاتحاد سنة 2007، وتضمن ضرورة وضع برامج جديدة لإدارة الحدود، وتعزيز السلام والأمن وضمان الاستقرار، على غرار تسهيل عملية التكامل و ترقية التنمية المستدامة في إفريقيا، وفي هذا الحيز فإن إستراتيجية تعزيز إدارة الحدود تعتبر بمثابة آلية تم تطويرها من طرف الاتحاد الإفريقي لدعم أمن الحدود وتنقل الأشخاص و البضائع في شتى مستويات التنسيق والتعاون، وكذا لتحسين المتطلبات المجتمعية ما بين دول أعضاء الاتحاد.

تضمن هذا البرنامج أربع عناصر: التحديد والترسيم، التعاون عبر الحدود، بناء مؤسسات وتنمية القدرات، تعبئة الموارد اللازمة، حيث انطلق هذا البرنامج بدعم من مؤسسة ألمانية (GIZ) Deutsche Gesellschaft für Internationale Zusammenarbeit لإدارة الحدود في إفريقيا منذ سنة 2008 إلى غاية 2015، وكان لها

دور في تدعيم الاتحاد لترسيم الحدود ما بين مالي و بوركينا فاسو والتوسط في حل الخلافات عبر الحدود بين العديد من سكان المناطق الحدودية في الساحل الإفريقي و جنوب الصحراء. (الحامدي عيدون 2015) **خطة العمل الإفريقية في مجال منع ومكافحة الإرهاب:** اعتمدت خطة العمل هذه في اجتماع رفيع المستوى لمنع ومكافحة الإرهاب الذي انعقد في الجزائر في سبتمبر 2002، وذلك لتعزيز التعاون من أجل إيجاد سبل ملائمة وناجعة لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة من خلال:

تعزيز قدرة الدول الأعضاء على مراقبة الحدود، بما في ذلك إصدار وثائق السفر والهوية أكثر حماية وأمناً، وإقامة تربصات تكوينية وتدريبية للجمارك وحراس الحدود لضمان كفاءة وأداء عاليين. تحديث ومواثمة النظم القانونية الوطنية والإقليمية لمواجهة التحديات الملقة على عاتق دول الإتحاد الإفريقي.

وضع الصيغ النهائية للصوصك الإفريقية لتسليم المجرمين والمساعدة القانونية المتبادلة. قمع جريمة التمويل ودعم الإرهاب، و تعزيز تبادل المعلومات والاستخبارات المتعلقة بالإرهاب والجماعات الإجرامية، ومراقبة كل التحركات للجماعات الإرهابية والتنظيمات الإجرامية. (الحامدي عيدون 2015) ثم تم تبني " البرتوكول الملحق لاتفاقية منع ومكافحة الإرهاب في إفريقيا " في سنة 2004 بناء على توصية قمة الإتحاد الإفريقي في داكار العاصمة السنغالية المعنية بمنع ومكافحة الإرهاب، والاجتماع الحكومي رفيع المستوى والذي يهدف إلى تحديث الاتفاقية الإفريقية لمنع ومكافحة الإرهاب وفق المقاييس العالمية.

المركز الإفريقي للدراسات والبحوث حول الإرهاب (CAERT): يعتبر المركز من الأجهزة التابعة للإتحاد الإفريقي وله 42 فرع وطني م 07 فروع جهوية، أنشئ عام 2004، وحدد مقره في الجزائر العاصمة، يقوم المركز بتبادل المعلومات وتقديم المساعدات في مجال التكوين الخاص بمكافحة الإرهاب بين الدول الإفريقية، كما يقوم بإجراء البحوث لمساعدة الدول الإفريقية على إدراك أسباب وخصائص الإرهاب في القارة وسبل مواجهته. وتبرز أهمية المركز في إجراء ونشر العديد من الدراسات والبحوث والندوات والتحليلات السياسية بصورة دورية في مختلف مجالات مواجهة الإرهاب مع إتاحة هذه البيانات والتحليلات لكل الدول الأعضاء في الإتحاد الإفريقي، علاوة عن تطوير البرامج التدريبية من خلال مساعدة الشركاء الدوليين في تطوير الخبرات والإستراتيجيات الخاصة بمواجهة الإرهاب، وكذا برامج التعاون مع مختلف المؤسسات المهمة بمكافحة

الظاهرة الإرهابية للمساعدة للدول الإفريقية على المستوى الوطني والإقليمي والدولي. (ج إسماعيل، 2009) **خطة عمل في مجال مراقبة المخدرات و الوقاية من الجريمة:** إضافة إلى التقدم المحرز على الصعيد الإقليمي في منطقة الساحل، يتطلب التعاون الأقليمي مع منطقة غرب أفريقيا والمغرب العربي الاهتمام، لأن العديد من التحديات المطروحة، بما فيها التدهور البيئي والإرهاب والجريمة المنظمة، هي تحديات ذات طابع أقليمي، ويدعم الإتحاد الأفريقي من جانبه، تنفيذ خطة عمله بشأن مراقبة المخدرات ومنع الجريمة للفترة 2013-2017، فعن طريق المركز الأفريقي للدراسات والبحوث المتعلقة بالإرهاب الذي يوجد مقره في الجزائر العاصمة، يدعم الإتحاد الأفريقي الدول الأعضاء في تنفيذ إطارها القانوني لمكافحة الإرهاب بتبادل المعلومات والتعاون والتنسيق على الصعيدين الإقليمي والدولي. (تقرير الأمين العام، 2013)

خطة عمل طرابلس: جاءت على إثر أعمال المؤتمر الوزاري الإقليمي حول أمن الحدود المنعقد في طرابلس في مارس 2012، تهدف خطة العمل هذه إلى تعزيز الترابط والتعاون العملي بين ليبيا ودول الجوار على صعيد أمن الحدود، وتتضمن الخطة تحليل الأسباب الجذرية للمخاطر الأمنية الإقليمية، خاصة انتشار الأسلحة والتفريغ ومكافحة الإرهاب وأسباب التهديدات الأمنية الحدودية، واعتمدت الخطة حلولاً مشتركة تضمنت الاهتمام بالتنمية البشرية المستدامة والاستجابة للاحتياجات التنموية الخاصة بالمناطق الحدودية بما يساهم في تحقيق الأمن، كما تضمنت الحلول ضرورة التنسيق مع منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي لتعزيز التعاون المشترك خاصة التعاون الاقتصادي والتنموي والأمني، من أجل القضاء على المشاكل والتحديات التي تواجه دول المنطقة وتوفير الدعم المادي عن طريق التعاون الثنائي و المتعدد الأطراف. وقرر المؤتمر وضع آلية دائمة للتعاون الإقليمي.(المؤتمر الوزاري)

ثانياً: على المستوى الدولي: لقد تبنت عدة دول استراتيجيات وخطط للتعامل والحد من خطر التهديدات الأمنية القادمة معظمها من دول الجنوب، وذلك إدراكاً منها بخطورتها وتأثيرها على أمنها القومي وعلى نفوذها ومصالحها، خصوصاً في المغرب العربي والساحل الأفريقي، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال التنافس بين أوروبا بقيادة فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية عبر برامجها المقدمة لدول المنطقة أو من خلال التدخل العسكري المباشر (التدخل الفرنسي في مالي وليبيا) والذي يمكن تلخيصه من خلال استراتيجيتين أو نظريتين للتعامل مع هذه التهديدات (فرحاتي عمر، 2013)

نظرية أو إستراتيجية القوة الصلبة: والتي تعتمد أساساً على الحل الأمني والتدخل المباشر للقضاء عليها ولم تتمكن هذه الاستراتيجية من وضع حد للتنظيمات الإرهابية والقضاء عليها بشكل نهائي.

القوة الناعمة: والذي يمزج بين الحل العسكري والحلول السياسية والسلمية والذي يهدف إلى تقليل وتجفيف المنابع والأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب والعنف، كما تعتمد على الأسلوب التفاوضي وقد اعتمدت عليه الولايات المتحدة الأمريكية من خلال القوة العسكرية وعلى المساعدات الاقتصادية وعلى تدريب العناصر الأمنية للدول المعنية للتعامل بأكثر جدية مع كل أشكال التهديدات.

في هذا السياق أجرت مؤسسة راند RAND الأمريكية في جويلية 2008 دراسة بعنوان "كيف تنتهي الجماعات الإرهابية" وتناولت المؤسسة 648 جماعة إرهابية نشطت ما بين 1998 و2006 من بينه 244 جماعة إرهابية مازالت موجودة و268 تخلت عن العنف و136 انتهت واندمجت مع جماعات أخرى .

خلصت الدراسة إلى أن سقوط الجماعات الإرهابية يكون من خلال أربعة وسائل هي:

- 1- الدور البارز للشرطة و المخابرات و القوات العسكرية .
- 2- تمكن الجماعات الإرهابية من تحقيق أهدافها خاصة السياسية منها .
- 3- اعتماد الجماعات الإرهابية سياسات غير عنيفة .
- 4- موت أو توقيف القادة و الشخصيات المحورية في الجماعات من خلال إسقاط الأرقام المعلنة عن الوسائل تسجيل ما يلي :

1- متغير السياسات غير عنيفة كان هو المتغير الأكبر، حيث أن 268 جماعة إرهابية تبنت هذا الأسلوب، نسبة زوالها كان 43% .

2- متغير وفاة زعيم الجماعة كان السبب في زوال 40% من الجماعات الإرهابية .

3- متغير قناعة الجماعات بتحقيق أهدافها جاء ثالثاً بـ 10% من التنظيمات زالت لهذه القناعة المتغير العسكري جاء الأخير بنسبة 7% .

هذه الدراسة أثبتت أن الحل العسكري ليس الحل الأمثل ، وهذا الأمر الذي ينطبق على التدخل في شمال مالي ، إذ أن السيناريو الأقرب هو إعادة تموقع الحركات الإرهابية بقوة أكبر (فرحاتي عمر ، 2013) .

1: الولايات المتحدة الأمريكية: لقد بدأ الاهتمام السياسي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية بإفريقيا يزداد منذ انتهاء الحرب الباردة والإعلان عن ميلاد نظام عالمي جديد ، فقد كانت للولايات المتحدة مبادرات وعمليات تدريب لقوات دول إفريقيا وتزويدها بالمعدات ، لكنها كانت لا تنطلق بهدف محاربة الإرهاب وإنما ترتبط في معظمها بعمليات حفظ السلام والوقاية من النزاعات ومحاربة التمرد الداخلي وحماية منابع النفط . ونتيجة لتفجير السفارتين الأمريكيتين بكل من تنزانيا وكينيا في 1998 وسعت الولايات المتحدة من تعاونها لمحاربة الإرهاب مع هاتين الدولتين بالإضافة إلى كينيا وأثيوبيا وأوغندا وازداد تنامي الاهتمام الأمريكي بمنطقة المغرب العربي والساحل الإفريقي ، على الصعيد الأمني في إطار ما يسمى "بالحرب على الإرهاب" التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية منذ تعرضها لهجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 (عبد العالي عبد العالي حور ، ب ت ن) إذ لم يقتصر هذا التعاون في المجال الأمني مع دول المنطقة فقط ، بل دخلت على غرار غيرها من الدول الكبرى الداعمة للحرب على الإرهاب ، كفرنسا بحكم التقارب التاريخي والاستعماري والصين القوة الصاعدة والمنافسة في العالم. (كاظم هاشم نعمة ، 2008).

وتبدي الولايات المتحدة الأمريكية اهتماماً متزايداً بإفريقيا كمناطق نفوذ جديدة بعد تدهور الأوضاع الأمنية بعد الحرب على العراق ، ومشكلة الشرق الأوسط المتمثلة للإحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ، ولعل الاكتشاف المتتالية لمرابع النفط واليورانيوم في كل من السودان ومالي ونيجيريا ، والطلب العالمي المتزايد على النفط أدى بهذه الدولة السعي نحو إعادة التموقع في إفريقيا ، وإقامة قواعد عسكرية بها تجسيدا لهيمنة الولايات المتحدة على العالم (Antonion Tisseron ، 2014) .

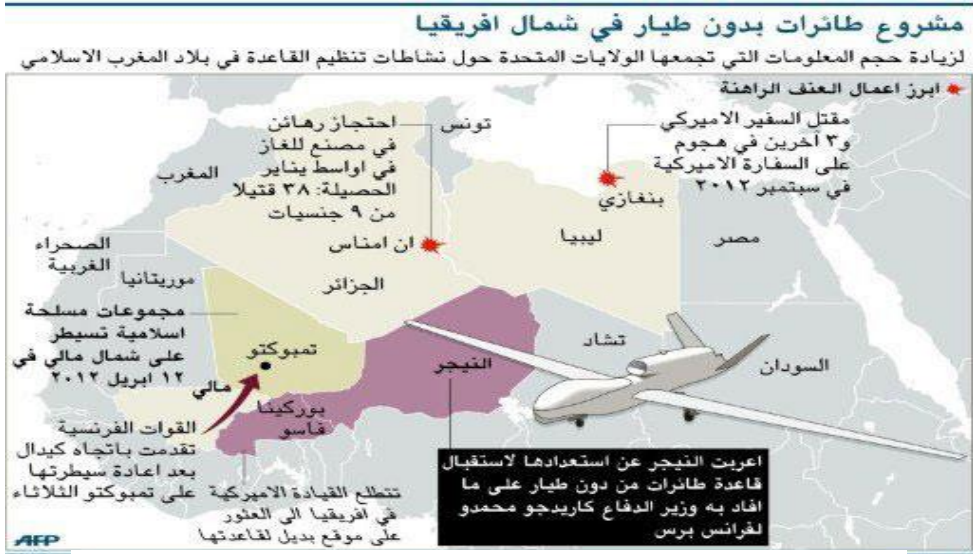
لقد تعززت المخاوف الأمريكية على الأمن واستقرار منطقة الساحل الإفريقي إثر التحول الذي حدث بفعل تزايد وتيرة نشاط "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" ، حيث استطاعت استغلال الفراغ الأمني على مستوى الحدود الصحراوية الشاسعة ، والذي أتاح لها التحرك والقيام بأنشطة هددت كيانات وحكومات العديد من دول الساحل الإفريقي وقامت باختطاف العديد من مواطني الدول الغربية .

لهذا باتت واشنطن تعتبر منطقة الساحل الإفريقي جبهة جديدة في حربها العالمية على الإرهاب ، وصارت عملية تسهيل التعاون بين الحكومات في المنطقة وتعزيز قدرتها من أجل مكافحة التنظيمات الإرهابية ومنع تلك التنظيمات من إقامة قواعد في هذه المنطقة هدفاً رئيسياً للولايات المتحدة منذ عام 2003 .

من هنا تظهر أهمية الساحل الإفريقي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أن الاهتمام بهذه المنطقة يدخل في إطار الحرب العالمية الأمريكية على الإرهاب ، ولئن كانت العمليات الإرهابية الحالية في المنطقة تستهدف خطف الأجانب أو المنشآت الحكومية لدول المنطقة كما حدث في الجزائر" الهجوم على القاعدة النفطية تيقنتورين" جنوب البلاد ، فإن الحكومة الأمريكية تخشى من تطور نشاط الجماعات الإرهابية إلى

خارج الحدود الإقليمية ويتعداها إلى الدول الغربية، كما تخشى من تهديد مصالحها في المنطقة على غرار ما حدث في دلتا النيجر حيث تكررت الاضطرابات في حقول النفط في المنطقة، خاصة في الحقول النيجيرية، وهو ما يشكل تهديدا للمصالح الأمريكية في تأمين واستقرار التنقيب عن النفط والمعادن. (منطقة الساحل في إطار التوازنات والصراعات الدولية، 2015).

وقال مسؤولون في البنجانون "أن توسع الوجود العسكري الأمريكي في أفريقيا أضحى أمرا ضروريا لمواجهة انتشار الفصائل المسلحة والمجموعات المقاتلة الموالية لتنظيم القاعدة في شمال أفريقيا والصومال، ومجموعات مسلحة أخرى كجوزيف كوني زعيم حركة أوغندية مسلحة" وقد أعرب الباحث الأمريكي كريج وايتلوك "أن أفريقيا تحتاج مزيدا من الطائرات بدون طيار، وغيرها من طائرات المراقبة والتصوير، إضافة لمزيد من صور الأقمار الصناعية حيث يمثل ما يتلقونه في الوقت الحالي نصف حاجتهم المطلوبة من أجل أفريقيا الشمالية و7% فقط من متطلباتهم التامة للقارة بأكملها." (كريج وايتلوك، 2013) كما هو موضح في الخريطة التالية



المصدر: http://ar.qawim.net/index.php?option=com_content&task=view&id=83

وتتعدد دوافع الاهتمام الأمريكي بمنطقة الساحل الإفريقي ومن أهمها:
-وضع اليد الأمريكية على مخزونات غرب إفريقيا النفطية، وزيادة الكميات المكتشفة في المنطقة ذلك أن 7 مليارات من أصل 8 مليارات برميل نفط تم استخراجها عام 2010، الأمر الذي دفع بشركات النفط الأمريكية، وبخاصة "إكسون موبيل وشيفرون"، لإقامة فروع ضخمة لها خلال السنوات الأخيرة في خليج غينيا الاستراتيجية.
-الحصول على النفط بأسعار منخفضة، وذلك لأن النفط الإفريقي يتمتع بمميزات متعددة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية منها:

أ. قرب المسافة بين مناطق النفط في خليج غينيا الاستوائية ومصافي البترول على الساحل الشرقي لأمريكا ما يوفر نفقات الشحن.

ب. يستغرق نقله مدة زمنية أقل مقارنة بجلبه من مناطق أخرى.

ج. كما أن النقل البترولي من غرب إفريقيا إلى مصافي البترول وقواعده في الولايات المتحدة يجنبها مخاطر النقل عبر قناة السويس والشرق الأوسط والقرن الإفريقي، وهي ممرات مائية تقع في بؤرة الصراعات الدولية.

محاصرة النفوذ الأوروبي، وبخاصة الفرنسي، وتحجيم وتقليص الدور الصيني في غرب القارة من خلال زيادة الاستثمارات والصادرات في هاته المنطقة. (سمير قلاع الضروس، 2017)

ولتنفيذ كل هذه الأهداف، فقد أصبح للولايات المتحدة إدراك بضرورة تنفيذ مبادرات ومشاريع شراكة مع دول المغرب العربي والساحل من أجل وضع قدم وساق في المنطقة في إطار حربها الاستباقية للتنظيمات الإرهابية، ونذكر من خلالها ما يلي:

2. القيادة العسكرية بإفريقيا (الأفريكوم): وفي هذا الإطار قررت الإدارة الأمريكية برئاسة "بوش الابن" في نهاية سنة 2006 إنشاء "القيادة العسكرية الخاصة بإفريقيا الأفريكوم" AFRICOM الذي أعلنت عن تكوينه رسمياً في فبراير 2007 وبدأ العمل الفعلي في فاتح أكتوبر 2008 انطلاقاً من مدينة شتوتغارت الألمانية مقر القيادة العسكرية الخاصة بأوروبا وهو مقر مؤقت في انتظار أن تتم استضافته من قبل إحدى الدول الإفريقية.

ويعتبر إنشاء (الأفريكوم) خطوة حاسمة ودالة على رغبة أمريكية صارمة في التواجد العسكري الفعلي فوق الأراضي الإفريقية وهو ما ترفضه رفضاً صارماً أغلب الدول المعنية، فقبل ذلك ساعدت الولايات المتحدة في إطار حربها على ما تطلق عليه الإرهاب، على تدريب فرق من جيوش دول الساحل على مكافحة الإرهاب (قوي بوحنه، 2012)، ويعود تأسيس الأفريكوم إلى أمرين مهمين:

إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على دخول دائرة التنافس مع أوروبا وآسيا في إفريقيا خصوصاً مع تزايد الأهمية على الموارد الحيوية في مقدمتها النفط واليورانيوم.

تزايد الأخطار التي بدأت تهدد السفارات والشركات الأمريكية في إفريقيا منذ الهجوم المزدوج على سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في نيروبي ودار السلام عام 1998م، ثم تفجير السفينة الأمريكية "كول" في خليج عدن بالبحر الأحمر سنة 2000، وتزايد النشاط الإرهابي في القرن الإفريقي.

وفي تقرير خاص بلجنة الأزمات الدولية صادر في 2005، تحت عنوان "الإرهاب الإسلامي في الساحل.. حقيقة أم وهم؟" ينص التقرير على تعاضم النشاط الإرهابي في المنطقة، مستدلين بالتنظيمات والتشكيلات الإرهابية الموجودة، كتنظيم القاعدة والجماعات الإرهابية المنتشرة في عمق القارة، وبالرغم من كل المحاولات التي قامت بها الإدارة الأمريكية، وغيرها من الدول التي اندمجت في إطار مكافحة الإرهاب، فإن هذا التنظيم اليوم أصبح أكثر خطورة وتخصصاً في مناطق معينة، كقرب القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي AQMI، الذي يتركز في منطقة الصحراء الكبرى، كما لا يزال يضرب المصالح الأمريكية إلى يومنا. (سمير قلاع الضروس، 2016).

مبادرة دول الساحل لمكافحة الإرهاب (PSI): هي عبارة عن شراكة وتعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية ومالي والنيجر وتشاد وموريتانيا أنشئت في سنة 2004، وتعد هذه المبادرة مثالا عن النهج الأمريكي لمكافحة

الإرهاب ، وتهدف المبادرة إلى مساعدة دول منطقة الساحل الإفريقي على تحسين أمن حدودها وتعزيز قدراتها في مكافحة الإرهاب وتعزيز قدرة شركاء الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة لمنع استخدام أراضيها من طرف الجماعات الإرهابية(Stephen Ellis، 2004)، وقد شمل كذلك هذا التعاون تدريب عناصر من الجيش الموريتاني على أساليب وطرق محاربة العناصر الإرهابية والتصدي لها فقد دخلت موريتانيا في هذا الإطار وقد تضمنت هذه الشراكة تقديم مساعدات تدريبية ، وخصصت برنامجا قدره ثمانية(08) مليون دولار لتشكيل قوة عسكرية قوامها 150 جنديا لتأهيل القوات المسلحة في كل من مالي ، وموريتانيا ، وتشاد والنيجر وهي المبادرة التي تم توسيعها لتشمل عشر دول أخرى في العالم 2005 (كاظم هاشم نعمة، 2008)

4. **مكافحة الإرهاب عبر الصحراء(TSCTP):** وهو برنامج تشرف عليه كل من وزارة الخارجية ، والوكالة الأمريكية للمساعدات الدولية USAIA ووزارة الدفاع والملاحظ على هذا المشروع زيادة عدد الدول المعنية به ، فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمنح الدول المكونة لمنطقة الساحل مساعدات مالية وفق برنامج " مكافحة الإرهاب عبر الصحراء " TSCTP" مبلغ 500 مليون دولار على مدى ستة(06) سنوات لدعم البلدان المتضررة من الإرهاب والمستهدفة بتهديدات القاعدة ، في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء وهي الجزائر ، تشاد ، مالي موريتانيا، النيجر ، السنغال ، نيجيريا ، المغرب (أعلية علاني ، 2010)، وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن الجزائر شريكا مهما وهذا إدراكا منها بالدور الإقليمي الرئيسي للجزائر في محاربة الإرهاب في منطقة الساحل ، باعتبارها تملك زمام الأمور في المنطقة. (خيري عبد الرزاق جاسم، 2009).

وتتمثل الأهداف العامة البعيدة المدى والمتعددة الأبعاد للبرنامج في تعزيز القدرات المحلية للحكومات لمواجهة التحديات التي تفرضها المنظمات الإرهابية في منطقة الساحل و أيضا إلى تنسيق التعاون بينها وبين شركائها بالمغرب العربي، ويمكن تلخيص أهم نشاطات البرنامج في النقاط الآتية:

بناء القدرات العسكرية والحماية الإقليمية للحدود :استنادا للبرامج العسكرية لتوسيع التعاون الأمني ، لضمان توافر الموارد الكافية لتدريب وتقديم المشورة ومساعدة القوى الإقليمية ، وإنشاء مؤسسات تعزيز التعاون الإقليمي (في الاتصالات ، تبادل المعلومات(و تجهيز شركاء قوات الدول وتدريبهم على رصد ومراقبة الحدود ، لتحديد أماكن وجود جماعات إرهابية وطرق التفاعل و الرد عليهم في دولهم.

بناء قدرات قطاع العدالة لمكافحة الإرهاب :بزيادة القدرة القضائية لدول المنطقة لمحاكمة وسجن الإرهابيين ، وتحسين إدارة السجون لمواجهة التطرف فيها ، ومواجهة الجريمة المنظمة عبر وطنية.

الدبلوماسية العامة وإدارة المعلومات :بالعمل على إرساء قيم التسامح والاعتدال والحكم الراشد ، ومواجهة العنف والأفكار المتطرفة ، وتشجيع السكان للإبلاغ عن التهديدات الأمنية للقوات الأمنية المشتركة.

التدريب المهني و المشاركة المجتمعية :تقديم تدريبات مهنية للسكان الحدوديين والعمل على زيادة فرص الاندماج الاجتماعي والاقتصادي وفي القطاعات الأمنية ، إشراك القادة الرئيسيين ومنظمات المجتمع المدني في الدول الشريكة لتخفيف الصراع ومواجهة التطرف العنيف ، وتقديم الخدمات إلى الفئات المهمشة التي قد تكون عرضة لتجنيد الإرهابيين. (الحامدي عيدون 2015).

وبناء على كل ما سبق يمكن سرد لمحة عامة عن بعض الأنشطة التي قدمتها الشراكة(TSCT) منذ أكتوبر 2013، ساعدت الولايات المتحدة في تقديم التدريبات والمعدات لدولة موريتانيا بهدف ترقية المراقبة

على حدودها مع مالي ، ودعم الوحدات المهنية خلال العمليات العسكرية لمحاربة القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وبالمثل ، وقد تم دعم النيجر في الجهود المبذولة لحماية حدودها ومنع الإرهابيين الذين يحاولون عبور أراضيها ، وقد عملت على عدة برامج من أجل مواجهة العنف والتطرف لدى الفئات الشبابية ، بما في ذلك إقامة الدورات التعليمية والتدريبية في الجزائر والمغرب ، وبرامج لتوظيف الشباب والتوعية الواسعة النطاق ، تنمية المجتمع ، والأنشطة الإعلامية في النيجر وتشاد.

ثالثاً: على المستوى الأوروبي (فرنسا)

الشراكة الإستراتيجية بين الاتحاد الأوروبي وإفريقيا: أمام التطورات الدولية الراهنة من جهة وأمام التهديدات العابرة للحدود ، فقد برزت الحاجة لدى دول الشمال إلى ضرورة وجود مفاهيم أمنية جديدة في استراتيجياتها الأمنية تتواءم مع طبيعة التحولات الدولية الجديدة حيث اعتمدت دول الاتحاد الأوروبي إلى تطوير هذا المفهوم مع دول المغرب العرب والساحل الإفريقي.(حنان لبدى ، 2015)

انعقاد أول اجتماع بين الاتحاد الأوروبي وإفريقيا في القاهرة عام 2000 حيث تم الاتفاق على تقوية الشراكة من خلال الحوار المؤسسي والمضي بالعلاقات بينهما إلى مستوى استراتيجي جديد ، وتقوية الشراكة السياسية وتحسين التعاون فيما بينهما على كل المستويات ، وتستند تلك الشراكة على التوافق الأفريقي الأوروبي على القيم والمصالح المشتركة والأهداف الإستراتيجية المشتركة ، وتقوية التعاون الاقتصادي وتعزيز التنمية المستدامة (مجموعة خبراء ، 2011) ، ففي أكتوبر 2009 اجتمعت تدول الاتحاد الأوروبي السبعة والعشرين (27) لتقدير ضرورة تعزيز قدرات دول منطقة الساحل هذا الاجتماع توج بإعلان استراتيجية أوروبية في الساحل سنة 2011 ولعل هذا الإلتزام الأوروبي جاء في إطار مقاربة أمنية شاملة في المنطقة (International crisis group ، 2012) ، ولطالما تبني الاتحاد الأوروبي مقاربة إستراتيجية يحكمها مبدأ "المزيد من أجل المزيد" ، المزيد من الإصلاحات ، التي يؤمها مشروع "إستراتيجية من أجل الساحل" الذي يركز على معادلة الأمن والتنمية في المنطقة كمدخل للإصلاح واستتباب الأمن والسلام في أقاليم تشهد تفككا اجتماعيا وسياسية و اقتصادية بالغا ، فيما يلي الأهداف الرئيسية الأربعة من الشراكة الإستراتيجية طويلة الأمد:

تعزيز وتقوية الشراكة السياسية بين الاتحاد الأوروبي وإفريقيا لتحديد المشكلات ذات الاهتمام المشترك. وهذا يتضمن تقوية الروابط المؤسسية وتحديد التحديات المشتركة في مجال السلام والأمن بشكل خاص والهجرة والتنمية والتطوير والبيئة النظيفة.

تعزيز وتقوية السلام والأمن والحكم الديمقراطي وحقوق الإنسان والحريات الأساسية والمساواة على أساس الجنس والتنمية الاقتصادية المستدامة بما يشمل التصنيع والتكامل الإقليمي والقاري في إفريقيا في (MDG) والعمل على ضمان تحقيق كل الأهداف الإنمائية الألفية كل الدول الأفريقية بحلول العام 2015 تقوية وتعزيز نظام التعددية الفعال بشكل مشترك في ظل مؤسسات قوية وشرعية.

لتسهيل وتعزيز الشراكة الموسعة القائمة على الأشخاص ، سيعمل الاتحاد الأوروبي وإفريقيا على تمكين الممثلين غير التابعين للدولة وخلق الظروف لتمكينهم من لعب دور فعال ونشط في التنمية وبناء الديمقراطية ومكافحة الصراعات وعملية إعادة البناء بعد الصراع (مجموعة خبراء ، 2011)

وقد خصص الاتحاد الأوروبي لتنفيذ هذه الإستراتيجية غلafa ماليا بحوالي 650 مليون أورو منها حوالي 450 مليون خصصت للدول الثلاثة التي تمثل قلب الإستراتيجية وهي: موريتانيا، مالي والنيجر، أما مبلغ 200 مليون أورو فقد وجه لبقية دول غرب إفريقيا والمغرب العربي، إلى جانب مبلغ 150 مليون أورو كمبلغ اضافي من الصندوق الأوروبي للتنمية إضافة إلى الإنفاق عبر جهاز الإنفاق على الاستقرار (بوشنافة شمسة، 2013). وفي إطار محاولة القوى الكبرى للقضاء على ظاهرة انتشار الإرهاب والجريمة المنظمة بكل أشكالها فقد قام الاتحاد الأوروبي من خلال دراسات معمقة في إيجاد خطوط عمل الاستراتيجية من أجل حلحلة وتشخيص سبب نقشي ظاهرة العنف في هذا الإقليم الصحراوي الواسع من خلال تركيز الإستراتيجيات أولا على الدول الأكثر تأثرا بالتحديات الأمنية المشتركة كموريتانيا والنيجر ومالي، وفي غضون ذلك يتم وضعها في سياق إقليم أكبر لتصل إلى تشاد وإقليم المغرب العربي وغرب إفريقيا، وترتبط بأربعة خطوط تكميلية وهي: التنمية والحكم الرشيد وحل النزاعات الداخلية: أي المساهمة في الاقتصاد العام والتنمية الاجتماعية، تشجيع ودعم الحوار السياسي الداخلي للتمكن من إيجاد حلول داخلية للتوترات السياسية والاجتماعية والعرقية، وتشجيع النزاهة والمحاسبة المحلية، وتطوير قدرات المؤسسات عادة إنشاء أو تقوية حضور إدارات الدولة، خصوصا في الشمال المالي والنيجري، المساعدة على خلق فرص اقتصادية وتعليمية للتجمعات المحلية، ومساعدة الأقاليم المتأثرة من انعدام الأمن عبر إنشاء الطرق وتقديم الخدمات الاجتماعية والحد من تأثير التغيرات المناخية.

المستوى السياسي والدبلوماسي: تطوير رؤية مشتركة واستراتيجية من قبل الدول الشركاء لمواجهة التهديدات الأمنية العابرة للحدود والتعامل مع التحديات التنهوية عبر إقامة حوار دائم على أعلى المستويات، مخاطبة الشركاء المعنيين بما في ذلك دول المغرب العربي والمنظمات الإقليمية والمجتمع الدولي بشكل أكبر لتعزيز الحوار حول الأمن والتنمية في الساحل.

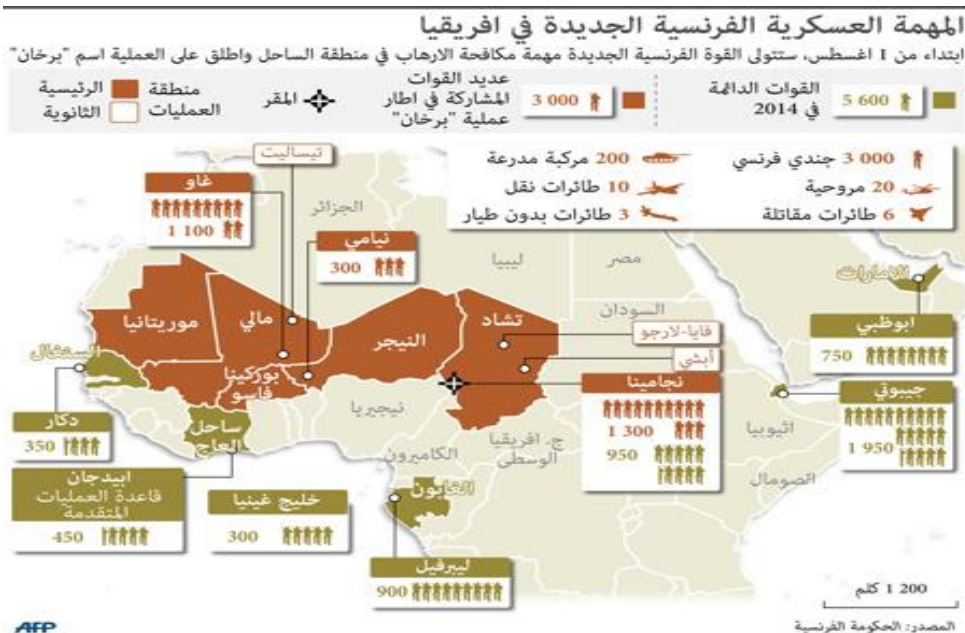
محااربة ومنع العنف الأصولي والراديكالية: المساعدة على تحمل الشعوب لمكافحة الإرهاب، تقديم الخدمات الأساسية اجتماعيا واقتصاديا وتقديم رؤية حول التشغيل للمجموعات المهمشة اجتماعيا، خصوصا الشباب المعرض للراديكالية، دعم القرارات الدولية والجهات الشرعية غير الحكومية في رسم وإنشاء استراتيجيات وأنشطة تهدف إلى محااربة هذه الظواهر (بوشنافة شمسة، 2013).

وهناك العديد من المبادرات على المستوى الإقليمي منها برنامج مكافحة الإرهاب في الساحل الممول على المدى البعيد ب 6,7 مليون يورو خلال الفترة بين 2012-2014 تنعز بها القدرات المحلية والتعاون الإقليمي لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، كما طرحت الإستراتيجية إمكانية تأسيس كلية افتراضية للأمن في الساحل تكون قادرة على توفير قوات التدخل والقمع، وتضمن تداول المعلومات والخبرات بين كل الشركاء.

كما يسعى جهاز الاستقرار هو الآخر لتمويل برنامج نظام معلومات شرطة إفريقيا الغربية بغلاف قدره 2,2 مليون يورو، وتتمحور المبادرة على تأسيس قاعدة تبادل معلومات بين أجهزة الشرطة في خمس دول هي البنين وغانا ومالي وموريتانيا والنيجر بالشراكة مع المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا والأنتربول، يضاف إلى ذلك منحة الصندوق الأوربي للتنمية ب 41 مليون يورو في الفترة 2012-2017 لصالح مشروع السلم والأمن لدول "الإيكواس" بدعم وتقوية قدراتها المؤسساتية، أما برنامج العمل لمكافحة تجارة المخدرات

والجريمة المنظمة في نفس المجموعة فتم تدعيمه من الصندوق الأوربي للتنمية ب19,7 مليون يورو(جميلة علاق، 2014)

2. فرنسا: تعتبر فرنسا من أكبر دول العالم تدخلا في إفريقيا، مثل تدخلها في تشاد في جانفي 2009 لإنقاذ حكم الرئيس "إدريس ديبي Idris deby" الذي كان على وشك السقوط بعد الأزمة السياسية التي عصفت بتشاد، والتدخل في 2011 لإسقاط حكومة "لوران غباغبو" ضد الرئيس الحالي "الحسن واتارا" في كوت ديفوار الذي يقود حاليا "الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا"، مما ساهم بشكل كبير في عملية التدخل الفرنسي بسرعة في مالي، بالتنسيق مع "الإيكواس"، بعد الانقلاب العسكري ضد الرئيس المالي الأسبق "أمدادو توماني توري"، كما أن لفرنسا وجود عسكري في خمسة دول إفريقية من خلال عدة اتفاقيات وهي أيضا مرتبطة بالعديد من الدول الإفريقية باتفاقيات للتعاون العسكري(سمير قلاع الضروس، 2016)، وهذا لرغبتها في الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، بالإضافة لها سبق لفرنسا أكبر قاعدة عسكرية في النيجر، أين تحكم سيطرتها على منابع اليورانيوم الذي يمول 40% من الطاقة في فرنسا والحصول على أسواق كبيرة لمنتجاتها، فقد عملت فرنسا دائما على تقديم الدعم العسكري لكل من موريتانيا ومالي والنيجر وتمويل عمليات التدريب(كمال الزيات، 2012)، وخاصة في شمال مالي وهو ما يعبر عن نزعة أوروبية فرنسية نحو التدخل العسكري في مالي، خصوصا بعد عمليات الاختطاف التي تعرض لها الرعايا الأوروبيون الذين يحملون أجنات سياسية في المنطقة (International crisis group، 2012).



محمد رجب، التدخل الفرنسي في غرب أفريقيا: محاربة الإرهاب أم حماية للمصالح، صحيفة العرب

الالكترونية، نشر في 07/01/2015، العدد: 97، <http://alarab.co.uk/?id=42152>

وتبين الخارطة أعلاه توزيع القوة المسلحة الفرنسية في معظم دول الساحل الإفريقي في إطار الحرب الفرنسية على الإرهاب في المنطقة.

وتعمل فرنسا على تعزيز تواجدها في منطقة الساحل على عدة جهات دولية أممية وإقليمية وذلك من خلال تحفيز دول منطقة المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا "ECOWAS" على نشر قوات عسكرية في مالي لمواجهة الجماعات المسلحة واحتواء الفوضى الأمنية في المنطقة ، في نفس السياق دفعت فرنسا بمجلس الأمن إلى إصدار القرار رقم 2056 الصادر في 5 جويلية 2012 حول الوضع في مالي ، فقد طلبت مالي رسميا من الأمم المتحدة للتدخل الأجنبي في الشمال بعد فقدانها السيطرة على هذا الإقليم ، ويظهر جليا التقارب بين باماكو ومنظمة "ECOWAS" ورغبة فرنسا الملحة في نشر قوات إفريقية قوامها 3300 جندي في شمال مالي بدعم مالي ولوجستي وتحت رقابة فرنسية.

فمالي اليوم يواجه أزمة حقيقية فهو يبدي رغبة في استعادة الأراضي التي تسيطر عليها الجماعات المسلحة في الشمال ، وهذا عن طريق نشر قوات أجنبية ، وفي نفس الوقت يريد مالي الحفاظ على العلاقات الجيدة مع الجزائر التي ترفض أي تواجد عسكري أجنبي على حدودها باعتبار الجزائر الدولة الإقليمية القادرة على التأثير بشكل رئيسي في الحرب على الإرهاب ، واسترجاع الأمن والاستقرار عن طريق اعتماد الحل السياسي في شمال مالي هذا الأخير أصبح يمثل عمقا استراتيجيا جديدا للجزائر و تمكنها من دور الريادة في شمال إفريقيا منطقة الساحل .

إلا أنه وفي نهاية المطاف تمكنت فرنسا من التدخل عسكريا في مالي بمساعدة قوات إفريقية ، وشئت هجومات على معازل تنظيم القاعدة ، وأعلن الرئيس الفرنسي بأنه تم القضاء على رؤوس تنظيم القاعدة ، وبالتالي تحجيم دور التنظيم في المنطقة ، بالرغم من ذلك يعتبر التنظيم هذا التراجع فرصة لاعادة ترتيب أمورهم وأختيار قيادة جديدة لتنظيم القاعدة من بين قادتها ممن تمسوا على القتال في أفغانستان(عبد الوهاب عمروش ، 2013).

وتبني فرنسا مقاربتها الأمنية في المنطقة وخاصة بعد التخل في شمال مالي إلى جملة من الأهداف الاستراتيجية المهمة منها:

ضمان استمرار النفوذ الفرنسي في منطقة الساحل الحيوية .
حماية مناطق نفوذها التقليدي في إفريقيا وتسييجها من مخاطر التنافس الأمريكي ، والصيني خاصة .
تسعى فرنسا من خلال تدخلها العسكري المباشر إلى وضع حد لنفوذ القاعدة في المنطقة وخصوصا في شمال مالي من خلال عملية سيرفال "Serval" ، وتهدف أيضا إلى الحد من قدرات القاعدة في التوسع والانتشار جغرافيا وبشريا ، وبناء قدرات عسكرية قتالية عالية إضافة لاسترجاع الأمن في مالي .
تحاول فرنسا من خلال هذه المقاربة أن تضع حدا لكل الأنشطة الإجرامية المهددة لمصالحها الحيوية ، والتنقل بالأموال والسيارات الرباعية الدفع في منطقة الساحل الإفريقي .
كما تهدف المقاربة الفرنسية إلى الضغط على الأوعية التنظيمية لحركات التمرد ، وتسعى كذلك - حسب لوران فاييوس - لإنهاء الاضطراب في البلاد في بعده الأمني والسياسي .

يمكن تفسير التدخل الفرنسي في شمال مالي بتواجد احتياطيات مهمة من النفط واليورانيوم والغاز والفوسفات ، وكل هذه الثروات تزيد من رغبة فرنسا في اهتمامها بشمال البلاد خصوصا إقليم ازواد الذي أصبح في قلب اهتماماتها الإستراتيجية ، وقد اسفرت التحريات التي تقوم بها شركة "طوطال" الفرنسية في حوض "تاودني" الموجود في موريتانيا والمتوغل شرقا نحو إقليم ازواد أثبتت وجود احتياطيات هامة من النفط. عيساوة آمنة وشيباني ايناس، 2013).

رابعا: على مستوى الأمم المتحدة (سمير قلاع الضروس ، 2016):

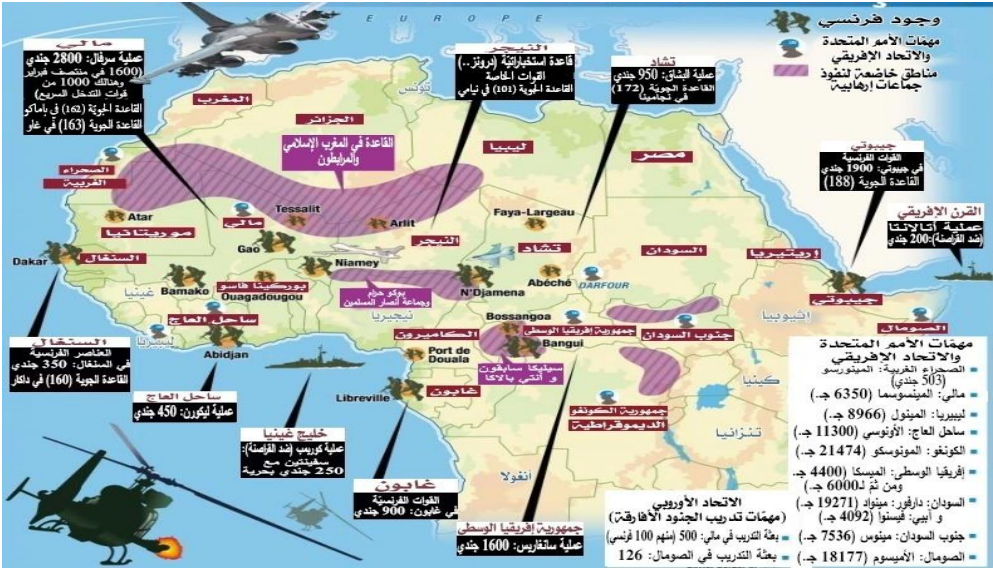
1- إستراتيجية الأمم المتحدة حول الأمن في منطقة الساحل: وفي أعقاب تدفق العائدين من ليبيا إلى المنطقة واستئناف النزاع المسلح في شمال مالي ، عقد مجلس الأمن سلسلة من الاجتماعات واتخذ القرارات (2056) (2071) (2085) لسنة 2012 كما أصدر بيانا رئاسيا في 10 ديسمبر من نفس السنة من أجل التصدي بفعالية للتحديات المترابطة التي تواجهها منطقة الساحل ، وفي أبريل 2012 ، عينت منسقا إقليميا للشؤون الإنسانية لإعداد وتنسيق الاستجابة الإنسانية في المنطقة ، وفي أكتوبر 2012 عينت "رومانو برودي" مبعوثا خاصا لمنطقة الساحل ليقوم بتوجيه جهود المنظمة الرامية إلى وضع وتنفيذ إستراتيجية متكاملة للمنطقة لمعالجة أسباب عدم الاستقرار الإقليمي ضمن منظور مستدام و طويل المدى كما حدده مجلس الأمن الدولي بثلاثة الأهداف الإستراتيجية:

- تعزيز الحكومة الفعالة والشاملة في جميع أنحاء المنطقة.

- تدعيم القدرات الوطنية و آليات الأمن الإقليمي لمعالجة التهديدات عبر الحدودية.

- الدمج المرن لعملية التنمية في التدخلات الإنسانية.

وبالتالي تم تصميم هاته الإستراتيجية لتوفير أساس متماسك لمشاركة الأمم المتحدة في منطقة الساحل ، كما أنها تتوخى مجموعة من الإجراءات المبتكرة بما في ذلك ، وتعزيز الأمن الإقليمي وتحليل القدرات الإقليمية لإدارة الحدود ، وتعزيز الحكم المحلي وقدرة الدولة على توزيع الموارد بصورة أكثر إنصافا ، (UNSC، 2013) وتوضح الخريطة التالية مهمات الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي في القارة السمراء ، وخاصة منطقة الساحل التي تعرف انفلاتا امنيا بالإضافة إلى المناطق التي تتواجد بها القووة الفرنسية في إطار اتفاقياتها مع الدول المعنية للتصدي للتنظيمات الإرهابية وكل أشكال تهديد الأمن الإنساني .



المصدر https://www.saspost.com/africa_and_domination

2- بعثة الأمم المتحدة لدعم في ليبيا (UNSMIL) United Nations Support Mission in Libya:
هي بعثة سياسية خاصة تأسست في عام 2011 م من قبل مجلس الأمن الدولي بموجب قرار 2009 في سبتمبر من نفس السنة ، لدعم السلطات الجديدة في البلاد في جهودها ما بعد مرحلة الصراع ، وفي 14 مارس 2013 ، تم تمديد ولاية البعثة لمدة 12 شهرا ، وتمثل مجالات تدخل مجلس الأمن الرئيسية في ما يلي:
هندسة وتنسيق القطاع الأمني :حيث دعمت البعثة بوضوح الحكومة الليبية في ضبط الأولويات الوطنية) قصيرة و بعيدة المدى) في إصلاح قطاع الأمن و تكريس العدالة الانتقالية وسيادة القانون .
نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج: بتعاون البعثة(UNSMIL) مع منظمة الصحة العالمية لتوفير برامج نفسية و تدريبية للمقاتلين الثوار ، الذين يعانون من اضطراب ما بعد صدمة الثورة .
أمن الحدود: إذ عملت البعثة بشكل وثيق مع الاتحاد الأوروبي لضمان توفير الدعم للتنسيق الدولي في مجالات أمن وإدارة الحدود في الوقت الحالي ، و جعلها أكثر تكاملا و تماسكا .
إدارة الأسلحة والذخائر: بتعاون نفس البعثة مع صندوق الأمم المتحدة للطفولة(UNICEF) في نشاطات تدريبية لإدارة الذخيرة ، والمساهمة في البحث والتخلص من الذخائر المتفجرة ، مع وزارتي الدفاع والداخلية .
(الحامدي عيدون 2015)

3- مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة- المكتب الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (UNODC ROMENA).

مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة United Nations Office on Drugs and Crime (UNODC) هو برنامج إقليمي للدول العربية للفترة الممتدة من سنة 2011 إلى 2015 ويغطي ثمانية عشر (18) بلدا بما فيهم دول المغرب العربي ومصر والسودان وهو جزء من البرنامج الإقليمي، الذي وضعه

المكتب لإقامة شراكة إستراتيجية مع جامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي واتحاد المغرب العربي ويركز البرنامج على:

-مكافحة الاتجار غير المشروع والجريمة المنظمة والإرهاب.

- تعزيز النزاهة وبناء العدالة.

-الوقاية من المخدرات والصحة.

وكجزء فرعي من مكافحة الاتجار غير المشروع والجريمة المنظمة والإرهاب ، يهدف المكتب لدعم تقييم دقيق لأنماط المخدرات والجريمة الإقليمية ، وتطوير قاعدة أدلة الاستجابات السياسات والبرامج ، كما يوجد أيضا أنشطة لبناء قدرات المناطق والبلدان لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية ، بما في ذلك مراقبة الحدود (UNODC، 2015)

4- فرقة عمل المنظمة الدولية للشرطة الجنائية " الإنتربول "المعنية بالإدارة المتكاملة للحدود: يتشكل الإنتربول من حوالي 189 بلدا ، وهي أكبر منظمة عالمية للشرطة ، ويتمثل دوره في تمكين أجهزة الشرطة في العالم أجمع من العمل معا لجعل العالم أكثر أمانا ، وتساعد البنية التحتية المتطورة للدعم الفني والميداني التي تملكها المنظمة على مواجهة التحديات المتنامية في مجال مكافحة الجريمة في القرن الحادي والعشرين ، إذ تساعد البلدان الأعضاء في تعزيز الإجراءات التي تتخذها لصون أمن حدودها وإشراك البلدان المجاورة في الجهود التي تبذلها في هذا المجال ، ينسق الإنتربول أنشطة ميدانية ، ويوفر فرص تدريب ، ويقدم الشراكات مع المنظمات الدولية لضمان سلامة جميع الحدود الوطنية وأمنها ، وقد جمعت هذه الجهود تحت راية فرقة عمل الإنتربول المعنية بالإدارة المتكاملة للحدود التي تؤدي دور جهة اتصال مركزية تُعنى بتنسيق جميع الأنشطة التي ينفذها الإنتربول لضمان أمن الحدود وإدارتها وتولي فرقة العمل هذه ما يلي:

-تخطيط وتنسيق السياسات العامة لإدارة أمن الحدود .

-تعزيز قدرات البلدان الأعضاء في إدارة أمن الحدود .

-إقامة الشراكات مع المنظمات الدولية والقطاع الخاص .

-تخصيص الموارد في الميدان للمبادرات المتعلقة بأمن الحدود (The United States National Central

Bureau Of Interpol، 2009)

ولفرق الإنتربول عدة مهام نذكر منها :

-في مجال تهريب المهاجرين.

-ملاحقة المطلوبين والفارين من العدالة .

-مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة.

5- مشروع الإنتربول والاتحاد الأوروبي لتعزيز أمن الحدود في ليبيا: اتفقت الحكومة الليبية مع الاتحاد الأوروبي وجهاز الإنتربول (الشرطة الدولية) ، على وضع آلية للمراقبة عبر المطارات في ليبيا لتعزيز مراقبة الحدود وللتدقيق الفوري في جوازات السفر ، وذلك في إطار الجهود الدولية المبذولة لتعزيز أمن الحدود في ليبيا ، والحد من انتقال العناصر الإرهابية في إطار مشروع "ريلينك" " RELINC " الذي أطلقه الإنتربول من أجل مساعدة إعادة بناء قدرات الأجهزة الأمنية الليبية في مجال التحقيقات وذلك بتمويل من الاتحاد الأوروبي

بغلاف مالي قدره 2,2 مليون يورو ،بالإضافة إلى إنشاء آلية اتصال عن بعد بقواعد بيانات الإنترنت عند المعابر الحدودية وتهدف هذه الإستراتيجية إلى :

-إجراء تقييم شامل للتهديدات التي تطرحها الجريمة المنظمة عبر الوطنية والإرهاب على ليبيا ، وذلك من أجل دعم الحكومة والشرطة الليبية في تحديد الأهداف الإستراتيجية لإنفاذ القانون .

-تطوير وحدة ميدانية مستدامة للتحليل الجنائي ضمن إدارة التحقيقات الجنائية التابعة للشرطة الليبية .
-تعزيز قدرات المكتب المركزي الوطني للإنترنت في طرابلس لضمان الاستخدام الأمثل لشبكة الإنترنت وأدوات العمل الشرطي .

-إعداد نموذج أولي لقاعدة بيانات الشرطة الجنائية ، تتيح للشرطة الليبية تخزين المعلومات الجنائية وتبادلها على نحو فعال .

-تدعيم الشرطة الليبية بأدوات وآليات التعاون الشرطة الدولية التي يقدمها الإنترنت وتدريبها عليها .

6- المؤتمر الإفريقي للإنترنت في الجزائر: عقد اجتماع الإنترنت الإقليمي الـ 22 في الجزائر العاصمة في 12-09-2013 بحضور حوالي 170 شخصية قانونية رفيعة المستوى من 44 بلد و10 منظمات دولية من أجل تناول مواضيع تخصص تعزيز الفعالية في الأجهزة الأمنية بالتنسيق مع الإنترنت خاصة في إفريقيا التي أصبحت بها أكبر بؤر للتوتر في العالم والتي أدت إلى نشوب حروب أهلية والخلافات الإثنية التي انعكست سلبا على أمنها واستقرارها و انتشار الفكر التكفيري فيها واستفحال الجريمة المنظمة كالاتجار بالبشر والمخدرات والأسلحة ووصولها إلى القرصنة البحرية والإرهاب وقد خلص المشاركون إلى التدابير اللازمة:

-تعزيز أمن الحدود لدعم جهود مكافحة الإرهاب في إفريقيا بفضل أدوات الإنترنت وخدماته الميدانية ، من خلال الاضطلاع بأنشطة بناء القدرات وتنفيذ العمليات على الحدود وتعزيز استخدام النشرات .

-تشجيع المكاتب المركزية الوطنية على تغذية منظومة الإنترنت لإدارة سجلات الأسلحة المحظورة واقتفاء أثرها بالبيانات عن الأسلحة النارية المعروف أنها مفقودة أو مسروقة أو متاجر بها أو مهربة .

-تعزيز مكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات العابرة الحدود الوطنية في المنطقة ، من خلال تشجيع المكاتب المركزية الوطنية على تبادل المعلومات عن تجار المخدرات المطلوبين والمشبوهين لمقارنتها بالبيانات المسجلة في قواعد بيانات الإنترنت بهدف إيجاد الروابط وتسهيل كشف الشبكات الإجرامية وتفكيكها(الحامدي عيدون 2015)

خلاصة: نتيجة الأوضاع الجديدة التي تمر بها المنطقة المغاربية في إطار ما سمي بثورات الربيع العربي ، فقد أفرزت مؤخرا مجموعة من التحديات ،ومن أبرزها الأزمة الليبية وما ترتب عليه من تدخل أجنبي زاد من تأجيج الحرب الأهلية وما حملته معها من عناصر التهديد والتوتر ليس على المنطقة المغاربية فقط بل على شمال إفريقيا بأسرها ، نتيجة الانفلات الأمني الخطير الذي زاد من انتشار الأسلحة ، واستفادت المنظمات الجماعات الإرهابية منها ، وهذا مادفع بالدول المغاربية من وضع تصورات لتبني مجموعة من الاستراتيجيات الوطنية وأخرى ثنائية ودولية في إطار محاربة ظاهرة الإرهاب وما يترتب عليه من زعزعة للأمن القومي المغاربي وحتى الإفريقي .

فقد تبنت الدول المغاربية مجموعة من الاستراتيجيات للحد من خطورة التهديدات الأمنية وقد لاقت قبولا داخليا وخارجيا من قبل القوى العظمى، كفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية التي بدورها فرضت على دول المنطقة المعنية بالخطط الأمنية سواء مغاربية وأفريقية من أجل احتواء الخطر القادم منها والذي قد يهدد المصالح الحيوية والإستراتيجية لها، لكن يبقى للترتيبات الأمنية المتخذة من قبل القوى العظمى تأثيرات سلبية على أمن الدول المغاربية والإفريقية، حيث يعود تنافس القوى الامبريالية على المنطقة ما يؤدي إلى انقسام الدول المعنية (مغاربية وأفريقية) بين الخطط الإستراتيجية الغربية، بالإضافة إلى تجاهل القوى الكبرى إلى الدور المنوط بيه لدول المنطقة اتجاه التهديدات الأمنية وذلك من خلال الترتيبات الأمنية المتبعة من قبل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، والتي تؤثر بالسلب على سير واستقرار الأنظمة المغاربية بسبب التدخل الأجنبي فيها سواء بطرق مباشرة (التدخل الفرنسي في ليبيا ومالي) أم بطرق غير مباشرة (من خلال وضع استراتيجيات وتنسيق أمني واستخباراتي الذي فرضته الدول الكبرى على دول المنطقة).

قائمة المراجع

- أغلبه علاني، "حوار حول التيار السلفي الموريتاني"، المجلة العربية للعلوم السياسية، الجمعية العربية للعلوم السياسية، العدد- 28، 2010.
- بوشنافة شمسة، "استراتيجية الاتحاد الأوروبي للأمن والتنمية في منطقة الساحل(استراتيجية من اجل الساحل):الرهانات و القيود"، مداخلة بهلتيق الدولي حول: "التحديات الأمنية للدول المغاربية في ضوء التطورات الراهنة" جامعة ورقلة 28 - 27 فيفري 2013.
- عبد العالي عبد العالي حور، "التحديات الجيوسياسية في منطقة الساحل والصحراء وانعكاساتها على الأمن القومي العربي"، (م ن)، (ب ت ن).
- كاظم هاشم نعمة، إفريقيا بعد 11 سبتمبر: إستراتيجيات الانخراط والتعاون، ط1، طرابلس، ليبيا، أكاديمية الدراسات العليا، 2008.
- سعيد ياسين، "اتحاد المغرب العربي في سياق التحولات الأمنية في المنطقة المغاربية"، المستقبل العربي، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 462، أوت 2017.
- كاظم هاشم نعمة، ، إفريقيا بعد 11 سبتمبر: إستراتيجيات الانخراط والتعاون، ط1، طرابلس، ليبيا، أكاديمية الدراسات العليا، 2008.
- الحامدي عيدون، امن الحدود وتداعياته الجيوسياسية على الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص:الدراسات السياسية المقارنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف مسيلة- الجزائر، 2015.
- اوشريف يسرى، تداعيات الأزمة في ليبيا على الأمن في الجزائر، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص: دراسات مغاربية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016.
- تقرير الأمين العام عن الحالة في منطقة الساحل، الأمم المتحدة، مجلس الأمن، 14-06-2013، 2013-06-14.
- جميلة علاق، "استراتيجية التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء" مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 19، جامعة سطيف، ديسمبر 2014 .
- حنان لبدى، التحولات الدولية الراهنة وتأثيرها على الإستراتيجيات الأمنية الأوروبية في منطقة الساحل الإفريقي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص علاقات دولية وإستراتيجية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015.
- خيرى عبد الرزاق جاسم، " قيادة عسكرية أمريكية جديدة لافريقيا فرصة أمريكية و منحة افريقية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 21، 2009.
- عبد النور بن عنتر، "الأمن في منطقة الساحل وتعدد المبادرات"، المجلة الالكترونية العربي الجديد، 20-01-2015، شوهذ يوم 28-02-2017 من الموقع الالكتروني: <https://www.alaraby.co.uk/opinion>

عيساوة آمنة وشيباني ايناس ، "انعكاسات التدخل الفرنسي في شمال مالي على الدور الإقليمي الجزائري" ، ورقة مقدمة في الملتقى الدولي الأول في : المقاربة الأمنية الجزائرية في الساحل الإفريقي ، 24-25 نوفمبر 2013 ، جامعة 08 ماي 1945 قالمة -الجزائر- 2013.

فرحاتي عمر ، " أثر التهديدات الأمنية الجديدة في الساحل على الأمن في المغرب العربي " مداخلة بالملتقى الدولي حول "التهديدات الأمنية للدول المغاربية في ضوء التطورات الراهنة: الرهانات والتحديات" ، جامعة ورقلة 28 - 27 فيفري 2013 .
قوي بوحنه ، إستراتيجية الجزائر تجاه التطورات الأمنية في الساحل الإفريقي ، مركز الجزيرة للدراسات ، 2012 .
كمال الزيات ، " قائد أفريقي يؤكد أن واشنطن ترفض التواجد عسكريا في مالي " ، القدس العربي ، 30 سبتمبر 2012
مجموعة خبراء ، الشراكة الإستراتيجية بين الاتحاد الأوروبي وإفريقيا: مواجهة التحديات الحالية والمستقبلية معا ، بروكسل ، الأمانة العامة للمجلس ، ماي 2011.

مهاد صليحة ، "مقاربات بناء الأمن والسلم في منطقة الساحل الإفريقي مع التركيز على المقاربة الأمنية الجزائرية" ، في المشكلات السياسية في القارة الإفريقية ، تحرير بومدين طاشمة ، الإسكندرية ، مكتبة الوفاء القانونية ، الطبعة الأولى ، 2015 .
منطقة الساحل في إطار التوازنات والصراعات الدولية: التنافس الفرنسي الأمريكي نموذجا ، 20-08-2015 ، من الموقع الإلكتروني:
<https://tsaidali.wordpress.com>

نور الدين دخان و عبدون حامدي ، " مسار تأمين الحدود الجزائرية: بين الإدارة الأحادية والصيغ التعاونية الإقليمية "مجلة دفاتر سياسية وقانونية ، العدد 14 ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة -الجزائر- 2016.

ح إسماعيل ، "إفريقيا تسعى لحل مشاكلها" ، مجلة الجيش ، عدد155 ، الجزائر ، أكتوبر 2009 .
سمير قلاع الضروس ، "التصورات الدولية للأمن في منطقة الساحل الإفريقي: قراءة مقارنة بين التصورين الأمريكي والفرنسي" مجلة قراءات افريقية ، 11-04-2016 من الموقع الإلكتروني: <http://www.qiraatafrican.com>
عبد الوهاب عمروش ، "الأمن في منطقة المغرب العربي والساحل" ، المجلة الجزائرية للسياسات العامة ، العدد الثاني: أكتوبر 2013 ، جامعة الجزائر 3 ، 2013 .

كريج وايتلوك ، ترجمة أحمد عباس ، "البنتاجون واللعب بالنار في أفريقيا" ، 15-03-2013 ، من الموقع الإلكتروني:
http://ar.qawim.net/index.php?option=com_content&task=view&id=8364

افتتاح الندوة الإقليمية الإفريقية الـ 22 للأنتربول بوهران-الجزائر:- " المؤتمر الأفريقي للأنتربول في الجزائر يوحد أجهزة إنفاذ القانون الإقليمية لمواجهة الجريمة عبر الوطنية" ، من الموقع الإلكتروني: <http://www.dgsn.dz>
عمورة أعمار ، التهديدات اللاتماثلية من منطقة الساحل الإفريقي: مقارنة جيوامنية ، رسالة ماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2011 ، ص 106.

Antonion Tisseron, Après la chute de Kadhafi la bande sahelienne entre jeux de puissance et logique de nuisance, Paris : institut thomas more, 30 septembre 2014
www.institut-thomas-more.org.p.3

UNODC ,Regional Programme on Drug Control, Crime Prevention and Criminal Justice Reform in the Arab States – 2011-2015, Vienna: United Nations Office on Drugs and Crime,2015.

The United States National Central Bureau Of Interpol, " U.S. Department of Justice Office of the Inspector General Audit Division Audit Report " , September 2009.

UNSC. Report of the Secretary-General on the situation in the Sahel Region , S /354/2013, Security Council , United Nations ,USA , 14-06-2013.

International crisis group , "Mali pour une action internationale résolue et concertée" . Policy Briefing Afrique , N90 ,Dakar , 24septembre , 2012 p.7.

Stephen Ellis , "BRIEFING: THE PAN-SAHEL INITIATIVE" , African affairs, vol. 103. N 412, Royal African Society, 2004, p. 459.

Lesley Anne Warner, The Trans Sahara Counter Terrorism Partnership "Building Partner Capacity to Counter Terrorism and Violent Extremism" , Center for Stability and Development CNA Corporation , CRM-2014-U-007203-Final, p. 11.

أهم الأخطاء الشائعة في إختيار العينة في البحوث النفسية والتربوية وصعوباتها

د.خرموش منى ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2-الجزائر

د.شحي سلمي ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2-الجزائر

د.جغوب دلال ، جامعة أم البواقي-الجزائر

مقدمة:

لا يمكن في الكثير من الأحيان أن يقوم الباحث بإنجاز دراسته على جميع مفردات البحث وقد يكون ذلك بسبب أن أفراد مجتمع الدراسة يمثلون أرقاما كبيرة ، ولأن إمكانيات وقدرات الباحث خاصة في مرحلة ليسانس محدودة ، فإنه من المهم جدا اللجوء إلى عينة تمثل هذا المجتمع لدراستها وفق شروط منهجية ليتم إختيارها ، وهو ما سنحاول أن نتعرف عليه في هذا المقام

إن مجتمع البحث يعني جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث ، فمجتمع البحث هو جميع الأفراد أو الأشخاص أو الأشياء الذين يكونون موضوع مشكلة البحث(ذوقان عبيدات وآخرون ، 1984 ، ص109) ، فلو إفترضنا أن باحثا أراد أن يدرس الطلبة الجامعيين في الجزائر فإن جميع الطلبة في مختلف مؤسسات التعليم العالي هم مجتمع الدراسة ، ولأن عدد الطلبة يمثل حجما كبير ، فإنه من الصعوبة إجراء الدراسة عليهم جميعا ، لذا يلجأ الباحثون إلى أخذ جزء من هذا المجتمع ، وهو ما يطلق عليه العينة.

وتعتبر المعاينة من بين أهم الخطوات الأساسية في البحث العلمي فمن الصعب جدا في معظم الدراسات أن يقوم الباحث بدراسة على جميع أفراد المجتمع الأصلي وفي نفس الوقت تكون غاية البحث الأساسية هي التعميم على المجتمع كله ، وعليه فإن على الباحث إشتقاق عدد من الأفراد لهم خصائص تتفق مع خصائص جميع أفراد المجتمع وهذا العدد الذي يستخدمه الباحث يستخدم في تقدير درجات المجتمع في الظاهرة موضع الدراسة ، ومعظم الدراسات والبحوث التربوية تعتمد على العينات لتتوصل إلى إستنتاجات صحيحة عن المجتمعات الأصلية التي أشتقت منها(محمود عبد الحليم منسي ، 2003 ، ص72) ، وهو ما يعد من بين المبررات للأخذ بالمعاينة في سبيل تحقيق أهداف الدراسة.

وتعرف العينة بأنها "جزء من المجتمع الذي تجري عليه الدراسة ، ويتم إختيارها وفق قواعد خاصة لكي تمثل المجتمع تمثيلا صحيحا ، فالعينة هي بعض مفردات المجتمع تؤخذ منه وتطبق عليها الدراسة للحصول على معلومات صادقة بهدف الوصول إلى تقديرات تمثل المجتمع الذي سحبت منه وإنها الأجزاء التي تستخدم في الحد على الكل(علي معمر عبد المؤمن ، 2008 ، ص184).

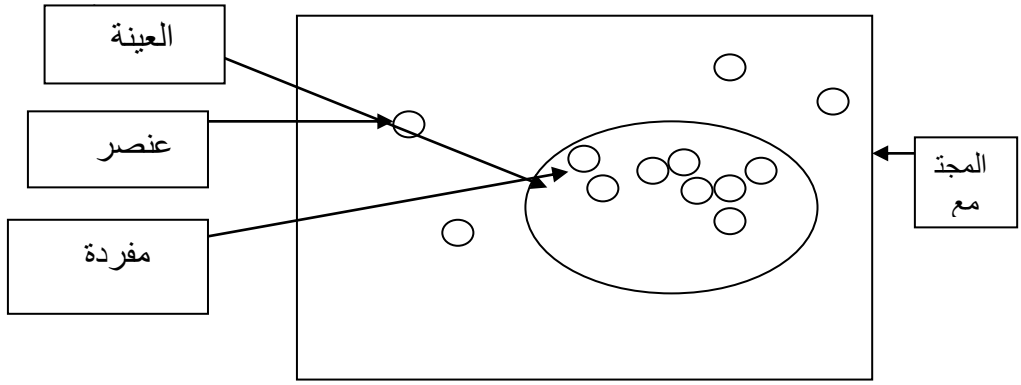
إذن فالعينة تمثل جزء من مجتمع الدراسة الأصلي ، أي أننا لكي نحصل عليها نأخذ مجموعة من أفراد مجتمع الدراسة كأفراد لنجري عليهم الدراسة ، وتكون هذه العينة ممثلة إلى حد ما مجتمع الدراسة بما يحقق نوعا من الدقة والموضوعية في النتائج المتوصل إليها بخصوص الدراسة ، لذا فهناك عدة شروط يجب مراعاتها في إختيار العينة والتي تتمثل أهمها فيما يأتي(نبيهة صالح السامرائي ، 2014 ، ص117):

أن تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصلي أي أن أفرادها يتصفون بنفس الصفات الموجودة في مجتمع الدراسة.

إتاحة الفرصة المتكافئة لكل أفراد المجتمع الأصلي بحيث يمكن (لكل فرد) أن يقع عليه الاختيار فيصبح ضمن العينة (أي دون تحيز أو تعصب أو تدخل من قبل الباحث).

مجتمع الدراسة: يشمل جميع عناصر ومفردات المشكلة أو الظاهرة قيد الدراسة، فمجتمع الدراسة لمشكلة ضعف طلبة المرحلة الثانوية في دولة ما في مادة الرياضيات يشمل جميع طلبة المرحلة الثانوية في تلك الدولة، ويتكون مجتمع الدراسة عادة من عناصر ومفردات (ربحي مصطفى عليان وآخرون، 2000، ص: 137) **المفردة:** هي أحد المشاهدات أو عناصر المجتمع والتي تم اختيارها ضمن العينة.

العنصر: هو أحد مشاهدات مجتمع الدراسة الأصلي.



داخل المجتمع تسمى عنصر، داخل العينة تسمى مفردة، إذن كل مفردة هي عنصر، وليس بالضرورة أن يكون كل عنصر مفردة. (محمد عبد الفتاح الصيرفي، 2005، ص: ص- ص- 185-186)

العينة: هي إذن جزء من المجتمع الأصلي يحتوي على بعض العناصر التي يتم اختيارها بطريقة معينة وذلك بقصد دراسة خصائص المجتمع الأصلي

المعاينة: هي عملية اختيار عدد كاف من عناصر المجتمع بحيث يتمكن الباحث من خلال دراسة العينة وفهم خصائصها وتعميم هذه الخصائص على جميع عناصر المجتمع

إذا: المعاينة = الاختيار.

أسباب اللجوء للعينة: يلجأ الباحث لاستخدام أسلوب العينة بدلا من المسح الشامل لجميع أفراد المجتمع الأصلي للدراسة لعدة أسباب واعتبارات أساسية هي (ربحي مصطفى عليان، 2001، ص: 160):

كلفة أقل: إن اقتصار جمع البيانات عن عدد محدد من عناصر الدراسة بدلا من جميع أفراد وعناصر المجتمع يعمل على تقليل الكلفة المادية للبحث.

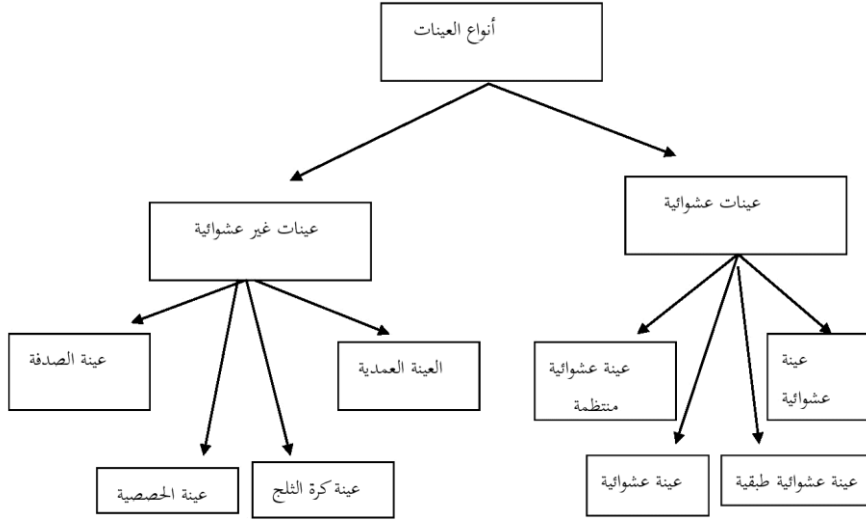
إختصار الوقت والجهد.

سرعة الوصول إلى النتائج وبما يحقق أهداف الدراسة.

دقة كبيرة في النتائج خصوصا في حالة التجانس النسبي بين أفراد مجتمع الدراسة.

كما ذكرنا سابقا أنه من الصعوبة إجراء الدراسة على جميع أفراد مجتمع الدراسة ، ذلك أن ذلك الأمر يحتاج إلى الوقت والجهد ، إضافة إلى كلفة مادية ومعنوية كبيرة تقع على عاتق الباحث ، مما يضطر الباحث لأخذ جزء فقط من مجتمع الدراسة ، في محاولة للوصول إلى نتائج ذات دقة تحقق أهداف الدراسة.

أنواع العينات: تنقسم العينات إلى نوعين عينة احتمالية (عشوائية) وغير احتمالية (غير عشوائية) وسنشير لهذين النوعين الذي تنزوي تحتها الكثير من أنواع العينات أين نركز على أهم الأنواع المتعارف عليها من الناحية المنهجية.



شكل رقم(6) يوضح أنواع العينات.

العينات الاحتمالية (العشوائية): يكون كل عنصر من عناصر المجتمع له فرصة معلومة لأن يكون أحد أعضاء العينة ، فتتم المعاينة الاحتمالية بالقوانين الرياضية التي لا تترك مجال لتدخل الشخص الباحث ، ولا تتمتع عناصر مجتمع الدراسة بنفس الفرصة الاحتمالية لأن تكون أحد أفراد المجتمع إلا في حالة خاصة من المعاينة (علي سليم العلوانة ، 1996 ، ص 51).

العينة العشوائية البسيطة: تعني العينة العشوائية إختيار عدد معين من وحدات التحليل (المفردات) بشرط تكافئ فرص الإختيار بين الوحدات الأصلية أي أن هذه الطريقة تعطي كل مفردة من مفردات المجموعة نفس الفرصة للظهور ، ويستعمل في إختيار هذه العينة عدة طرق يمكن حصرها فيما يأتي:

تكتب جميع أسماء المفردات (وحدات التحليل) على بطاقات متساوية في الحجم والشكل وتخلط معا جيدا ثم يأخذ عدد أفراد العينة المطلوبة.

تسعتكل هفي هذه الطريقة جداول خاصة أو قائمة بالأرقام العشوائية وهذه الجداول أو القوائم رتبت الأرقام بطريقة غير متحيزة بحيث تعطى الأرقام جميعها فرصة واحدة للظهور ، وهنا يتعين على الباحث الحصول على العينة بمعرفة الأرقام التي سحب إختيارها(محمد الغريب عبد الكريم ، دس ، ص 165-166).

العينة العشوائية المنتظمة: وفيه تختار العينة عن طريق إختيار المفردات من مسافات متساوية على القائمة بعد إعداد المجتمع الأصلي ونبدأ بإختيار رقم من 1- 10 بطريقة عشوائية ولنفرض أنه رقم 4 فيكون الإسم في الترتيب الرابع هو الفرد الأول في العينة ثم نضيف بعد ذلك 5 أو 10 حسب العينة المطلوبة، حتى نحصل على الرقم الثاني ونسير بنفس التسلسل إلى نهاية الأرقام، وللتمثيل على ذلك نتصور مجتمعنا من 500 فرد نريد أخذ عينة منه عددها 100 فإذا بدأنا بالرقم 4 يليه 9-13 وقد يكون إختيار العينة المنتظمة حسب المكان فنختار الأماكن التي تبعد ميلا واحد عن بعضها مع إختيار أول مكان عشوائيا، وأن من أهم مميزات العينة المنتظمة هو بساطتها وسهولة إجرائها وقلة الأخطاء الناتجة عن الإختيار(عبد الله محمد الشريف، 1996، ص114).

العينة الطبقيّة: عندما يكون مجتمع البحث موزعا توزيعا جغرافيا متنوعا أو ينتهي أفرادها إلى طبقات إجتماعية مختلفة أو إلى مستويات تعليمية متفاوتة، لا بد من نأخذ بعين الإعتبار هذه الخصائص لنضمن حضورها في العينة بنسب حقيقة حتى تكون ممثلة، كنسبة الفتيات بالمقارنة مع الذكور، والنسبة الحقيقية للإنتهاء الطبقي وغيرها من الموصفات، ويمكن أن نتوخى الدقة في تحديد هذه الخصائص والصفات بحساب ما تمثله إحصائيا في المجتمع، وبعد لك نتقي عينة مطابقة إحصائيا لتلك الخصائص، فلاختيار عينة طبقية، ينبغي تقسيم المجتمع الإحصائي إلى طبقات حسب متغير من المتغيرات المدروسة، ثم يستخرج من كل طبقة عينة عشوائية، ثم تدمج العينات الجزئية في عينة واحدة(محمد بوعلاق، 2009، ص19).

وفيما يلي جدول يلخص العينات العشوائية: (محمد عبد الفتاح الصيرفي، 2001، ص: 103-104)

عينة عشوائية بسيطة	العينة الطبقيّة	العينة المنتظمة	العينة العنقودية
تستخدم في حالة كون المجتمع صغيرا وحجم العينة المسحوبة كبيرا نسبيا، ويشترط أن تكون جميع عناصر المجتمع متجانسة في منطقة جغرافية واحدة.	تستخدم في حالة ما إذا كانت عناصر المجتمع غير متجانسة.	تستخدم في حالة المجتمعات كبيرة الحجم غير أنه يشترط تجانس عناصر المجتمع وعدم اتصالها بصفة الانتظام أو الدورية.	وتستخدم في حالة ما إذا كانت مفردات العينة على هيئة مجموعات موزعة على مناطق جغرافية متباعدة.

العينات الغير احتمالية (غير عشوائية): وفيها يتم إختيار عينة الدراسة بشكل عشوائي وبحيث يتم مقدما إستثناء بعض عناصر الدراسة من الظهور في العينة لأسباب معينة منها عدم توافر المعلومات المطلوبة للدراسة لدى تلك العناصر، أو لإستحالة الوصول لتلك العناصر، أو لإرتفاع تكلفة الحصول على المعلومات المطلوبة فيها إذا تم إختيار العينة بشكل عشوائي بالإضافة إلى كبر حجم المفردات مجتمع الدراسة وبخاصة فيما يتعلق بالدراسات المرتبطة بالأنماط السلوكية والشرائية للمستهلكين أو الأسر(محمد عبيدات، محمد أبو نصار، عقلة مبيضين، 1999، ص 87).

العينة العمدية: يتم الإختيار في هذه العينة من الوسط من نوعيات معينة أي أن هناك تحيزا في الإختيار، يختار الباحث هذه العينة لكونه يعرف أنها تمثل المجتمع تمثيلا سليما بناء على معلومات إحصائية سابقة، وتشارك العينة العمدية مع العينة الطبقيّة والحصصية في أن كلا منهم يتشابه في تمثيل المجتمع بحسب

المجتمع وفي أن كلا منهم يختلف بكونه ينطوي على تحيزه ومن الملاحظ أنه يجب عند اختبار عينة ضابطة إلى جانب العينة التجريبية أن يتم اختيارها على أسس واحدة فتكون من النوع نفسه وأن يتم التمثيل بنسبة واحدة فيهما حتى تضمن ثبات متغيرين من المتغيرات (مروان عبد المجيد إبراهيم ، 2000 ، ص163) ، ومن عيوب العينة العمدية أن من طبيعة الظواهر التطور والتغير وبالتالي لا تقيد خبرة الباحث إذا لم يضع في اعتباره طبيعة وديومومة التغير ، كما قد تتأثر خبرة الباحث بتحيزه إذا كانت هناك مصلحة شخصية أو علاقات قارية تربطه بأفراد العينة العمدية ، وقد يكون الإختيار العمدي للخبير مؤسسا على معطيات ليس لها علاقة بالحاضر ، وبالتالي لا تقيد في دراسة الوضع الحاضر المتغير(عقيل حسين عقيل ، 1999 ، ص246).

العينة العنقودية: وفيها يلجأ الباحث إلى تحديد العينة أو إختيارها ضمن مراحل عدة ، ففي المرحلة الأولى يتم تقسيم مجتمع الدراسة الأصلي إلى شرائح أو فئات بحسب معيار معين ومن ثم يتم إختيار شريحة أو أكثر بطريقة عشوائية ، وبالنسبة للشرائح التي لم تقل ضمن الإختيار في هذه المرحلة فإنه يتم إستبعادها من العينة نهائيا ، في المرحلة الثانية يتم تقسيم الشرائح التي وقع عليها الإختيار في المرحلة السابقة إلى شرائح أو فئات جزئية أخرى ثم يتم الوصول إلى الشريحة النهائية التي يقوم بالإختيار منها وبشكل عشوائي عدد مفردات العينة المطلوبة(محمد عميدات وآخرون ، 1999 ، ص93).

العينة العرضية أو عينة الصدفة: كثيرا ما يدخل الحظ أو الصدفة في حياة الأفراد ، وقد تتوارأهما الباحث عينة مناسبة بالصدفة أو تعترضه فكرة توجهه لهذه الطريقة ودون أن يكون له دخل في إعدادها أو تنظيمها ، فإذا كان الباحث يقيم في قرب مجمع صحي مثلا وكان السعي إلى إختيار عينة من العاملين في المراكز الصحية فيمكنه أن يستفيد من هذه الفرصة التي سنحت له عرضا أو بالصدفة ويجري بحثه ، ومن فوائد العينية العرضية أنها تمكنه من تكوين فكرة أولية عن موضوعه وكيفية حصوله على البيانات مما يسهل عليه صياغة فرضيات لاحقة وتمكنه من متابعة البحث بتعمق ودقة ، من خلال تعايشه أو إندماجه في علاقات إجتماعية تسهل له الحصول على معلومات تقدم له بشكل واسع ، غير أن الباحث لا يمكنه إستنباط أحكام أو تعميمها لأن العينة العرضية هي عينة منجزة غير إحصائية لا تتعدى إطارها الضيق(نبهية صالح السامرائي ، 2014 ، ص126).

العينة الحصصية: يختارها الباحث بسرعة وسهولة ، حيث يقوم الباحث بتقسيم مجتمع الدراسة الأصلي إلى فئات ، ثم يختار عددا من أفراد كل فئة ، فإذا أراد الباحث أن يدرس اتجاهات المجتمع نحو المخدرات فإنه يعتمد إلى تقسيم المجتمع إلى فئات متعلمين ، طلاب ، موظفين ، معلمين ، أطباء ، مهندسين ، غير متعلمين ، تجار ، حرفيين ، عمال ، أطفال ، شباب ، مسنين ، على أن يختار من كل فئة عددا مناسباً ، والفاقر بين هذه الطريقة وطريقة العينة العشوائية الطبقة أنه في العينة الحصصية يختار العينة كما يريد دون الإلتزام بشروط ، فيختار الطلاب أو المعلمين ، في حين لا يختار الباحث عينة كما يريد في العينة الطبقة(سيف الإسلام سعد عمر ، 2009 ، ص114-115).

عينة كرة الثلج: وهي مفيدة في حالة الأفراد الذين يصعب الإتصال بهم ، أين تنمو العينة من خلال شبكة من المشاركين(Pongrác ACS, 2015, p57) ، وهي تصلح دائما حينما لا نعرف أفراد العينة فمثلا لو أردنا تناول

دراسة ظاهرة تعاطي المخدرات عند الطالبات فعلينا أولاً نبحث عن طالبة تعاطي المخدرات وهي التي ترشدنا لزميلاتها اللواتي يتعاطين المخدرات وهكذا نبدأ في تشكل العينة ككرة الثلج التي تبدأ تكبر تدريجياً. العوامل التي تتحكم في اختيار حجم العينة: إن عملية اختيار حجم العينة تخضع للعديد من العوامل التي تتحكم في ذلك، ويرتبط ذلك ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الموضوع والأهداف المسطرة للدراسة، وسنوضح أهم العوامل التي تتحكم في اختيار حجم العينة والتي تتمثل في (محمد خليل عباس وآخرون، 2007، ص 232-233):

تجانس أو تباين المجتمع: إذا كان المجتمع متجانساً في خصائصه فإننا نحتاج إلى عدد قليل من الأفراد لتمثيل المجتمع، لأن جميع أفراد المجتمع لهم نفس الخصائص، أما إذا كان المجتمع متبايناً في خصائصه فإننا نحتاج إلى عدد أكبر حتى نستطيع تمثيل المجتمع بجميع خصائصه ومستوياته.

أسلوب البحث: لكل أسلوب من أساليب البحث عدد يمثل الحد الأدنى المقبول في مثل هذا النوع من البحث، فالبحث التجريبي يتطلب على الأقل 30 فرداً للمجموعة الواحدة، فيما يتطلب البحث الإرباطي ما بين 40-50 فرداً، أما البحث الوصفي فيتطلب على الأقل 100 فرد.

الدقة المطلوبة في البحث: إذا قام باحث بدراسة تهدف للتعرف إلى آراء أو أفكار عامة فإن حجم العينة يمكن أن يكون قليلاً، أما إذا كان البحث يتطلب دقة عالية لأغراض يتوقف عليها قرارات ضرورية وهامة، فإن حجم العينة يجب أن يكون أكبر بحيث يتوافق مع هدف البحث.

المتغيرات الغير مضبوطة (الدخيلة): إذا اشتمل البحث على متغيرات غير مضبوطة (دخيلة) فإن اختيار عينة كبيرة قد يعمل على التقليل من أثر تلك المتغيرات في نتائج البحث.

إعادة تقسيم المجموعة: قد يضطر الباحث أحياناً إلى إعادة تقسيم المجموعة الكلية إلى مجموعات جزئية حسب المتغيرات ومستوياتها.

خطوات تصميم العينة:

إن عملية تصميم عينة الدراسة يجعل الباحث يخضع للعديد من الخطوات الأساسية، والتي تتمثل في ما يلي (فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة، 2002، ص 187-190):

تحديد الهدف من البحث: فلا بد من تعريف الدراسة المطلوبة وما الهدف منها حتى يمكن أن نبحت عن التصميمات التي يمكن إستخدامها وحتى يستطيع الباحث أن يحدد نوع العينة وحجمها لإمكان حل مشكلة البحث.

تحديد المجتمع الأصلي الذي تختار منه العينة: إن تحديد المجتمع عملية أساسية، فينبغي على الباحث أن يحدد المجتمع الأصلي تحديداً دقيقاً وأن تقتصر دلالة نتائج البحث على المجتمع الذي أختيرت منه عينة البحث وتحديده يقتضي معرفة العناصر الداخلة فيه.

تحديد دراسة للبيانات الهراء جمعها: لا بد من دراسة كل المراجع الممكنة وذلك لمعرفة البيانات والمعلومات المطلوبة والوقوف على ما جمع منها فعلاً في دراسات سابقة ففي ذلك ما يوفر بعض الخطوات المطلوبة، وتتوقف البيانات المطلوبة على الغرض من البحث، ولمعرفة البيانات المطلوب جمعها لا بد أن

نرجع إلى الهدف من الدراسة ولا بد من التحقق من أن كل البيانات التي تجمعها هي بيانات جوهرية وضرورية للغرض ثم الإنتهاء إلى رأي في طريقة جمع البيانات وطريقة قياسها وأنسب الأوقات لإجراء القياس على العينة. **تكوين الإطار الذي يحدد المجتمع الأصلي:** على الباحث أن يعد قائمة تشكل وحدات المجتمع، وعلى الباحث أن يراعي الدقة في إعداد القوائم حيث أنه عمل أساسي في كل عملية إنتقاء إذا أريد أن تكون العينة ممثلة بالنسبة لهذا الإطار.

إنتقاء عينة مماثلة: إن إنتقاء عينة ممثلة خطوة تأتي بعد تحديد المجتمع الأصلي ووضع الإطار الذي تؤخذ منه العينة.

الحصول على عينة مناسبة: إن حجم العينة البحث يجب أن تكون مناسبة حتى يمكن القول أنها تمثل خصائص المجتمع الأصلي.

أخطاء اختيار العينات البحثية:

يمتلئ طريق تشكيل العينات بالعثرات فقد يذهب الباحث لأماكن خطأ أو أماكن غير كافية يلتبس منها إطار العينة ولا يصل في أحيان كثيرة لإطارات سليمة دقيقة مواكبة للتغيرات التي تطرأ على المجتمع الأصلي، وحتى إذا وصل لإطار سليم فكيف يحدد الحجم الأمثل للعينة أو يضمن أن العينة ممثلة بالفعل لمجتمعها الأصلي؟ ثم هل سيتيسر للباحث الوصول لكل الأفراد والتواصل معهم طوال الدراسة؟ وفوق هذا وذلك هناك أخطاء ترتبص بالباحث تجعل النتائج التي يحصل عليها من العينة لا تماثل تلك التي يمكن أن يحصل عليها إذا ما أجرى الدراسة على كل أفراد المجتمع الأصلي:

الخطأ العشوائي (خطأ المعاينة أو خطأ الصدفة): Random Error

يرجع هذا الخطأ إلى طبيعة الاختيار العشوائي لأفراد العينة فنجد اختلاف نتائج العينة عن نتائج المجتمع الأصلي (كمال عبد الحميد زيتون، 2004، ص: 145)، وبالطبع لا يمكن الحصول على عينة تتطابق تركيبها مع تركيبة المجتمع تماما، فقد يكون بالعينة على سبيل المثال نسبة من الذكور أقل من نسبة توأجدهم في المجتمع، أو متوسط ذكاء أعلى من متوسط الذكاء بالمجتمع، وهكذا وإذا اختيرت عينة كبيرة الحجم بعناية فإن هناك احتمالا كبيرا في تمثيل العينة للمجتمع، وقد يحدث بالصدفة أن تختلف العينة اختلافا واضحا عن المجتمع في بعض المتغيرات الرئيسية، ولكن لا يؤثر هذا الاختلاف على نتائج الدراسة ويمكن التغلب على هذا الأمر باستخدام المعاينة الطبقيّة العشوائية حيث أن احتمال تمثيل المجتمع فيها أكبر من احتمال تمثيله باستخدام أساليب المعاينة الأخرى. (رجاء محمود أبو علام، 2006، ص: 174)، ويمكن معالجة هذا الخطأ بزيادة حجم العينة، كون أن هذا النوع من الخطأ يزداد بزيادة تباين مفردات المجتمع وبالتالي يقل بزيادة حجم العينة حيث نضمن بذلك أن العينة تحتوي على خصائص المجتمع الأصلي.

خطأ التحيز: Bias Error

يعد هذا الخطأ أخطر بكثير من السابق، لأنه لا يمكن حصره أو وضع حدود له، ويمكن تعريف هذا الخطأ بأنه خطأ يرجع للباحث وفيه يحدث ميل لتفضيل وحدات ذات خصائص معينة دون غيرها لتنضم للعينة (كمال عبد الحميد زيتون، 2004، ص: 145)، ويؤدي التحيز إلى عدم تمثيل خصائص المجتمع الأساسية في العينة، وعندما يوجد بالعينة متغير له أثره ولكنه ليس من خصائص المجتمع، فإن التحيز ممكن أن يحدث،

مثال ذلك إذا كان مجتمع طلبة المرحلة الثانوية يتكون من 50% من الذكور و50% من الإناث وحصلنا على عينة نسبة الإناث فيها 80% ونسبة الذكور 20% فقد يترتب على ذلك نتائج متحيزة، لأن العينة غير ممثلة للمجتمع تمثيلاً دقيقاً، وبذلك يصبح نوع الفرد في العينة متغيراً مؤثراً (رجاء محمود أبو علام، 2006، ص: 184)، وكثيراً ما تحدث المعاينة المتحيزة نتيجة:

عدم كفاءة الباحث في التقديرات.

غموض كشاف الأسئلة: مما يشكل جواً سديماً أمام المفحوصين، فإذا سئل الفرد سؤالاً مثل: كم دخلك؟ سيخطئ إجابات مغايرة للواقع خاصة إذا شعر أن مصلحة حكومية كالضرائب مثلاً هي التي توجه السؤال، لذا ينصح هنا بتحديد الأسئلة بشكل لا يسمح بتأويل الأمور لغير معناها الحقيقي، وبدلاً من السؤال السابق يستطيع الباحث طرح الأسئلة التالية بشكل متسلسل ليحصل على معلومات دقيقة:

أين تعمل؟ كم راتبك الحالي؟ هل لديك مصدر دخل آخر؟

قد يعطي المستجيب معلومات غير صحيحة: لعدة أسباب منها الاجتماعي ومنها الاقتصادي وشخصي، فكثير من الناس لا يصدقون حينها يسألون عن أعمارهم ويميلون إما لزيادة أو إنقاص أعمارهم الحقيقية ويعرف هذا الأثر بأثر المستجيب.

عدم جمع البيانات من بعض الأفراد: أو جمع بيانات عن بعض الأفراد أكثر من مرة، وقد تكون هذه حيلة الباحث لمواجهة مشكلة عدم إمكانية الوصول لبعض المفردات فيتجاهلهم أو يستعيب عنهم الآخرين، فمثلاً لا يستطيع الحصول على بيانات عن بعض الأسر، لتفجيرها خارج المسكن، فيستعيب عنها بأسر أخرى مما يضر بتمثيل العينة لمجتمعها الأصلي كالأُسرة الصغيرة أو أسر الزوجات العاملات.

عدم وجود إطار سليم عند اشتقاق العينة: قد يكون الإطار قديماً لم يستجيب للتغيرات التي طرأت على المجتمع الأصلي أو يكون غير شامل لكل الأفراد، أو تكرارية به أسماء بعض المفردات أكثر من مرة، حيث تصبح هنا فرصتهم في الانضمام للعينة أكبر من غيرهم، يستعين بعض الباحثين بدليل الهاتف أو سجلات المرور، لاشتقاق العينة منها وهم لا يعلمون أنهم بذلك يتحيزون لطبقة الأثرياء والطبقة المتوسطة ممن يمتلكون خطوط هاتف وسيارات ويعمضون الطرف عن الطبقة الكادحة. (كمال عبد الحميد زيتون، 2004، صص: 145-146)

*ومن خلال ما قيل عن خطأ المعاينة وخطأ التحيز يمكن القول أن هذا الأخير يرجع غالباً إلى أخطاء الباحث، أما خطأ المعاينة خارج سيطرة الباحث والذي تتباعد فيه معالم المجتمع عن القيم التي حصلنا عليها من العينة.

6. طرق التأكد من تمثيل العينة للمجتمع الأصلي:

هناك طريقتان للتأكد من مدى تمثيل العينة للمجتمع الأصلي هما:

التوزيع الطبيعي

النزعة المركزية

أ. **طريقة التوزيع الطبيعي**: هناك العديد من الخصائص والسمات مثل الذكاء والعمر التي تتخذ شكل التوزيع الاعتدالي الطبيعي ، بمعنى أن أغلبية الأفراد تتركز في منطقة الوسط ويتوزع أقلية من الأفراد على الطرفين ويتخذ التوزيع الطبيعي شكل الجرس.

وللتأكد من تمثيل العينة للمجتمع الأصلي يتبع طريقة التوزيع الطبيعي يتم تحديد العينة المختارة فإذا كان توزيع العينة طبيعياً فإن ذلك يدل على أن العينة ممثلة لمجتمع الدراسة أما إذا كان توزيع غير طبيعي فهذا يعني وجود تحيز باختيار العينة وبالتالي تكون العينة غير ممثلة للمجتمع الأصلي. (عادل شكري محمد كريم وآخرون ، 2013 ، ص: 205)

ب. **طريقة النزعة المركزية**: يتم استخدام هذه الطريقة كبديل لطريقة التوزيع الطبيعي في الحالات التي يكون فيها مجتمع الدراسة الأصلي لا يتخذ توزيعاً طبيعياً ، فهناك بعض الحالات التي يكون فيها توزيع خصائص مجتمع الدراسة الأصلي موزعاً توزيعاً غير طبيعي في مثل هذه الحالات يتم اللجوء إلى استخدام بعض مقاييس النزعة المركزية ، مثل الوسط الحسابي والانحراف المعياري حيث يتم إيجاد قيم الوسط الحسابي والانحراف المعياري مثلاً للعينة المختارة وتقارن النتائج مع الوسط الحسابي والانحراف المعياري لكامل المجتمع الدراسة الأصلي ، فإذا كانت النتائج متقاربة تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصلي أما في حالة وجود اختلافات جوهرية فإن ذلك يدل على تحيز في العينة المختارة ، وتكون النتائج في هذه الحالة غير قابلة للتعميم على المجتمع الأصلي.

ويشترط لاستخدام هذه الطريقة توفر بيانات عن مقاييس النزعة المركزية للمجتمع الأصلي حيث تكون البيانات منشورة في العادة في إحصائيات أو مجلات متخصصة. (محمد عبيدات وآخرون ، 1999 ، ص: 102)

قائمة المراجع:

ذوقان عبيدات ، عبد الرحمن عدس ، كايد عبد الحق (1984)، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه ، دار الفكر ، عمان ، الأردن.

ربحي مصطفى عليان (2001) ، البحث العلمي أسسه ومناهجه وأساليبه وإجراءاته ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، الأردن.

رجاء محمود أبو علام ، مناهج البحث الكمي ، والنوعي المختلط ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2013.

سيف الإسلام سعد عمر (2009) ، الموجز في منهج البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا.

عبد الله محمد الشريف (1996) ، مناهج البحث العلمي دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية ، مكتبة الشعاع للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر ،

عقيل حسين عقيل (1999) ، فلسفة مناهج البحث العلمي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر.

عادل شكري محمد كريم ، آية حسين صبحي علي ، أسس البحث العلمي في علم النفس ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 2013.

علي سليم العلاونة (1996) ، أساليب البحث العلمي في العلوم الإدارية ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.

علي معمر عبد المؤمن (2008) ، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية الأساسيات والتقنيات والأساليب ، ط1 ، منشورات جامعة 7 أكتوبر ،

فاطمة عوض صابر ، ميرفت علي خفاجة (2002) ، أسس ومبادئ البحث العلمي ، ط1 ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، الإسكندرية ، مصر

كمال عبد الحميد زيتون ، منهجية البحث التربوي ، والنفس من المنظور الكمي والنوعي ، عالم الكتب ، ط1 ، القاهرة ، 2004.

محمد الغريب عبد الكريم (دس) ، البحث العلمي التصميم والمنهج والإجراءات ، ط2 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر.

محمد بوعلاق ، 2009 ، ص19) الموجز في الإحصاء الوصفي والإستدلالي في العلوم النفسية والاجتماعية والتربوية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد خليل عباس ، محمد بكر نوفل ، محمد مصطفى العبسي ، فريال محمد أبو عواد(2007)، مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط1 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطبع ، عمان ، الأردن.

محمد عبيدات ، محمد أبو نصار ، عقلة مبيضين(1999) ، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن.

محمد عبد الفتاح الصيرفي ، البحث العلمي ، الدليل التطبيقي للباحثين ، دار وائل ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 2001

محمود عبد الحليم منسي(2003) ، مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والنفسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر.

مروان عبد المجيد إبراهيم(2000) ، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية ، ط1 ، مؤسسة الوراق ، عمان ، الأردن.

نبیة صالح السامرانی(2014) ، محاضرات في مناهج البحث العلمي للدراسات الإنسانية ، ط1 ، دار الجنان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.

Pongrác ÁCS(2015),RESEARCH METHODOLOGY IN SPORT SCIENCESn,University of Pécs,
Faculty of Health Sciences,Institute of Physiotherapy and Sport Science.

دور تقنية lehuche في التخفيف من حدة التأتأة للأطفال بين سن 11-12 سنة

د. بوعزة الصالح ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر

أ. قيرواني زهية ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر

مقدمة

تعتبر اللغة النظام الرمزي المتفق المشترك للتواصل والتفاعل بين الأفراد للتعبير عن حاجياتهم ومشاعرهم ، لذا فأى إصابة فيها تعرقل تواصله مع غيره لذا نجدهم اليوم يعانون من اضطرابات كلامية ولغوية ، مما قد يؤثر سلبا على مختلف جوانب نموهم الاجتماعي ، السلوكي ، النفسي ، والأكاديمي ، وتختلف هذه التأثيرات السلبية تبعا لنوع الاضطراب وشدته ، ومن بين هذه الاضطرابات نجد التأتأة ، التي تعتبر مشكلا في التواصل تحمل التوقفات والتكرارات المفاجئة للكلام ، وتكون مشكلا في التواصل اللفظي .

1- مفهوم التأتأة

تعريف NaciraZellal: التأتأة اضطراب في سياق الكلام ، يندرج ضمن الاضطرابات الشفوية ، النفسولغوية ، والجانب الظاهر منها هو الاضطراب اللفظي. (Nacira.Zellal, 1997, p.149)

تعريف Juria Guerra: التأتأة هي اضطراب يمس يقيس كيفية استعمال اللغة يظهر على شكل تكرارات أو توقفات ، مما يؤدي إلى وجود تقطعات في إيقاع ونغمة الخطاب. (Estienne, Francoise, 2002, p.45)

التأتأة اضطراب وظيفي في التعبير الشفهي تؤثر على إيقاع الكلام أثناء وجود المخاطب ، تظهر أعراض التأتأة أثناء الحديث من شخص لآخر (تكرار المقطع وإطالة والتوقف) ، وصعوبة في أثناء التنفس .

2- النظريات المفسرة للتأتأة: توجد عدة نظريات تفسر اضطراب التأتأة وبها يتمشى ودراستنا تم عرض النظرية العصبية النفسية اللغوية .

النظرية العصبية النفسية اللغوية: ظهور هذه النظرية كل من "بيكروكينة وكورلي" عام 1991 وتفسر هذه النظرية إنتاج الكلام الطلق والكلام المتأتا والتشوه المتأتا في الكلام من خلال منظور عصبي نفسي لغوي ، فالكلام الطلق يتطلب عنصرين هامين هما النظام اللغوي أو الرمزي والنظام ما وراء اللغوي أو الإشاري ، ويتحكم بهذين النظامين من خلال وحدات عصبية مستقلة تنتهي بنظام مخرجات مشترك ، ويتطلب الكلام الطلق انساق زمني ودمجي دقيق يحقق النظام المشترك وإذا لم يحدث الاتساق الدقيق بين العنصرين فإن النتيجة تكون خلل في الطلاقة ويدرك المستمع فقدان السيطرة أو اضطراب يسمى التأتأة ، وقد أضاف أصحاب هذه النظرية عامل ضغط وهو الضغط الذي يحتاجه المتكلم للبدء والاستمرار أو الإسراع في الكلام ، فإن كان ضعف في الضغط الزمني فإن الفشل في الطلاقة يكون مؤقت واختلال الطلاقة غير المتأتا .

قدم كل من Costa et Colek عام 1933 نظرية عصبية نفسية لغوية شاملة باستعمال نموذج "ليفث" لإنتاج الكلام ، ويقول أصحاب هذه النظرية إن التأتأة نتيجة لعب في الترميز الصوتي للكلام ويتضح هذا العنصر في المراقبة لنظام إنتاج الكلام والتي تنتج في خطأ التقاط الأخطاء ، ويحاول الجهاز القيام بتصحيح ذاتي لهذه

الأخطاء من خلال تنفيذ مؤقت لهذه العمليات المعقدة وبالتالي إنتاج صوت التأتأة. (إبراهيم عبد الله فرج الزريقات ، 2005 ، ص. 235-237)

3-مظاهر التأتأة

1-3-التكرار: يقصد به تكرار المقاطع والحروف أو الكلمات حيث يقوم المتأتماً بتكرار الجملة بأكملها أو جملة ويلاحظ وجود التكرار لدى جميع المتأتمين دون استثناء ومعظم التكرارات تحدث بصورة لا إرادية.

2-3-الإطالة: وهي محاولة من جانب المتأتماً لإطالة نطق المقطع أو الكلمات ويظهر ذلك بوضوح في إطالة الأصوات خاصة الحروف الساكنة وهذا العرض من أهم ما يميز كلام المتأتماً وهو يظهر غالبية المتأتمين في صورة إطالة الصوت (طارق زكي ، 2009 ، ص. 48-49).

3-3-التوقف: وهو توقف غير مناسب في بداية الوحدة للصوتية أو تحرير العنصر الموقوف أو غالباً ما يكون مصاحب لطاقة توتر متزايد مثل: اسمي هو (وقفة) احمد.(إبراهيم عبد الله فرج الزريقات ، 2005 ، ص. 224)

4-أنواع التأتأة:

1-4-التأتأة القرارية: عدم إمكانية المصباح من إصدار مقاطع معينة (أول الكلمات غالباً)، توتر عضلي قوي لأعضاء التصويت (التجويف الفموي ، الأنفي ، الحلقي) مع طرد مقصود للهواء عند إنهاء أو لإنهاء الكلمة مثل (Echet et Gaulin, m.mDurmont, 2015, p.63).(p...papa)

وتتمثل في عدم إمكانية المصباح من إرسال بعض الكلمات ، وذلك خلال وقت طويل نسبياً ، فأول مقطع من كلمة في بداية الجملة يظهر مقاومة مفاجئة حيث تنفجر الكلمة مرة واحدة. (Pialoux,1975, p.265)

2-4-التأتأة الإختلاجية: هي تكرار السلسلة من نفس المقطع أو الصوت (p/p/p/p/papa) (Echet et Gaulin, m.mDurmont, 2015, p63) هي اجتماع كلا المظهرين الإختلاجيةوالقرارية حيث يستطيع أن يكون كل منهما المسيطر تم بعد التوقف اللاإرادي الذاتي نلاحظ تكرار المقاطع والصوائت.

4-4-التأتأة الكفية: هذا النوع نادر جداً ، حيث مجرد طرح سؤال على المفحوص نلاحظ انه يبقى ساكن ، ثم خلال الخطاب يباشر في الكلام حتى ينهيه بنفسه سواء الجملة أو بداية الجملة التي تليها. (Pialoux, 1975, p265)

تقنية FrançoisLe Huche عيون مفتوحة:

1-1-الاسترخاء: إن مبدأ تمرين الاسترخاء عيون مفتوحة ، يستغرق مدة قصيرة يتسنى للمفحوص أثناءها طريقة تنفس خاصة ، مكونة من جملة تنهيدات منفصلة عن بعضها البعض بتوقيفات طويلة نوعاً ما ، يطبق مرة في اليوم تتراوح من 5 إلى 7 دقائق ، بحيث يكتسب تدريجياً سمة العادة لدى المفحوص ، حيث يكون هذا الأخير مستلقي على أرضية صلبة مع وضع وسادة صلبة نوعاً ما تحت رأسه والتأكد من أن الرقبة تبقى حرة ويقوم بـ:

فترة تكيف في وضعية استلقائية ، حيث يكون الرأس في محور الجسم واليدين واحدة على الصدر والأخرى على البطن ، يتنفس المفحوص في هذه الفترة تنفس عادي دون أي إزعاج ، في نهاية هذه الفترة يقوم المفحوص بتنفس أنفي ثم بعده زفير ، ثم يقوم بتنهيدات تتخللها توقيفات.

مقدمة التنهيدات ، حيث بعد توقف صغير يتهيأ المفحوص للقيام بتنفس أكثر توسع كالسابق ، ولكن عن طريق فم شبه مفتوح ، فتكون التنهيدة عموماً ملحوظة من المفحوص حيث تتخللها توقفات بين التنهيدات ، ويجب على المفحوص الاحتفاظ بفمه مفتوحاً أثناء التوقف التنفسي. (رقية بلعور ، 2016 ، ص 44).

استرخاء اليد والساعد الأيمن: نطلب من المفحوص تقليص عضلات ساعده الأيمن ، يدوم هذا التقلص من 2 إلى 3 ثواني الارتخاء يكون مؤقت بعده تأتي تنهيدات قبل أن تنتقل إلى تمرين آخر .
استرخاء الرجل والساق الأيمن: نطلب من المفحوص تقليص عضلات رجله مثلها هو الحال في الساعد واليد يستغرق هذا التمرين من 2 إلى 3 ثواني ثم الارتخاء .

استرخاء الرجل والساق الأيسر: بعد القيام ببعض التنهيدات ، يطلب من المفحوص تقليص رجله اليسرى ثم إرخائها مثل ما هو الحال في التمرين السابق .

استرخاء اليد والساعد الأيسر: يطبق هذا التمرين بنفس الطريقة مع التمرين الثالث وتتخلله مجموعة من التنهيدات .

رفع الكتف الأيسر: يرفع الكتف إلى أقصى قدر ممكن ، ولكن مع أقل جهد مبذول ، في نهاية التمرين يقوم المفحوص ببعض التنهيدات .

رفع الكتف الأيمن: نفس الطريقة السابقة (سميرة ركة ، 2016 ، ص:92.93)

العودة إلى التنفس المستمر: هي نهاية الاسترخاء حيث يغلق المفحوص فمه ويعود إلى التنفس الأنفي تسمح هذه التمارين بتوعية المفحوص لعضلاته وحالاتها الانقباضية والارتخائية (François, le huche et a. allali, 2002, p p. 127-128).

1-التنفس

1-1 التنفس الإيقاعي (4.8.2)

يطبق هذا التمرين عادة بعد تقنية الاسترخاء ، وهو بالتالي يتطلب حالة هادئة ومسترخية من طرف المفحوص ، حيث توضع اليدين واحدة فوق الصدر والأخرى فوق البطن ، مع وضع المرفقين على سطح أفقي ، ثم القيام بدورة ذات ثلاث أوقات متفاوتة في المدة على النحو التالي:

شهيق لمدة ثابنتين ، حيث يتهيأ المفحوص لملء بطنه ، يتنفس بواسطة الفم كمية معتبرة من الهواء ودون بذل جهد .

مسك النفس لمدة 8 ثواني ، حيث يحتفظ المفحوص بالنفس ودون أي جهد وتبقى فتحة المزمار مفتوحة ، تكون هذه الأخيرة ممكنة إذا بقي الشهيق معتدل الذي يسمح بتحقيقه دون جهد .

إخراج النفس لمدة 4 ثواني ، حيث أن النفس يكون بشكل عادي ، وهو من النوع البطني هذا الزفير ينقسم إلى قسمين ، فأثناء الثواني الأولى يكون النفس عبارة عن تيار هوائي بطريقة ضعيفة ، ولكن متساوية وخلال الثانية الأخيرة يقوى النفس ليتوقف بخشونة ويستحسن القيام بهذا التمرين عدة مرات دون توقف .

التنفس البطني **La respiration abdominal**: يقوم المفحوص بهذا التمرين عندما لا يستطيع تحقيق التنفس الإيقاعي ويكون على النحو التالي:

-شهيق_بطنمنتفخ_هواء يدخل .

-مسك_البطن يبقى منفوخا_دون ضغط.

-نفس_رجوع البطن إلى حالته الطبيعية_هواء يخرج.

-شهيق_إعادة نفخ البطن في الحال_هواء يدخل.

تنفس التنين Le souffle de dragon: يقوم المفحوص بهذا التمرين في وضعية الجلوس أو الوقوف ، الأيدي موضوعة الواحد على البطن والأخرى على الصدر ، بعد القيام بعدد من التنهيدات يستريح المفحوص مدة ثانيتين ونصف ، ثم بعد ذلك يدخل الهواء إلى البطن ينتفخ البطن ، الأضلاع تتسطح والصدر لا يرتفع ، بعد ذلك يقوم المفحوص بإخراج الهواء ويتلفظ بالصوت (F) وهذا ما يعطي إمكانية إصدار الصوت (S) يقوم هذا التمرين في شكل سلاسل ثم يستريح مدة ثانية ونصف ، بعد ذلك يكرر هذه العملية عدة مرات.

تنفس الأفعى Le souffle de cobra: هذا التمرين يشبه تمرين التنين ، لكنه يختلف عنه كونه يعتمد على نفس واحدة فقط وليس 3 سلاسل متتابعة من التنفس ، ومن جهة أخرى الشهيق وخاصة الزفير يكونان طويلان إلى أقصى درجة ممكنة ويمكن أن يكون الشهيق أنفي من 5 إلى 15 ثانية يتبع بنفس من 10 إلى 15 ثانية عند الشهيق ، الصدر لا يرتفع ، البطن يمتلئ بالهواء أما عند الزفير فينتقل بعد ثانية متأخرة مع فعالية واضحة للجدار البطني وأثناء الإرسال الصوتي يحرص المفحوص على عدم خفض الصدر والصوت المحدث أثناء الشهيق يكون خفيفا بالمقابل الصوت المحدث أثناء الزفير يكون حاد ، وذلك يضغط اللسان على الحنك (s-s).

تنفس القنفذ Le souffle de le hérisson: في هذا التمرين يقوم المفحوص بالشهيق ، أي يدخل الهواء إلى الداخل حيث ينظر إلى جسمه أي بطنه وصدرة ، إما مباشرة أو بواسطة المرآة ويضع يديه واحدة على البطن والأخرى على الصدر ، مع الحفاظ على الوضعية العمودية ، ثم يتخيل أن بطنه يمكن أن يمتلئ بالهواء وينتفخ ، ويتم الشهيق بإصدار الصوامت (FFF) مع سحب الهواء إلى الداخل ، أما الزفير فيكون بإحداث الصوت (s-s) نشير إلى أنه بعد كل سلسلة يقوم بها المفحوص يتوقف لمدة ثواني للاستراحة والمراقبة. (François. le huche et a. allali,2002,p p 133-140.)

حدود الدراسة:تم إنجاز دراستنا في متوسطة أبي بكر الرازي في حي 1006 مسكن على مستوى ولاية سطيف ، بدأت هذه المرحلة من الدراسة الميدانية في (2018/12/12) وانتهت في (2019/04/28).

منهج الدراسة:تتبع الدراسة منهج شبه تجريبي الذي يعتمد على تصميم مجموعة واحدة خضعت لقياس قبلي وبعدي وذلك للتأكد من فعالية تقنية Le Huche في التخفيف من التأتأة.

يمكن توضيح كافة المعلومات المتعلقة بعينة الدراسة على النحو التالي:

عينة الدراسة:تكونت عينة الدراسة من ست حالات تعاني من التأتأة ، مختارة بطريقة عشوائية حسب الفئة العمرية المراد دراستها (9-11 سنة) ، وتم إجراء اختبار الذكاء لاستبعاد حالات التخلف الذهني ، وتم استبعاد الحالات التي تعاني من الإعاقات الحسية المصاحبة (حركية بصرية...) من خلال الاطلاع على الملف العيادي للتلميذ.

الجدول رقم 01: مواصفات وشروط العينة

الحالات	الاسم واللقب	الجنس	العمر	الاضطراب	درجة الذكاء	الاضطرابات المصاحبة	الوسط اللساني	الوسط الاجتماعي والاقتصادي
الحالة 01	أ.ق	ذكر	12 سنة	التأتأة	عادية	غائبة	اللغة الدارجة	متوسط
الحالة 02	ش.و	ذكر	12 سنة	التأتأة	عادية	غائبة	اللغة الدارجة	متوسط
الحالة 03	م.ب	ذكر	11 سنة	التأتأة	عادية	غائبة	اللغة الدارجة	متوسط
الحالة 04	ن.س	ذكر	11 سنة	التأتأة	عادية	غائبة	اللغة الدارجة	متوسط
الحالة 05	ز.أ	أنثى	12 سنة	التأتأة	عادية	غائبة	اللغة الدارجة	متوسط
الحالة 06	خ.أ	ذكر	12 سنة	التأتأة	عادية	غائبة	اللغة الدارجة	متوسط

أدوات الدراسة:

الملاحظة: من خلال بملاحظة سلوك التلاميذ وطريقة كلامهم.

استمارة جمع البيانات الأولية الخاصة بالطفل: وهي استمارة تساعدنا للتعرف على الطفل، العمر الزمني، المدة التي يزاول بها دراسته، الحالة الصحية. إلخ، وذلك لاستبعاد كل الأطفال غير الملائمين لشروط اختبار العينة. إن المستوى الاجتماعي والاقتصادي لجميع الحالات متوسط والتاريخ الطبي والنمو الحسي واللغوي كان عادياً.

اختبار الذكاء: ولقياس الذكاء اخترنا مقياس يتمثل في اختبار الذكاء. (صالح، 1978) وتحصلت الحالات (أ.ق) (ش.و) (م.ب) (ز.أ) (خ.أ) في اختبار الذكاء على درجة 40، 40، 40، 40، 40 تقابلها شبه الذكاء 129% 130% أما الحالة المتبقية (ن.س) فقد تحصلت على درجة 41 تقابلها نسبة الذكاء 131.

مقياس تحديد درجة التأتأة: تم إعداده من قبل الدكتورة منى توكيل السيد إبراهيم يهدف إلى قياس وتحديد درجة الأعراض الأساسية للتأتأة وهي الإطالة، التكرار، التوقف وهذه الأعراض قد توجد داخل الكلمة الواحدة وقد توجد بين الكلمات.

وقد قسم إلى مرحلتين وهما: جمع بيانات القياس القبلي، جمع بيانات القياس البعدي، حيث تم القيام بإجراء مقابلة مع الحالة بالاعتماد على مقياس تحديد درجة التأتأة لقياس درجة وجود الأعراض الأساسية للتأتأة (التوقف، التكرار، الإطالة) وذلك يتابع خطوات ومهام القياس، وبعدها تم القيام بتطبيق تمارين الاسترخاء والتنفس، وذلك في مدة زمنية مقدرة شهر، ثم تم تطبيق نفس مقياس تحديد درجة التأتأة لمعرفة ما إذا حصل تحسن في النتائج أم لا.

يحتوي المقياس على ثلاث مهمات الأولى: وتهدف إلى تحديد درجة أعراض التأتأة أثناء العد المنتظم أو المتتالي وهي أسهل المهام بالنسبة للمتأثرين وفيها يذكر الطفل الأعداد من 1 إلى 22، كما يذكر الحروف الأبجدية وعددها 28 حرفاً. الثانية: وتهدف إلى تحديد درجة أعراض التأتأة عند نطق كلمات متدرجة من السهولة إلى الصعوبة في النطق حيث يقرأ الطفل أو يردد وراء المؤلف عدد 20 كلمة ذات مقطع واحد، ثم كلمة مكونة من مقطعين، ثم عبارة ثم جملة. الثالثة: تهدف إلى تحديد درجة أعراض التأتأة أثناء تسمية أو وصف الأشياء حيث تعرض المؤلف على الطفل مجموعة من الصور الملونة دون كلام عددها عشر صور وتطلب من الطفل القيام بتسميتها. الرابعة: وتهدف إلى تحديد درجة أعراض التأتأة أثناء نطق كلمات صعبة النطق، حيث تعطي للطفل مجموعة من 10 كلمات مشددة تمثل صعوبة صوتية عند الضغط على الأصوات وتطلب منه أن يرددها. الخامسة: تهدف إلى تحديد درجة أعراض التأتأة أثناء الإجابة التلقائية عن الأسئلة المباشرة والصلة الوثيقة بالطفل حيث تسأل المؤلف الطفل بعض الأسئلة المباشرة والتي لا تتجاوز الإجابة عليها أكثر من 10 كلمات. تصحيح المقياس: لتحديد درجة التأتأة على هذا المقياس، يتم تسجيل هذه المهام الخمسة ومجموع كلماتها 100 كلمة على شريط فيديو وبعد تشغيل الشريط ويتم تحليل الكلام لكل مهمة على حدى ويتم تحديد درجة كل عرض من أعراض التأتأة كالتالي:

يتم حساب درجة كل عرض من أعراض التأتأة السنة في كل مهمة من مهام المقياس على حدا.
يتم جمع درجات المهام الستة لكل مهمة فنحصل على الدرجة الكلية لكل مهمة.

تجمع درجات المهام الخمسة فنحصل على الدرجة الكلية للمقياس.

لكل مهمة درجة صغرى وأخرى عظمى، مثال: المهمة الأولى مكونة من 50 كلمة واحتمال إصابة الكلمات بك عرض من الأعراض الستة للتأتأة = 50، وبالتالي فإن درجات الأعراض الستة = $6 \times 50 = 300$ وبذلك تكون الدرجة الصغرى لهذه المهمة 50 والعظمى 300.

وبالنسبة للمهمة الثانية فإن عدد كلماتها 20 كلمة، واحتمال وجود العرض الواحد في كل كلمة = 20، وبذلك تكون الدرجة الصغرى 20 والدرجة العظمى للأعراض الستة هي $6 \times 20 = 120$.

وبالنسبة للمهام الثلاثة الأخيرة فإن مجموع كلمات كل مهمة 10 كلمات، وبذلك تكون الدرجة الصغرى هي 10 والعظمى 60 لكل مهمة، فتصبح درجات المهام الثلاثة مجتمعة 180 للعظمى و60 للصغرى.

وتصحح الدرجة الكلية العظمى للمقياس ككل هي 300 والصغرى 100.

ولاستخدام المقياس في تشخيص وتحديد التأتأة:

وباستخدام مقياس يارس ومعاونه يتم تحديد شدة التأتأة على مقياس مكون من سبع مستويات كالتالي:

1- إذا تأتأ الطفل في كلمة واحدة من (100) كلمة فلا توجد تأتأة.

2- إذا تأتأ الطفل في أكثر من 1-2 من العدد الكلي للكلمات المنطوقة (100) كلمة فتكون التأتأة خفيفة جداً.

3- إذا تأتأ الطفل في 2-5 كلمات من (100) كلمة فتكون التأتأة خفيفة؛

4- إذا تأتأ الطفل في 5-8 كلمة فتكون التأتأة متوسطة.

5- إذا تأتأ الطفل في 8-12 كلمة فتكون التأتأة معتدلة الشدة.

6- إذا تأتأ الطفل في 12-25 كلمة فتكون التأتأة شديدة.

7- إذا تأتأ الطفل في أكثر من 25 كلمة في العدد الكلي للكلمات المنطوقة فتكون التأتأة شديدة جدا. مثال: إذا كان عدد الكلمات المصابة في المهمة الأولى=3 وفي الثانية=5 وفي الثالثة=2 وفي الرابعة=4 وفي الخامسة=1 وكان العدد الكلي للكلمات المنطوقة (السليمة والمصابة) =10 فإن درجة التأتأة=3+5+2+4=15 ، وتقع هذه الدرجات في الفئة ما بين 12-25 وبذلك تكون التأتأة شديدة.

عرض نتائج الدراسة:

عرض نتائج القياس القبلي للتأتأة: سنعرض نتائج اختبار درجة التأتأة بالنسبة لكل حالة.

جدول رقم 02: يمثل نتائج اختبار التأتأة (القبلي)

المجموع	الإطالة	التكرار	التوقف	الحالات
10	1	3	6	الحالة 01: أ.ق.
13	2	6	5	الحالة 02: ش.و.
18	10	6	2	الحالة 03: م.ب.
23	8	10	5	الحالة 04: ن.س.
10	0	7	3	الحالة 05: ز.أ.
22	0	6	16	الحالة 06: خ.أ.
96	21	38	37	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن هناك تفاوت في النتائج بين الحالات على مستوى مظاهر التأتأة (التوقف ، التكرار ، الإطالة).

تحليل نتائج القياس القبلي للتأتأة: تبين لنا من خلال الجدول أن هناك تفاوت في النتائج بين الحالات على مستوى مظاهر التأتأة (التوقف ، التكرار ، الإطالة) حيث قدرت أعلى درجة في معظم التوقفات بـ 16 درجة في حين كانت أدنى درجة مقدرة بـ 2 درجة ، أما التكرارات فقد قدرت أعلى درجة بـ 10 درجات في حين أدنى درجة مقدرة بـ 3 درجات أما فيما يتعلق بالإطالة فقد قدرت أعلى درجة بـ 10 درجات ، أما أدنى درجة فقد قدرت بدرجة واحدة. ومن هنا يتضح لنا أن الأطفال المتأثرين تظهر لديهم في الإيقاع الكلامي (التوقف ، التكرار ، الإطالة).

ثم تم تطبيق تقنية Le Huche بعد شهر تقريبا هذه التقنية لها فوائد كبيرة في علاج التأتأة وهي تركز بدورها على 3 خطوات: تمارين الاسترخاء ، تمارين التنفس ، والتمارين الصوتية.

عرض نتائج القياس البعدي للتأتأة:

جدول رقم 03: يمثل نتائج اختبار التأتأة (البعدي)

المجموع	الإطالة	التكرار	التوقف	الحالات
2	0	2	0	الحالة 01: أ.ق.
1	0	1	0	الحالة 02: ش.و.
8	4	4	0	الحالة 03: م.ب.
4	1	2	1	الحالة 04: ن.س.

الحالة 05: ز.أ	0	2	0	2
الحالة 06: خ.أ	3	1	0	4
المجموع	4	12	5	21

يتضح من خلال النتائج المتحصل عليها والمدونة في الجدول أن الأطفال المتأثتين تحسنوا في درجة التأثاة مقارنة بالقياس القبلي للتأثاة.

تحليل نتائج القياس البعدي:

تبين لنا من خلال الجدول أن هناك تفاوت في النتائج بين الحالات على مستوى مظاهر التأثاة (التوقف، التكرار، الإطالة) حيث قدرت أعلى درجة من مظهر التوقفات ب3 درجات في حين كانت أدنى درجة مقدرة بدرجة واحدة، أما فيما يتعلق بالإطالة فقدرت أعلى درجة ب4، أما أدنى درجة ب0، ومن هنا يتضح لنا أن الأطفال المتأثتين انخفضت عندهم مظاهر التأثاة في الإيقاع الكلامي (التوقف، التكرار، الإطالة) والتي قيست بواسطة اختبار مقياس تحديد درجة التأثاة.

عرض نتائج الدراسة

قمنا باستخدام اختبار ويلكوكسن لأزواج الرتب المرتبطة على أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين لدى الأطفال المتأثتين على مستوى التوقف والتكرار والإطالة، ويوضح الجدول القيمة العددية للدرجة المعيارية Z ومستوى الدلالة وعدد الأزواج السالبة والموجبة.

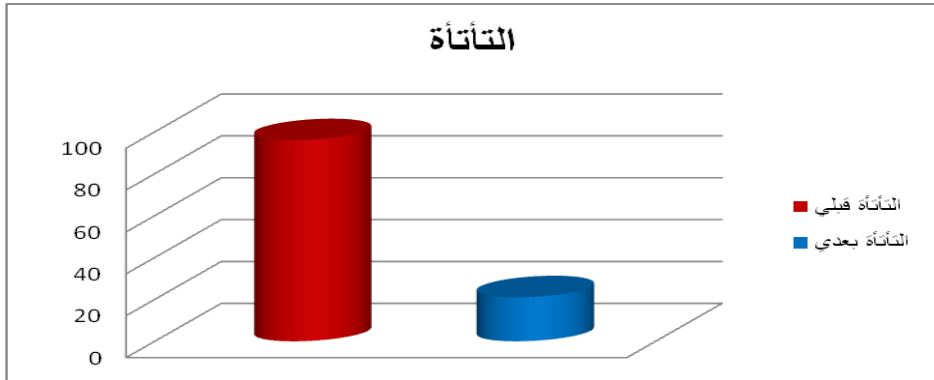
الجدول رقم 04: يوضح القيمة العددية للدرجة المعيارية Z ومستوى الدلالة وعدد الأزواج السالبة والموجبة لمتغير التأثاة.

يتبين من نتائج الجدول رقم 12 أن عدد الرتب للأزواج السالبة كانت (6) وبمتوسط رتب (3.50) وبمجموع رتب (21.00) في حين كان عدد الرتب للأزواج الموجبة (0) وبمتوسط رتب (0.00) وبمجموع رتب (0.00)

مستوى الدلالة	قيمة Z	مجموع الرتب	متوسط الرتب	عدد الرتب		المؤشرات الاحصائية للقياس القبلي / القياس البعدي لمتغير التأثاة
0.027	-2.207	21.00	3.50	6	السالبة	القياس القبلي / القياس البعدي لمتغير التأثاة
		0.00	0.00	0	الموجبة	
				0	المتساوية	

مما يدل أن متوسط رتب القياس البعدي كانت أكبر من متوسط رتب القياس القبلي وقد بلغت قيمة Z (-2.207) عند مستوى دلالة (0.027) وهي قيمة أقل من مستوى الدلالة المحدد سلفاً (0.05) وهي دالة احصائياً مما يؤكد أن هناك فروق بين نتائج القياس القبلي و البعدي.

الشكل رقم 01: يمثل أعمدة بيانية لدرجات المجموعة قبل وبعد المعالجة على اختبار التأتأة.



يظهر لنا جليا من خلال الأعمدة البيانية وجود فرق بين درجات المجموعة قبل وبعد المعالجة وهذا بالنسبة للتأتأة.

مناقشة نتائج الدراسة

تؤكد نتائج الجدول أن هناك فروق بين نتائج القياس القبلي والقياس البعدي كما تبين تحسن في الكلام من خلال تحسن نسبة للقياس البعدي للتأتأة، فعدد الرتب للأزواج السالبة كانت (6) ومتوسط رتب (3.50) ومجموع رتب (21.00)، في حين كان عدد الرتب للأزواج الموجبة (0) وبمتوسط رتب (0.00) وبمجموع رتب (0.00)، مما يدل أن متوسط رتب القياس البعدي كانت أكبر من متوسط رتب القياس القبلي، وقد بلغت قيمة Z (-2.207) عند مستوى دلالة (0.027) وهي قيمة أقل من مستوى الدلالة المحددة سالفا (0.05).

خاتمة:

بعد تطبيق تقنية Le Huche تبين لنا من خلال نتائج القياس البعدي أنها ساهمت في تخفيض من مظاهر التأتأة (التوقف، التكرار، الإطالة) وتساعد على التواصل بطريقة أحسن، فتقنية Le Huche تعتمد على الاسترخاء والتنفس، حيث كانت طريقة مساعدة في التخلص من اعراض التأتأة، يبدو أنها تقنية وطريقة ناجحة بالرغم من أن مدة تطبيق هذه التقنية كانت قصيرة إلا أن النتيجة كانت إيجابية. فقد أسفرت نتائج الدراسة إلى وجود فروق بين متوسط درجات القياس القبلي والقياس البعدي للحالات.

قائمة المراجع:

- إبراهيم فرج الله الزريقات، (2005)، اضطرابات الكلام والتشخيص والعلاج، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن.
- طارق زكي، (2000)، سيكولوجية التلعثم في الكلام، ط1، مصر.
- François, le huche, André Allali, (2002), voix thérapeutique du trouble vacaus, tome4, masson, paris.
- Nacira, Zellal, (1997), la terminologie orthophonique dans l'enseignement, alger.
- Froncois, Estienne, Anne, Vanhout, (2002), Les bégaiement, Masson, Paris.
- P, Pialoux, M, Valtat, G, Freyss, F, Legent, (1975), le précis d'orthophonie, masson, Paris.

المنظور الوظيفي وأهميته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

Functional theory and its importance in teaching Arabic to non-native speakers

د. العياشي ادراوي. أستاذ التعليم العالي.

تخصص: اللسانيات التطبيقية وفلسفة اللغة. جامعة محمد الأول. وجدة.
المملكة المغربية.

مقدمة:

تصوب هذه الورقة إلى النظر في إمكان تطوير تعليم اللغة العربية لغة ثانية – للناطقين بغيرها خاصة- انطلاقاً من بعض ما استجد في مجال البحث اللساني الحديث عامة ، واستناداً إلى النظريات العامة ذات المنحى الوظيفي على جهة الخصوص لأنها تستجيب أكثر من غيرها لمطلب "المنهج التواصلي- التداولي" في التعليم الذي أثبتت فعاليته وكفائته نظرياً وتطبيقياً بالنظر إلى ما يتحده من تطبيق وظيفي عملي للغة عبر التواصل القائم على تفعيل مهارات الكلام.

ولكي تحقق الورقة أهدافها فقد تمت هندستها على النحو الآتي: نتحدث أولاً عن واقع تعليم اللغة العربية للأجانب مع عرض أهم التجارب في المجال وصفا وتحليلاً ونقداً، وننتقل -ثانياً- إلى الوقوف على أبرز ما جدّ في حقل تعليم اللغات وبخاصة ما يتصل نظرياً وتطبيقياً بتعليم اللغات الأجنبية من خلال مقارنة الاكتساب اللغوي بين لسانيات القدرة واللسانيات الوظيفية. ثم نتوقف -ثالثاً- عند خصوصية الاكتساب اللغوي في المنظور الوظيفي عبر رصد معالم "نموذج مستعملي اللغة الطبيعية" (الذي يقابل مفهوم "القدرة التواصلية") من حيث بناؤه وطريقة اشتغاله وإمكانات استثماره في تعليم اللغة العربية لغة ثانية. وننتهي -أخيراً- إلى اقتراح رؤية مخصصة لهذا الصنف من التعليم يُراعى فيها التوازن بين مطلبَي التأسيس النظري والتنزيل الإجرائي ، رؤية تتصور أنها كفيلة بتدليل جملة من صعوبات تعليم لغة الضاد لغة ثانية سواء على المستوى المنهجي أم على المستوى المعرفي.

1. واقع تعليم اللغة العربية للأجانب؛ قضايا وتجارب: لا شك أن أهمية اللغة العربية تكمن في كونها من أقدم اللغات في العالم وأكملها ، إنها لغة عريقة أصيلة ، قادرة على الفعل والتفاعل ، غير أنه على الرغم مما ذكر من سمو شأنها إلا أن الواقع يدل على أنها تواجه جملة من التحديات في سياق عولمة فرضت عليها تنافساً غير متكافئ مع لغات أخرى تُرصد لها من الإمكانيات ما لا يتوفر للغة الضاد. ورغم الجهود المبذولة في هذا الاتجاه لتبقى لغة عالمية قادرة على منافسة غيرها من اللغات فإنها تواجه صعوبات عديدة خاصة على مستوى طرائق تعليمها ومناهج تدريسها التي تنزع في الغالب الأعم نحو التقليد والارتجال حيناً ، ونحو التعقيد حيناً آخر(ديباجة الورقة الإطار للندوة السنوية العاشرة للمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية في باريس ، 2018). الأمر الذي يجعل نتائج هذا التعليم ليست في المستوى المطلوب خصوصاً في ظل ما نشهده اليوم من إقبال متزايد (من طرف الأجانب تحديداً) على تعلم العربية سواء في البلاد الغربية أو في الأقطار العربية. لذا فإن تطوير

وتحديث هذه الطرائق والأساليب والمناهج من جهة، والانفتاح على اتجاهات ونظريات وتجارب جديدة في المجال من جهة أخرى، كل ذلك أضحى أمراً لازماً، وضرورة ملحةً لأجل الارتقاء بوضع تعليم العربية لغة ثانية وجعله أكثر فاعلية وتأثيراً.

فمما لا يخفى أن السنوات الأخيرة عرفت تطوراً كبيراً في مجال تعليم اللغات وتعلمها إن على مستوى التنظير أو على صعيد التطبيق والتجريب، بحيث تغيرت النظرة إلى اللغة ذاتها وتغير نتيجة لذلك النظر إلى الممارسة والتجريب. "فقد أضحى النظر إليها حالياً على أنها مجموعة من المهارات، وأن المعرفة وحدها لا تؤدي إلى اكتساب هذه المهارات، لذا لا بد من ممارسة اللغة ممارسة مبنية على الفهم وإدراك العلاقات، وتكرار هذه الممارسة" (السيد محمود أحمد، 1988، ص9). فالممارسة هي مفتاح التعلم اللغوي الحقيقي وبدونها يكون التعلم ناقصاً ضعيفاً.

وقبل التفصيل في هذه المسألة نود استعراض واستقراء بعض التجارب المتنوعة في مجال تعليم اللغة العربية لغة ثانية - لغير الناطقين بها تحديداً- باعتبارها أمثلة تدل جملة وليس تفصيلاً على الوضع العام للغة الضاد في هذا المجال لنصل بعد ذلك إلى الوقوف عند اتجاهين رئيسيين بارزين في هذا الصنف من التعليم.

من التجارب الجديرة بالذكر تجربة المملكة العربية السعودية التي بدأها الدكتور علي القاسمي برفقة الدكتور محمود إسماعيل صيني والتي أثمرت تأسيس "معهد اللغة العربية" التابع لجامعة الملك سعود بالرياض سنة (1979)، وتجربة مصر من خلال إنشاء "معهد اللغة العربية" التابع "للجامعة الأمريكية" بالقاهرة والذي يشتغل في هذا المجال لأكثر من ستين سنة، ثم تجربة السودان المتمثلة في إنشاء "معهد الخرطوم الدولي للغة العربية" سنة (1979). وتجربة تونس التي طوّرت في "معهد بورقيبة للغات الحية". بالإضافة إلى تجربة المغرب منذ بداية ثمانينات القرن الماضي والتي عرفت أولى تطبيقاتها في "معهد الأبحاث والدراسات للتجريب" بالرباط، وتجربة "جامعة الأخوين" المميزة بالمغرب كذلك، وكذا تجربة "مدرسة الملك فهد العليا للترجمة" بطنجة. وغيرها كثير في العالم العربي.

أما بخصوص تجارب تعليم اللغة العربية للأجانب بأوروبا فهي كثيرة متنوعة أيضاً. لعل أبرزها تجربة "معهد العالم العربي" بباريس، وتجارب المراكز الخاصة التي تُعنى بتعليم اللغة العربية للجاليات العربية والإسلامية في العديد من الدول الأوروبية. وفيما يتعلق بالتجارب في الجامعات الأمريكية فعديدة متنوعة كذلك إذ عادة ما يوجد في كل جامعة مركز خاص بـ "دراسات الشرق الأوسط" يكون من بين مهامه وأهدافه تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. ومن ضمن مختلف تلك التجارب تبقى هناك تجربتان متميزتان إحداهما "بجامعة أوستن" بولاية "تكساس" رائدها الدكتور "بيتر عبود"، والثانية بجامعة "جورج تاون" لصاحبها محمود البطل، وهما التجربتان اللتان أسفرتا عن تأسيس "كلية صُفِيَّة للغة العربية" و"جامعة ميدلبوري" التي تعمل في دورات صافية مكثفة (اليوبي بلقاسم اليوبي، 2005، ص176-178).

وعلى الرغم من أهمية هذه الأعمال والمجهودات المبذولة في إطارها، فإن الدراسات التي عُنيت بتقويم السائد من مناهج وطرق تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تكاد تُجمع على عدم كفايتها. لذا "فقد أكدت العديد من الدراسات أن كثيراً من برامج ومناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لم تُلَبِّ حاجات الدارسين اللغوية، لأنها اختيرت - في الغالب- على أساس عشوائي يعتمد في المقام الأول على الخبرة الشخصية

للمؤلفين" (هداية ، هداية إبراهيم ، 2009 ، ص50-176). وعلى نحو عام فإن التجارب المذكورة أفرزت توجهين أساسيين في ميدان تعليم اللغة العربية لغة ثانية وهما: التوجه التقليدي البنوي ، والتوجه التواصلية الوظيفي .

أولاً؛ التوجه التقليدي البنوي: يُعرف بِكُونِ تصوره لتعليم اللغات قائماً على أسس ومبادئ المدرسة البنوية وتطبيقاتها. لذا فإن تعليم اللغة العربية في هذا الاتجاه يركز أساساً على المكتوب لأجل ترسيخ بنية اللغة لدى المتعلم استناداً إلى منهج "القواعد" و"الترجمة" وتوظيف الإعادة والتكرار. وعليه فالبعد الذي يُعطى للمتعم هو بعد تطويعي تلقيني ، الأمر الذي يجعل مركز الاهتمام في الأعمال التطبيقية على ظاهر اللغة لا جوهرها ؛ أي على أشكالها وبنياتها تحديداً.

وتبعاً لذلك فإن من أهم الانتقادات التي توجه إلى هذا المنحى في التعليم أنه يهمل مهارات التواصل الاجتماعي التي تُعد - كما هو معلوم - من أبرز خصائص اللغة ، بل خاصيتها الأساسية. فلا يخفى هاهنا أن اعتماد التصور أعلاه يُفضي لا محالة إلى تعلم أصوات وجمل وتراكيب وقواعد جاهزة يتم ترسيخها وتثبيتها بواسطة التكرار والحفظ بعيداً عن "الواقع اللغوي" الحي للعربية (بلقاسم اليوبي ، 2005 ، ص179).

ثانياً؛ التوجه التواصلية الوظيفي: على خلاف التوجه السابق يسعى هذا التوجه إلى تحقيق ما يُصطلح عليه "بالواقع اللغوي" بحيث لم يعد تحفيظ القواعد النحوية والبنيات الجمالية والقوالب التركيبية هي الأساس ، وإنما الاهتمام أساساً بتلقين مهارات وخلق قدرات عند المتعلمين مبنية على الفهم التام والاستيعاب الكلي للاستعمال التداولي للغة المتعلمة ، وهي قدرات تنمو بالفعل والتفاعل المرتكز على الحوار والتواصل .

وإذا كان التوجه الأول يركز على النحو والمعجم بشكل مكثف فإن التوجه الثاني يسعى إلى التطبيق الوظيفي للغة عن طريق التواصل القائم على تفعيل مهارات الكلام والاستماع والقراءة ، لأن الرسالة اللغوية شفهية كانت أم كتابية ، منطوقة أو مرئية ، هي بمثابة أشكال تواصلية يكون الغرض منها إقامة نوع من التواصل مع الغير بهدف معين تُوجبه ضرورات التواصل الإنساني ومقتضياته" (بلقاسم اليوبي ، 2005 ، ص179). والقاسمي علي ، 1985 ، ص11-17).

2. اكتساب اللغة بين لسانيات القدرة واللسانيات الوظيفية: من الحقائق الثابتة في مجال البحث اللساني أن أي طفل ، مهما كان جنسه أو انتماؤه ، يتمكن في أعوام قليلة من اكتساب لغة محيطه بحيث يكون في مقدوره أن يعبر عن أغراضه وحاجاته البسيطة الأساسية من دون أن يكون للوالدين أو مَنْ يُعوضُهُما مجهود كبير ورئيس في هذا الإنجاز الذي يحققه الطفل. كما ثبت أن كل طفل يُحرم من جهاز السمع يُحرم - تبعاً لذلك - من القدرة على الكلام والتعبير بلغة محيطه. كما أن كل طفل تكون له مشاكل في الجانب الأيسر من دماغه يؤثر ذلك بصورة مباشرة على قدرته على الكلام ويحد منها ، بل قد تتعطل هذه القدرة بشكل نهائي .

استناداً إلى هذه الحقائق يمكن استنتاج ما يأتي:

أ. أن الأطفال يكتسبون اللغة بطريقة موحدة .

ب. أنهم يكتسبون اللغة اعتماداً على ذواتهم أساساً .

ج. أنهم يكتسبون أولاً لغة المحيط الذي يتفاعلون معه .

د. أنهم يكتسبون اللغة في مدة زمنية قصيرة جداً بالمقارنة مع تَعَلُّمِ أيِّ معرفةٍ أخرى .

وبناءً على هذه الخلاصات قدّم اللسانيون جملة من الافتراضات العلمية بخصوص تفسير اكتساب اللغة وفق المنظور النفسي للغة تحديداً. من أبرزها افتراضان اثنان - سنسعى لاستثمارهما في الصفحات القادمة - وهما: أ-كون كل طفل يأتي إلى هذا العالم مزوّداً بجهاز فطري (يسمى جهاز اللُّغو) يُمكنه من اكتساب اللغة ، ويبقى مفعول البيئة اللغوية مقتصرًا على تحفيز هذا الجهاز الفطري فقط لا غير .

ب- كون هذا الجهاز الفطري يتألف من مبادئ كلية مشتركة بين الناس ، ووفقها يتم اكتساب جميع اللغات (Bill Van Patten and Jessia Williams ,2015 , P : 113-117)

لا يخفى أن "أهمية هذين الافتراضين تكمن في تركيزهما - خلافاً لما كان سائداً - على فطرية الاكتساب وكلية المبادئ ، فلطالما حجب دور البيئة اللغوية الدور الأساس للملكة اللغوية الفطرية في عملية اكتساب اللغة ، ولطالما حجب تنوع اللغات واختلافها الشديد حقيقة أنها تشترك في مبادئ كلية تُرد إليها جميعاً ، وحقيقة أن ذلك هو ما يفسر إمكان اكتسابها" (عز الدين البوشيخي ، 2005 ، ص121 - 122. ثم: Chomsky. N. P:101, (2006)). وجدير بالذكر في هذا الإطار أن عمل البنى الفطرية يقتصر على تحديد اللغة المكتسبة من ضمن مجموعة اللغات المحتملة ؛ أي من ضمن القواعد الكلية أو الكليات اللغوية (Universals language) (Chomsky.N. (2006). P : 127)

وانطلاقاً من هذا التصور يمكن الوقوف على اختلاف جوهرى وحاسم - ذي صلة بموضوعنا الأساس - يتصل بضبط هوية ومضمون القدرة اللغوية (linguistic competence) بحيث تم حصرها في التصور التوليدي في قدرة نحوية تتألف من جملة قواعد ومبادئ تتولّى توليد ما لا نهاية من الجمل السليمة تركيبياً ودلالياً ، على خلاف ما هو عليه الأمر في التوجه الوظيفي الذي يحدد الملكة اللغوية باعتبارها قدرة تواصلية (أو تداولية) تتكون من المبادئ والقواعد التي تعمل على توليد الجمل السليمة تركيبياً ودلالياً بالإضافة إلى تلك المسؤولة عن مطابقة تلك الجمل لمختلف الأهداف التواصلية التي تُستعمل من أجلها من جهة ، و للمقامات والسياقات التي تُنتج فيها من جهة أخرى. وهذا ما يجعل من "نظرية النحو الوظيفي أنها كانت منذ نشأتها نظرية مؤسسة تداولياً ، تسعى من حيث طبيعتها هذه إلى وصف وتفسير خصائص الخطاب باعتبار بُعده المقالي والمقامي معاً" (أحمد المتوكل ، 2005 ، ص18).

ولهذا - كما سبق البيان- لا تنحصر قدرة مستعملي اللغة الطبيعية في معرفة القواعد الصرفية والصوتية والتركيبية والدلالية ، كما هو الحال في لسانيات القدرة الصورية ، وإنما تتعداها إلى معرفة القواعد التداولية ؛ أي القواعد التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وفهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض محددة ، وهذا يعني ، من ضمن ما يعنيه ، أنه ليست هناك قدرتان اثنتان مستقلتان ؛ " قدرة نحوية " صرف ، و " قدرة تداولية " ، بل قدرة تواصلية واحدة. وهذه القدرة بدورها تتكون من مجموعة من القدرات التواصلية أو "الملكات" ؛ منطقية ومعرفية واجتماعية وإدراكية وغيرها ، تُفعل وتتفاعل في عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه وفقاً للموقف التخاطبي ونمط الخطاب (أحمد المتوكل ، 2005 ، ص19-20). كما سنوضح بشيء غير قليل من التفصيل في المبحث الآتي.

ولهذا فالطفل - حسب اللغويين غير الوظيفيين - يتعلم نمو اللغة مستعيناً بالمبادئ التي فُطر عليها ، ويتعلم - حسب اللغويين الوظيفيين- النسق الثاوي خلف اللغة واستعمالها ؛ أي العلاقات القائمة بين الأغراض

التواصلية والوسائل اللغوية التي تتحقق عبرها. مما يجعل اكتساب اللغة في المنظور الوظيفي يكتسي طابعاً خاصاً.

3. خصوصية الاكتساب اللغوي في التصور الوظيفي: شكل موضوع القدرة التواصلية وتحديد مكوناتها التي على أساسها يتم اكتساب لغة ما والتواصل بها مركز اهتمام العديد من الباحثين من أمثال "أبو" (1980) وبأيزم (1981) وهابمز (1984) وأيديثو وريزنبرغ (1987) وغيرهم كثير. وقد حصل بينهم إجماع على أن هذه القدرة تختص القدرة النحوية إلى قدرات أخرى، منها ما يرتبط بمعرفة قواعد الاستعمال ذات الصلة بالبعد الاجتماعي الثقافي، ومنها ما يتصل بمعرفة قواعد الربط بين اللغة وبين المقاصد التداولية المختلفة. ومنها كذلك ما يتعلق بمعرفة استراتيجيات التواصل اللغوي وغير اللغوي. لكن "يبقى أهم تحديد للقدرة التواصلية في إطار مشروع علمي متكامل يستهدف إقامة نموذج تمثيلي لمستعملي اللغة الطبيعية هو التحديد الذي قدمه سيمون ديك (Simon) Dick في عدد من أعماله " (عز الدين البوشيخي، 2005، ص125)، بحيث افترض أنها (أي القدرة التواصلية) تتكون من خمس طاقات كما يأتي:

أ- الطاقة اللغوية؛ يتمثل دورها في تمكين مستعمل اللغة الطبيعية من أن ينتج العبارات اللغوية ويؤولها، إنتاجاً وتأويلاً سليمين مهما اتسمت به هذه العبارات من تعقيد بنيوي، ومهما كانت طبيعة الأوضاع والمواقف التواصلية التي تُنتج فيها.

ب- الطاقة المعرفية؛ تُمكن مستعمل اللغة الطبيعية من بناء قاعدة معرفية منظمة واستعمالها عبر صياغة معارفه في صور لغوية مناسبة، كما تمكنه من إغنائها عن طريق استنتاج المعلومات من العبارات اللغوية التي يتلقاها.

ج- الطاقة المنطقية؛ يتمثل دورها في تمكين مستعمل اللغة الطبيعية من استنتاج معلومات جديدة من أخرى قديمة أو معطاة بواسطة إجراء قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

د- الطاقة الإدراكية؛ تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إدراك العالم الخارجي بواسطة وسائل الإدراك البشري من سمع و بصر وشم و لمس و ذوق، واستعمال معارف يسخرها في إنتاج وتأويل العبارات اللغوية، وكذا استعمال حركات الجسد وتأويلها أثناء عملية التواصل.

و- الطاقة الاجتماعية؛ يتمثل دورها في تمكين مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج عبارات لغوية وتأويلها على نحو لا يتعارض مع أوضاع المخاطبين الاجتماعية وظروفهم ومواقفهم العامة (عز الدين البوشيخي، 2005، ص:125-126. ثم: 3: Dick.S, 1989,P).

هـ- "الطاقة التخيلية" التي يتلخص دورها في تمكين مستعمل اللغة الطبيعية من اختلاق صور افتراضية تنتهي إلى أحد العوالم الممكنة، ومن بناء وقائع متخيلة تنتمي إلى أحد العوالم الخيالية لتحقيق أهداف تواصلية محددة " (عز الدين البوشيخي، 2012، ص91)، و"الطاقة القصدية حيث تنعقد النية في التواصل ويتحدد القصد التواصلية وكيفية بلوغه" (Hengeveld, Kees & J. Lachlan Mackenzie, 2008, P:113).

هذا وبينت أحدث نظرية في الاتجاه التواصلية، نظرية النحو الوظيفي الخطابي، أن ما يروج في البيئة اللغوية التي ينشأ فيها الطفل وما يكتسبه حقا هو الأفعال الخطابية، أي كان تحققها كلمة أو مركبا أو جملة أو عبارة أو نسا أو حوارا أو غير ذلك. والأفعال الخطابية هي في الواقع ما ينتجه المتكلم في تواصله مع الآخرين، دون أن

يتقيد بإنتاج نمط واحد معين من أشكال التعبير كالجمل أو النص أو غيرهما(عز الدين البوشيخي ، 2013 ، ص13).

وجدير ذكره في هذا المقام أن كل طاقة من الطاقات السبع المشار إليها والتي تكوّن القدرة التواصلية تتسم بخاصيتين اثنتين: أولاهما أن كل طاقة تستقل من حيث مبادؤها وإيائها وموضوعها عن الطاقات الأخرى. وثانيهما أن تلك الطاقات رغم استقلالها تتعالق فيما بينها بحيث يُقضي بعضها إلى بعض على نحو يقتضيه إنتاج أو تأويل العبارات اللغوية بحسب مقاماتها وسياقاتها (أحمد المتوكل ، 2005 ، ص35-36).

وارتباطاً بهذا يُفترض أن تعلم لغة ثانية - كائنة ما كانت- يستلزم تدخل وتفاعل كل الطاقات المذكورة ، كما يُفترض أن الطاقات التي تَتَلَبَّبُ عملية التعلم مجهوداً خاصاً منها هي الطاقة اللغوية والطاقة الإدراكية والطاقة الاجتماعية ، على اعتبار أن كل واحدة من هذه الطاقات تتطلب تثبيت قواعد خاصة باللغات المراد تعلمها وبكيفية استعمالها وطرق توظيفها. ذلك أنه على الرغم من وجود مبادئ كلية تشترك فيها جميع اللغات (نحو كلي: Universal Grammar) فإن كل لغة تستقل بقواعدها الخاصة بها (نحو خاص: Particular Grammar) سواء على المستوى التركيبي والصرفي والصوتي ، أو على مستوى تقاسم فضاء التواصل.

وبناء عليه يُستنتج أن تعلم لغة أجنبية/ ثانية شأنه في ذلك شأن تعلم اللغة الأم لا يقتصر فقط على تعلم القواعد النحوية وإنما يشمل كذلك التمكن من كيفية الاستعمال التي تتوافق مع القواعد الاجتماعية والثقافية الموصولة بتلك اللغة. وهذا يقتضي ، من ضمن ما يقتضيه ، أن تعلم اللغة الأجنبية/ الثانية يجب أن يستند إلى "المقاربة التواصلية" و"منهج الإغماس". أما المقصود بالمقاربة التواصلية فإعطاء الأسبقية أثناء تعليم هذه اللغة للوظيفة التواصلية على القواعد النحوية. وأما المقصود بمنهج الإغماس فهو وضع المتعلم في محيط لغوي تعليمي يماثل ما أمكن المحيط اللغوي الطبيعي للغة المعنية(عز الدين البوشيخي ، 2005 ، ص128-126).

4. المقاربة الوظيفية لتعليم اللغة العربية لغة ثانية: لقد انتبه اللسانيون على اختلاف توجهاتهم منذ زمن غير قصير إلى أهمية وضرورة تطبيق المُتاح من النظرات اللسانية في مجالات أخرى غير مجال وصف اللغات كالترجمة وتحليل النصوص والمعلومات والتعليم وغير ذلك ، فكان أن وُظفت في تعليم اللغات تحديداً مناهج مختلفة بنوية وتوليدية وتواصلية(أحمد المتوكل ، 2005 ، ص111).

وبصرف النظر عن النتائج المحرزة في المجال استناداً إلى المناهج المختلفة على جهة التفصيل يبقى المنهج الوظيفي - فيما يبدو- المنهج الأَكْفَى والأكثر فاعلية بالنظر إلى ما يتسم به من انفتاح أولاً ، ومن توازن ثانياً ، يتمثل ذلك في جمعه بين الحرص على تعلم القواعد النحوية وتعلم كيفية الاستعمال التي تتسجم مع الواقع اللغوي كما سبق البيان. وإذا كان هذا الأمر ينطبق على تعلم اللغة الأم وتعلم اللغة الأجنبية على حد سواء ، فإن وضع تعليم اللغة العربية لغة ثانية لا يشكل استثناءً في هذا الإطار ، بالنظر إلى أن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها (للأجانب) يندرج في نطاق تعليم اللغات الأجنبية على جهة العموم ، وإن كان يختلف عنه في بعض السمات أهمها كونه- أولاً- تعليماً موجهاً للكبار في الغالب ، وبالتالي فإن المتعلمين في هذه الحالة ، بغض النظر عن سنهم فقد سبق لهم أن اكتسبوا لغة واحدة على الأقل ، مما يجعلهم يقبلون على تعلم اللغة الثانية وهم مُزوّدون بقدر من النضج المعرفي من جانب ، وقدر من الوعي بمكونات اللغة من جانب آخر

(باتسي لايتباون ونيبا سبادا ، 2014 ، ص79) ، وكونه ثانياً تعليماً موجهاً لأغراض خاصة (مهنية ودينية وثقافية وعلمية وغيرها) ، مما يعني أن سياق التعلم وأغراض المتعلم هنا مغايرة لظروف التعلم وغاياته في اكتساب وتعليم اللغة الأجنبية عامة. "ويتجلى هذا الاختلاف أساساً في أن الملكة اللغوية لدى الكبار تكون قد رُسخت رسوخاً في لغتهم الأم بخلاف ما هو عليه وضع الأطفال حيث عادة ما يتعرضون لتعلم لغة ثانية وملكتهم اللغوية لم يكتمل نضجها في لغتهم الأم. ويعني ذلك - بالمنظور الوظيفي- أن الطاقات الست التي تُكوّن القدرة التواصلية تكون قد أتمت نضجها لدى الكبار في لغتهم الأم ، ويتطلب عملها في لغة أجنبية مزيداً من الوقت والجهد المرکز" (عز الدين البوشيخي ، 2005 ، ص129).

في ضوء هذا كله يتبين أنه يصعب بناء تصور علمي واضح عن تعليم اللغات الأجنبية بشكل عام ، وعن تعليم اللغة العربية لغة ثانية بشكل خاص في غياب الاستناد إلى النتائج المحققة في مجال اكتساب اللغة وتعلمها نظرياً وتجريبياً ، ذلك أن أهمية هذه النتائج تُمكن من الاطلاع العميق على كيفية حدوث اكتساب اللغة الأم من ناحية ، وطبيعة العلاقة القائمة بين الاكتساب في هذه المستوى وبين تعلم لغة أو لغات أجنبية من ناحية ثانية ، ومستلزمات هذا التعلم ومقتضياته من ناحية ثالثة.

لذا فبالإرتكاز على ذلك يتسنى وضع البرامج الملائمة وإعداد الكتب المقررة ، كما يمكن انتقاء المناهج والتقنيات والطرق والأساليب التي تتوافق مع الغايات والأهداف المنتظرة من التعلم. ومعنى هذا أنه كلما كانت منطلقات ومدخل "الفعل التعليمي" مبنيةً على أساس علمي واضح كانت مخرجاته ونتائجه إيجابية جيدة.

لقد تَوَضَّح في إطار المنظور الذي يوجه هذا البحث "أن تعلم لغة أجنبية يقتضي تدخل الطاقات التي تكون القدرة التواصلية ، ويتطلب عمل هذه الطاقات احتكاكاً باللغة المتعلمة في محيط لغوي مناسب. وبفعل هذا التحفيز تقوم كل طاقة بالعمل وفق المبادئ الخاصة بها ، وهي المبادئ الفطرية المستقلة عن خصوصيات اللغات الطبيعية ثم تقوم بتثبيت القواعد المرتبطة باللغة المتعلمة. وكل طاقة - وهي تعمل بمبادئها الفطرية وتُنْتَبَت القواعد الخاصة - تقوم بذلك متفاعلةً مع غيرها من الطاقات المكوّنة للقدرة التواصلية.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا وُضع المتكلم في محيط لغوي يشبه - ما أمكن- المحيط الطبيعي للغة المتعلمة. والمنهج الذي يلي هذا المطلب فيما يبدو هو المنهج التواصلية في التعليم ؛ حيث يُعتمد إلى دفع المتعلم دفعاً إلى التواصل باللغة الأجنبية في مقامات مختلفة رغم معرفته البسيطة بالمفردات المعجمية ، ورغم معرفته المتواضعة بالقواعد النحوية كذلك. ويكون الهدف في هذه المرحلة إشعار المتعلم بأنه عضو طبيعي في المحيط اللغوي الجديد من جانب ، وتكييف عاداته النطقية والسمعية مع متطلبات اللغة الأجنبية المتعلمة من جانب آخر ، وبالتالي إدماجه في المجتمع اللغوي الجديد تمهيداً لتعلم القواعد الاجتماعية والثقافية الخاصة باستعمال تلك اللغة (عز الدين البوشيخي ، 2005 ، ص131-132. تحسُّن الإشارة في هذا المقام إلى أن المنظور الوظيفي يبدو قريباً جداً من المنظور الاجتماعي الثقافي لاكتساب وتعلم اللغة الثانية الذي يرى أن التطور اللغوي - على هذا المستوى - يحدث تحديداً نتيجة التفاعل الاجتماعي ، وأهم صور هذا التفاعل ما كان بين الأفراد ، معتبراً أن التعلم الحقيقي إنما يحدث عندما يتفاعل الفرد مع متحدث آخر في مثل مستواه اللغوي ؛ أي في موقف يمكن للمتعلم أن يؤدي أداءً عالي المستوى لأنه يلقي دعماً من محدثه

(مساعدة المتعلم على أن يفهم و يفهم). وفي هذا الإطار اهتم كل من جيم لانغولف (2000) وريشارد دوناثو (1994) بإظهار كيف يكتسب متعلمو اللغة الثانية ما يتعلمونه عندما يتفاعلون مع متحدثين آخرين ويحتكون عن قرب. وكانت هذه العملية تدور تقليدياً بين متعلم وخبير. لكن بُحوثاً جديدة طبقت هذه الفكرة على الحوار بين مبتدئ ومبتدئ، ومتعلم ومتعلم فأحرزت نتائج جيدة). مما يُمكنه من العبور نحو العالم الخارجي للغة المتعلّمة من خلال امتلاك مهارات كيفية استثمار اللغة واستعمالها في السياقات المختلفة المتنوعة؛ أي من خلال معرفة كيفية التصرف في مواجهة مختلفة الوضعيات والظروف التواصلية المتغيرة باستمرار. لذا فعوض مُراكمة المعرفة اللغوية (قواعد وتراكيب وبنيات) بطريقة كمية جوفاء - كما هو الحال في الاتجاه التقليدي - يُهزّن المتعلّم ويدفع لتكييف معارفه ومعلوماته ومهاراته اللغوية للتفاعل الإيجابي مع المواقف الخطابية المختلفة ومواكبة متطلبات الوضعيات التواصلية المتنوعة المتقلبة والتأقلم معها.

على هذا الأساس تُعدّ المقاربة الوظيفية للغة نظاماً مفتوحاً (open system) يُعنى تحديداً بسياق الاستعمال وأدوار المخاطب والمخاطب. وغير خافٍ هاهنا أن هذه المقاربة متأثرة بعلم النفسي المعرفي (cognitive psychology) من ناحية، واللسانيات الاجتماعية (sociolinguistics) من ناحية أخرى. فمن وجهة الرؤية المعرفية ترى المقاربة الوظيفية للغة أداة لتقل وتبادل الأفكار والمفاهيم والمعلومات، بما يعني أنها تمتلك وظيفة معرفية (cognitive function)، بينما تتأثر باللسانيات الاجتماعية من جهة كونها ترى بأن اكتساب اللغة وتعلمها ينهضان أساساً على تعلم المهارات والقواعد الاجتماعية التي تُمكن من التواصل بفعالية داخل الجماعة (اللغة والتواصل التربوي والثقافي، كتاب جماعي، 2008، ص14). وهذا يدل على أن مركز الاهتمام في المنظور الوظيفي ليس على ما يعرفه المتعلمون عن اللغة بشكل مجرد صوري، وإنما على ما يُمكنهم فعله بها سواء داخل فضاء التعلّم أو خارجه.

وتؤكد العديد من الأبحاث التجريبية (Krashen, S. 1982 and Mitchel, R. and Myles, F 2004) أن المتعلم يتمكن - استناداً إلى هذا المنهج - من أن يحقق قدراً من التعلم بسرعة كبيرة، بحيث تنمو معرفته المعجمية، ويتكيف سلوكه اللغوي مع المواضع الاجتماعية والثقافية الجديدة، ويجتهد اجتهاداً في إظهار قدرته على التواصل باللغة المتعلمة في المقامات المختلفة. ويتم التركيز في هذه المحطة على تحفيز الطاقات الاجتماعية والإدراكية واللغوية بشكل جزئي. فكل طاقة من هذه الطاقات تحتاج إلى تثبيت قواعد خاصة باللغة العربية المراد تعلمها وبكيفية استعمالها. وأما الطاقتان المعرفية والمنطقية فيظهر أنهما تعملان بصورة طبيعية ولا تتطلبان مجهوداً استثنائياً (عز الدين البوشيخي، 2005، ص132).

ومعنى ذلك بتعبير أكثر وضوحاً أن عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها اعتماداً على المنهج الوظيفي - التواصلية يفترض أن تمر (أي عملية التعليم) عبر ثلاث مراحل أساسية متكاملة وهي:

(أ)- المرحلة الأولى؛ يتعين أن تُحفّز فيها المبادئ الفطرية الكلية قبل الإقبال على تعلم القواعد الخاصة باللغة المتعلّمة. ويتأتى ذلك على نحو أفضل في حال وجود محيط / واقع لغوي يُحاكي الوضع الطبيعي من جانب، وبتحقيق إغماس المتعلم في محيط وسياق اللغة المتعلّمة من جانب آخر.

(ب)- المرحلة الثانية؛ يحصل فيها ترسيخ وتثبيت (fixation) القواعد الخاصة باللغة المتعلمة وباستعمالها. ويتم استثمار المعطيات اللغوية التي أضحي المتعلم متعوداً على إنتاجها وفهمها في تعليم هذه القواعد. وعلى

هذا النحو تصير القواعد التي يمتلكها المتعلم نسقاً يفسر له سلوك الظواهر اللغوية ، ويجيب عن الأسئلة التي تُثارُ في ذهنه وهو يقارن بين لغته الأم واللغة المتعلمة. لذا فبدل أن تكون القواعد عبئاً ثقيلاً على المتعلم تغدو إجابات عن الأسئلة التي تتولد عنده مما يجعله يُقبل على تعلمها إقبالاً ، خاصة إذا كانت مصوغة بطريقة بسيطة واضحة.

وهذه القواعد الخاصة التي يتم تثبيتها بالتعليم لا تنحصر فقط في نطاق "القواعد النحوية" وإنما تشمل كذلك "القواعد التداولية" التي تربط بين العبارات اللغوية وبين الأغراض التواصلية ، والقواعد الاجتماعية والثقافية الخاصة ، وكذا قواعد إدراك حركات الجسم وتقاسم الفضاء أثناء التواصل.

(ج-) المرحلة الثالثة ؛ التي تقتضي أن يُؤخذ بعين الاعتبار أساساً الهدف من التعلم والغاية منه ؛ بحيث يُخصَّصُ لكل غاية برنامجٌ محددٌ يتوافق مع متطلباتها. فنجاح التعليم -كما هو معلوم- رهين بنجاح المتعلم في تحقيق غرضه من التعليم. فقد أكدت دراسة حديثة همّت عينات من أصول متنوعة جغرافياً ؛ من آسيا وأمريكا وأوروبا وإفريقيا ، ومن مراكز ومعاهد متعددة بالملكة العربية السعودية ومصر ما أثبتته دراسة سابقة لعبد الخالق الضيبياني في اليمن من " قصور مستوى الدارسين في مهارات اللغة ، نظراً لعدم ارتباط المحتوى الدراسي باحتياجات هؤلاء الدارسين ، ومن ثمة عدم رضاهم على هذا البرنامج المقدم لهم ، لأنه لا يلبى احتياجاتهم اللغوية ، وغير مؤثر في تنمية مهاراتهم اللغوية التي تشبع تلك الحاجات ". (هداية هداية إبراهيم ، 2009 ، ص 50-176). ويستوجب ذلك - تحديداً- ترتيباً مخصوصاً مدروساً للأولويات ، وانتقاءً جيداً للمعطيات في التعليم ، واختياراً حكيماً لتقنيات تنسجم مع طبيعة هذا التعليم. وعليه فمن غير المعقول بتاتاً تسطير برنامج موحد لكل المتعلمين دون مراعاة طبيعة الأغراض المختلفة (علمية ، ثقافية ، دينية ، مهنية ، وغيرها) التي ينتظرون تحقيقها من خلال تعلمهم تلك اللغة (هداية هداية إبراهيم ، 2009 ، ص 93).

خاتمة:

كان الهدف من هذه الورقة تبين أهمية الربط بين تعليم اللغة العربية لغة ثانية من جهة ، وبين ما استجدّ - نظرياً وتجريبياً- في مجال تعليم اللغات الأجنبية عامة من جهة ثانية ، ومن ثمة إبراز إمكان الاستفادة من ذلك واستثماره في بناء منهاج دراسي فعال وطريقة تعليمية ناجعة مبنين على أساس تصور علمي مضبوط. كما تبين أن الاعتماد على المنظور الوظيفي في تعليم اللغة العربية لغة ثانية يبدو أكثر جدوى من غيره. وعلى صيغة الإجمال فقد أفضى البحث إلى النتائج الآتية:

يدل الوضع اللغوي العام على أن هناك تجارب عديدة في مجال تعليم اللغة العربية لغة ثانية ، كما أن هناك اهتماماً ملحوظاً من قِبَل الأجانب بتعلم هذه اللغة ، إلا أن هذا التعلم ليس مؤطراً وفق نماذج محددة ، وطرائق مخصوصة وبرامج معينة ، الأمر الذي يجعل هذا المجال ميداناً للتجريب أكثر منه حقلاً للبناء والتطوير.

إن تطوير تعليم اللغة العربية لغة ثانية رهين بالاستفادة مما جدّ في مجال البحث اللساني وتطبيقاته الوظيفية عامة ، وفي مجال تعليم اللغات الأجنبية خاصة. وإقامة منهاج يأخذ بالنتائج النظرية والتجريبية المحرزة في الميدان ، ومن ذلك فهمُ المراحل التي يتم قطعها في اكتساب اللغة والبناء على ذلك في التخطيط لعملية تعليم اللغة العربية لغة ثانية.

تؤكد الأبحاث المعنية بتعليم اللغات الأجنبية (التي يندرج ضمنها تعليم اللغة العربية لغة ثانية) أن هذا النوع من التعلم يجب أن يخضع لشروط علمية مضبوطة، وتخطيط محكم من ناحية، كما تؤكد - من ناحية ثانية - على أن تعليم اللغات الأجنبية لا يختلف كثيراً عن اكتساب اللغة الأم إلا في جوانب محددة، لذا فإقامة نوع من "المماثلة" بين اللغتين أمرٌ ضروري للارتقاء بالتعلم وتطويره.

تقتضي نظرية النحو الوظيفي أن كل طاقة من الطاقات السبع المكوّنة للقدرة التواصلية (رغم أنها مستقلة) مُلزَمة بالتفاعل مع غيرها أثناء عملية تعلم اللغة بشكل عام، بيد أن الطاقات التي تتطلب عملية تعلم لغة ثانية مجهوداً استثنائياً هي الطاقة اللغوية والطاقة الإدراكية والطاقة الاجتماعية. وتنشط هذه الطاقات على نحو أفضل - وفق المنظور الوظيفي - يقتضي الاستناد إلى أمرين اثنين: الطريقة التواصلية ومنهج الإغماس، بالنظر إلى كونهما يمكنان من تجاوز تعلم التراكيب وقواعد النحو للغة المتعلمة إلى التمكن من كفاءات استعمالها بما ينسجم مع القواعد الثقافية والاجتماعية المرتبطة بتلك اللغة.

ضرورة تجاوز "التوجه التقليدي" في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الذي يركز على المعجم والنحو والترجمة لأجل تثبيت الهيكل اللغوي لدى المتعلم، واستبداله ب"التوجه الوظيفي التواصلية" المرتكز على تنمية قدرات المتعلمين عبر الحوار والتفاعل والتواصل من جانب، والمنطلق - من جانب آخر - من تصور يقضي بإمكان التقريب بين اكتساب اللغة الأم وتعلم لغة أجنبية (العربية في هذه الحالة)، ومن ثمة انتهاز المسطرة نفسها في ترتيب الفعل التعليمي وإنجازه.

قائمة المراجع المعتمدة في البحث:

أولاً، المراجع العربية:

أحمد المتوكل، 2005، "مفهوم الكفاية وتعليم اللغات". ضمن كتاب: تعليم اللغات: نظريات ومناهج وتطبيقات، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب.

أحمد المتوكل، 2005، الوظيفية بين الكلية والنمطية. دار الأمان، الرباط، المغرب.

باتسي لايتباون ونيئا سباء، 2014، كيف نتعلم اللغات. ترجمة على أحمد شعبان. المركز القومي للترجمة. القاهرة.

بلقاسم، اليوبي، 2005، "تعليم اللغة العربية للأجانب: عرض مشروع تعليم العربية عن بعد"، ضمن كتاب: تعليم اللغات؛ نظريات ومفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب.

السيد، محمود أحمد، 1988، تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

هداية، هداية إبراهيم، 2009، تحليل الحاجات اللغوية في مواقف الاتصال اللغوي لدى دارسي اللغة العربية للناطقين بغيرها، سجل المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة الملك سعود، معهد اللغة العربية.

القاسمي علي، 1985، "تجارب واتجاهات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، مجلة التدريس، كلية علوم التربية، الرباط، المغرب.

عز الدين البوشيخي ، 2005 ، "نظرية النحو الوظيفي وتعلم اللغات". ضمن كتاب: تعليم اللغات ، نظريات ومفاهيم وتطبيقات ، منشورات جامعة مولاي إسماعيل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس ، المغرب.
عز الدين البوشيخي ، 2012 ، التواصل اللغوي ؛ مقارنة لسانية وظيفية. مكتبة لبنان ناشرون ودار دائم. ط1. بيروت ، لبنان ، 2012.
عز الدين البوشيخي ، "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وسبل تطويره" ، منشور على شبكة الأنترنت: (www.voiceofarabic.net)
اللغة والتواصل التربوي والثقافي ، 2008 ، كتاب جماعي. منشورات مجلة علوم التربية ، الدار البيضاء ، المغرب.
ثانيا ، المراجع الأجنبية:

Block, d. (2003). The Social Turn in Second Language . Edinburgh University Press.

Bill Van Patten and Jessia Williams , (2015) , Theoris In Second Language Acquisition, Routledge, New York and London. P : 113-117.

Chomsky. N. (2006). Language and Mind. Cambridge University Press. (Third Edition).

Dick.S.(1989). The Theory of Functional Grammar. part1: The structure of the clause. Foris Publications Dordrecht

Hengeveld, Kees & J. Lachlan Mackenzie (2008) :Functional Discourse Grammar: A typologically-based theory of language structure. Oxford: Oxford University Press.

Krashen, S. (1982). Principles and practice in second language. Oxford: Pergamon. London.

Mitchel, R . and Myles, F. (2004). Second language: learning Theories. Arnold: london.

العنف المجتمعي ضد المرأة في مصر "التحرش الجنسي نموذجا"

A sexual harassment model Societal violence against women in Egypt

د وفاء سمير نعيم، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية- مصر

مقدمة

حضت ظاهرة العنف في الآونة الأخيرة باهتمام علمي واسع، ليس كنتيجة لاهتمام الدول والهيئات الدولية فحسب، بل لتزايد صورته ودخوله بقوة إلى دائرة الحياة اليومية للناس، مما أدى إلى تحوله إلى ظاهرة عالمية، ولم يعد قاصرا على العنف السياسي الموجه ضد النظم السياسية، بل إنه أصبح جزءا لا يتجزأ من تفاعلات الأفراد في حياتهم اليومية.

ومع هذا الانتشار الواسع لهذه الظاهرة، فقد طالت بصوره المختلفة وأشكالها المتعددة، حياة الكثير من الأفراد والشرائح الاجتماعية المختلفة، حظيت المرأة بالنصيب الأكبر منه، إلى الحد الذي يجعل من الصعب ارتباطه بسبب واحد، إلا أن هناك العديد من الأسباب المتفاعلة والمختلفة التي أدت إلى بروز هذه الظاهرة ضد المرأة عالميا وإقليميا ومحليا. (مديحة حامد، خالد كاظم، 2007م)

ومثلها تعددت هذه الأسباب، تعددت كذلك مظاهر العنف الموجه للمرأة بل وأشكاله المختلفة، ولذلك أوجب الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1993، لكي يؤكد هذا المنحى، وقد تبنت في هذا الصدد تعريفا، حددت بمقتضاه العنف ضد المرأة بأنه "أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس، ينجم عنه، أو يحتمل أن ينجم عنه، أذى أو معاناة جسدية أو جنسية أو نفسية للمرأة، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل، أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة. (المرجع نفسه)

وقد نص هذا الإعلان على وجوب أن يشمل مفهوم العنف ضد المرأة الأنواع المختلفة له، كالعنف الجسدي والنفسى و الجنسي الذي يقع في إطار الأسرة، بما في ذلك الضرب المبرح، والإساءة الجنسية لصغار الإناث، والاعتصاب في إطار الحياة الزوجية، وبترا الأعضاء التناسلية للإناث (الختان)، وغيره من الممارسات التقليدية المؤذية للمرأة. ويضاف إلى ذلك العنف المؤسسي، الذي قد يقع في المؤسسات التعليمية أو في مجالات العمل، والذي يتناول استبعاد النساء من بعض مراكز السلطة الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية. كما يشمل أيضا العنف المجتمعي، الذي تتعرض له المرأة في علاقاتها الاجتماعية خارج حدود الأسرة، أو في الطريق العام، كخدش حياؤها، أو الاستخفاف بها، أو التقليل من شأنها، أو انتهاك حقوقها. (ناهد رمزي و عادل سلطان، 2000م.)

وفي إطار هذا المفهوم، يظهر أن الكثير من أشكال السلوك التي ينظر إليها على أنها أمور عادية تندرج تحت إطار العنف، خاصة ما يتم منها داخل البيت ويحاط بإطار من الخصوصية. فضرب الرجل لزوجته أو لبناته،

أو انتهاك حقوق المرأة في عملها، أو التعرض لها في الطريق العام، كلها ممارسات لا تندرج في إطار الجريمة ولا يحاسب عليها القانون، بينما هي كذلك وفق التعريف الدقيق للمفهوم الذي تبناه الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وقد تزايدت أعمال العنف ضد المرأة حتى أصبحت تمثل مشكلة في حاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية التي تهدف إلى الوقوف على أسبابها وتحليل أبعادها واقتراح أساليب للمواجهة، وهذا التزايد في معدلات العنف ظهر في أنماط السلوك المختلفة للأفراد، حتى أصبح في شكل جرائم ترتكب ضد الأفراد بشكل عام وضد المرأة تحديداً. (المرجع السابق).

كما وقعت جرائم التحرش الجنسي والاعتصاب على سطح الأحداث في الأونة الأخيرة في جميع أنحاء العالم، وقد تطورت هذه الظاهرة في مصر من التحرش الفردي إلى التحرش الجماعي؛ حيث تقوم مجموعة من الشباب بالتحرش بالنساء بشكل جماعي و في الأماكن العامة المزدهمة وتتسم هذه الجرائم بأقصى درجات العنف ضد المرأة لما لها من آثار نفسية واجتماعية على ضحيتها، حيث تنتهك أدميتها واحترامها لذاتها.

ومع تزايد انتشار أفعال التحرش الجنسي أصبح من الضروري في الوقت الراهن، أن نفتح هذا الملف المسكوت عنه، والذي يعد من الإشكاليات الخطيرة التي تهدد السياق الاجتماعي وقد أكدت إحصائيات وزارة الداخلية أن التحرش الجنسي يمثل 13% من إجمالي الجرائم التي ترتكب في المجتمع المصري بعد أن كانت تمثل 6% فقط قبل أعوام قليلة، وحتى لانكون مبالغين، إذا اعترفنا بأن التحرش الجنسي يمثل إحدى المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي تهدد عمليات التفاعل الاجتماعي في المجتمع المصري مثلما هي مشكلة خطيرة تهدد مجتمعات عربية وغربية كثيرة.

من هنا تأتي أهمية الورقة الراهنة من كونها تتناول مشكلة من أهم وأخطر الموضوعات والمشكلات الاجتماعية المسكوت عنها في المجتمع المصري، ولا تتأكد أهمية هذه الدراسة من خلال أنها تقع في نطاق مناهضة العنف ضد المرأة فحسب، ولكن لأنها أولاً: تركز على شكل مهم من أشكال العنف الجنسي الموجه ضد المرأة، ألا وهو التحرش الجنسي سواء كان ذلك التحرش الذي يحدث للمرأة في شكله العام داخل المجالات والسياقات الاجتماعية المختلفة، أو ذلك الذي يحدث داخل الأسرة ويطلق عليه التحرش الجنسي بالمحارم، ثانياً: لأنه يتناول مشكلة التحرش الجنسي والتي لم تلق اهتماماً أكاديمياً كبيراً، ثالثاً: أن الدراسة الراهنة تحاول التصدي لظاهرة التحرش الجنسي من خلال وجهة نظر سوسيوولوجية تعتمد في المقام الأول على أساس أن التحرش الجنسي فعل وسلوك يحدث في السياق الاجتماعي للتفاعلات اليومية للمرأة. (جورج فهى، 2013م- عادل عامر، 2016م). لذا تسعى الدراسة الراهنة إلى محاولة فهم وتحليل الأبعاد المختلفة لظاهرة العنف المجتمعي ضد المرأة في مصر بالتطبيق على التحرش الجنسي "نموذجاً". وينبثق من هذا الهدف مجموعة من الأهداف الفرعية على النحو التالي:

التعرف على الأشكال المختلفة للتحرش الجنسي في مصر التي تجسد في مواقف الحياة اليومية للأفراد، والمجالات التي تظهر فيها.

حجم الانتشار، دوافع التحرش الجنسي، وسماوات المتحرش.

الطرق التي تعتمد عليها المرأة في مواجهتها لأفعال التحرش الجنسي.

النتائج المترتبة على تعرض الأنثى لأفعال التحرش الجنسي.

أساليب المواجهة المجتمعية من جانب مؤسسات الدولة لمناهضة ظاهرة العنف المجتمعي ضد المرأة بشكل عام والتحرش الجنسي تحديداً.

أولاً: التعريفات الإجرائية

1-العنف ضد المرأة: يعرف العنف بشكل عام بأنه "سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر من طرف قد يكون فرداً أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال وإخضاع طرف آخر في علاقة قوة غير متكافئة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، مما يتسبب في إحداث إضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى". (عزت الشيشني، 2006م، مج 2)

أما العنف ضد المرأة تعرفه الأمم المتحدة بأنه "أى عمل من أعمال العنف النوعي الذي يؤدي أو يحتمل أن يؤدي إلى ضرر بدني أو جنسي أو نفسي أو معنوي للسيدات، بما في ذلك التهديد بهذه الأعمال أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة". (ابراهيم خربوش، 2010م). ويشير مفهوم العنف ضد المرأة في الإعلان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1993 بأنه "أى فعل أو تهديد بالفعل يؤدي أو يحتمل أن يؤدي إلى أذى جسدي أو نفسي أو جنسي، أو يحد من الحرية الشخصية للمرأة بسبب كونها امرأة". (نادية حليم، 2011م).

و في اتفاقية رفع كل أشكال العنف والتمييز ضد المرأة (السيداو)، فإن العنف القائم على أساس الجنس هو "شكل من أشكال التمييز يعطل قدرة المرأة على التمتع بحقوقها وحراباتها على أساس من التساوى مع الرجل. واعتبرت الاتفاقية أن العنف ضد المرأة بصفقتها امرأة يشمل الأفعال التي تلحق الأذى أو المعاناة الجسدية أو العقلية أو الجنسية والتهديد بمثل هذه الأفعال، والقهر وأشكال الحرمان الأخرى من الحرية". (المرجع نفسه) في ضوء ذلك تعنى الدراسة الراهنة إجرائياً بالعنف المجتمعي ضد المرأة بأنه أى سلوك أو فعل عنيف يوجه إلى المرأة سواء من فرد أو جماعة أو مؤسسة أو مجتمع، والذي قد يؤدي إلى حدوث أذى أو معاناة لها، سواء من الناحية الجسدية أو النفسية أو الجنسية.

2-التحرش الجنسي Sexual Harassment: ارتبط ظهور مصطلح التحرش الجنسي بحقوق الإنسان، والاهتمام الدولي برفض كل أشكال التمييز ضد المرأة، وحتى عام 1994 لم تكن جريمة العنف الجنسي بادية للعيان، ونادراً مايجرى الإبلاغ عنها أو المقاضاة بشأنها، وكثيراً ما كان الضحايا من النساء لديهن من الخجل ما يمنعهن من البوح بما لديهن، وكن إذا فعلن ذلك يتعرضن لعقاب اجتماعي، لذا فهي من الجرائم المسكوت عنها، وحتى عام 1994 لم يكن هناك وجود قانوني لهذا المفهوم، غير أن كثيراً من بلدان العالم بدأت بعد هذا التاريخ في النظر إلى إصلاح القوانين لضمان إيجاد نظام عدالة أفضل لضحايا هذا الفعل، ووضع قوانين تدين هذه الجريمة وتعاقب عليها.(نفس المرجع السابق)

ومنذ ذلك الوقت تبلورت العديد من الأسباب التي أدت إلى زيادة الاهتمام بمفهوم التحرش الجنسي والتي منها؛ ظهور الحركات النسوية المدافعة عن قضايا المرأة، بالإضافة إلى نشأة عدد من الجمعيات والمؤسسات المحلية والقومية والعالمية — التي اهتمت بقضايا المرأة ومنها القضايا المرتبطة بالعنف الموجه ضدها في

كل صورته وأشكاله ، وما أرتبط بذلك من فهم عالمي لحقوقها وحرمتها.(مديحة أحمد عبادة وخالد كاظم أبو دوح ، المرجع السابق- مجدي محمد جمعة ، 2013م.)

ويشير الإعلان العالمي لوقف العنف ضد النساء أن التحرش الجنسي هو "شكل من أشكال العنف التي ينتج عنها اعتداء على النساء من خلال سلوكيات واضحة أو ضمنية تحمل صيغة جنسية ، وتصدر من شخص له نفوذ على آخر يرفض الاستجابة للربغة ، ومصدر العنف هنا نابع من الألم والضييق الذي يحد من حرية النساء.) احمد محمد عبد اللطيف ، (2009م)

ويعرف أيضا التحرش الجنسي "إيذاء الإنسان على المستوى النفسي والجسدي من خلال العلاقات الجنسية أو الكلمات الجنسية ، ويكون بعدم إرادة الإنسان أو إرادته تحت ضغط وتعرض له الموظفة والعاملة أو الخادمة ، أو الطالبة لسلوك ذو طابع جنسي لا ترغب فيه ولا ترحب به" . (محمد على قطب ، 2008م.)

هذا وقد نصت بعض القوانين في العديد من المجتمعات الأوروبية والأمريكية إلى أن التحرش الجنسي عبارة عن سلسلة من الأفعال ، تبدأ من سلوك علني بالنظرة أو القول مؤسس ومبني أيضا على أساس الجندر ، وتنتهي إلى سلوك عنيف ومهين مؤسس أيضا على أساس الجندر. وإذا كانت المؤسسات القانونية اعتمدت على مفهوم الجندر في تعريفها للتحرش الجنسي ، فإن الاتجاهات النظرية النسوية والدراسات التي اعتمدت على رؤى هذه الاتجاهات ، قد ربطت ما بين الجندر والتفاوت في حيازة القوة بين الرجل والمرأة ، وتعريفها لمفهوم التحرش الجنسي ، وذلك من خلال النظر إلى أفعال التحرش الجنسي على أنه خطوة إضافية على طريق العنف الجسدي والمعنوي الموجه ضد المرأة ، وذلك من خلال أن الهدف منه قد لا يكون دائما جنسيا بحتا ، بقدر ما هو تأكيد لسلطة الشخص المتحرش ، واعتبار المرأة موضوعا "شيئا" له ، إن المرأة التي تتعرض للتحرش والتحرش الجنسي تعتبر من قبل المعتدى عليها كما لو كانت "تحت التصرف" ويجب عليها القبول ، بل يجب أن تعتبر نفسها محظوظة ، وترهو بقيمتها إذا كانت هي المصطفة ، وهذا أيضا ما تؤكد " فيزا جيرالد Fitzgerald بقوله أن التحرش الجنسي يمثل طريقة يحافظ ويؤكد بها الرجال على سيادتهم وسيطرتهم ، ومن هنا فإن معظم أفعال التحرش فيها القليل من الرغبة في الأمور الجنسية ، وفيها الكثير من الرغبة في إهانة وتحقير النساء والسخرية منهن.(شحاته أبو زيد ،(د.ت) ومديحة احمد عبادة المرجع السابق .)

ومن التعريفات التي اعتمدت على الرؤية السابقة تعريف كاتلين Kathleen التي ذهبت إلى أن التحرش هو "مجموعة من الأفعال التي يقوم بها الرجل ضد المرأة ، والتي تعكس في مجملها المكانة الاجتماعية المتدنية للمرأة مقارنة بالرجل ، كما تعكس أيضا عملية نشر الدور الجنسي للنوعى للمرأة على حساب أدوارها الأخرى" ، ووفق هذه الرؤية فإن التحرش الجنسي ينشأ من تفاوتات وفروق القوة وحيازتها واستغلالها بين الرجال والنساء على المستويين الاجتماعي والثقافي ، ويعمل التحرش الجنسي على الحفاظ على الفروق والتباينات على المستوى التنظيمي.(مديحة احمد عبادة المرجع السابق.)

وإلى جانب الرؤية النسوية لمفهوم التحرش الجنسي ، ظهرت عدد من التعريفات ، عرضت بشكل تفصيلي للأفعال المرتبطة بالتحرش الجنسي ، منها ما ذهبت إليه عزة كريم وهو أن "التحرش الجنسي هو التعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها بالقول أو الفعل في طريق عام ، أو مكان مطروق ، ولا يشترط في ذلك أن يقع التعرض جهرا ، ولكن الجريمة تتحقق أيضا في حالة إلقاء عبارات تعرض همسا في أذن الأنثى بحيث لا

يسمى غيرها ، مادامت هذه العبارات قد أقيمت في طريق عام أو مكان مطروق ، وتقع الجريمة على أنثى سواء كانت بالغة أو غير ذلك ، ولكن في حالة صغر سنها يجب أن تكون ممن يدركون دلالة القول أو الفعل ، حتى يصبح القول بأن حياءها قد خدش ". (المرجع السابق)

وتفصيلاً أكثر لأشكال هذا التحرش ، نجده في تعريف "رقية الخيارى" الذي ذهب إلى أنه شكل من أشكال العنف الجسدي ضد المرأة ، ويحدث أضراراً بكرامة المرأة وشرفها وحرمتها ، ويظهر على أرض الواقع في صيغ مختلفة هي: (Guide On Prevention On Sexual Harassment In The Workplace , 2010)

أ- تلميحات لفظية مباشرة مثل الإطراء ، النكت ، الدعابة.

ب- تلميحات مباشرة وغير مباشرة بواسطة الإشارات والنظرات ، الإبتسامات ، تقديم صور وحركات ذات إيحاءات جنسية.

ج- اللمس الذي يبدأ بالقرص واللامسة والاحتكاك وقد يصل إلى الاغتصاب.

وهناك أيضاً عدد من التعريفات التي أكدت على فكرة عدم رضا وقبول الأنثى لهذه الأفعال التي تهدف إلى الجنس ، ومقاومتها لمرتكب هذا الفعل ، منها تعريف أنتوني جيدنز Giddens والذي أشار إلى أن "التحرش الجنسي هو محاولة فرد تحقيق تقدم في العلاقات الجنسية لا يرغب فيها الطرف الآخر ، و في هذه المحاولة يصر الطرف الأول حتى وإن اتضح له مقاومة الطرف الآخر لذلك". (مديحه أحمد عبادة و خالد كاظم أبو دوح المرجع السابق)

ومن خلال العرض السابق للتعريفات السابقة التي صيغت حول مفهوم التحرش الجنسي ، يمكن الاستدلال والخروج ببعض الملاحظات النظرية والمنهجية المرتبطة بمفهوم التحرش الجنسي كالتالي : (المرجع نفسه) أن هناك ثمة ربط بين مفهوم التحرش الجنسي وما يتضمنه من أفعال ، وبين مفهومي القوة والمكانة لكل من الرجل والمرأة ، وذلك من منطلق أن ارتفاع مكانة - سواء المكانة الاجتماعية أو الرسمية - مرتكب فعل التحرش من مكانة المرأة المجني عليها ، إضافة إلى حيازة قدر من القوة أكبر منها ، يمثلان دافعان أساسيان يستند عليهما مرتكب فعل التحرش .

هناك ربط بين ظهور التحرش الجنسي والمكانة المتدنية للمرأة داخل السياق الاجتماعي ، من منطلق أن هذه الظاهرة في صورتها المتباينة تحدث في هذا السياق أو السيادة الذكورية بمعنى أن تلك الثقافة تعلى من شأن الرجال على حساب النساء ؛ حيث توفر - الثقافة الذكورية - المناخ الاجتماعي الذي يدعم مثل هذه السلوكيات المنحرفة.

أن ثمة اتفاق بين العديد من الباحثين على أن التحرش الجنسي ، يتضمن أفعال لفظية ، وجسدية . هناك ربط ما بين أفعال التحرش الجنسي ، وبين موقف الأنثى الراض لمثل هذه الأفعال ، أما في حالة قبول الأنثى لمثل هذه الأفعال وعدم رفضها - ولو داخلياً - فإنها لم تعد تحرش .

أن ثمة اتفاق ما بين التحرش الجنسي العام ، والذي يحدث في العديد من المؤسسات الاجتماعية والأماكن المختلفة كالشارع والمدرسة والجامعة ، ومحل العمل وغير ذلك ، وبين التحرش الجنسي داخل الأسرة الواحدة ن أو ما اتفق على تسميته بالتحرش الجنسي بالمحارم ، إضافة إلى الفرق الواضح ما بين التحرش الجنسي بالمحارم وزنا المحارم .

و في ضوء ماسبق يمكن تعريف التحرش الجنسي إجرائياً بأنه فعل ذو طبيعة جنسية يوجه إلى المرأة ، وغير مرحب به ، ويحدث ذلك في السياق الاجتماعي للتفاعلات اليومية المختلفة للمرأة سواء في (البيت ، الشارع ، المواصلات ، العمل ، المدرسة ، الجامعة ،.....إلخ)، ويتخذ هذا الفعل أشكالاً مختلفة تبدأ من التعليقات والألفاظ الجنسية ، وتنتهي إلى القرص والملامسة وقد تصل إلى حد الاغتصاب ، مما يجعلها تشعر بامتهان لكرامتها وإنسانيتها على نحو يسبب لها أضراراً نفسية وبدنية.

2-الإجراءات المنهجية

أ-الأسلوب المنهجي للدراسة: تم الاعتماد على الأسلوب الكي في وذلك باستخدام طريقة دراسة الحالة ؛ حيث تفيد هذه الطريقة في الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة والعوامل التي تؤثر فيها ؛ كما ستساعد الباحثة على تلمس الدلائل والمؤشرات التي تكشف عن معالم الظاهرة باستجلاء السياق الاجتماعي من ثقافة المجتمع.

ب-أدوات جمع البيانات: تم استخدام دليل دراسة حالة كأداة للبحث ، اشتمل على مجالات الدراسة المختلفة.

ج - مجالات الدراسة

-المجال الجغرافي: تم تطبيق الدراسة الراهنة في نطاق محافظة القليوبية بين منطقتين واحدة حضرية والأخرى ريفية تحددت الأولى في مركز قليوب (حضر)، والثانية أجريت في قرية سنديون التابعة لمركز قليوب (ريف).

-المجال البشري: شملت عينة الدراسة (50) دراسة حالة من الإناث ضحايا التحرش الجنسي تم اختيارهن بطريقة كرة الثلج باستخدام أسلوب "كرة الثلج".

-المجال الزمني: استغرقت الدراسة الميدانية شهر واحدا بدءاً من 15 يناير 2018 حتى 15 فبراير 2018.

ثانياً: نتائج الدراسة

1-الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لحالات الدراسة

أ-السن: كشفت البيانات عن مدى خطورة هذه الظاهرة على المرأة فمعظمها حدثت في فئة السن ما بين (17-40) سنة وهي فئة الشباب ويتسق ذلك مع ما توصلت إليه دراسة حول هذا الموضوع حيث أكدت على أن من تعرضن للمضايقات الجنسية تراوحت أعمارهن ما بين (15-24) سنة ، يليها من هن في سن (25-40) ، وتقل في الفئات العمرية الأخرى ، مما يعني أن الإناث في عمر الشباب من أكثر الفئات المعرضة لهذا الفعل.

ب-الديانة: جاءت غالبية الحالات ممن ينتمون للدين الإسلامي بواقع 45 حالة بنسبة 90% ، أما النسبة الباقية 10% بواقع خمس حالات فقط ممن ينتمون للديانة المسيحية.

ج- الحالة التعليمية: أوضحت البيانات أن أكبر نسبة منهن من الحاصلين على التعليم الجامعي (40%) بواقع 20 حالة ، يليها مرحلة التعليم فوق الجامعي (ماجستير ودكتوراه) بنسبة (30%) بواقع 15 حالة ، يأتي بعد ذلك الحاصلين على تعليم متوسط بنسبة (20%) بواقع 10 حالات ، أما نسبة الأميات فقد بلغت نسبتتهن (10%) بواقع 5 حالات ويعكس هذا التنوع في الوضع التعليمي الواقع الاجتماعي الذي يعني أنه لا توجد امرأة تسلم من هذا الفعل أو السلوك.

د- الحالة الاجتماعية: كشفت البيانات عن أن جميع الحالات المدروسة تعرضن لهذا السلوك أو الفعل ، ولا يحمى المرأة زوجها أو أن تكون داخل أسرة تعطيها الأمان أو تدافع عنها حين تتعرض لذلك ، فقد جاءت المتزوجات في المرتبة الأولى بنسبة (50%) بواقع 25 حالة تعرضن للتحرش ، ثم يأتي الذين لم يسبق لهن الزواج (30%) بواقع 15 حالة ، ثم المطلقات بنسبة (18%) بواقع 9 حالات ، أما فئة الأرامل فقد جاءت بنسبة (2%) بواقع حالة واحدة.

هـ- المهنة: كشفت البيانات أن معظم الحالات ممن يعملن في مهن مختلفة بنسبة (60%) بواقع 30 حالة تمثلت في (مدرسين بإحدى مراكز البحوث العلمية ، مدرسات بالمدارس ، من مجالات العمل المختلفة) ، أما من لا يعملن منهن (ربات منزل بنسبة 24% بواقع 12 حالات ، و 7 حالات بواقع 14% تبحثن عن عمل ، وحالة أخرى لازالت في مرحلة التعليم الفني التجارى بواقع 2%) . ويؤكد ذلك أن سلوك التحرش الجنسي لا يرتبط فقط بخروج المرأة إلى مجالات العمل المختلفة ، ولكنه يمكن أن يحدث ذلك للمرأة غير العاملة في سياق التفاعلات الاجتماعية المختلفة كالسوق ، المواصلات العامة ، الشارع ، المنزل ، إلخ.

و-مكان السكن: تبين من البيانات أن سلوك التحرش الجنسي لا يقتصر على بيئة جغرافية دون أخرى فتكاد تتساوى في ذلك كل من السياق الحضري ونظيره الري في (52%) بواقع 26 حالة و (48%) بواقع 24 حالة ، الأمر الذي يعكس التغيرات التي لحقت بالسياق الاجتماعي (الري في - الحضري) والتي أثرت على منظومة القيم وعناصر البنية الثقافية للمجتمع المصري (ريفه وحضره).

3-حجم ظاهرة التحرش والأسباب الدافعة لها.

أ- مفهوم العنف والتحرش الجنسي من وجهة نظر المبحوثات

مفهوم العنف: جاءت تصورات حالات الدراسة عن هذا المفهوم كالتالي: "إيذاء الآخرين سواء ماديا أو نفسيا ، استخدام القوة والقسوة تجاه المرأة ، فعل لفظي أو جسدي موجه نحو المرأة ويسبب لها أذى نفسي وجسدي" ويدل ذلك على مدى وضوح مفهوم العنف في أذهان الحالات مما يعكس وعي جميع حالات الدراسة بما يحيط بهن من أشكال للعنف.

- التحرش الجنسي: اتفقت الحالات على أن هذا المفهوم يدور حول التصورات التالية "التعدى على المرأة بأفعال أو أقوال خارجة عن المألوف أو حدود الأدب ، أفعال تتسبب في خدش حياء المرأة وإيذاءها نفسيا وبدنيا ، لمس المرأة رغما عن إرادتها ، قول ألفاظ جنسية للمرأة ، التعدى على حرية المرأة وخدش حياءها" ، وتعكس تلك التصورات وعي المرأة بمفهوم التحرش الجنسي ، كما أوضحت الغالبية العظمى من حالات الدراسة بنسبة (96%) بواقع 48 حالة أن التحرش الجنسي هو أحد أشكال العنف ، كما رأت أيضا أنه يعد ظاهرة مجتمعية تزايدت في الآونة الأخيرة.

ب-خبرة الحالات في التعرض للتحرش الجنسي وأكثر الفئات عرضة لهذا الفعل

كشفت جميع الحالات عن تعرضهن لسلوك التحرش الجنسي (اللفظي والجسدي) ، الأمر الذي يعكس مدى انتشار هذه الظاهرة ويدل على ذلك ما أكدته أيضا معظم حالات الدراسة أن جميع النساء عرضة للتحرش الجنسي فقد أشرن بالقول "أنا منتقبة وأتعرضت للتحرش الجنسي رغم أني بلبس أسود في أسود ولبسى فضفاض ، أنا لابسة نقاب وكنت مع جوزى بنشترى حاجات وأتعرضت للتحرش باللمس أكثر من مرة أو الأقى

حد بيحتك ييا وبيلمسنى بأعضاءه وأنا معايا جوزى وخوفت أكلمه لا يتخانق معاه ويحصل حاجة ليه ففكرت أنى أطلع الدبوس وأغزه بيه لكن كل ما ألتفت ليه الاقيه أخت في من ورائي"، ويكشف ذلك أن المظهر الخارجى ليس مشجعاً على فعل التحرش الجنسى، كما يؤكد أيضاً أنه لا يوجد ما يحمى المرأة من هذا الفعل ويتفق ذلك مع توصلت إليه بعض الدراسات أن ما بين 83% إلى 90% تعرضن للتحرش بدءاً من المعاكسات الكلامية مروراً بالنظرات السيئة للجسد ثم اللمس غير اللائق. (نادية حليم، المرجع السابق)

أما عن أكثر الفئات العمرية تعرضاً للتحرش أشارت 25 حالة بنسبة 50% أن "النساء بجميع أعمارهن يتعرضن للتحرش الجنسى"، في حين يرى النصف الآخر أن الفئات العمرية التي تبدأ من (40-15 سنة) أى فئة الشباب هن الأكثر عرضة للتحرش الجنسى.

أما عن مظهر الضحية ودورها أو سلوكها في تشجيع المتحرش: فقد أكدت نسبة (54% بواقع 27 حالة) أن هناك نساء معينين هن الأكثر عرضة للتحرش الجنسى، فقد عبرن عن ذلك "الستات والبنات اللى بتلبس لبس محزق وملزق على جسمها، البنات اللى بتمشى بشعرها من غير حجاب وبتحط مكياج أوفر هما دول اللى بيثيروا الشباب اليوميين دول". ومن واقع ملاحظات الباحثة فإن الغالبية العظمى من حالات الدراسة الراهنة من المحجبات والبعض منهن منتقماً ورغم ذلك تعرضن للتحرش الجنسى مرات عديدة ويتسق ذلك مع ما أكدته إحدى الدراسات أن التحرش لا يقتصر على المرأة التي ترتدى ملابس ضيقة أو العارية والقصيرة بل طالت أيضاً المحجبات والمنتقبات (عادل عامر، 2017م)، الأمر الذي يؤكد عكس ما أشاروا إليه، في حين أكدت (23) حالة بواقع (46%) من إجمالي حالات الدراسة أن التحرش لا يرتبط بمظهر المرأة ولا ما تقوم به من أفعال وهذا ما يعبر عن الإزدواجية بين ما يحدث بالفعل وبين التأويل المرتبط بالثقافة وسلوك المرأة وأفعالها. مما يعنى أن هذه الظاهرة لا ترتبط بسن الضحية، أو المركز الاجتماعى لها، أو حالتها الاجتماعية أو المظهر الخارجى لها، وإنما ليست مسؤولية المرأة، فقد أصبح العديد من النساء، على اختلاف أعمارهن، وطبقاتهن الاجتماعية وتنوع مظهرهن وشكل ملابسهن، يتعرضن للتحرش الجنسى.

ج- الأسباب الدافعة للتحرش

أشارت جميع الحالات إلى أن أسباب التحرش الجنسى ترجع إلى "غياب الوازع الدينى بواقع 12 حالة بنسبة 24%، عدم فاعلية القوانين وعدم وجود عقوبات رادعة بواقع 10 حالات بنسبة 20%، خلل في عملية التنشئة الاجتماعية وتعويض عن حالة عدم الإشباع داخل الأسرة بواقع 9 حالات بنسبة 18%، الإنترنت وانتشار الكليات المثيرة والمواقع الإباحية بواقع 5 حالات بنسبة 10%، تأخر سن الزواج بواقع حالتين بنسبة 4%، الكبت الجنسى بواقع حالتين بنسبة 4%، ثم يأتي باقي الأسباب وبنسب متساوية تتمثل في "البطالة، الانفلات الأمنى، تعاطي كثير من الشباب المواد النفسية والمخدرات، تراجع الالتزام بالأخلاق والدين، واستغلال خوف وحياء الأنثى، تقليد الآخرين". وقد يرتبط أيضاً بتدنى مستوى الخطاب الدينى الذي أختزل المرأة في جسدها، وترسيخ فكرة أن أجسادهن "مورة" وسبب لمعاناتهم، ويتسق ذلك مع ما توصلت إليه بعض الدراسات أن الأسباب التي تدفع الرجل يتحرش بالمرأة تتمثل في "طريقة اللبس والسير، وتعاطي الشباب للمخدرات (نادية حليم، المرجع السابق)، مما يعكس نظرة المجتمع للمرأة باعتبارها كائن يخضع للرجل، وهذه التبعية تقوم على فرضية أساسية وهى أن المرأة كائن أضعف وأقل من الرجل، فقد صنع

المجتمع من الاختلافات البيولوجية بين المرأة والرجل سندا للسيطرة والهيمنة ومبرر للخضوع والتبعية له وعلى هذا الأساس صاغ المجتمع قيمه وأفكاره التي أفرزت هذه التفرقة والتي أصبحت سلوك طبيعي يتعامل معه المجتمع ويقبله ويرسخه ويتسق ذلك مع ما توصلت إليه بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

د-أسلوب وأشكال التحرش الجنسي

اتفقت حالات الدراسة أن التحرش الجنسي تتعدد أساليبه فقد عبرن عن ذلك من خلال ما تعرضن له من أساليب في مواقف وتفاعلات يومية مختلفة وهي "مرة كنت راكبة أتوبيس وكنت لابسة جيبية فوجئت بحد بيدخل أيده من تحت الجيبية وكان معايا ماما وقتها ، كنت ماشية في الشارع لقيت حد لمسني من مؤخرتي وبعدين جرى ، في حد ضربني على ظهري وأنا ماشية في الشارع ، في واحد زميلي في العمل حاول ييوسني ويلمس صدرى ، في حد قريى "زوج عمتي" حاول الاعتداء عليا ولكن قاومته ومشيت من البيت ، جالى راسايل على التلفون أكثر من مرة كلها ألفاظ جنسية ، مرة واحد كلمني على الموبايل وقالى عايز أعمل معاكى حاجات قلة أدب ، كتير أكون ماشية وحد يعلق على صدرى ومؤخرتي ويقولى دول أحلى حاجة فيكى أو يقولى أنه عايز يعمل حاجات وحشة كلها جنسية" ، مما يعنى أن أساليب التحرش الجنسي تتمثل من وجهة نظر حالات الدراسة في "التحرش اللفظي ، اللمس أو الاحتكاك ، رسائل ومحادثات تحمل معاني جنسية ، الإشارة ، صور وإيماءات تحمل معنى جنسى" الأمر الذي يعكس مدى تعرض المرأة للتحرش الجنسي في السياق الاجتماعي لتفاعلات الحياة اليومية المختلفة.

- أكثر أشكال التحرش الجنسي إيذاء للمرأة: أكد مايقرب من ثلثي حالات الدراسة 60% بواقع 30 حالة أن التحرش الجنسي (الجسدي أو اللمس أو الاحتكاك) أكثر إيذاءً للمرأة ، في حين أكد 40% بواقع 20 حالة أن كل من التحرش "الجسدي واللفظي" يؤذى المرأة.

ه-عدد مرات تعرض المرأة للتحرش

أكدت الغالبية من الحالات بواقع 35 حالة بنسبة 70% أنهم تعرضن للتحرش الجنسي مرات عديدة سواء للتحرش اللفظي أو الجسدي ؛ في حين أكد نسبة (28%) بواقع 14 حالة أنهم لن يستطيعن حصر عدد المرات التي تعرضن فيها للتحرش ، وقد أكدت حالة واحدة فقط أنها تعرضت للتحرش مرة واحدة ، مما يعكس مدى انتشار ظاهرة التحرش الجنسي بين حالات الدراسة.

و-معرفة المبحوثة بأشخاص آخرين تم التحرش بهن

أكدت الحالات أن معظم المحيطين بهن تعرضن للتحرش الجنسي بأشكاله المختلفة وأشاروا في هذا الصدد "مافيش ست ماتحرش بيها ، كل الستات أتعرضت للتحرش" ، ويدلل ذلك على مدى إدراك المرأة بانتشار الظاهرة في المجتمع المصري (ريفه وحضره).

ز- من المتحرش؟ وسماته وخصائصه

أكدت نسبة (50%) بواقع 25 حالة أن المتحرش هو شخص مجهول في "الشارع أو المواصلات العامة" ، يلي ذلك نسبة من أكدوا أن الشخص المتحرش زميل في العمل أو رئيس في العمل (30%) بواقع 15 حالة ، ثم يأتي أحد الأقارب أو الجيران في المرتبة الأخيرة للمتحرشين بنسبة (20%) بواقع 10 حالات ، ويتفق ذلك

مع ما توصلت إليه إحدى الدراسات حيث أكدت على أن التحرش الجنسي يأتي من الغرباء أولاً، ثم من الأقرباء والجيران. (المرجع السابق)

- أوضحت حالات الدراسة أن جميع الأعمار من المتحرشين يقومون بهذا الفعل، وإن كانت تظهر بشكل واضح في الفئة العمرية التي تتراوح ما بين (18-35 سنة) بنسبة 38% بواقع 19 حالة يليها الفئة العمرية التي تتراوح ما بين (40-60 سنة) بنسبة 34% بواقع 17 حالة ثم الفئة العمرية الأقل من (18 عام) بنسبة 20% بواقع 10 حالات وأخيراً تأتي الفئة العمرية التي تبدأ من (60 عام فأكثر) بنسبة 8% بواقع 4 حالات.

- ومن حيث المظهر وسهات الشخصية للمتحرش: أشارت جميع الحالات أن مظهر المتحرشين يبدو كشخص عادي يقوم بهذا الفعل في ظروف تشجعهم على ذلك، فقد يكون زميل أو رئيس في العمل، أو رجل مجهول في الشارع أو سائق أو بائع في السوق أو صاحب محل ويسمى هذا النوع "التحرش الموقف" بمعنى أنه يرتبط بموقف معين وقد يتكرر أو لا يتكرر، كما أكدت جميع الحالات أن هذا النوع من التحرش يرتبط بغياب الضمير والوازع الديني، فهم أشخاص يعانون من اللامبالاة والكبت النفسي و الجنسي، عدم الاتزان الإنفعالي ويعانون من فقدان الثقة والسادية بمعنى أنهم يستمعون بأخذ الشيء بالقوة والإجبار فالأديان السماوية نهت عن هذه الجريمة في حق المرأة، ويتسق ذلك مع ما أكدته العديد من الدراسات حيث أوضحت أن المتحرش قد يكون من النوع السادي الذي لا يستمتع بالعلاقات الجنسية العادية، وإنما يسعده أن يأخذ ما يريد من الطرف الآخر بقدر من العنف والإجبار والقهر، أو أن يكون من النوع الاستعراضى الذي يجد متعته في استعراض أعضائه التناسلية أمام الضحية ويستمتع بنظرة الدهشة والاستغراب والخوف على وجه من يراه، وكثير منهم تحدث له النشوة الجنسية بمجرد حدوث هذا السلوك، وهناك الذي يلجأ إلى الاحتكاك بالضحية الذي يجد متعته في الالتصاق بها في الزحام حتى يصل إلى حالة النشوة. (عادل عامر، المرجع السابق)

ح- الأماكن التي يتعرض فيها النساء للتحرش الجنسي

أكدت بنسبة (40%) بواقع 20 حالة من النساء أنهن تعرضن للتحرش في الشارع والمواصلات العامة، كما أشارت (30%) بواقع 15 حالة، ثم يأتي بعد ذلك نسبة (20%) بواقع (10) حالات من النساء تعرضن للتحرش داخل منزل أحد الأقارب، أما من تعرضن من النساء للتحرش الجنسي في المولات والتجمعات والأسواق بلغت نسبتهم 10% بواقع 5 حالات. ويعنى ذلك أن هذه الظاهرة قد تعرض لها المرأة في أى مكان، سواء في الأماكن العامة مثل أماكن العمل، أو الشارع أو المواصلات العامة، وقد يحدث داخل محيط الأسرة أو الأقارب ويتسق ذلك مع ما أشارت إليه إحدى الدراسات أنه بلغت حالات التحرش الجنسي (120 ألف حالة) تحدث سنوياً معظمها يتركز في الميادين العامة ووسط البلدة والمجمعات التجارية. (هبة عبد العزيز، 2009م)

ط- سماع بعض الألفاظ الخادشة للحياء أو الخارجة أثناء التواجد وسط مجموعة من الرجال:

أشارت 37 حالة بواقع (74%) أن ذلك يحدث معهن بشكل متكرر وهو أمر يعكس مدى انتهاك أوثنة المرأة في أى محيط أو مكان به رجال، في حين أكدت 13 حالة بنسبة (26%) من النساء أن ذلك يحدث معهن ولكن ليس بشكل متكرر وأكدن أن ذلك يحدث في الشارع والأسواق التجارية، والنوادى وأماكن الترفيه، ويعكس ذلك ما تتعرض له المرأة من أشكال مختلفة للعنف، الأمر الذي يعد امتهاً لكرامة المرأة وإنسانيتها

واحترامها لذاتها ويتسق ذلك مع ما توصلت إليه إحدى الدراسات المعنية التي أكدت على سماع المرأة لألفاظ جارحة صادرة أثناء وجود تجمع من الرجال. (هشام عبد الحميد فرج ، 2011م).

ك-رد فعل الضحية أثناء التحرش

تمثل رد فعل نصف حالات الدراسة عند التعرض للتحرش الجنسي سواء اللفظي أو الجسدي في "إظهار علامات الرضا والاشمئزاز والشعور بالفضب الشديد" ثم يأتي بعد ذلك مواجهة المتحرش بنفسها بواقع 15 حالة بنسبة 30% ، يأتي بعد ذلك "الارتباك وعدم القدرة على التصرف" بنسبة (14%) بواقع (7) حالات ، يلي ذلك "الصمت وعدم القدرة على التصرف" بنسبة (8%) بواقع 4 حالات ، أما "الخوف ومحاولة الهرب" فجاء بنسبة (6%) بواقع 3 حالات ، الأمر الذي يعكس التنشئة الاجتماعية للمرأة التي تدعو إلى الإذعان والسلبية من خلال هذه المنظومة المجتمعية حيث يتم إغفال السلوك العنيف – التحرش الجنسي أو اللفظي – ضد المرأة وإدراجه في إطار الممارسة اليومية العادية. (ناهد رمزي وعادل سلطان ، المرجع السابق)

ل- وسائل الدفاع عن النفس

جاء "الصمت وعدم القدرة على التصرف في المرتبة الأولى كوسيلة سلبية لدفاع المرأة عن نفسها بنسبة 34% بواقع 17 حالة وذلك خوفاً من الفضيحة ، ثم يأتي بعد ذلك "الدفاع اللفظي بنسبة 30%" بواقع 15 حالة يلي ذلك استخدام "ضرب المتحرش بنسبة 26% بواقع 13 حالة" كأحد وسائل دفاع المرأة عن نفسها ، ثم "استخدام ديبوس حجاب بنسبة 10% بواقع 5 حالات" ، وتدلنا هذه البيانات على أن الصمت والتجاهل أكثر ما تلجأ إليه المرأة في مثل هذه الظروف خاصة إذا كانت متزوجة إذ تخشى أن يصل هذا الأمر إلى الزوج ، وإذا كانت فتاة تصمت خشية على سمعتها ، وما يمكن أن يؤثر على فرص الزواج لديها ، الأمر الذي يجعل من المتحرش بها يتماذى في فعلته.

و-رد فعل المحيطين بالضحية وقت التحرش

أكدت معظم الحالات أن 52% بواقع 26 حالة من إجمالي حالات الدراسة أن رد فعل المحيطين بالضحية يتسم "بالتجاهل والصمت التام" ، وأنهم لا يقدمون للمرأة أى مساعدة تجاه هذا الفعل ، في حين أكد نسبة (30%) بواقع 15 حالة أن رد فعل المحيطين بها يتمثل في "توبيخ المتحرش" ، ثم يلي ذلك محاولة المحيطين مساعدة الضحية "بتغيير مكانها في حالة إذا كان موقف التحرش في إحدى وسائل المواصلات العامة" وذلك بواقع 8 حالات بنسبة (16%) ، كما أشارت حالة واحدة بنسبة 2% إلى أن المحيطين بي اتهموني بأنني أقوم بالتمثيل وألقوا باللوم على. وقد يرتبط بانتشار العديد من التيارات الدينية السلفية التي تركزت أثرًا على الثقافة المصرية التي تحرض على نبذ المرأة واعتبارها مصدر للفتن والفراغز الجنسية ، بالإضافة إلى ما تقوم به وسائل الإعلام في تعزيز الثقافة الذكورية بالمجتمع.

ن- طلب الضحية للمساعدة من رجال الأمن

أكدت جميع الحالات أنهم لم يحاولوا طلب المساعدة من رجال الأمن للأسباب التالية هي (عدم التعاطف مع الضحية ، سيطرة المجتمع الذكوري ، عدم التواجد الأمني بشكل كاف في الشوارع والبيادين والمواصلات العامة ، وهي أماكن التحرش ، الخوف من الفضيحة أو الشوشرة ، صعوبة إثبات هذه الجريمة ، سلبية الدور

الذي تقوم به الشرطة مع الضحية ، لخوف من أن تواجه الضحية باتهامات أقصى مما عانتها من جراء التحرش الجنسي).

ويتسق ذلك مع ما توصلت إليه إحدى الدراسات ، حيث أكدت أن ما بين 100 امرأة تتعرض للتحرش الجنسي لا تلجأ سوى امرأة واحدة منهن فقط إلى الشرطة لتحرير محضر بالواقعة ، وأشارت أيضا هذه الدراسة أن 83% يعتقدون أن الذهاب لتحرير محضر يعد نوعا من الفضيحة كما أكدت إحدى الدراسات أن عدم التبليغ يعود إلى عدم الثقة في نظام قانوني يحقق العدالة والإنصاف لضحايا هذا السلوك (هبه عبد العزيز ، المرجع السابق) الأمر الذي يترتب عليه صمت وتجاهل الضحية وبالتالي طلب المساعدة من رجال الأمن ، وعدم الإفصاح بما حدث واختباءهن خوفا من الفضيحة ليبقى "الصمت والكنز" عاملين أساسيين لاستمرار التحرش في ارتكاب جرائمه ، مما يجبر المرأة على الانسحاب من الحياة العامة ، وتقييد حريتها وحرمانها من أهم حقوقها وهي الإحساس بالأمان الأمر الذي يؤدي بدوره إلى انتشار الظاهرة.

ش- أوقات ومناسبات التحرش الجنسي

-أوقات التحرش: أكدت جميع الحالات أن التحرش الجنسي لا يرتبط بوقت محدد ، وأنهن تعرضن للتحرش الجنسي في جميع أوقات اليوم "صباحا ، في وسط النهار ، مساء ، آخر الليل". الأمر الذي يعكس مدى خطورة تلك الظاهرة على المرأة لافتقادها الإحساس بالأمان في جميع الأوقات.

-أما عن مناسبات التحرش: فقد أكدت الحالات على أن التحرش الجنسي ليس له مناسبات معينة حيث ينتشر في جميع المناسبات وبالتحديد في المناسبات التالية على الترتيب "الأعياد بنسبة 46% بواقع 23 حالة ، والاحتفالات بنسبة 34% بواقع 17 حالة ، والمظاهرات" بنسبة 20% بواقع 10 حالة.

3- الآثار المترتبة على تعرض الأنثى للتحرش الجنسي

يعد التحرش الجنسي كما سبقت الإشارة من المشكلات الاجتماعية التي تظهر لها تأثيرات على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الجسمية للمرأة ، وتمتد هذه التأثيرات لتصل إلى الأسرة ومن ثم المجتمع ، نتيجة للقلق الشديد من حوادث هذه الظاهرة المتكررة والتي تصل أحيانا إلى الاعتصاب ، بل ويمتد هذا التأثير على الدخل القومي للدولة خاصة أن التحرش الجنسي يمتد ليشمل السياح الوافدين إلى مصر ، الأمر الذي يؤثر بالسلب على السياحة في مصر. (منى محمود عبد الله ، الأبعاد ، سنة الطبع 2014م) ومن واقع الدراسة الراهنة جاءت آثار التحرش الجنسي على المرأة على النحو التالي:

أ-تأثير التحرش الجنسي على الحياة المهنية للحالات: تمثلت تأثيراته في "فقدان الشعور بالرضا عن العمل والحماس للعمل بواقع 12 حالة بنسبة (24%) ، النظرة السلبية للمجتمع بواقع 11 حالة بنسبة 22% ، وافتقاد الثقة بالنفس بواقع 10 حالات بنسبة (20%) ، صعوبة التركيز والتذكر بواقع 7 حالات بنسبة (14%) اضطرابات العلاقة مع الزملاء بواقع 6 حالات بنسبة (12%) الأمر الذي يؤدي ببعض الحالات إلى الاضطرار إلى تقديم استقالتها من العمل بواقع 4 حالات بنسبة (8%).

ب-التأثيرات على الحياة الأسرية أو العائلية للمرأة: أكدت معظم الحالات أن التحرش الجنسي يؤثر على الحياة الأسرية من خلال مايلي: فقدان الثقة في جميع الرجال وكراهيتهم بواقع 12 حالة بنسبة (24%) ، اضطرابات الحياة الأسرية والعلاقات الشخصية بمن حولهن خاصة الأبناء بالنسبة للنساء المتزوجات بواقع 10 حالة

بنسبة (20%)، فقدان الرغبة في الزواج بالنسبة للفتيات ممن لم يتزوجن بواقع 9 حالات بنسبة (18%)، اضطرابات العلاقة مع الزوج بعض الوقت بواقع 8 حالات بنسبة 16%، عدم التركيز في الدراسة أو العمل بواقع 6 حالات بنسبة (12%)، أما النسبة الباقية (10%) بواقع 5 حالات فقد أشارت إلى أن التأثير يقف عند حد الموقف وينتهي الأثر خلال ساعات أو أيام قليلة بعد أيام التحرش.

ج-التأثيرات النفسية الجسمية: مما لاشك فيه أن تعرض المرأة لأي شكل من أشكال التحرش الجنسي يترك آثارًا عديدة على الجوانب النفس جسمية، ومن بين هذه الآثار جاء "القلق والاكتئاب في المرتبة الأولى بواقع 15 حالة بنسبة (30%) يليها الشعور والإحساس بالانتهاك البدني وعدم احترام الذات بواقع 13 حالة بنسبة (26%)، والشعور بالسخط على الرجال وفقدان الثقة فيهم بواقع 10 حالات بنسبة (20%)، اضطرابات في عادات النوم بواقع 7 حالات بنسبة (14%)، الإحساس بالتعب والأرق بواقع 5 حالات بنسبة (10%) الأمر الذي يعكس مدى خطورة هذه الظاهرة على المرأة نتيجة لعدم إحساسها بالأمان سواء في الأماكن العامة أو الخاصة مما يؤثر على تنمية المرأة وتمكينها، ومن ثم تقدم المجتمع وتطوره. ويؤكد ذلك ما أعلنته جمعية الصحة العالمية في عام 1996 أن العنف ضد المرأة بشكل عام والتحرش الجنسي تحديدا مشكلة كبرى تتسبب في الكثير من المشكلات الصحية للمرأة مما يحد من نمو القدرة الإنتاجية للمرأة ويعوق تقدمها. (إبراهيم خربوش وآخرون، 2010م) ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط بل يعوق المرأة على تحقيق أهدافها وإصابتها بالإحباط وسلبيتها في علاقتها بمن حولها.

4- أساليب مواجهة ظاهرة التحرش الجنسي من وجهة نظر حالات الدراسة

أ-المعرفة بجالات حقوق الإنسان

نصت السياسات الدولية على توفير حماية مستقلة للمرأة من خلال اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بوصفها تشريعا شاملا للمعايير القانونية لحقوق المرأة؛ حيث تنص على ضرورة اتخاذ الدول التدابير المناسبة لتقدم المرأة، وضمان عدم التمييز ضدها في التعليم والعمل والصحة والأمن و في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما تلزم الدول وفقا للمادة 18 منها والتوصية العامة رقم 19 بشأن تنفيذها، بأن تقدم تقارير دورية حول مدى التقدم الذي أحرزته نحو ذلك، والحد من العنف الذي يعوق نمو الإنسان بشكل عام والمرأة تحديدا. وقد وقعت مصر على أحكام تلك الاتفاقية وصدقت عليها عام 1981 وأقرت التزامها بأحكامها، ومازالت تحفظ إلى الآن على أحكام المادتين 2، 16 بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية. كما صدر في ديسمبر 1993 الإعلان العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة الذي يعد -وفقا لما سبق عرضه - جزءا لا يتجزأ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وقد تضمنت المادة الرابعة منه التزاما على الدول بتطوير عقوبات جزائية ومدنية وإدارية للحد من العنف ضد المرأة، واستدماج الوقاية لحماية الضحايا المحتملين.(سهير عبد المنعم، 2013م).

وقد جاءت السمة الغالبة في نصوص القانون المصري عدم التمييز بين الرجل والمرأة في مجال الحماية الجنائية، بل يمكن القول أن القانون يميز تمييزا إيجابيا لصالح المرأة في بعض النصوص. ويبدو أن القانون الجنائي أكثر القوانين حماية للمرأة، وهو بذلك يؤدي دوراً مهماً في خدمة التحول الاجتماعي نحو التغيير في الموقف من المرأة بحقوقها وحمايتها من كل صور العنف والتمييز.

والحماية القانونية للمرأة مقررة في الدستور والقوانين ، لكن هذه الحماية لا تكون فعالة إلا إذا دعمها قانون العقوبات ، فهذا القانون يحمى المرأة ضد التمييز والعنف الذي ينتهك حقا من حقوقها الإنسانية ، ونشير إلى أهم مجالات الحماية وهي.(فتوح الشاذلي ، ط1 ، 2012م)
*حماية المرأة من الاعتداء على حياتها أو على سلامتها البدنية
تشمل المساواة بين الرجل والمرأة في النصوص التي تجرم الاعتداء على الحياة وسلامة البدن كاملة في القانون المصري والشريعة الإسلامية.

و في ضوء ذلك أكدت نسبة (70%) من الحالات بواقع 35 حالة معرفتهن وإلهامهن بمجالات حقوق المرأة مثل "الحق في التعليم ، والعمل ، الصحة ، والمشاركة السياسية ، والميراث ، والأمن" ، كما أكد على أن الدستور والقانون نص على المساواة بين الرجل والمرأة في كافة الحقوق ، في حين أشارت النسبة الباقية عدم معرفتهن لحقوقهن وما نص عليه دستور 2014 من حقوقات للمرأة.

ب-المعرفة بالجمعيات النسائية

أشارت أكثر من نصف الحالات نسبة (52%) بواقع 26 حالة أشارت إلى أنهن لا يعرفن المجلس القومي للمرأة وتحديدا مكتب شكاوى المرأة ، ومركز الناديم وجمعية نداء. في حين أشارت 24 حالة بنسبة 48% إلى أنهن لا يعرفن شيئا عن هذه الجمعيات وما تقوم به من أدوار تجاه المرأة وقضاياها المختلفة.

وبالنسبة لمن أشرن إلى معرفتهن بالجمعيات النسائية أوضحوا أن الكثير من هذه الجمعيات لها دور كبير في مناهضة العنف ضد المرأة وخاصة التحرش وأن دورهن يتمثل فقط في "وقفات احتجاجية لمناهضة التحرش الجنسي ، عمل ندوات ومؤتمرات ، توعية النساء بضرورة الإبلاغ في حالة التعرض للتحرش الجنسي وذلك عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي أو حملات توعية في محافظات مصر ، تقديم الرعاية الطبية والنفسية والقانونية لضحايا التحرش الجنسي" ، الأمر الذي يعكس عمق التحديات المجتمعية التي تواجهها المرأة.

ج-الموقف من جمعيات المرأة في مصر

ترى حوالي ثلثي الحالات (60%) بواقع 30 حالة أن جمعيات المرأة في مصر هي "مجرد وسيلة للحصول على تمويل الأجنبي ، جمعيات لتبادل المنافع والمصالح ، رفاهية اجتماعية غير مؤثرة ، لا تهتم بمشاكل المرأة" وقد يرتبط ذلك ما يؤكد الإعلام عن الجمعيات الأهلية بأن لديها أجندات أجنبية وذلك لإجهاد أى مبادرات أو مواجهات لتلك الظاهرة ، في حين ترى نسبة (40%) بواقع 20 حالة أن جمعيات المرأة لها دور مساند وإيجابي للمرأة.

د-المعرفة بالشرطة النسائية ومدى فعاليتها

ظهرت الشرطة النسائية في أبريل 2013 من أجل مساعدة الفتيات وبقصر دورهن على تقديم المساعدة النفسية لضحايا التحرش فقط وقد أكدت معظم الحالات بنسبة (70%) بواقع 35 حالة ، على معرفتهن بالشرطة النسائية ، وعلى عدم فعاليتها بشكل كبير إذ تقتصر على أماكن محدودة فقط ، ولذلك فهي غير منتشرة في جميع الأماكن التي قد تتعرض فيها المرأة للتحرش الجنسي.

هـ-المعرفة بقانون التحرش الجنسي

يعد القانون أحد أهم آليات ودعائم الضبط الاجتماعي ، فهو يلعب دوراً رئيساً في تحقيق النظام والاستقرار داخل المجتمع ، وهو الأداة الأولى للمحافظة على حقوق الإنسان وحمايته من التعرض للإيذاء والمخاطر "الجسمية والنفسية" ، ومن ثم فلا بد من أن يعبر عن المصالح الحقيقية لكافة فئات المجتمع على اختلافها ، ولذلك لا ينبغي أن يكون بمعزل عن الأوضاع المجتمعية ، وعلى المشرع أن يضع في اعتباره كافة الظروف السائدة في المجتمع لكي يمثل له الأفراد دون الخروج على قواعده ، وإذا استعرضنا القواعد التشريعية التي تتناول موضوع الدراسة الراهنة ، فإننا نجد أن التشريع المصري لم يتهاون في حماية حقوق المتعرضين لمثل هذا السلوك ، وفرض عقوبات متعددة على من يقوم بها. (مديحه عبادة وخالد كاظم أبو دوح ، المرجع السابق .) وقد أفادت نصف حالات الدراسة بأنهن يعرفن القانون وأن القانون نص على أن عقوبة من يقوم بهذا الفعل تتراوح ما بين ستة أشهر حتى عام بالإضافة إلى الغرامة المالية التي تبلغ أُل في جنيته ، وقد رأت حالات الدراسة أن العقوبة الخاصة بهذا الفعل (غير مناسبة) فهي لا تتناسب مع ما يتركه هذا السلوك من آثار سلبية "جسمية ونفسية" على المرأة والمجتمع. في حين أشارت باقي حالات الدراسة أنهم لا يعرفن شيئاً عن وجود قانون للتحرش الجنسي ، مما يعني أننا في حاجة إلى إعلام جيد يركز على تلك الظاهرة لتشكيل الوعي بها ولمعرفة من تسول له نفسه لارتكاب هذا الفعل.

و-الرأى في العقوبة الأمثل لمواجهة التحرش

اتفقت الغالبية العظمى من الحالات (90%) على أن العقوبة الأمثل لمواجهة التحرش هي "السجن والغرامة" فبالنسبة للسجن فقد اقترحت الحالات أنه لا بد أن لا تقل مدة العقوبة عن الثلاث سنوات لتصل إلى حد الإعدام ، أما الغرامة فقد اتفقت غالبية الحالات على ألا تقل عن خمسة آلاف جنيه لتصل إلى عشرون ألف ، في حين اقترحت النسبة الباقية (10) أن تكون العقوبة هي الفصل من العمل أو الجامعة أو العمل.

5- المواجهة المجتمعية لظاهرة التحرش من جانب مؤسسات الدولة

أ-دور وسائل الإعلام

اتفقت الحالات على أن الإعلام له دوراً كبير في مواجهة الظاهرة وذلك من خلال: (تغيير الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الإعلام "السمعية والمرئية" عن المرأة والتي تتعامل معها كسلعة للاستهلاك وكمادة للإثارة الجنسية ، التوعية الإعلامية للمرأة بحقوقها المختلفة ، الرقابة الإعلامية على جميع البرامج ، والمسلسلات ، والأفلام التي تقدم مشاهد جنسية مثيرة للشباب ، توعية الشباب بخطورة ارتكاب هذا الفعل وما قد يصل به إلى السجن أو الإعدام ، التدريب المستمر للكوادر العاملة في مجال الإعلام في كيفية التعامل مع قضايا العنف ضد المرأة بشكل عام والتحرش الجنسي تحديداً ، إصدار صحيفة متخصصة لإبراز الجوانب الناجحة في حياة المرأة وأدوارها المجتمعية والسياسية والاقتصادية المختلفة).

ب- دور المؤسسات الدينية

أجمعت الحالات على أن غياب الوازع الديني يعد من أهم الأسباب التي تسهم في انتشار ظاهرة التحرش لذا لا بد من (تغيير الخطاب الديني وتغيير النظرة الدونية للمرأة ، والحث على أن حماية المرأة واجب على كل إنسان ، التوعية الدينية من خلال المساجد والكنائس بخطورة هذه الظاهرة وعقوبتها في الشريعة الإسلامية ومن الناحية القانونية أيضاً).

ج- دور الأسرة

أفادت جميع حالات الدراسة أن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تشكل قيم الفرد وأخلاقه كما تشكل نظرتهم للمرأة لذا أشارت إلى أنه للقيام بهذا الدور لا بد من (تجنب الممارسة الجنسية بين الزوجين أمام الأطفال ، الفصل بين الذكور والإناث في المضاجع ، حث الأطفال على حسن معاملة المرأة بشكل عام ، توعية الأسرة للأطفال بالسلوكيات السليمة لتجنب الوقوع فريسة للتحرش الجنسي).

د- دور وزارة الداخلية

ويتحدد في الآتي (تكثيف التواجد الأمني في الشوارع والميادين العامة ، وضع مكافحة قضايا العنف ضد المرأة بشكل عام والتحرش الجنسي كأولوية قصوى في مواجهة الجريمة ، عمل دورات تدريبية لرجال الشرطة في كيفية التعامل مع ضحايا التحرش الجنسي ، سرعة تحرير المخالفات ومساندة الضحية ، توفير خدمات الخطوط الهاتفية "الخط الساخن" لسرعة تلقي البلاغات والشكاوى ، الاهتمام بالقبض على الجاني بمجرد التبليغ وعد التهاون في الوصول إليه ، تشجيع أجهزة الشرطة للجمعيات والنشاطات الأهلية ، وضرة تغيير النظرة إلى – الجمعيات الأهلية – على أنها شريك أساسي في المسؤولية المجتمعية تجاه ضحايا التحرش الجنسي).

هـ- دور منظمات المجتمع المدني في مواجهة الظاهرة

مما لا شك فيه أن المجتمع المدني بشكل عام والجمعيات الأهلية العاملة في مجال المرأة تحديدا تلعب دوراً كبيراً في مواجهة قضايا العنف والتمييز ضد المرأة وخاصة قضايا التحرش الجنسي ، وفي هذا الصدد اتفقت جميع الحالات على أنه لا بد أن تقوم تلك الجمعيات بالأدوار التالية: (الضغط على الدولة من أجل إصدار تشريعات وقوانين رادعة لمواجهة التحرش الجنسي ، توعية المرأة بحقوقها المختلفة وكيفية مواجهة الظاهرة ، محاولة الوصول للفئات المعنفة بالمجتمع المصري (ريفه وحضره) وذلك بمساعدة الرائدات الريفيات لمساعدة هذه الفئات وتأهيلهن نفسياً واجتماعياً ، عمل برامج خاصة للمرأة في طرق الدفاع عن أنفسهن مما يتعرضن له من أشكال العنف المختلفة ، إنشاء مكاتب لتلقي البلاغات وشكاوى المرأة في قضايا التحرش الجنسي مع تخصيص خط ساخن لكل جمعية ونشره لمعرفة النساء به في حالة التعرض لأي نمط من العنف ضدها وتوفير الدعم النفسي والقانوني لضحايا التحرش الجنسي).

الخاتمة

بجملة موجزة و في ضوء ما سبق يمكن القول أن التحرش الجنسي هو أحد مظاهر العنف المجتمعي ضد المرأة فهو مشكلة اجتماعية ترتبط بالدرجة الأولى بالسيق الاجتماعي الذي يحكمه أسس جندرية ، فهو يمثل مشكلة اجتماعية أيضاً تعوق المرأة عن تحقيق أهدافها ، وتصيبها بالإحباط والسلبية تجاه التفاعلات والعلاقات اليومية مما ينعكس على المرأة ، نظرا لما يترتب عليه من تداعيات اجتماعية ونفسية خطيرة ، تسيطر على المرأة بالشكل الذي يصعب عليها التوافق والتكيف الاجتماعي والنفسى مع حياتها ، وذلك لأنه مع التحرش الجنسي يصل القهر الذي يمارس على المرأة درجة صارخة لأنه يتضمن اختزال المرأة كأداة للجنس ، ووعاء للمتعة ، مما يؤدي إلى تضخم البعد الجنسي لجسد المرأة بشكل مفرط ويركز كل قيمتها في هذا البعد على حساب أبعاد حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

البليوغرافية :

- المراجع باللغة العربية :

- إبراهيم خربوش وآخرون ، العنف الزوجي في مصر ، القاهرة ، المكتب المرجعي للسكان ، سبتمبر 2010 م .
- إبراهيم خربوش وآخرون ، العنف الزوجي في مصر ، موجز السياسات ، سبتمبر 2010 م ، ص 1.
- أحمد محمد عبد اللطيف وآخرون ، التحرش الجنسي : أسبابه ، تداعياته ، آليات المواجهة "دراسة حالة المجتمع المصري " ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية ، 2009 م ، ص 16.
- جورج فهمي ، ظاهرة التحرش الجنسي في مصر : بين ضعف الدولة وتواطؤ النظام والمبادرات الاجتماعية ، منتدى البدائل العربي للدراسات ، مارس ، 2013 م ، ص 5.
- سهير عبد المنعم ، "التحرش الجنسي بالإناث في المجتمع المصري : بين الواقع الاجتماعي والمواجهة الجنائية رؤية للنقاش" ، في التحرش الجنسي بين القانون والمواجهة المجتمعية : الحلقة النقاشية الأولى ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالتعاون مع رئاسة الجمهورية في مبادرة دعم حقوق وحرريات المرأة المصرية ، 2013 م ، ص 35-36.
- شحاته أبوزيد ، العنف ضد المرأة وكيفية مواجهته في ضوء أحكام الفقه الإسلامي ، الطبعة الأولى ؛ الإسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، (د.ت) ، ص 171.
- عادل عامر ، المرأة عبء اجتماعي : دراسة اجتماعية ، الطبعة الأولى ؛ دار حروف للنشر الإلكتروني ، 2016 م ، ص 191 — 192.
- عزت الشيشيني ، "العنف الأسرى وأثره على كيان الأسرة في المجتمع المصري : دراسة مقارنة مع الجمهورية اليمنية" ، المؤتمر العربي الأول لصحة الأسرة والسكان تحت شعار (صحة الأسرة العربية بين الواقع والتحديات) ، في الفترة من 13-16 مايو 2006 م ، المجلد الثاني : الدراسات المقارنة ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، 2006 م ، ص 295.
- فتوح الشاذلي ، مكافحة القانون المصري للعنف والتمييز ضد المرأة (الواقع) ، الطبعة الأولى ؛ القاهرة ، المجلس القومي للمرأة ، 2012 م ، ص 10.
- مجدى محمد جمعة ، العنف ضد المرأة بين التجريم وآليات المواجهة : دراسة تطبيقية على الاغتصاب والتحرش الجنسي ، 2013 م ، ص 266.
- محمد علي قطب ، التحرش الجنسي : أبعاد الظاهرة ، آليات المواجهة " دراسة مقارنة بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية" ، الطبعة الأولى ؛ القاهرة ، إيتراك للطباعة والنشر ، 2008 م ، ص 27.
- مديحه أحمد عبادة وخالد كاظم أبو دوح ، الأبعاد الاجتماعية للتحرش الجنسي في الحياة اليومية (دراسة ميدانية بمحافظة سوهاج ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات ، 2007 ، ص 3-13-14 - 15 - 16-17-115 .
- منى محمود عبد الله ، الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتحرش الجنسي ، 2014 م ، ص 127.

نادية حليم ، "العنف ضد المرأة: أنواعه وصوره" ، دور البحث الاجتماعي في مواجهة التحديات المجتمعية من الفترة من 26-27 أبريل 2010 ، المؤتمر الخامس والثلاثون للإحصاء وعلوم الحاسب الألي وتطبيقاتها ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، 2011 ، ص 18-25

ناهد رمزي وعادل سلطان ، "العنف ضد المرأة ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد السابع والثلاثون ، العدد الأول ، يناير 2000 ، القاهرة ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ص 1-2-26.

هبه عبد العزيز ، التحرش الجنسي بالمرأة: دراسة علمية ، الطبعة الأولى ؛ القاهرة ، مكتبة مدبولي ، 2009 ، ص 24-25-34-35.

هشام عبد الحميد فرج ، التحرش الجنسي وجرائم العرض ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 2011 ، ص 34-35.

- باللغة الاجنبية :

International Labor Organization, Guide On Prevention On Sexual Harassment In The Workplace, Beijing Zhongze Women,s Legal Consultation Aand Sservice Center Women Watach China And Financial Support, Dec 2010, p 3.

-Albert, Human Right Commission, Sexual Harassment, 2013.

الحراك الإعلامي العربي وبداية نهاية احتكار السلطة السياسيّة للإعلام؟

د. المعز بن مسعود: أستاذ الإعلام والاتصال المشارك بجامعة قطر- قطر

مقدمة

مع بداية هذا القرن الذي وصفه البعض بقرن الاتصال دون منازع، أصبح الاتجاه البحثي يميل أكثر - ومن خلال مقاربات نقدية - إلى إبراز تحوّل ملف الإعلام والاتصال بإشكاليّاته المختلفة إلى مبحث مُتداخل، ومتشابك، أكان ذلك على مستوى الفكر أو الممارسة. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنّ العديد من المقاربات ترى في الاتّصال مفهوماً فيه الكثير من اللبس، وأنّ الاتّصال بمفهومه الشمولي، والمجرد قد وُظف، واستُغلّ تماماً مثل الإعلام، وأصبح مصطلحاً زُبقيّاً يتجاوز الإخبار، والتسليّة، والتثقيف، لينخرط في توظيف سياسي، واقتصادي، وأمني... الخ، ممّا جعله أقرب إلى الدعاية الصّرفة منه إلى الإعلام؛ بل إنّ الإعلام نفسه أصبح اليوم يُصاغ بخلفية اتّصالية هدفها الاستدلال إعلامياً بالاتّصال من أجل الإقناع (Philippe Breton, 1998) و"يأتي هذا التقد نتيجة لما آل إليه الاتّصال سياسياً من توظيف انتخابي، ودعائيّ تجسّد فيما أطلق عليه أهل الاختصاص باغتصاب العقول" (هريبرت أشيلر، 2000) واقتصادياً عبر الاحتكار الذي تمارسه المجموعات الضاغطة في العالم أو ما يعبر عنه "باللوبيات"، أو الشراكات المتعدّدة الجنسيات للمجال العمومي.

ولعلّ المخرج من وقوع الإعلام في شرك السياسة، والاقتصاد، يكون في مراجعة وظائف الإعلام العمومي ودوره المنتظر في حماية حقّ المواطن في إعلام متوازن؛ إذ يصعب اليوم ترك المواطن في أيّ دولة في العالم فريسة منافسة غير متكافئة بين شركات الإعلام يدفع الإنسان ضريبتها.

إنّ هذا الطرح - على بساطة ظاهره-، فإنّ باطنه يحيلنا إلى إشكال يبدو أعمق ممّا نعتقد وهو إشكال له علاقة مباشرة بمبادئ حرّية الرأى والتعبير. و"يعدّ مبدأ حرّية الإعلام، واستقلاليتّه في العصر الحديث - وخاصة منذ الحرب العالمية الثانية - إحدى أهمّ ركائز النضال ضد الأنظمة الشمولية بكلّ أشكالها، وأفضل أدوات الإصلاح لتلك الأنظمة من أنظمة شمولية، إلى أنظمة ديمقراطية حرّة، وتعدّدية. وتبقى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية شاهداً على ذلك وخاصة في الدكتاتوريات الأوروبية كالألمانيا النازية، وإسبانيا خلال فترة حكم فرنكو أو اليونان في عهد سطوة الجنرالات" (المعز بن مسعود وجمال الزرن، 2014).

وفي السياق ذاته، لا بدّ من التأكيد على أنّ نهاية الحرب الباردة قد دفعت باتجاه الديمقراطية وذلك بشكل متزامن مع توق كبير إلى حرّية الرأى والتعبير من جهة، وتوجّه نحو تحرير الأسواق نتيجة العولمة الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاتصالية... الخ من جهة أخرى. "وكانت جمهوريات الاتحاد السوفياتي مسرحاً لهذا النوع من التحوّل؛ تحوّل عبّر عنه المفكر الفرنسي ريجيسدوبريه في أطروحته المثيرة للفتنة بأنّ "الفيديولوجيا" (في إشارة إلى الفيديو أي الصورة) قد انتصرت على الأيديولوجيا (أي الشيوعية) وساهمت في انتصار الليبرالية عبر تسويقها لمبدأ الحرية الفردية، وحرّية التّعبير، وحرّية وسائل الإعلام. وقد تميّز التلفزيون بدوره المثير في التّسويق المكثّف، والدعاية الممنهجة للنموذج الغربي.

أما المنطقة العربية، وبحكم عدّة خصوصيات تاريخية، وثقافية، وسياسية، فإنّها كانت - وبشكل من الأشكال - مستثناة ظرفياً أو هي على قائمة الانتظار - إن صحّ القول - لدخول عهد ثنائية الإعلام، والديمقراطية التي لا مناص منها لضمان أيّ نهضة سياسية؛ فبناء وسيلة إعلامية مستقلة، ومسؤولة من خلال عملية تطوير داخلية تحتاج إلى عقود من الزمن خاصة في دول لم تكن لها تقاليد "المعز بن مسعود وجمال الزرن، 2014) في إدارة الشأن العام، والتفاعل الحرّ والديمقراطي، والسليم مع الرأي، والقبول بالرأي الآخر، أو الاختلاف معه.

لكن مع بداية سنة 2011 تغيرت المعادلة وبات العرب خارج الاستثناء وأصبح لزام عليهم مراجعة علاقتهم بالإعلام والاتصال. "فلا مجال لإدارة الشأن العام بعيداً عن إعادة قراءة وظائف الإعلام في علاقته بنموذج الحكم، وإدارة الدولة الذي طالبت به الثورات العربية والذي يجب أن يؤسس على قاعدة حرية التعبير، وآلية الوصول إلى الحكم ديمقراطياً عبر الانتخاب، والتداول السلمي على السلطة ضمن إعلام تعددي قائم على مبدأ الخدمة العامة، وليس خدمة الحزب الحاكم، أو السلطة التنفيذية، أو ما يسمّى بالإعلام الحكومي" (المعز بن مسعود وجمال الزرن، 2014).

أولاً- حتمية ثنائية الإعلام والديمقراطية

إن حرية الإعلام لا يمكن أن تُفهم بعيداً عن قاعدة الديمقراطية ولذلك يعطي الغرب لجوهر العلاقة بين الإعلام والديمقراطية مصطلح "ثنائية الإعلام والديمقراطية". ولا تحتل هذه الثنائية تقديم الديمقراطية على الإعلام أو العكس، بل إنّ تلازم العنصرين المكوّنين لهذه الثنائية هو الذي سيكون الفيصل في تحديد كيفية تعامل كل من وسائل الإعلام، والديمقراطية، كمبادئ سياسية في منظومة إدارة الصالح العام، وتفعيل العملية السياسية في أي بلد يعيش حالة من التحوّل الديمقراطي. إنّ قاعدة ثنائية الإعلام والديمقراطية هي إذن حالة تستوجب تنزيل - ليس فقط الإعلام أو الديمقراطية وبشكل ميكانيكي منفصل على أرض الواقع - بل وتحتّم ضرورة إدراك قوّة هذه الثنائية في إنجاح مبدأ حرية التعبير عن الرأي الذي على أساسه يفهم كل مشروع ديمقراطي. إذ يمكن أن تكون الديمقراطية أصيلة على المستوى الشكلي العملي أي في حدود صندوق الاقتراع، لكن إذا لم يكن الإعلام تعددياً فإن ذلك قد ينسف مكسب صندوق الاقتراع والديمقراطية معاً، وهو ما يمكن أن نصلح على تسميته بعدم تلازم المبدأ مع الممارسة.

وقد ارتبط ظهور الديمقراطية وتطورها بتطور وسائل الإعلام التي أتاحت للنخبة والمفكرين - عبر المكتوب خاصة - إمكانية تبادل الأفكار، والآراء. ثم ومع تطوّر وسائل الاتصال، وتقنياتها (راديو، تلفزيون، إنترنت، أقمار صناعية، وسائل تواصل اجتماعي... الخ) أصبح من الصعب على الأنظمة الشمولية، والديكتاتورية مراقبة هذه الوسائل ومضامينها، واعية في الآن ذاته بالمفارقات العديدة التي أصبحت تعيشها وسائل الإعلام في الدّول الديمقراطية نفسها؛ ضغط "لوبيات" المصالح، واستغلال الدّعم الإشهاري، والتدخّل المباشر من قبل الحكومات بدعوى "المصلحة العامة"... الخ.

وبات الإنتاج المكثّف لتقنيات الاتّصال وأدواته من العوامل الأساسية لتحقيق انتشار واسع للديمقراطية، بالإضافة إلى ضرورة توافر الإرادة السياسية في التّواصل مع الرأي العام وتيسير الوصول إلى الحقيقة قصد ضمان تطوير أداء وسائل الإعلام.

وإذا كان تطوّر وسائل الإعلام مرتبط بمستوى معيّن من التنمية السياسيّة والاقتصادية والثقافية، فإنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّ البلدان التي تحظى بتلك التنمية هي الوحيدة القادرة على توفير إعلام جدير بالثقة والمصداقية؛ فالبرازيل والهند مثلاً لم تحلّ الصعوبات الاقتصادية التي تعيشانها، إلا أنّهما في المقابل نجحا في بلوغ انتخابات نزيهة وإعلام يحظى نسبياً بالمصداقية.

أمّا في البلدان العربيّة فإنّه يصعب التنبؤ بنتائج مزج العملية الإعلامية بقضية الديمقراطية خاصّة بالنسبة إلى "المجتمعات التي تفتقد إلى أرضية ومرجعية صلبة في العمل السياسي وفي إدارة التعددية الإعلامية؛" حيث تظهر - وبأشكال مختلفة - أثناء، وبعد المرور إلى الديمقراطية أي في حالة الانتقال الديمقراطي - وفي صور جديدة - قوى رجعية مجسّدة في فكر حزبي، وشبكات محليّة، أو دوليّة مثل قضية الطائفية، والفقر، والعنصرية، والإرهاب، والجريمة المنظّمة في مختلف أشكالها وهي كلّها علامات قد تؤثر في أداء الديمقراطية، ومعها وسائل الإعلام، ولعلنا في العراق، وأفغانستان، ولبنان... الخ" (جمال الزرن، 2007)، ما يقيم الدليل على ذلك.

إنّه لا قيمة إذن لوسائل الإعلام - المؤتمن الأوّل على حرّية التعبير والمجسّد الفعلي لحقّ الاختلاف - إذا لم تنجح في إحداث التغيير في القيم الهانحة لحرّية التعبير والرأي العام في فترة الانتقال الديمقراطي" (جمال الزرن، 2007)، وذلك لأهمية دور الرأي العام - كما يقول أرسطو - في دعم السّلطة السياسية؛ حيث أنّ حكم الشعب يفترض مراقبة دائمة لممارسة السّلطة عن طريق الرأي العام، الذي تشكّل وسائل الإعلام الأداة الأكثر فاعليّة لتكوينه، باعتبارها أفضل وسيط بين الحاكم والمحكوم. وفي هذا السياق يمكن أن يكون الإعلام وسيلة للديمقراطية؛ بحيث يلعب دور المساعد على التّواصل والمؤطر للتّقاش العام، كما قد يكون لاعبا رئيسياً في إشاعة الأفكار الشموليّة المدعّمة لركائز النّظام القائم.

1- الإعلام والتحوّل الديمقراطي: قراءة في أهمّ المقاربات

لا توجد نظريّة علميّة شاملة ودقيقة توضّح طبيعة الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في عمليّة التحوّل الديمقراطي؛ "فالدّراسات والنّظريات المتوفّرة حول هذه القضية يكتنفها التّنافر والغموض لدرجة التعقّد والتشابك... وقد أوجدت تلك الدّراسات تبايناً حول عمّا إذا كانت هناك علاقة إيجابية أم سلبية بين وسائل الاتّصال والديمقراطية، وعمّا إذا كان ينبغي أن تسبق عمليّة تحرّر وسائل الإعلام خطوات التحوّل الديمقراطي أم العكس" (جمال الزرن، 2007).

في هذا الإطار يرى كل من جوران وهايدن وأوكيبو، Goran, Hyden, and Okigbo، أنّه يمكن تصنيف الدّراسات المفسّرة للعلاقة بين وسائل الإعلام والتحوّل الديمقراطي في ضوء اتّجاهات ثلاثة (عيسى عبد الباقي، 2012)، وهي:

- اتّجاه أوّل يعترف بالدور الفاعل للإعلام في عمليّة الإصلاح السياسي والتحوّل الديمقراطي باعتبار أن وسائل الإعلام هي أداة أساسيّة في الانتقال إلى الديمقراطية، ودفع الإصلاح السياسي بمعناه العام.
- اتّجاه ثانٍ ينظر سلبياً إلى دور وسائل الإعلام في عمليّة التحوّل الديمقراطي والتغيير السياسي من منطلق عدم وجود علاقة إيجابية واضحة بين التحوّل الديمقراطي وحرّية وسائل الإعلام أو التشكيك والتقليل من أهمية دور وسائل الإعلام في التحوّل الديمقراطي.

- اتجاه ثالث ينظر إلى طبيعة العلاقة بين الإعلام والديمقراطية من وجهة نظر أكثر اعتدالا تعطي للإعلام أدواراً محدّدة في مرحلة التحوّل الديمقراطي.

ويعتبر مناصرو الاتجاه الأول أن الإعلام سليل الديمقراطية، باعتبار أن انتشار الصحف، ومحطات الإذاعة والتلفزيون وازدهار وسائل التواصل الاجتماعي تزامن مع تعميم الديمقراطية وانتشارها في أوروبا وأمريكا، كما رسّخ القيم الديمقراطية الكبرى. ومن المؤيدين لهذا الاتجاه "جوز بازك" (Josh Pasek, "pasekJosh", 2013) الذي توصل إلى وجود علاقة إيجابية وفعالة بين التغيرات في حرية وسائل الإعلام وبين عمليات التحوّل الديمقراطي، و"كاترين فولتمار" (Katrin voltmer)، التي ناقشت الاتجاهات التي برزت منذ مطلع التسعينات من القرن الماضي مشيرة إلى وجود رابط قوي بين وسائل الإعلام ونشر الديمقراطية، خاصة في المجتمعات التي تمرّ بمرحلة التغيير السياسي.

وقد طرحت فولتمار فكرة أساسية مفادها أن المعلومات والأفكار والقدرة على تفسير الوقائع والأحداث تشكل جانباً مهماً من مفهوم القوة المعاصرة وممارستها، وأنه في السابق كان من يمتلك القدرة على توجيه المعلومات والأفكار، وتفسير الأحداث يمتلك القوة، وبالتالي السلطة، مشيرة إلى أن الإعلام المعاصر يقوم بتجزئة هذه القوة، ويحطّم أسطورة احتكارها "Katrin voltmer" (2006).

في السياق نفسه، توصل كل من موقان (Mughan) وكونتر (Richard Gunther and Anthony) (2000) إلى "أن وسائل الاتصال السياسي قد ساعدت النخبة في النظم السلطوية والشمولية على البقاء في السلطة على المدى القصير ولكنها، على المدى الطويل، سهّلت عملية التحوّل الديمقراطي بعدة طرق بعد أن ساعدت على تآكل مصداقية النظم غير الديمقراطية وشرعيتها، وطرحت بدائل تعددية الاتجاهات السياسية، وأثارت تنشئة كل من النخبة والجمهور طبقاً لقواعد الديمقراطية الجديدة.

كما طرح الباحثان وجهتي نظر للدور الذي لعبه تحرر وسائل الإعلام في تقويض النظم غير الديمقراطية: الأولى، تستند في تفسيرها لمفهوم النظرية الوظيفية للإعلام، والتي ترى أن التغيرات التي تطرأ على سوق وسائل الاتصال الجماهيري أو على التقدم التقني لهذه الوسائل، يضعف من قدرة السلطة على السيطرة على تلك الوسائل والتلاعب بها، وهو ما يسمح بالتالي بوجود أصوات غير مؤيدة أو مستقلة أو معارضة، بما يمهد الطريق للتحوّل الكامل.

وتستند وجهة النظر الثانية إلى تعمد السلطة السياسية "التخفيف من قبضتها على هذه الوسائل كجزء من استراتيجية إصلاح هذه المؤسسات بما يساهم في التحوّل الديمقراطي على المدى الطويل" (عيسى عبد الباقي، 2012).

أما مؤيدو الاتجاه الثاني على غرار المفكر "ماك كاييل" (McQuail) (2010) (Denis McQuail) فيرون أن "حربة وسائل الإعلام تكون نتيجة من نتائج التحوّل الديمقراطي وأن إصلاح وسائل الإعلام وزيادة قدرتها يكون فعالاً ومفيداً فقط في سياق الديمقراطية القائمة. كما يذهب ماك كونل (McConnell) وباكر (Becker) (2002) (Patrick J. McConnell, and Lee B. Becker) إلى ضرورة عدم تجاهل إمكانية وجود علاقة سلبية بين وسائل الإعلام والتحوّل الديمقراطي. ويعتبران أن الإعلام الحرّ قد يكون أحد المعوقات

الرئيسة للديمقراطية، وأنّ التحوّل الديمقراطي قد يتلف الإعلام الحرّ نظراً للافتقار إلى نموذج أساسي ثابت يحدّد وينتّبأ بالتقنيات التي تربط الإعلام بالتحوّل الديمقراطي".

ويقرّ رواد هذا الاتجاه بوجود علاقة جدلية بين النظام السياسي والنظام الاقتصادي في علاقتهما بالإعلام؛ فكلاهما يهدف إلى ترسيخ نمط اجتماعي يسود المجتمع ويكون مصدر تغيير في الثقافة، ولا يسمح بأي تغيير إلا في ضوء ما يخدم العلاقة بين النظام السياسي والنظام الاقتصادي. "ومن هنا، فإنّ وسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية هما أهمّ أداتين لاستمرار التمثّل الاجتماعي المسيطر، وتظلّ هذه الوسائل غير قادرة على فكّ الارتباط من هيمنة القوى المسيطرة لأنّها مصدر شرعيّتها، وحمايتها، ومصدر بروزها الإعلامي الذي يوفّر لها القدرة على الاستمرار في المجتمع" (عيسى عبد الباقي، 2012).

أخيراً يتعرّض رواد الاتجاه الثالث بالطرح إلى دور وسائل الإعلام في عملية التحوّل الديمقراطي بنوع من الحذر في المرحلة التي تسبق خطوات التحوّل حتّى تبدأ إشارات ضرورة إجراء إصلاحات سياسية وديمقراطية في الظهور. فبالاستناد إلى الكثير من الخبرات السياسية في العديد من المجتمعات لوحظ بأنّ "وسائل الإعلام لا تسهم بشكل إيجابي أو جدّي في التهيئة للتحوّل الديمقراطي"، بقدر مساهمتها في إطالة عجز الأنظمة الاستبدادية، ودعم استمرار الوضع القائم، بينما يتبلور دورها الفعّال أثناء عملية التحوّل الديمقراطي نفسها؛ "حيث تُعدّ مهمّة تطوير وإصلاح وسائل الإعلام ودمقرطتها واحدة من المهام الأساسية للإصلاح السياسي والتحوّل الديمقراطي بشكل عام".

ويدعم هذا التوجّه الكثير من البحوث والدراسات التي تشير في هذا السياق إلى "ضعف مساهمة وسائل الإعلام في التهيئة لعملية التحوّل الديمقراطي في ضوء استمرار سيطرة الحكومات على هذه الوسائل. وقد توصّل الباحثان ماك ماهان McMahan وجيسابرو Chesebro إلى عدم وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إيجابية بين انتشار التقنيات الاتّصالية والديمقراطية، واتّساع قاعدة المشاركة السياسية في ظلّ الهيمنة الحكومية على هذه الوسائل في الدّول التي تسير في اتجاه التحوّل الديمقراطي المحدود" (David T. McMahan and James w. Chesebro, 2003)

ويدعم هذه المقاربة كل من "روانسلي Rawnsley وكومار Kumar" اللذان يعتبران أنّه مع بداية كل تحوّل ديمقراطي يتزامن مع إصلاح وسائل الإعلام تكون هناك فرص متساوية لتبادل الأدوار. فقد يتراجع النظام الجديد عن مبدأ الانفراد بالسلطة، ليعود مجدداً إلى احتكار وسائل الإعلام بدعوى تثبيت النظام الجديد. "وهنا يبرز مدى نضج وسائل الإعلام والصحافة، وقدرتها على أن تكون مصدر حماية للمجتمع الديمقراطي حينما تحاصر السياسيين الجدد بالتحدّد... الخ" (Krishna, Kumar, 2006). وتُعدّ مرحلة النضج الإعلامي هذه من أهمّ المراحل التي إذا اجتازتها وسائل الإعلام بالتعددية، فإنّ الديمقراطية ستضمن لنفسها أكبر قدر ممكن من احتمالات عدم التراجع. كما أنّه "إذا لم يكن تحرّز وسائل الإعلام مطلباً أساسياً في عملية التحوّل الديمقراطي، فإنّه على الأقلّ سيكون واقعاً مبدئياً لتحقيق الديمقراطية فيما بعد التحوّل" (Gary D. Rawnsley, 2005).

2- الإعلام والتحوّل الديمقراطي في العالم العربي: من الرقابة إلى التحرّز: "تلعب وسائل الإعلام دوراً رئيساً وفعالاً في تشكيل سياق التحوّل الديمقراطي والإصلاح السياسي في المجتمعات المختلفة؛ حيث تعكس

طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع ، وبين النخبة والجمهور . ويتوقف إسهام وسائل الإعلام ودورها في عملية الإصلاح السياسي والديمقراطي على شكل تلك الوسائل ووظيفتها في المجتمع وحجم الحريات ، وتعدد الآراء والاتجاهات داخل هذه المؤسسات ، إضافة إلى طبيعة العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية المتصلة في المجتمع ؛ بحيث ترتبط طبيعة وسائل الإعلام ودورها في تدعيم الديمقراطية ، وتعزيز قيم المشاركة السياسية وصنع القرار السياسي ، ارتباطاً وثيقاً بفلسفة النظام السياسي الذي تعمل في ظلّه ، ودرجة الحرية التي تتمتع بها داخل البناء الاجتماعي " (Shelton Gunaratne, 2006.)

"وقد طُرحت قضية الدور الذي يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام في عملية التطور الديمقراطي والإصلاح السياسي في البلدان العربية خلال السنوات الأخيرة على نطاق واسع" (عبد الباقي عيسى ، 2012) نظراً لما شهدته تلك الفترة من حراك ملموس في مستوى الحياتين السياسية والإعلامية العربية ؛ حيث لاحظنا تغيراً للواقع الإعلامي العربي عما كان عليه في العقود الماضية ، وإن كان الحراك الذي تشهده البلدان العربية لم يؤسس بعد لبيئة إعلامية جديدة تعكس واقعاً سياسياً ومعرفياً متطوراً.

ولتوضيح طبيعة العلاقة بين الإعلام والديمقراطية — بعد أن أصبح الإعلام جزءاً لا يتجزأ من التعريف الحديث للديمقراطية تزامناً مع تطور دور وسائل الإعلام وتنوع مسؤولياتها "في محيط أضحي يتسم بتراجع الإيديولوجيات ، وبتلاشي التعصب الحزبي وبتنامي الاهتمام بالسياسة - فإنه يمكن حصر دور وسائل الإعلام وارتباطها بعوامل التأثير في الحياة السياسية والديمقراطية بشكل عام ، "فيما اصطلح على تسميته بالوظائف الأساسية لدعم عملية التطور الديمقراطي والإصلاح السياسي (Jennings Bryant, Susan Thompson, 2002) التي تشمل الوظائف الآتية:

ضمان حقّ الجمهور في المعرفة ، من خلال نقل الأنباء من مصادر متعدّدة ، وشرحها وتفسيرها ، ونقل الآراء المختلفة حول القضايا الداخلية والخارجية.

المساهمة في تحقيق ديمقراطية الاتصال ، وضمان حرية التعبير عن الرأي والاتجاهات وإتاحة الفرصة للجمهور لإبداء آرائها في المشروعات الفكرية والسياسية المطروحة ، وفي التعبير عن مشاكلها.

دعم تحقيق المشاركة السياسية من خلال إتاحة المعلومات الكافية التي تؤهل المواطنين وتساعدهم على المشاركة الفاعلة ، واتخاذ قراراتها بالانتماء للأحزاب السياسية ، أو التوجهات الفكرية ، أو التصويت بما يدعم النشاط السياسي العام.

إدارة النقاش العام في المجتمع وضمان حرّيته بين جميع القوى والتيارات الفكرية ، للوصول إلى أفضل الحلول.

تأمين الدور الرقابي على مؤسسات المجتمع ، وحمايته من الانحراف والفساد عن طريق الكشف عن انحرافات السلطة ، وفساد مسؤوليها ، وإساءة استخدام السلطة لتحقيق المنافع الشخصية.

المساعدة في صنع القرارات وذلك على اعتبار أنّ وسائل الإعلام قد تؤثر بصفة مباشرة على القرارات السياسية ؛ فصانع القرار ينظر إلى وسائل الإعلام كمقياس لردّة فعل الناس تجاه سياسته وقراراته. كما أنّ الحرية التي تتمتع بها وسائل الاتصال في الأنظمة الديمقراطية عند نقل المعلومات والتفاعل مع القضايا والأحداث ،

تجعلها طرفا فاعلا في صنع القرار خلافا للأنظمة الشمولية؛ حيث تنقل المعلومات من أعلى إلى أسفل، فيضعف بالتالي الدور الذي قد تمارسه هذه الوسائل.

التأثير في اتجاهات الرأي العام بعد أن أصبحت وسائل الاتصال طرفا فاعلا في تشكيل الرأي العام في المجتمعات الحديثة. وتقوم هذه الوسائل بتزويد الرأي العام بالمعلومات التي تخص الشأن العام، والشخصيات العامة، والحياة السياسية، إضافة إلى مساهمتها في النقاش العام... الخ. وعن طريقها يتم بناء الحقيقة السياسية باعتبار أن الجمهور لا يملك التحكم فيما يقدم له، وإنما يستجيب ويتفاعل مع مضامين الوسيلة الإعلامية. ويمكن التعرف على توجهات الرأي العام ورؤيته حول مختلف القضايا من خلال وسائل الإعلام مما يرشد السلطة السياسية ويساهم في إنجاح سياساتها ويقلل من فرص تعرضها للخطر والانتقاد؛ فالسلطة السياسية لا تستطيع أن تصل إلى الجماهير إلا من خلال وسائل الإعلام التي تقوq عادة ثقة الرأي العام فيها تقته في الحكومات.

مراقبة الأحداث التي قد تؤثر إيجابا أو سلبا في حياة المواطن؛ والمقصود بالمراقبة تجميع المعلومات المتعلقة بالبيئة الداخلية والخارجية للمواطن وتوزيعها؛ قصد اتخاذ القرارات السياسية المناسبة".
ولضمان تأدية وسائل الإعلام لوظائفها على أكمل وجه وحب توفّر شرط التعددية والتنوع باعتبار أنه "كلما زاد نطاق التعددية الإعلامية، كلما زادت قدرة الإعلام على التعبير الحر عن جميع الآراء والتيارات الفكرية الموجودة. ويكمن المؤشر الحقيقي للتعددية الإعلامية في تعدد اهتمامات وسائل الإعلام، وتنوع سياستها التحريرية، ومنطلقاتها الفكرية، وقدرتها على التعبير عن مختلف التيارات السائدة في المجتمع.
كما أنه "لا يمكن لوسائل الإعلام أن تضطلع بمهامها في وجود قيود تكبل حريتها، أو تحد من قدرتها في الحصول على المعلومات، أو التعبير عن الآراء المختلفة، أو ممارسة النقد لما تراه جديراً بالنقد والتقييم؛ فكلما انعدمت هذه القيود، كلما زادت مساحة الحرية لوسائل الإعلام للتعبير عن قضايا المجتمع ومشكلاته بعيدا عن قيود الرقابة وسلطة الرقيب. ويبقى لوسائل الإعلام الحق في النقّاذ إلى المعلومة بعيدا عن احتكار أي هيئة أو مؤسسة أو سلطة للمعلومات" (جمال الزرن، 2011).

وبالنظر إلى البيئة الإعلامية العربية، نجد أنّ الإعلام العربي - بمختلف أشكاله وتلويناته- لم يصل بعد إلى مستويات عالية من الحرية؛ فملكية وسائل الإعلام وقنواتها مازالت في أغلبها بيد الحكومات مما سيؤثر حتما على طبيعة دور تلك الوسائل ووظائفها. كما يتنافى ذلك مع مبدأ الممارسة الديمقراطية التي يسمح فيها لجميع الأفراد أن يكون لهم أصوات مسموعة، ومتساوية، ومؤثرة في الرأي العام. وتبقى طبيعة العلاقة مع النظام السياسي، والبيئة التشريعية، والانحياز، وتراجع سقف حرية التعبير من أهم المعضلات التي تحول دون قيام الإعلام العربي بدوره في تدعيم الديمقراطية، ودفع الإصلاح السياسي.

فلا يمكن للإعلام الحرّ إذن أن يكتفي بترسيخ ركائز الانتقال الديمقراطي، بل الأهم من ذلك هو حمايته، والدفاع عنه، وتحويله إلى قضية مجتمع. ولأنّ الإعلام كان من بين أولى عقبات الانتقال الديمقراطي في تونس ومصر والكثير من البلدان العربية الأخرى، برزت ضرورة قصوى لفتح ملفّ الإعلام، وخاصة الإعلام العمومي الذي وجد نفسه بين فكّي كماشة استحقاقات الانتقال الديمقراطي، وموروث سنوات الكبت، والاستبداد.

ثانيا- علاقة الإعلام بالسلطة السياسية في العالم العربي؛ المعادلة الصعبة

لقد تبين لنا، ونحن نعالج موضوع علاقة الإعلام بالسلطة السياسية في العالم العربي، مدى الفقر الفكري، والمعرفي الذي تشهده أدبيات الإعلام في العالم العربي في علاقة بموضوع الإعلام العمومي، وشبه غياب لبحوث، ودراسات الإعلام العمومي والاتصال الحكومي في علاقتهما بالسلطة السياسية، وذلك على الرغم من تطوّر حاجات المجتمع لإعلام الخدمة العامة وتغيّر سياق وظائفه على وجه الخصوص بين العالمين الغربي، والعربي في ظلّ الحراك السياسي والتطوّر الإعلامي الذي تشهده عديد البلدان العربية.

ففي الغرب – وعلى الرغم من الإجماع الذي تحظى به التعريفات المتصلة بموضوع الإعلام العمومي - إلا أنّ الاهتمامات البحثية بوسائل إعلام الخدمة العامة (إذاعة وتلفزيون على وجه الخصوص) مازال يلفّها الكثير من الغموض والتداخل. وقد تصبح المسألة أكثر تعقيداً عندما يتعلّق الأمر بالبحث في جوهر العلاقة المحتملة فكرياً وعلى مستوى التسيير الإداري بين مسألة الخدمة العامة عموماً، وإشكالية وسائل إعلام الخدمة العامة المسموعة والمرئية على وجه الخصوص؛ وقد تستعصي علينا حالات التقاطع والتفصيل التي أفرزت هذه العلاقة المرعبة والتي لم يستقرّ لها حال، لا فكرياً، ولا من حيث التسيير الإداري، سواء أكان ذلك في المجتمعات الديمقراطية أو تلك التي بالكاد تشهد تحولات ديمقراطية.

ويبدو - من خلال قراءة أولية – أنّ لموضوع الإعلام العمومي علاقة بمبحث له صبغة فنية – تقنية خاصة عندما يتعلّق الأمر بالتلفزيون، بينما هو في الأصل في علاقة بالإشكال المتصل بالمفاهيم، والتصورات، وهو الإشكال الذي يطرح أسئلة حول كيف نفهم حرية التعبير في فضاء التلفزيون؛ وما هي أفضل السبل لضمان التعددية، وإدارة المصلحة العامة ضمن إطار مجال عمومي عقلاني، يتمّ فيه التواصل بشكل حرّ، ومستقلّ. "فكأنّ بالعلاقة بين الهيكلية، والديمقراطية، وتلفزيون الخدمة العامة، وتعدّيته هي في الأصل قضية فكرية سياسية، أو قل هي أبعد من ذلك في إجابتها عن سؤال أي مجتمع نريد؟ (مي العبد الله سنة، 2001).

إذن، يصعب القول بوجود أدبيات بحثية عربية خاصة بإعلام الخدمة العامة في المكتبة الإعلامية العربية، وإن وُجدت فإن أغلبها يطرح مقاربات بحثية ذات طابع تاريخي وصفي تهتم عموماً بتاريخ نشأة الإذاعة والتلفزيون، وتطوّرهما. كما وقع تناول مبحث الإعلام العمومي في العالم العربي ضمن مقاربة فطرية؛ ونذكر في هذا الإطار كتابات مي العبد الله سنة عن "التلفزيون في لبنان والعالم العربي" (المعز بن مسعود وجمال الزرن، 2014)، ودراستين صادرتين عن مؤسسة عربية غير حكومية أنجزهما مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان: وتهتمّ الدراسة الأولى بالإعلام العمومي العربي، بينما تتناول الثانية تطوّر الإعلام العمومي في أوروبا. وجاءت الدراسة الأولى - التي نُشرت ضمن سلسلة قضايا الإصلاح سنة 2007 - تحت عنوان "الإعلام في العالم العربي: بين التحرير وإعادة إنتاج الهيمنة: دراسات في الإعلام في الأردن ومصر والمغرب". بينما حملت الثانية عنوان "تجارب الإعلام المرئي والمسموع في أوروبا": وهي دراسة عربية ترجمها أحمد حسو إلى اللغة العربية، ونشرها المركز سنة 2007. وبالإضافة إلى هذه العناوين، نذكر العدد الخاص الذي أفرده مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية في شهر جوان من سنة 2011 لطرح بعض إشكاليات الإعلام العمومي في العالم العربي (جمال الزرن، 2011)، والدراسة التي أصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية سنة 2014 والتي تحمل عنوان إعلام الخدمة العامة في الوطن العربي: الخصائص والرهنات والتحديات لكل من الدكتور المعز بن مسعود والدكتور جمال الزرن.

ومع إدراكنا المسبق بأنّ الهوة ما تزال شاسعة للغاية بين ما عرفته هذه البلدان من تطوّرات محدودة وبين ترسانة ضمانات حرّية الإعلام في البلدان الديمقراطيّة، فإنّ البحث في القواسم المشتركة التي تجمع بين هذه البلدان العربيّة في رحلتها نحو إصلاح منظومة الإعلام السّميّ البصري في القطاع العمومي يصبح ذو معنى عندما يتعلّق الأمر بدراسة مقارنة لواقع هذه المنظومة في مختلف البلدان العربيّة: فهل يستوي في ذلك المغرب الذي دخل منذ منتصف التسعينيات مسارا للانتقال الديمقراطي، ارتفع معه سقف التوقّعات حول فرص تحرير الإعلام، مع الأردن الذي يجري تسويقه باعتباره نظاما يقترّب من معايير الحكم الرشيد، التي تقتضي إطلاق الحرّيات الإعلامية وتدعيم قواعد الشّافية والمحاسبية؟ وكيف تتعامل مصر - التي شهدت في السنوات الأخيرة أكبر حراك مطالب بالإصلاح الديمقراطي لم تألفه من قبل ساهم - ولو بصفة مؤقتة - في انتزاع هامش أوسع لحرّية التّعبير - مع المنظومة التّشريعية المعادية للحرّيات؟ وهل ستنجح تونس في القطع نهائيًا مع الانتهاكات والتّضييق التي طالّت حرّية الإعلام فيما قبل ثورة يناير 2011، وهل ستنجو وسائل إعلام الخدمة العامّة من التّدجين الذي لازمها طيلة عقود من الرّمن؟

إنّ البحث في الأجوبة الممكنة لكلّ هذه التّساؤلات قد يجد طريقه إلى بداية إجابات، إذا ما نجحنا في تحديد طبيعة علاقة السلطة السياسيّة بالإعلام في هذه البلدان.

1- استقطاب السّيطرة السياسيّة للإعلام، وتكريس منطق الولاء: في مقابل النّقص الفكري والمعرفي في مستوى البحوث التي تطرّقت إلى إعلام الخدمة العامّة في العالم العربي، فإننا لاحظنا اهتماما أكبر من قبل الباحثين العرب (نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر راسم الجمال من مصر، ويحي يحيياوي من المغرب، وأحمد قران الزهراني من المملكة العربيّة السعوديّة... الخ)، بواقع العلاقة الجدليّة بين الإعلام، والاتّصال، والسياسة. فقد أحصينا عديد الكتابات العربيّة التي اهتمت بهذا الموضوع وبأطراف المعادلة فيه (الإعلام، والاتّصال، والسياسة) وبطبيعة العلاقة بينهم وهي علاقة جدليّة بكلّ المقاييس؛ حيث تختلف دائرة التّأثير بينهم باختلاف الأنظمة السياسيّة السائدة، لكن دون أن ترقى تلك الكتابات إلى درجة البراديفم.

ومن المعلوم أنه ليس لكل نظريّة القدرة على أن تصبح براديفم؛ فهناك مجموعة من الشّروط حتى تلقى القبول، وأهمّ هذه الشّروط أن تكون نتيجة ثورة علميّة، وأن تكون قابلة للتّجريد والتّطبيق، وأن يكون لها مجالًا خاصًا للبحث فيها ومنهجية خاصة بها، وإلا كانت مجرد نظرية من مجموعة نظريّات ونهاذج يتألف منهما براديفم ما.

وتعود جذور هذا المصطلح إلى الحضارة الإغريقيّة *παράδειγμα* (*paradeigma*) ويعني النموذج. وفي بداية القرن العشرين أعطى فرناند ديسوسير Ferdinand de Saussure معنى لهذا المصطلح في علاقة بالدراسات اللّغويّة، ثمّ أعطى بعدا إبستمولوجيا مع توماس سامويل كون Thomas Samuel Kuhn الذي يرى: "بأنّ للبحث العلمي مقصدان رئيسيان: أن تأتي ببراديفم جديد، أو أن نبحث في إطار براديفم قديم" (Thomas S. Kuhn, 2008). من هنا تمظهر عمليّة استقطاب وسائل الإعلام من قبل السّيطرة السياسيّة، إمّا بغرض توظيفها للدّعاية، أو من أجل اعتمادها كوسيلة لتجميل صورة هذا النّظام السّياسي أو ذاك. يقول راسم الجمال عن ذات العمليّة، في السّياق العربي: "تتّجه السياسات الاتّصاليّة كلّها إلى دعم سلطة النّظام القائمة، وتوجّهاته في المجالات المختلفة، وخدمة مصالحه الحقيقيّة والمتصوّرة، على النّحو الذي يخدم تماسك النّظام

وديمومته؛ مما نجم عنه اصطباغ مضمون الاتصال في معظم أشكاله في بعض الأقطار، بالصبغة الدعائية المباشرة التي تعزز مصالح النظام وأهدافه، وتعزز المصالح القطرية، وتغرس الولاء لها في عقول الجماهير" (محمد راسم الجمال، 1991).

لكن مع بداية السبعينات برزت أصوات معارضة تطالب بالتخلي عن هذه السياسات وإعادة النظر في كيفية ممارسة السلطة، وإدارة الحكم. وجاءت أغلب المقاربات مٌجمعة على أن منوال التنمية المعتمد لا مستقبل له في غياب تحديث العملية السياسية؛ أي الديمقراطية، وذلك من خلال التداول على السلطة عبر المشاركة السياسية في شكل أحزاب تمارس حرية التعبير. غير أن هذه المشاركة السياسية لا يمكن أن تتوفر، وتتحصن في غياب فضاءات للتعبير الديمقراطي الحر التي تُسمى في الدول الديمقراطية بوسائل الاتصال الجماهيري. إن الإشكال يكمن هنا في كون وسائل الاتصال الجماهيري هذه غير مستقلة، وغير تعددية في العالم العربي عموماً. هكذا همشت السياسة الإعلام، وهمش الإعلام السياسة، وهمشت معهم الثقافة السياسية؛ فما قيمة الحديث إذن عن تغيير الهيكلة في إدارة قطاعي الإعلام، والاتصال، وتسييرهما إذا لم تكن الهيكلة الجديدة محدثة لإضافة نوعية تسعى إلى تحرير الإعلام من التدخل الشمولي للدولة، والتأسيس لثقافة سياسية تحررية جديدة؟

إن تحرير الإعلام من تدخل الدولة في العالم العربي يبقى أحد محدّدات الإصلاح السياسي الرئيسيّة، وأحد أبرز المقوّمات الفكرية في المجتمع العربي اليوم، أكان ذلك بطلب من المجتمع المدني، أو بتنازلات من قبل السلطة، أو تحت ضغط القوى الأجنبية. ويتجلّى تدخل الدولة في الإعلام في العالم العربي في صور كثيرة منها فرض قيود على حرية الوصول إلى المعلومات، وحرية تداولها، وحرية إصدار المطبوعات، وفرض عوائق على حرية التملك، والبتّ الإذاعي، والتليفزيوني، وفرض أشكال مختلفة من الرقابة على المطبوعات المحليّة، والخارجيّة، وفرض قيود على حرية الطباعة، والتوزيع، والإعلان، وفرض رقابة على حرية تنظيم عمل الصحفيين، والإعلاميين المهني، والنقابي من خلال سنّ قوانين تكوّن أشكال ظاهرة، وخفية لمفهوم سيطرة الدولة (حسن عماد مكاي، 2002)؛ حيث يصل تدخل الدولة في بعض البلدان العربية إلى حدّ الاحتكار، والسيطرة الكاملة، بينما ينحصر في دول أخرى في مراقبة الدولة لأداء المؤسسات الإعلامية عن بعد (محمد حمدان المصالح، 2002)، ممّا قد يطرح أحياناً بعض المفارقات التي تتصل بحقيقة قدرة السلطة السياسية على احتكار الإعلام في ظلّ الحراك السياسي الذي شهدته العديد من البلدان العربية على إثر ثورات الربيع العربي.

2- "الربيع العربي" وبداية نهاية احتكار السلطة السياسيّة للإعلام؟

يمكن القول بأنّ الثورات العربية في مصر وتونس هي في الجوهر ثورات الإعلام والديمقراطية بامتياز. فقد عاشت المنطقة العربية على وقع أحداث الحادي عشر من سبتمبر منسنة 2001 والحرب على الإرهاب بضرب أفغانستان في السنة نفسها، ثم العراق سنة 2003، ومشروع إصلاح الشرق الأوسط الكبير سنة 2004 معلنة عن ضرورة الإصلاح وتحريك الأنظمة العربية من الداخل لكن عبر آليات تئوير خارجي تمثّلت في حشد معارضات، أو تسليحها، ودعم المجتمع المدني... الخ. غير أنّ دور وسائل الإعلام في دفع المسار الديمقراطي في الدول النامية ومنها العربية أو حتّى في الدول المتقدّمة يبدو غير كاف؛ فهو دائماً في حاجة ماسة إلى ثقافة

سياسية جديدة ومرجعية إعلامية تقطع مع موروث إعلام الدعاية الذي كانت تجسده مؤسسات الدولة الوطنية الشمولية.

وعلى الرغم من تواصل احتكار السلطة السياسية في الكثير من البلدان العربية لوسائل الإعلام، وفرض هيمنتها الكاملة على الوسائط الإعلامية المختلفة حتى تكون أداة رئيسية للترويج للسياسات الرسمية وتوجيه الرأي العام، فإن بوادر إصلاح الإعلام العمومي - وخاصة في مجال السمع البصري - قد بدأت تظهر في بعض البلدان العربية - مع وجود تفاوت بينها - خاصة بعد الثورات التي شهدتها عدد من هذه البلدان - والتي كانت نتيجتها لا محالة - المناداة بتطبيق مبدأ حرية الرأي والتعبير، والتخلي عن كل سمات النظام السلطوي الذي دأب على التحكم في البنى والحرية الإعلامية، ووضع حد لاحتكار الدولة وسيطرتها على الإعلام، عبر انتقال الإعلام المملوك للدولة إلى إعلام خدمة عامة، مكتملا وليس بديلا عن المبادرات الخاصة في مجال الإعلام.

وتتسم الإصلاحات التي تم إقرارها في هذه البلدان بالتفاوت على اعتبار وجود تفاوت بينها أيضا في المناخ السياسي، ودرجة الحرية الممنوحة للإعلام، والأطر القانونية المؤسسية المنظمة لقطاع الإعلام العمومي المسموع والمرئي، وتطور فكرة الممارسة العملية، ونضجها مقارنة بالمسارات المقترحة لإصلاح عمل منظومة الإعلام المرئي والمسموع - على وجه الخصوص - في القطاع العمومي في هذه البلدان. يضاف إلى ذلك ما أفرزته الثورات من ضرورة تحتم مراجعة العلاقة بين الإعلام العمومي والسلطة السياسية، ونظم ملكية هذه الوسائل، وتطوير مهنية المؤسسات الإعلامية العمومية والخاصة والتهاوض بأدائها.

وفي مقابل ذلك أو على نقيضه، نجد أن وسائل الإعلام والاتصال في الدول الديمقراطية، هي التي تمارس ضغطها على النظام السياسي، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالشؤون الداخلية لهذه الدولة. أما عندما يتعلق الأمر بالسياسات الخارجية فإن هذه الأنظمة تمارس ضغطها على مضامين وسائل الاتصال، ووظائفها "عن ندوة الإعلام ودوره في بناء دول ما بعد الثورات العربية، 2013، بتصرف).

وعلى هذا الأساس، يرى بعض الباحثين أن ليس هناك، بالعديد من الدول العربية، إيديولوجيا للدولة وأخرى لوسائل الإعلام؛ بل "هناك إيديولوجيا واحدة تحدد الخط السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة، وتحدد موقف الدولة من الإعلام وأدواره ووظائفه. بينما يرى البعض الآخر أن العلاقة ما بين التواصل والسياسة يجب أن يُنظر إليها من زاويتين: من زاوية أن وسائل الاتصال أداة رقابية وتوجيهية مؤثرة في سياسات وقرارات المؤسسة السياسية، استنادًا إلى القاعدة الديمقراطية: "إن الصحافة هي السلطة الرابعة في الدولة"، وكذلك من زاوية أن السلطة السياسية تمارس الرقابة والتأثير على وسائل الاتصال، من أجل تحقيق أهدافها السياسية" (عن ندوة الإعلام ودوره في بناء دول ما بعد الثورات العربية، 2013، بتصرف).

هذه الوضعية تُترجمها حالة الإنترنت التي يعيشها الإعلام العربي اليوم والتي تعود بالأساس إلى عدة عوامل أهمها "الاستقطاب الأيديولوجي والسياسي الذي تشهده دول ما بعد الثورات العربية والذي وجد صداه في معظم وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، فضلاً عن وسائل التواصل الاجتماعي. يضاف إلى هذا العامل مؤشر آخر يتصل بما يمكن أن نسميه بالتسرع في تحقيق النتائج واستعجال ثمار الثورات، وتسخير أطراف متضررة لوسائل إعلامية ذات إمكانات هائلة في سياق جهود الثورات المضادة" (المعز بن مسعود، 2019).

ولكن على الرغم من ذلك فإنّ الثورات العربية قد أفرزت جواً من الحرّية والتعددية انعكس إيجاباً على وسائل الإعلام من خلال غياب الرقابة وارتفاع سقف الحرّية والتعبير عن الرأى ، وتعدّد التوجّهات... الخ ؛ وهي قيم بحاجة إلى تأطير استناداً إلى ثوابت مهنيّة ، وموضوعيّة تحترم سيادة الدولة ، وهويتها ، ومصالحها العليا . وقد تنامي تأثير دور الإعلام العربي في السياسة في مرحلة ما بعد الثورات العربية ؛ حيث أصبح يضطلع بدور كبير في صنع السياسة بعد تطوّر هامش الحرّيات السياسيّة ، بل لعلّه أضحي "أداة السياسة وذراعها" يتأثر بها ويؤثر فيها. ويرى بعض المفكرين أنّه "بعيدا عن الدور السلبي الذي يمكن أن يلعبه الإعلام في مرحلة التحوّل المقبلة - وخاصة ما يتعلّق منها بالاصطفاف السياسي والطائفي- ، فإنّ الإعلام العربي قادر على إنجاح عمليّة إعادة بناء الدّولة وترسيخ الاستقرار ، والوصول إلى حالة من الوفاق الوطني بين مختلف القوى الوطنيّة" (يحيى اليحياوي ، 2014) ، شريطة عدم الارتهان للتمويل ، واحترام الصّوابط المهنيّة والموضوعيّة.

خاتمة

"على الرغم من اختلاف طبيعة الإعلام في كل دولة من دول الرّبيع العربي ، وكذلك في باقي بلدان المنطقة العربيّة إلّا أنّ المعوقات التي تقف أمام النقلة النوعيّة للإعلام العربي تكاد تكون متشابهة بين جُلّ هذه البلدان ؛ حيث استعصى على قطاع الإعلام العربي التخلّي كلياً عن منطق الولاء إلى السّلطة السياسيّة والقطع مع إرث ثقيل من التّوظيف والتّدجين استمرّ عقوداً رغم ارتفاع منسوب مستوى الحرّية الذي صار واقعاً ملموساً بلغه قطاع الإعلام فيما بات يُعرف بـ "بلدان الرّبيع العربي. إن دلّ ذلك على شيء فإنّه يدلّ على "أنّ العلاقة بين الاتّصال والسياسة علاقة وثيقة ومتداخلة إلى حدّ بعيد ، لدرجة لا يمكن أن نغزل فيها العمليّة السياسيّة عن الأنشطة الاتّصاليّة مختلفة المشارب ، اللّازمة لقيامها (يحيى اليحياوي ، 2014).

وإن كان الإعلام قد وقع في شرك السياسة ، والاقتصاد ، فإنّ المخرج ربما يكون في مراجعة وظائف الإعلام في صيغة الجمع ، وإعلام الخدمة العامّة في صيغة المفرد ، وإعادة صياغة دوره المنتظر في حماية حقّ المواطن في إعلام متوازن ؛ إذ يصعب اليوم ترك المواطن في أيّ دولة في العالم فريسة منافسة غير متكافئة بين شركات الإعلام يدفع الإنسان ضريبتها.

هكذا يبدو إذن أن إشكال الإعلام ، والاتّصال ، والسياسة - من خلال جملة الأسئلة المثارة - من أعقد المحاور التي تطرح على السياسات العربيّة ، والمجتمع المدني ، والباحث في الوقت ذاته. فكأن بالتراكمات التاريخيّة في عدم إفراد هذا الملف الأهمية التي يستحقها طلبة عقود ، حوّله إلى إشكال فكريّ ، وسياسيّ صعب المراس . كما أنّ التغيّرات المستمرّة التي رافقت قطاعي الإعلام ، والاتّصال في الدّول العربيّة - وخاصة في مستوى إدارتها- ، وفي علاقتها بالسياسة والسّلطة السياسيّة ، جعلت جهود عديد الباحثين تصطدم بالكثير من الصّعوبات والعراقيل في دراستهم لبلنية الإعلام العربي ، وفلسفته قصد الوصول إلى مقارنة منهجيّة عن كفيّة فهم العرب للإعلام ، والاتّصال في علاقتها بالسياسة داخل مجتمعاتهم .

المراجع باللغة العربيّة:

الجمال ، محمد راسم. (1991). الاتّصال والإعلام في الوطن العربي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ص 52-53.

- الزرن، جمال. (2011). خدمة التلفزيون العمومي والديمقراطية: أية علاقة، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس.
- الزرن، جمال. (2007). تدويل الإعلام العربي: الوعاء ووعي الهوية، دار صفحات، سوريا.
- المصالحه، محمد حمدان. (2002). الاتصال السياسي، مقترح نظري تطبيقي، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، ص 55.
- اليحيوي، يحيى. (2014). في تجاذبات العلاقة بين الإعلام والاتصال والسياسة، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر.
- بن مسعود المعز، الزرن، جمال. (2014). إعلام الخدمة العامة في الوطن العربي: الخصائص والرهانات والتحديات، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية (76)، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 175 صفحة.
- بن مسعود، المعز. (2019). الإعلام والاتصال والتحول الديمقراطي في تونس: رهانات الانتقال إلى اتصال حكومي في خدمة المواطن وتجليات مجال عمومي ممارس للفعل السياسي، ص 289؛ فصل في كتاب جماعي بعنوان الإعلام والانتقال الديمقراطي في العالم العربي: بداية نهاية الاستثناء العربي، الشبكة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، ودار سوتوميديا للنشر، تونس.
- سنو، مي العبد الله. (2001). التلفزيون في لبنان والعالم العربي، دار النهضة العربية، 423 صفحة.
- شيلر، هيربرت أ. (2000). المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، عدد 243، الكويت 1999 وفيليب تايلور: قصف العقول: الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة عدد 252، الكويت.
- عبد الباقي، عيسى. (2012). وسائل الإعلام والتحول الديمقراطي في الدول العربية: إشكالية الدور وآليات التعزيز، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني، أنظر الرابط http://www.acronline.com/article_detail.aspx?id=4318.
- مكاوي، حسن عماد. (2002). أخلاقيات العمل الإعلامي: دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- مقال (2013). الإعلام ودوره في بناء دول ما بعد الثورات العربية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الأردن، أنظر الرابط http://www.mesc.com.jo/Activities/Act_Saloon/Act_Saloon_11.html
- مراجع بلغات أجنبية:
- Ben Messaoud, M., Zran, J. (2018). Broadcasting Public Service in the Arab World: Rupture and Continuity, International Journal of Social Sciences and Management, Vol 5, N3.
- Becker, Lee B. J McConnell, Patrick. (2002). The role of the Media in Democratization, Paper presented to the Political Communication Section of the International Association for Media and Communication Research at the Barcelona Conference, July 2002, available at: https://www.researchgate.net/publication/228697877_The_role_of_the_media_in_democratization.
- Breton, Ph. (1998). L'argumentation entre information et manipulation, in La communication : Etat de savoirs, collectif, Editions Sciences Humaines, Paris, 462 pages.
- Bryant, J, Thompson, S. (2002). Fundamentals of Media Effects, New York: McGraw Hill, pp. 307 – 309.
- Chesebro, J W, McMahan, D T, Russet, P C. (2014). Internet Communication, Peter Lang Publishing Inc. p. 138.
- Gunarathne, Sh. (2006). Democracy, Journalism and Systems Perspectives From East and West, inx, Hao and S.K, Data Ray (eds), issues and challenges in Asian Journalism, Singapore: Marshall Cavendish, pp 1-24.
- Gunther, R, Mughan, A. (2000). Democracy and the Media: A Comparative Perspective, Cambridge University Press.
- Hyden, G, Okigbo, Ch. (2002). The media and the Two waves of Democracy, in media and democracy in Africa, G. Hyden, M. Leslie and F.F Ogodimu, eds New Brunswick, N, J: Transaction Publishers, pp 29-50.
- Kumar, K. (2006). Promoting Independent Media: Strategies for Democracy Assistance, Boulder, Lynne Rienner Publishers, p 21.

- Kuhn, T S. (2008). La Structure des révolutions scientifiques, Paris, Flammarion, coll. « Champs-Sciences », 286 p.
- McQuail, D. (2010). McQuail's Mass Communication Theory, Sage Publishing Edition.
- Pasek J. (2013). Political Participation course, University of Michigan | U-M Department of Communication Studies, USA.
- Rawnsley, Gary D. (2005). Political Communication and democracy, New York, Palgrave Macmillan, pp.1-35.
- Voltmer, K. (2006). Mass media and political Communication in new democracy, London; Routledge – EcRer Studies in European political science, pp. 235 -253.

العنف الأسري ضد المرأة: الأسباب والآثار

Domestic violence against women: causes and effects

د.خيدر جميلة ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر

Dr. Kheder Djamila, Université de TiziOuzou-Algérie

مقدمة:

يشهد العالم اليوم انتشارا واسعا للعنف الأسري حيال المرأة ، حيث باتت تترتب عليه تداعيات واسعة المدى بالنسبة إلى صحة وحياة المرأة.

وعلى هذا الأساسي شكل العنف الأسري الموجه ضد المرأة بشكل عام ، وعنف الزوج ضد زوجته بشكل خاص تحديا امام العديد من الجهات الفاعلة والمختصة على المستوى الدولي في مجال مناهضة العنف ضد المرأة ، كمنظمة الصحة العالمية ، منظمات المرأة ، الباحثين وغيرها...

من هنا دعت الحاجة لتبيين وكشف العنف الزوجي الذي يحصل داخل حرمة المنزل وما يخفي خلف وجه الرجل من الأفعال التي تشكل عنفا والتي لا تبرر رجولته ولا أهليته للعصمة.

تعريف العنف: يعد العنف حسب ابراهيم الحيديري صفة ملازمة للإنسان منذ وجوده ، حيث بدأ مع أسطورة الصراع الدامي بين هابيل وقايل ، واتخذ اشكالا وأساليب مختلفة كصراع بين فرد وآخر وبين فرد وجماعة وبين فئة وفئة أخرى وبين طبقات وحكومات ودول. وهذا الصراع الذي غالبا ما يأخذ شكل عنف مادي ومعنوي يشير إلى نزعة التسلط والتحكم والاستغلال عند الفرد (ابراهيم الحيديري ، 2015 ، ص 25).

ويعرفه من الناحية السوسولوجية بأنه ظاهرة اجتماعية عامة شاملة توجد كلما كان هناك ظلم وقمع واستبداد وتسلط ، يقابله عجز وخضوع عن مجابته. ولهذا فالعنف هو التعبير المادي للتعارض والخلاف والاختلاف الذي يولد الصراع والتنازع وليس التعاون والتفاهم والحوار(ابراهيم الحيديري ، 2015 ، ص 12).

ويعرف بعض الباحثين العنف على انه الاستعمال المتمرد للقوة سواء كان ذلك بالتهديد أو الاستعمال المادي ضد الذات أو ضد شخص آخر أو مجموعة بحيث يؤدي إلى حدوث اصابة أو موت أو سوء نمو أو حرمان. ومن هنا فان العنف هو اي اعتداء ضد الآخرين يتسبب أو قد يتسبب في إحداث اذى أو ألم جسدي أو نفسي ، ويشمل أيضا التهديد بالاعتداء

أو الضغط أو الحرمان التعسفي للحريات وللحقوق(منتهى غرابية وآخرون ، 2008 ، ص 5)

أما بالنسبة لخليل احمد خليل فالعنف اذى باليد أو باللسان بالفعل أو بالكلمة وهو في كل حال تجربة نفسية-اجتماعية من تجارب اذى الآخر ، ولكنها تجربة لا تفصل عن تغيرات المجتمع وثقافتها السياسية. وهو سلوك ايدائي قوامه انكار الآخر كقيمة مماثلة للانا أو لنحن ، كقيمة تستحق الحياة والاحترام ، ومرتكزه استبعاد الآخر عن حلبة التغالب اما بخفضه إلى تابع ، واما بنفيه خارج الساحة -آخراجه من اللعبة -واما بتصفيته معنويا أو جسديا.إذن معنى العنف الاساسي هو عدم الاعتراف بالآخر ، رفضه وتحويله الشيء المناسب للحاجة العنفية ، اذا جازم الكلام.(خليل احمد خليل ، 1984 ، ص 138).

ويأتي في هذا السياق تعريف **سلمى بالحاج مبروك** في دراستها "اصول العنف" والتي اعتبرت أن الهدف الرئيسي للعنف هو التدمير والرغبة في القضاء على الآخر واستبعاده وإقصائه، واختزاله إلى كينونة صامتة يصبح أقوى من الرغبة في الحوار والنقاش معه.

والعنف ليس الصراع فقط، بل هو كل ما يسممنا وهو ما يمنع اعطاء نتائج ايجابية للصراع، وعدم الخروج بتجربة ناضجة منه. لان العنف هو ما يؤدي إلى نفي الآخر. اذ انه يمكن أن يكون بمرتبة اخلاقية ومادية ولفظية، وحتى نفسية واقتصادية(مجموعة باحثين، 2018، ص16).

وعرفت منظمة الصحة العالمية العنف بأنه: الاستعمال المتمدد للقوة الفيزيائية (المادية) أو القدرة، سواء بالتهديد أو الاستعمال المادي الحقيقي ضد الذات أو ضد شخص آخر أو ضد مجموعة أو مجتمع، بحيث يؤدي إلى حدوث(أو رجحان حدوث)إصابة أو موت أو إصابة نفسية أو سوء النماء أو الحرمان(منظمة الصحة العالمية جنيف، 2002، ص23).

كما عرفت الجمعية العامة للأمم المتحدة العنف على انه اعتداء جسدي أو معنوي مقصود من جهة تتمتع بسلطة مادية أو معنوية على جهة أخرى (رجاء مكي، سامي عجم، 2008، ص41) هذا يعني ان العنف بكل انواعه هو سلوك غير اخلاقي وحساس جدا لهذا تكتمه المرأة ولا تصرح بما تتعرض له من عنف، وما يقع عليها من اضرار معنوية لشعورها بالخجل لما تتعرض له.(هبة ابراهيم حماد، 2013، ص509).

تعريف العنف ضد المرأة: تؤكد الجمعية العامة في اعلانها العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، ان:العنف ضد المرأة يشكل انتهاكا لحقوق الانسان والحريات الاساسية ويعوق أو يلغي تمتع المرأة بهذه الحقوق والحريات الاساسية. واذ تدرك ان العنف ضد المرأة هو مظهر لعلاقات قوى غير متكافئة بين الرجل والمرأة عبر التاريخ، أدت إلى هيمنة الرجل على المرأة وممارسته التمييز ضدها والحيولة دون نهوضها الكامل، وان العنف ضد المرأة هو من الآليات الاجتماعية الحاسمة التي تفرض بها على المرأة وضعية التبعية للرجل(الامم المتحدة، الجمعية العامة، 1993، ص1).

وإذ تشير في مادته الأولى، أن تعبير "العنف ضد المرأة"، يعني أي فعل عنيف تدفع اليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة:

وإذ تشير أيضا في مادته الثانية إلى ان العنف ضد المرأة يشمل على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، ما يلي : العنف البدني والجنس والنفسى الذي يحدث في إطار الأسرة بما في ذلك الضرب والتعدي الجنسي على أطفال الأسرة الاناث، والعنف المتصل بالمهر، واغتصاب الزوجة، وختان الاناث وغيره من الممارسات التقليدية المؤذية للمرأة (الامم المتحدة، الجمعية العامة، 1994، ص2).

وفي كل حالة عنف ضد المرأة هناك عنف أساسي يقوم على انكار حق المرأة في ان تكون لها حقوق ، ولكن العنف ليس قائما فحسب على انكار ضمني أو معلن لمبدأ المساواة بين النساء والرجال انه قائم أيضا على انكار لمبدأ الكرامة.(رجاء مكي ، سامي عجم ، 2008 ، ص51)

ويحدد G. Rondeau وآخرون في احد منشورات مركز البحث المتعدد الأنظمة حول العنف الأسري والعنف الموجه ضد النساء ، ان اشكالية العنف الزوجي بمختلف انواعه (نقسي بالضرورة-لفظي جسدي-جنسي-اقتصادي...) ترتبط إلى حد بعيد بفقدان السيطرة لكنها تشكل في الوقت نفسه خيارا أو طريقة اختيارية للهيمنة على الشخص الآخر وتأكيدا لسلطته عليه. انه عدم قبول الآخر باختلافاته ، عدم احترامه. وهذا ما يؤكد الهيئة أو الطابع الجرمي للعنف الزوجي(رجاء مكي ، سامي عجم ، 2008 ، ص.ص39 ، 40)

ويمثل العنف الممارس ضد المرأة من قبل شريكها المعاصر إحدى المشكلات الصحية العمومية الكبرى وأحد انتهاكات حقوق الإنسان حيث يتسبب في ظهور مشاكل جسدية ونفسية وجنسية ومشاكل صحية إنجابية...الخ.(منظمة الصحة العالمية ، 2017 ، ص1).

تعريف العنف الأسري: يعد العنف الأسري من اسوأ أشكال العنف ، لأنه يهاجمنا في بيوتنا ، حيث ينبغي ان نشعر بالأمن والاطمئنان ، وقد تنامت حالات الاعتداء بوصفه شكلا من أشكال العنف الأسري على النساء والاطفال الذي لم يسلم منه في بعض الأحيان-كبار السن والمعوقون ، من مواطنين ومقيمين على حد سواء.(ابراهيم محمد الكعبي ، 2013 ، ص249)

واحيانا تتم مناقشة هذا النوع من العنف على اساس انه ظاهرة متعلقة بالنوع البشري(ذكر وانثى) وكثيرا ما تكون مظاهر العنف صادرة من الرجال ضد النساء ، وهناك من يفضل مناقشاتها على اساس انها مشكلة زوج وزوجة.(سالم بن عتيق بن صايل المطيري ، 2010 ، ص13)

ويعرف العنف الأسري بانه :اي فعل يقوم به احد افراد الاسرة بقصد اذاء فرد من افرادها. والايذاء هنا ليس اذاء بدنيا فقط ، وانما قد يشمل الحرمان الهادي أو الحرمان النفسي والعاطفي.ويظهر العنف في اشكال الضرب أو السب أو الافتراء أو التوبيخ أو الاهانة العلنية والمنع من ابداء الراي والحرمان من العمل والتهديد... (ابراهيم محمد الكعبي ، 2013 ص265).

وهناك من يعرفه بانه: احد انواع الاعتداءات اللفظية أو الجسدية أو الجنسية ، أو الحرمان من كل الحقوق ، أو بعضها ، أو اهمالها بطريقة متعمدة صادرة من قبل الاقوى في الاسرة ضد فرد أو افراد منها ، وهم يمثلون الفئة الأضعف ، مما يترتب عليه اضرار بدنية أو نفسية أو اجتماعية.ومنه عنف الزوج تجاه زوجته. (محمد حسين ، 2012 ، ص5).

ويعرف أيضا بانه: كل فعل أو سلوك يصدر من الزوج يتخذ اشكالا بقصد الحاق الضرر الوالايذاء البدني والنفسي بالطرف الآخر ، وبدرجات بسيطة أو شديدة ويصدر هذا الفعل بشكل متعمد ومتكرر ويحدث غالبا داخل المنزل في مواقف الغضب أو الصراع.(ممدوح صابر احمد ، 2012 ، ص438)

أشكال العنف الزوجي الممارس حيال المرأة: ان صور العنف بين الأزواج تختلف في اشكالها وماهيتها ، وخصوصا ما يكون ضد المرأة من عنف الرجل ، فتتنوع اشكال وصور العنف ما بين

التأديب عن طريق الضرب ، أو السب ، وكذلك الاكراه في اخذ متعلقاتها بغير رضاها ، أو المعاشرة بالإكراه ، أو المنع من الخروج من المنزل تعسفا ، وغير ذلك من الصور المختلفة التي تحدث بين الأزواج وتتضرر منها المرأة. (سالم بن عتيق بن صايل المطيري ، 2010 ، ص 16) وفي هذا الصدد يؤكد محمد حسين فضل الله ان المرأة الزوجة لانزال عرضة لتسلط الرجل عليها ، ويأخذ العنف في ذلك اشكالا متعددة:

فمن العنف النفسي الذي يهدد فيه الزوج زوجته بالطلاق أو بغيره ، أو عندما يتركها في زواجها كالمعلقة ، فلا تعامل كزوجة ، أو الذي يستخدم فيه الطلاق كعنصر ابتزاز لها في اكثر من جانب ، فتفقد بالتالي الاستقرار في زواجها ، مما ينعكس ضررا على نفسيته وتوازنها. إلى العنف المعيشي الذي يمتنع فيه الزوج عن تحمل مسؤوليته المادية تجاه الزوجة والاسرة ، فيحرم المرأة من حقوقها في العيش الكريم ، أو عندما يضغط عليها لتتنازل عن مهرها . (محمد حسين فضل الله ، 2013 ، ص.ص 7 ، 8)

العنف الجسدي: والذي يتم باستخدام الايدي أو الارجل أو أي اداة من شأنها ترك اثار واضحة على جسد المعتدي عليه.. وعادة ما يمر العنف الجسدي بمراحل قبل وقوعه تتمثل بالجدال ثم الصراخ ثم الشتم... واخيرا الضرب ، ومن أضح اشكال العنف الجسدي ما يتمثل بالصفع والدفع والركل واللكم وشد الشعر والرمي ارضا والعض والخنق والضرب بأداة حادة والقتل. ويذكر ان الزوجات يشكلن الغالبية العظمى من مجموع الضحايا اللواتي يتعرضن للعنف الجسدي. (علي نجادات ، ، 2007 ، ص 18)

العنف اللفظي: ويعد العنف اللفظي اشد خطرا على الصحة النفسية لاسيما للزوجة ، مع انه لا يترك اثارا مادية واضحة للعيان لأنه يقف عند حدود الالهانات والاحراج امام الآخرين والنعت بألفاظ بذيئة ، وعدم ابداء الاحترام والتقدير والاهمال والتحقير والسخرية منها.

العنف الصحي: ويمكن القول ان اكثر افراد الاسرة عرضة للعنف الصحي هي الام ، اذ تتجسد اشكاله ضدها في عدم سماح الزوج لزوجته بزيارة الطبيب اثناء فترة الحمل وبعد الولادة ، ومنعها من تحديد عدد مرات الحمل بناء على وضعها الصحي ، وعدم السماح لها باستخدام وسائل الحمل المناسبة ، واجبارها على الحمل المتتابع ، وحرمانها الغذاء الضروري لصحتها وصحة وليدها ، وتعرضها للضرب وهي حامل.

التهديد: ويمكن القول ان اكثر الاشخاص المخولين بهذا الحق هو الزوج ، الذي يمارس حقه هذا على زوجته ، ليهدد امنها واستقرارها اذا لم تنصاع لرغباته ، وفي احيان كثيرة يلجأ الزوج إلى تهديد زوجته بالطلاق ، أو الزواج عليها من ثانية ، أو بطردها من البيت ، أو بهجرها ، أو بمغادرته للبيت إلى غير رجعة ، أو بحرمانها من أو لادها ، أو بحرمانها من المصروف ، أو شكايته إلى اهلها(علي نجادات ، 2007 ، ص 19-20).

العنف الاقتصادي:منع الزوجة من الوصول إلى مواردها المادية مع اعطائها اقليل من النقود واخضاعها لمراقبة صارمة لمصاريفها.

-اجبار الزوجة العاملة على تسليم صكها البنكي للرجل .

-استعمال و صرف راتبها دون اذنها وعلمها اين تصرف اموالها

عدم الانفاق عليها وحرمانها من احتياجاتها الضرورية كالملبس والمأكل... الخ. وإذا طالبت بالحصول على حقوقها أو تلبية حاجياتها، يثور ضدها زوجها ويتهمها بانها مبذرة أو انها غير قادرة على ادارة واستعمال اموالها، وقد يتعدى عليها بالضرب حتى لا تعود مرة أخرى إلى مطالبته بزيادة مصروفها أو استعادة راتبها. (ريحاني الزهرة ، 2010 ، ص 49).

وفي نفس السياق يشير آخرون إلى ان اشكال العنف الزوجي الممارس حيال المرأة تتمثل في:
- افعال عنيفة تمارس بشكل مقصود تجاه الزوجة من قبل زوجها، ويكون ناتجا عن استعماله المتعمد للقوة بحيث يؤدي إلى اذياء الزوجة جسديا أو نفسيا أو لفظيا.

- هيمنة الزوج على الزوجة التحكم بها واخضاعها، وسيطرته على كافة القضايا الأسرية والاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بالأسرة، ومحاوله حصر مشاركة الزوجة في امور محددة، وعدم السماح لها بالاطلاع على قرارات وقضايا الاسرة. (سحر الشرع ، عبد الله قازان ، 2017 ، ص 22)

ويمتد الدور الذكوري في احقية الرجل في عدم السماح لزوجته بالعمل أو التعليم، أو الحمل، أو زيارة اهلها، واقاربها، وابداء الرأي، ذلك ان النموذج الذكوري المتسلط ما يزال نموذج سائد ضمن منظومة القيم الاجتماعية التي ترى ضرورة

فرض الزوج سيطرته على جميع افراد الاسرة ولوبالإكراه أو العنف (محمد سالم داود الرميحي ، 2012 ، ص 19)
الأسباب التي تدفع بالمرأة البقاء أسيرة علاقة زوجية: ان الأسباب التي تدفع النساء إلى الاستمرار في هذه العلاقات هي عديدة ومتنوعة وفقا للآطار الثقافي والاجتماعي حيث يمارس العنف الزوجي...
- الخجل من وضعهن يدفعهن إلى نكران العنف.

- الخوف من الترديات التي قد تنجم أو تصدر عن الزوج الممارس للعنف (أو الخوف من ردود فعل الزوج المعترف).

- خوف الضحية من الاقدام على فعل قد يضاعف من خطورة الوضع.

- الخوف من ان تصبح مهجورة ومعزولة.

- الخوف من نبذ اسرتها الاصلية لها التي في حال اتّخذها قرار مماثل.

- الخوف من النبذ المجتمعي.

- العزلة الاجتماعية التي تعيش في اطارها /نقص الدعم أو غيابه.

- التبعية الاقتصادية للزوج.

- التبعية النفسية واعتقاد المرأة بانه لا يمكنها اعادة بناء حياتها.

- الشعور بالولاء للمعتدي.

- امل المرأة بإيجاد الرجل المسالم والهادئ الذي عرفته خلال فترة التعارف.

- الاسباب دينية أو ثقافية.

- ايمان المرأة بضرورة المحافظة على وحدة الاسرة (رجاء مكي ، سامي عجم ، 2008 ، ص.ص 48 ، 49)

- الخوف الذي يكتنف شخصية الزوجة، كخوفها من الطلاق ونظرة المجتمع السلبية له، وحرصها على مستقبل اسرتها وابنائها من التفكك. (سحر الشرع ، عبد الله قازان ، 2017 ، ص 23)

-الأعراف والتقاليد المجتمعية التي تصنف الوقوف في وجه ظلم الزوج وتعتنه على انه امر معيب.(محمد حسين ، 2012 ، ص11)

-خلفية المرأة الاجتماعية: ان خلفية المرأة الاجتماعية الداعمة لسيطرة الرجل على المرأة من خلال استخدام العنف تلعب دورا سلبيا في تمكين المرأة من اتخاذ قرارها ، والدفاع عنه .

-المصير المجهول للمرأة: فيما بعد اتخاذها لقرار الانفصال عن معنفها وعدم وضوح الرؤية بالنسبة لرودود الافعال للبيئة الاجتماعية المحيطة بها حول هذا الموقف واذا ماكان هنالك اشخص داعمين لها ام لا هومن الامور المؤثرة على اتخاذ القرار بالنسبة للمرأة المعتقة .

-الاطفال: عادة ما يكونوا سببا من الاسباب التردد في اتخاذ القرار فاذا اخذنا هذه الحالة كمقياس لعدد من النساء فهي بالضرورة تفكر في مصير اطفالها ، والذين لا يوجد من يحميهم في حال قامت بتركهم كما انها في غالب الاحيان لا يمكن ان تؤمن لهم مكان يؤويهم واياها ، ومن اين لها ان تقوم بتأمين متطلبات الحياة الخاصة بهم خاصة ، وان الاهل لا يتقبلون اطفال ابنتهم المطلقة .

-الخوف من العار أو صدمة الطلاق: تفضل المرأة في مجتمعنا الموت على ان تكون سببا في جلب العار لأهلها حتى ، ولوكان على حساب حياتها ، وحياة اطفالها ، الامر الثاني ان تخوف العائلة من وجود ابنة مطلقة في العائلة قد يحدد مصير اخوتها العازبات ويعتقد عدد من النساء بانهن سيجلبن الحظ السيء للعائلة وانهن سيكن حجر عثرة في طريق اخواتهن العازبات .

العامل الاقتصادي: فهو أيضا من اهم العوامل الذي يجعل المرأة تتخذ قرار العودة إلى الزوج فهي في احوال كثيرة غير عاملة ولا يوجد لديها اي مصدر من مصادر الدخل الذي تستطيع من خلاله تأمين حاجياتها واطفالها وانها باتخاذها قرار الانفصال عن الزوج ستضطر لتحميل اهلها الابعاء المادية الخاصة بها وبأطفالها هذا في حال اذا كانت العائلة قادرة على تحمل هذا العبء الجديد مما يدفعهم إلى ترك اطفالها الامر الذي ترفضه داخليا وفي حال قبلته تكون موافقتها عليه انية ومرتبطة بلحظة غير قادرة على اتخاذ قرار صائب فيها مما يضطرها إلى العودة كي تبقى مع اطفالها ، هذا بالإضافة إلى ما قد يسببه وجود امرأة أخرى من خوف على حياة اطفالها فهي لا تستطيع تحمل فكرة ان تقوم امرأة أخرى بتربية اطفالها ، بما ان النظرة إلى زوجة الاب في مجتمعنا توازي مفهوم القسوة وسوء معاملة اطفال الزوج .كل هذه الاسباب تدفع المرأة إلى التشبث بالوضع الراهن سوءة (محمد سالم داو د الرميحي ، 2012 ، ص21-22).

الآثار التي يتركها العنف الزوجي على المرأة: اكد الأمين العام للأمم المتحدة بانكيهون ، في 8مارس 2007: ان العنف ضد النساء والفتيات له بصماته البغيضة على كل قارة وبلد وثقافة ، يوقع اضرارا فادحة بحياة المرأة وبأسرتها وبالمجتمع ككل.هناك الكثير من المجتمعات التي تحظر هذا الشكل من العنف ، الا ان الحقيقة تشير إلى انه في غالب الاحيان يتم اخفاؤه ويتم التغاضي عنه.(تقرير تنمية المرأة العربية ، 2015 ، ص210).

وخلص تقرير منظمة الصحة العالمية 2002 إلى ان العنف ضد المرأة يعد عامل خطورة صحية له تأثيرات سلبية ومباشرة على الصحة العامة للمرأة حيث يؤدي العنف إلى اصابات أو اعاقات جسدية.كما تعاني النساء المعنفات من الاكتئاب والقلق ، وصعوبات تكوين العلاقات مع الآخرين ، وضعف الشخصية والانطواء والشعور بالدونية. (منتهى غرايبة وآخرون ، 2008 ، ص10).

وقد اشار بعض الباحثين إلى ان العنف ضد المرأة تترتب عليه تداعيات وسعة المدى بالنسبة إلى المرأة. وتنتج عن العنف ضد المرأة مشكلات صحية كبيرة تؤثر فيها. وتنصب هذه التداعيات فيما يلي:

1-اصابات جسدية وأوضاع مرضية مزمنة:

-اصابات ، جروح ، كسر ، حروق

-صحة شخصية ضعيفة

-اعراض الآلام المزمنة

-اضطرابات معوية

-اعراض القولون العصبي

-الاعاقة الدائمة

2-نتائج ثانوية على الصحة الجنسية والانجابية:

-حمل غير مرغوب فيه

-الاصابة بأمراض منقولة جنسيا بما في ذلك مرض نقص المناعة المكتسبة

-اضطرابات في امراض النساء

-اجهاض غير امن ، اجهاض غير مقصود/انخفاض وزن الجنين

-تعقيدات خلال الحمل

-التهابات بالحوض

3-نتائج نفسية وسلوكية:

-اكتئاب ، قلق ، كرب نفسي ، الاحساس بالدونية ، تخوفات وفوبيا

-اضطرابات في الاكل والنوم ، الافراط في الاكل

-اختلال في الوظائف الجنسية

-التدخين ، تعاطي المخدرات والكحول

-الخمول الجسدي(هدى رشاد وآخرون ، افريل 2009 ، ص 17)

وفي نفس السياق حدد أيضا محمد سالم داو دي الرمحي الآثار السلبية التي يخلفها العنف الزوجي على المرأة. اذ ينطلق في تفسيره للآثار من فكرة ان الاضطراب والقلق غالبا ما يظهر عند الزوجات اللاتي لا يحصلن على الحنان والمحبة الكافية من الأزواج . إلى فقدانهن الثقة ونقص اعتبارهن لذواتهن وعدم شعورهن بالأمان واحساسهن الشديد بالخوف ، ويظهر ذلك في انماط سلوكية يدل عليهن التردد والتحفظ وعدم طلاقة اللسان وقلة الجرأة وشدة الحرص ، والتهاؤن والاستهتار.

إلى التكيف والتأقلم مع بيئة العنف حيث تحاؤ ل بعض الزوجات المعنفات التكيف والتأقلم مع حالة العنف التي تتعرض اليها من جهة زوجها سواء كان هذا العنف الواقع عليها كلاما بذيئاً أو ضربا مبرحا أو اهانة أو أي شكل من اشكال العنف الأخرى التي يمارسها الزوج بحقها.

وقد تصاب المرأة في مثل هذه الحالات بالمرض ويؤثر هذا بشكل مباشر أو غير مباشر على ممارسة المرأة الانماط السلوكية في تربيتها لأبنائها. فالمرأة التي يقع عليه العنف من جهة زوجها تقوم بممارسة العنف على أو لادها وتربيتهم على القسوة والعنف مما ينتج عنه اطفال منحرفين في المجتمع.

إلى الآثار الجسدية التي يتركها العنف الزوجي على المرأة ومن أهمها: الإرق، تصيب العرق، سرعة ضربات القلب وصعوبة في التنفس، فقدان الشهية، وارتجاع الاعضاء الشعور بالرعشة، وشحوب الوجه والذبحة الصدرية وقرحة المعدة والربو الشعبي والموت عن طريق الانتحار أو التعذيب البطيء.

إلى الآثار الاجتماعية السيئة التي يتركها العنف الزوجي: اذا لجا الآباء إلى استخدام القسوة والعنف مع الزوجات وحرمانهن من الحياة بأمن واستقرار فان ذلك الاسلوب يؤدي إلى التفكك الأسري.

كما ان الصراع بين الزوجين وعدم الانسجام النفسي بينهما وبالتالي عدم امكانية استمرار الحياة الزوجية، يؤدي إلى التمزق العاطفي وبالتالي الطلاق (محمد سالم داو دي الرميحي، 2012، ص.ص 25-29).

خلاصة:

من كل ما سبق يمكن التوصل إلى ان حماية المرأة (الزوجة) من العنف الأسري تستوجب عدما لكتمان والادعاء والتظاهر ان الزوجة تعيش سلما، بل تستوجب أيضا مطالبة المجتمع بعناصره كافة بالمساعدة على تأمين هذه الحماية، واشعار الرجل بخطورة العنف الممارس على الزوجة، ومساعدته على الاحجام عن هذا الفعل وعدم تكراره مع ضمان معرفة المرأة كافة حقوقها وتمكينها من المطالبة بها وتعويضها وممارستها لها.

المراجع:

- 1-ابراهيم الحيدري، سوسولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقى، بيروت، ط1، 2015.
- 2- ابراهيم محمد الكعبي، العوامل المجتمعية للعنف الأسري في المجتمع القطري، مجلة جامعة دمشق-المجلد29-العدد3+4-2013.تقرير تنمية المرأة العربية، المرأة العربية والتشريعات، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث كوثر، تونس، 2015.
- 3-الامم المتحدة، الجمعية العامة، الاعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، القرار 104/48، ديسمبر 1993.
- 4- الامم المتحدة، الجمعية العامة، اعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، الدورة 48، البند 111من جدول الاعمال، 23 فبراير 1994، ص22-خليل احمد خليل، المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، بيروت، 1984.
- 5-تقرير تنمية المرأة العربية، المرأة العربية والتشريعات، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث كوثر، تونس، 2015.
- 6- خليل احمد خليل، المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، بيروت، 1984.
- 7-رجاء مكي، سامي عجم، اشكالية العنف:العنف المشرع والعنف الهدان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 2008.
- 8- ريحاني الزهرة، العنف الأسري ضد المرأة وعلاقته ضد بالاضطرابات السيكوسوماتية، ماجستير في علم النفس المرضي الاجتماعي، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2010.
- 9-سحر الشرح، عبد الله قازان، العنف الموجه ضد الزوجة في الاسرة الاردنية اشكاله ومرتكزاته الجندرية. دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد3، 2017.
- 10-سالم بن عتيق بن صايل المطيري، دور هيئة حقوق الانسان في الحد من العنف الأسري بمنطقة الرياض، رسالة ماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، 2010
- 11-علي نجادات، تغطية الصحف الاردنية اليومية لموضوعات العنف الأسري، اباحات اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة اليرموك، المجلد 23، العدد1، 2007.
- 12-مجموعة باحثين:اشرف الطيب بوعدة، محفوظ ابي يعلا، العنف:قضايا واشكالات، النشر والتوزيع مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية، 2018.

- 13- منظمة الصحة العالمية جنيف ، التقرير العالمي حول العنف والصحة ، صدرت الطبعة العربية في المكتب الاقليمي لشرق المتوسط القاهرة ، 2002.
- 14- منتهى غرايبة وآخرون ، ، واقع العنف ضد المرأة في الاردن ، المجلس الوطني لشؤون الأسرة ، الاردن ، 2008.
- 15- منظمة الصحة العالمية ، العنف الممارس ضد المرأة ، 29 نوفمبر 2017.
- 16- محمد حسين فضل الله ، مناهضة العنف ضد المرأة ، اصدار المركز الاسلامي الثقافي ، لبنان ، 2013
- 17- محمد حسين ، اسباب العنف الأسري ودوافعه ، مؤتمر العنف الأسري من منظور اسلامي قانوني ، كلية الشريعة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، 2012.
- 18- ممدوح صابر احمد ، اشكال العنف الأسري الموجه ضد المرأة وعلاقته ببعض مهارات توكيد الذات في العلاقات الزوجية ، المجلة الدولية التربوية المتخصصة ، المجلد 1 ، العدد 8 ، ايلول 2012.
- 19- محمد سالم داود الرميحي ، العنف الأسري وانعكاساته لأمنية ، ماجستير في العلوم الجنائية والشرطية ، الاكاديمية الملكية للشرطة ، وزارة الداخلية ، مملكة البحرين ، 2012
- 20- هبة ابراهيم حماد ، درجة الوعي بطرق مواجهة العنف بأشكاله المتعددة لدى عينة من طالبات كلية عالية الجامعية في الاردن وعلاقتها ببعض المتغيرات ، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات التربوية والنفسية ، المجلد 21 ، العدد 1 ، يناير 2013
- 21- هدى رشاد وآخرون ، دراسة العنف ضد النساء في مصر ، ملخص النتائج ، محتويات التخطيط والإنتاج خدمات الإعلان galipette ، افريل 2009.

البحث اللغوي عند الكسائي (ت 189هـ) في كتب أصول الفقه

Al-Kasa'i grammar and linguistics views (189 A. H) in the Books of the Fundamentals of
Jurisprudence

أ. د. صباح علي السليمان

قسم اللغة العربية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة تكريت - العراق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد:
فإن دراسة علماء العربية الأوائل يعطينا بداية نشأة درس اللغوي من صوت وصرف ونحو ودلالة ، وكيف
تطور؟ ومن علماء العربية البارزين الكسائي الذي شاع صيته على مر العصور ؛ لأنه يعد مؤسساً لمدرسة الكوفة
التي اعتمدت على السماع والمنطق ، والأخذ بالقراءات القرآنية الشاذة ، والشعر النادر.
وبعد التوكل على الله تعالى ارتأيت أن أدرس البحث اللغوي عند الكسائي في كتب أصول الفقه ؛ لاهتمامه
بالفقه وأصوله ، وكذلك يعطينا علاقة اللغة بالفقه أيضاً.

أما طبيعة البحث فقد قُسم إلى تمهيد ومبحثين ، تناولت في التمهيد نبذة مختصرة عن حياة الكسائي وعلاقته
بالفقه ، وتناولت في المبحث الأول البحث النحوي وقسم إلى ثلاثة مطالب ، وهنّ الأسماء والأفعال
والحروف ، أما المبحث الثاني فتناولت فيه البحث اللغوي ، وقسم إلى ثلاثة مطالب ، وهنّ الصوت والصرف
واللغة ، معتمداً بذلك على كتب أصول الفقه واللغة ، وكذلك فإنّ أصول النحو استنبط من أصول الفقه.

التمهيد:

حياة الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، مؤلّي بني أسد ، من أهل باخمشا. أخذ عن الرُّؤاسيّ ،
ودخل الكوفة وهو غلام ، وأدّب ولد الرشيد (أبو بكر الزبيدي ، د. ت) ، أما سبب تسميته بالكسائي ؛ فلائنه
ارتحل إلى حمزة الزيات وعليه كساء جيد ، أو لئنه أحرّم في الكساء (أبو بكر الزبيدي ، د. ت ، وعبد الرحمن بن
محمد الأنباري ، 1985 ، وشهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، 1993).

وهو عالم نحوي ، وقارئ من القراء السبعة ، ولغوي ، وكانت بدايته موفقة على يد الفراهيدي وأبي عمرو
وعيسى ويونس ، وقيل إنّه خالط أعراب الحطمة وأخذ عنهم فأفسد ما تعلمه (أبو المحاسن المفضل
التنوخي ، 1992) ، وقرأ على حمزة الزيات ، وقرأ قراءته ببغداد ، وبعدها اختار لنفسه قراءة (عبد الرحمن بن
محمد الأنباري ، 1985).

أما شيوخه وتلاميذه فذكر لنا الدكتور رمضان عبد التواب قائمة بأسماء شيوخه وهم خمسة وعشرون شيخاً
أهمهم: الإمام جعفر الصادق (ت 148هـ) (عليه السلام) ، وحمزة بن حبيب (ت 156هـ) ، والفراهيدي (ت 175 هـ) ،
وسعيد بن مسعدة (ت 215هـ) ، وسفيان بن عيينة (ت 198هـ) ، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ) ، ومعاذ الهراء
(ت 187 هـ) ، والمفضل الضبي (ت 168هـ) ، ويونس بن حبيب (ت 182 هـ) ، و (علي بن حمزة الكسائي ، 1982).
أما تلاميذه فيهم أربعة وثلاثون تلميذاً أهمهم خلف بن هشام (ت 229هـ) ، وعلي بن المبارك (ت 194هـ) ، وأبو
عمرو الداني (ت 246 هـ) ، والقاسم بن سلام (ت 224 هـ) ، وابن الأعرابي (ت 231هـ). أما تلاميذه في القراءة فقد

أوجز لنا الدكتور رمضان عبد التواب قائمة أوردها ابن الجزري وهم أكثر من خمسين قارئاً (علي بن حمزة الكسائي، 1982).

أمّا مؤلفاته فهي معاني القرآن، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب القراءات وكتاب العدد، وكتاب اختلاف العدد، وكتاب مقطوع القرآن وموصله، وكتاب النوادر الكبير، وكتاب النوادر الصفي، وكتاب الهجاء، وكتاب المصادر، وكتاب النوادر الأوسط وكتاب الحروف، وكتاب أشعار المعايمة وطرائقها، وكتاب الهاءات المكني بها في القرآن (عبد الرحمن بن محمد الأنباري، 1985، وشهاب الدين أبو عبد الله الحموي، 1993، وشمس الدين الذهبي، 2006).

وكانت وفاته على أصح الأراء سنة (189هـ) هو ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، ودفنا في يوم واحد، فقال الرشيد: "دفنًا الفقه واللغة في الري في يوم واحد" (أبو بكر بن محمد الزبيدي، د. ت).

ومما ذكر من روايات في مناقشة الكسائي للفقهاء مما جاء عن الزبيدي: "قال عبد الله بن أبي سعد: حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبيد بن آدم بن جشم العبدئي قال: حدثني الأحمر قال: دخل أبو يوسف على الرشيد والكسائي عنده يمازحه، فقال له أبو يوسف: هذا الكوفي قد استفرعك وغلب عليك! فقال: يا أبا يوسف، إنه لبأثني بأشياء يشتبه عليها قلبي. فأقبل الكسائي على أبي يوسف قال: يا أبا يوسف، هل لك في مسألة؟ قال: نحو أم فقه؟ قال: بل فقه. فضحك الرشيد حتى فحص برجله. ثم قال: ثلثي على أبي يوسف فقهاً؟ قال: نعم. قال: يا أبا يوسف، ما تقول في رجل قال لامرأته: "أنت طالق إن دخلت الدار"؟ قال: إن دخلت الدار طلقت. قال: أخطأت يا أبا يوسف. فضحك الرشيد، ثم قال: كيف الصواب؟ قال: إذا قال: "أنت طالق" فقد وجب الفعل، وإذا قال: "إن" فلم يجب، ولم يقع الطلاق. قال: فكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي" (أبو بكر بن محمد الزبيدي، د. ت). وكذلك ما حكاه الدوري قال: "كان أبو يوسف يقع في الكسائي، ويقول: أي شيء يحسن! إنما يحسن شيئاً من كلام العرب، فبلغ ذلك الكسائي فالتقيا عند الرشيد وكان الرشيد يعظم الكسائي لتأديبه إياه - فقال: لأبي يوسف: يا يعقوب، أيش تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق طالق؟ قال: واحدة، قال: فإن قال لها: أنت طالق أو طالق أو طالق؟ قال: واحدة، قال: فإن قال لها: أنت طالق ثم طالق ثم طالق؟ قال: واحدة، قال: فإن قال لها: أنت طالق وطالق وطالق؟ قال: واحدة؛ قال الكسائي: يا أمير المؤمنين، أخطأ يعقوب في اثنين، وأصاب في اثنين، أما قوله: "أنت طالق طالق طالق" فواحدة؛ لأنّ الثنتين الباقيتين تأكيد، كما تقول: أنت قائم قائم قائم، وأنت كريم كريم كريم. وأما قوله: "أنت طالق أو طالق أو طالق" فهذا شك، فوقع الأولى التي تتيقن، وأما قوله: "أنت طالق ثم طالق ثم طالق"؛ فثلاث لأنه نسق؛ وكذلك قوله: أنت طالق وطالق وطالق" (عبد الرحمن بن محمد الأنباري، 1985).

المبحث الأول: البحث النحوي

المطلب الأول: الاسم

المسألة الأولى: الاسم الجامد: جاء عن الكسائي أنّ الاسم الجامد يتحمل الضمير، وإن لم يؤول بمشتق، واليه ذهب الكوفيون والرماني أيضاً (ابن اميرحاج، 1983)، وذهب الاستربابادي أنّ الجامد يتحمل الضمير إن كان مؤولاً بمشتق، نحو: هذا القاع عرفج كلّه أي غليظ (ابن امير حاج، 1983، ورضي الدين الاستربابادي، 1978)، فعرفج اسم جامد إلا أنّه مؤول بمشتق، فعرفج أول بخشن، فلذلك تحمل الضمير، وأكد ذلك الضمير

المرفوع بقولهم كله ، وهو مرفوع ، فعلى هذا تقول: هذا القاع عرفج كله ، فيكون كله توكيداً للضمير المستكن في عرفج ؛ لأنه ضمن معنى خشن (أبو حيان الاندلسي ، د. ت) ، ولهذا ف"أنَّ الجامد يتحمل الضمير مطلقاً عند الكوفيين ولا يتحمل ضميراً عند البصريين إلا إنَّ أَوَّلَ بَمَشْتَقٍ ، وَأَنَّ الْمَشْتَقَ إِنَّمَا يَتَحَمَّلُ الضَّمِيرَ إِذَا لَمْ يَرْفَعْ ظَاهِرًا وَكَانَ جَارِيًا مَجْرَى الْفِعْلِ نَحْوَ زَيْدٍ مَنْطَلِقٍ أَيْ هُوَ فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ جَارِيًا مَجْرَى الْفِعْلِ لَمْ يَتَحَمَّلْ شَيْئًا نَحْوَ هَذَا مِفْتَاحٌ وَهَذَا مَرْمَى زَيْدٍ" (عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل ، 1980).

المسألة الثانية: الاسم المحصور: زعم النحويون أنَّ الاسم المحصور في إنَّمَا هو الذي يتأخر دائماً ، نحو: إنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، فالقائم هو المحصور ، وإنَّ أردت الحصر بالفاعل قلت: إنَّمَا ضَرَبَ هُنْدًا عَمْرُوً وَهَكَذَا ، أَوِ الْمَفْعُولَ بِهِ ، نَحْوُ: ضَرَبَ عَمْرُو هُنْدًا ، واختلقوا في صيغة ما وإلا على ثلاثة مذاهب: الأول يعامل معاملة إنَّما وهذا رأى الجزولي (ت 607 هـ) وأبي علي الشلوبين (ت 645 هـ) ، والثاني رأى الكسائي جواز التَّجْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ مَا جَازَ فِي كَلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا وَإِلَّا ، والثالث رأى البصريين والفراء (ت 207 هـ) وابن الأنباري (ت 328 هـ) إنَّ كَانَ الْفَاعِلُ هُوَ الْمَفْعُولُ بِإِلَّا وَحَبَّ تَجْدِيمِ الْمَفْعُولِ ، وَإِنْ كَانَ الْمَفْعُولُ هُوَ الْمَفْعُولَ بِإِلَّا جَازَ تَجْدِيمُ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَفْعُولِ وَتَأْخِيرُهُ ، وَحَكَاهُ عَنْهُ الشَّيْخُ يَهَاءُ الدِّينِ بِنُ النَّحَّاسِ فِي التَّغْلِيْقَةِ (بدر الدين الزركشي ، 2000 ، ومحمد بن يوسف ، 1428 ، ومصطفى بن محمد ، 1993).

ورأى الكسائي فيه نظر ربما أراد المحصور بأنَّما ، أمَّا رأى البصريين فيجوز تقديم الفاعل أو المفعول إذا اقترن بإلَّا ، واستدل الكسائي بالسمع (أبو حيان الاندلسي ، د. ت) ، ومنه قول الشاعر (ذو الرمة ، 1995): [الطويل]

فلم يدر إلا الله ما هبجت لنا * عشية آناء الدِّيار وشامها

علماً أنَّ المعنى مفهوم (محمد بن عبد الله بن مالك ، د. ت) ، ومهما يكن من اختلاف فالمعنى واضح سواء أكان بإنَّمَا أو ما وإلَّا ؛ إذ قال الشيخ بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن النحاس (ت 698 هـ): "أنَّ النحاة أجمعوا على أنَّه إذا حصر أحدهما وجب تأخيره ، وتقديم الآخ ؛ فإذا أردت الحصر في المفعول قلت: إنَّما ضرب عمرو هنداً ، وإذا أردت الحصر في الفاعل قلت: إنَّما ضرب هنداً عمرو" (أبو حيان الاندلسي ، 1998).

المسألة الثالثة: بدل بعض من كل: جاء في تسمية البدل عند البصريين قول ابن أم قاسم المرادي ، في شرح الألفية: "إنَّ الْبَعْضَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ يَقَعُ عَلَى الشَّيْءِ وَعَلَى نِصْفِهِ وَعَلَى أَقْلِهِ ، وَعَنْ الْكَسَائِيِّ وَهَشَامٍ: أَنَّ بَعْضَ الشَّيْءِ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى مَا دُونَ النَّصْفِ ، وَلِذَلِكَ مَنَعَا أَنْ يُقَالَ: بَعْضُ الرَّجُلَيْنِ لَكَ ، أَيْ: أَحَدُهُمَا" (أبو الحسن علاء الدين ، 2000 ، وأبو محمد بدر الدين ، 2008). وقيل إنَّه دلٌّ على بعض ما دلٌّ عليه الأول (أبو حيان الاندلسي ، د. ت) ، والأصح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنَّه يطلق سواء على الجزء القليل ، أو المساوي ، أو الكثير ، نحو: أكلت الرغيف ثلثه أو نصفه أو ثلثيه (عبد الله بن محمد ، 1993) ، أمَّا كلام الكسائي بعض الرجلين فغير مقيد ، وأراد النصف ، وهو يقول على ما دون النصف فكيف يصح ذلك ؟

المسألة الرابعة: حالة المستثنى: فُهِمَ فِي كَلِمَةِ (زيداً) فِي قَوْلِهِمْ: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا ، أَنَّهُ قَامَ بِمُفْرَدِهِ ، أَوِ الْقَوْمَ بِمُفْرَدِهِمْ ، وَفِيهِمْ زَيْدٌ ، أَوْ إِخْرَاجَ زَيْدٍ مِنْهُمْ ، وَذَهَبَ سَبِيوِيهِ وَالبَصْرِيُّونَ أَنَّ الْمُسْتَثْنَى لَمْ يَنْدَرِجْ فِي الْأَسْمِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَلَا فِي حَكْمِهِ ، وَمَذَهَبُ الْكَسَائِيْلَا يَنْدَرِجُ فِي الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَهُوَ مُسْكُوتٌ عَنْهُ فَإِذَا قُلْتَ: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا ، فزَيْدٌ يَحْتَمَلُ أَنَّهُ قَامَ وَأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ ، وَذَهَبَ الْفَرَاءُ إِلَى أَنَّ زَيْدًا لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْقَوْمِ ، وَإِنَّمَا خَرَجَ وَصَفَهُ مِنْ وَصْفِهِمْ (أبو بشر بن عمرو ، 1988 ، ومحمد بن يوسف ، 1998 ، وأبو عبد الله بدر الدين ،

(1998)، كَأَنَّكَ قَلْتَ: قام القوم لا زيدٌ على العطف (أبو بكر بن محمد، د. ت). مهما يكن من أمرٍ فإنَّ زيداً خارج من حكم المستثنى منه، وأما رأى الكسائي فبعيدٌ.

المسألة الخامسة: الاستئناف: قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) [آل عمران: ٧].

ذكر الخطابي بما روي عن مجاهد أنَّ (الراسخون) معطوف وكذلك الإمام ابن عباس - رضي الله عنهما -، أما على قول ابن عمر، وعائشة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز - رضوان الله عليهم أجمعين - بالرفع على الاستئناف، وهذا مذهب الكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيد، ورواه يونس بن الأشهب عن مالك فيما حكاه الطبري (علي بن حمزة، د. ت، وأبو زكريا الفراء، د. ت، ومحمد بن جرير، 2000، وأبو الربيع الصرصي، 1987)، علماً أنَّ الإمام ابن عباس قرأها على الاستئناف (محمد بن جرير، 2000).

فالعطف يكون على لفظ الجلالة الله، أو مبتدأ على الاستئناف ويقولون خبر له، والأولى الاستئناف، وكذلك لا يجوز (يقولون آمنا به) ابتداءً؛ لأنَّه "بعيدٌ عن ذوق الفصاحة، بل الأولى أن يقال: وهم يقولون آمنا به أو يقال ويقولون آمنا به" (فخر الدين بن محمد، 2000).

المسألة السادسة: يوم بين البناء والإعراب: وجَّه (يوم) في قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «صَوْمُكُمْ يَوْمٌ تَصُومُونَ» (أبو يعقوب بن اسحاق، 1991). في قول البيهقي: "غير أنه إن أُضيف إلى الفعل الماضي فاختيار الجمهور من أهل النحو أن يبنى على الفتحه ويخرج عن كونه معرباً لاتحاده بما ليس بمعرب في نفسه إذ بين المضاف والمضاف إليه نوع اتحاد وإن أُضيف إلى المستقبل فالمتكلم بالخيار إن شاء أعربه لكون ما أُضيف إليه معرباً في نفسه وإن شاء بناه لاتحاده بالفعل والاسم يبنى لشبهه بالفعل إذا تأكدت المشابهة فلأن يبنى عند اتحاده به أولى هذا التخيير ظاهر للمتكلم وإن كانت العرب تؤثر الإعراب لذي الإضافة إلى المستقبل على البناء وتؤثر البناء على الإعراب لذي الإضافة إلى الماضي على ما روى الفراء عن الكسائي عن العرب، ولكن البناء في الأول جازئ بلا خلاف والإعراب في الثاني عند الكسائي" (عبد العزيز بن احمد، د. ت). فجاء البناء عند الجمهور، والمعرب عند الكسائي، فالأولى قول الجمهور، أمَّا العرب فلم تقل ذلك وإنما "بنت الظرف المضاف لإذ، ولا علة لبنائه إلا كونه مضافاً لبنني، فلو كانت الكسرة إعراباً لم يجز بناء الظرف" (أبو حيان الاندلسي، د. ت).

المسألة السابعة: إعراب العدد ثلاث: حكى أنَّ هارون الرشيد كتب إلى القاضي بهذين البيتين: [الطويل]

إِنْ تَرَفَّقِي يَا هِنْدُ فَالرِّفْقُ أَيْبَنُ * وَإِنْ تَحْرَقِي يَا هِنْدُ فَالْحَرْقُ أَلَمٌ
فَأَنْتِ الطَّلَاقُ وَالطَّلَاقُ عَزِيمَةٌ * ثَلَاثًا وَمَنْ يَحْرُقُ أَعْفُ وَأَظْلَمُ

فسأل أبو يوسف الكسائي عن رفع أو نصب ثلاث، فأجاب الكسائي بالرفع؛ لأنَّه قال: أنت طالق، وبعدها أخبر الكسائي بالنصب أي: أنت طالق ثلاثاً، وقد اعترض أبو يوسف على الكسائي في عدم النصب؛ لجواز أن يكون ثلاثاً حال من الضمير المستتر في عزيمة (تاج الدين عبد الوهاب، 1998)، فالرفع على طلاقة واحدة؛ لأنَّه قال: أنت طالق، والنصب على أنَّها ثلاث مرات، أي: أنت طالق ثلاثاً وبينهما جملة اعتراضية (والطلاق عزيمة)، وكلاهما صواب؛ لأنَّ الطلاقة والثلاث طلقات تقع (أبو محمد عبد الله ابن هشام، 1985).

ومهما يكن من أمر فمن الناحية الشرعية الطلاق وقع مرة واحدة، ولهذا جاءت رواية الرفع ثلاث في كثير من المصادر، أما رواية النصب على الحال من الضمير المستتر في عزيمة فهو ضعيف.

المسألة الثامنة: إضافة حيث: أُلِعَ الفقهاء بفتح همزة إنَّ بعد حيث الظرفية، والأصل كسر همزة إنَّ، وجاء عن الكسائي أنَّها تضاف إلى المفرد (أبو عبد الله بدر الدين، 1985)، ودائماً تكون إنَّ مكسورة بعدها، نحو: اجلس حيث إنَّ زيداً جالس(أبو حيان الأندلسي، د. ت)، والمشهور في حيث إضافتها إلى الجملة الفعلية، ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ حَيْثُ حَزَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149)} [البقرة: 149]، وقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفُرْ لَكُمْ حَطَّائِنَاكُمْ وَسَتَرِذُ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة / 58]، أو الاسمية، نحو: جلست حيث الهواء طيب(فاضل صالح السامرائي، 2000). أما رأى الكسائي فقد جاء في شاهد واحد، وهو قول الراجز(بدر الدين محمود، 2010):

أَمَا تَرَى حَيْثُ سَهَيْلٍ طَالِعًا * نَجْمًا يُضِيءُ كَالسَّهَابِ لَامِعًا

المسألة التاسعة: إضافة آل إلى مضمير: منع الكسائي والنحاس إضافة آل إلى الضمير(شمس الدين المارديني، 1999، وأحمد بن محمد النحاس، 1421)، وكذلك الزبيدي(أبو بكر بن محمد، 2000، ومحمد عبد الخالق، د. ت)، وأضيفت إلى اسم ظاهر، نحو(آل صفوق)، والأصح إضافته لمن له مقام ورفعة (رضي الدين الاسترابادي، 1985)، وقيل الصحيح إضافتها إلى ضمير(محمد بدر الدين الدماميني، 1983).

والكلام كثير في آل في إضافتها إلى ضمير أو اسم ظاهر؛ لعدم وجود قياس فأهل تضاف إلى اسم ظاهر، نحو قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65)} [آل عمران: 65]. وتضاف إلى الضمير، نحو قوله تعالى: {وَإِنْ حِفْظُ شِقَاقِ بَيْنِهِمَا فَابْتَعَثُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا (35)} [النساء: 35]، وكذلك آل تضاف إلى الاسم الظاهر كقوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54)} [النساء: 54]، وتضاف إلى الضمير كما جاء في الخطب: وعلى آله وصحبه وسلم .

المطلب الثاني: الأفعال

المسألة الأولى: تنازع العامل: كما هو معلوم أنَّ التنازع في النحو العربي موجود، وجوز الكسائي ذلك؛ لأنَّ العوامل الاعرابية معرفات لا مؤثرات(أبو عبد الله محمد الرازي، 1997)، نحو: قام وقعد زيدٌ، وإلحاق إعمال الأول لا الثاني(أبو حيان الأندلسي، د. ت)، وشرط أن يكون الفعلان يصح عمل كل واحد منهما في ذلك المعمول، نحو: ضربني وأكرمني زيد (أبو عمرو جمال الدين، 1989)، وأجاز سيبويه ذلك في(هذا باب الفاعلين والمفعولين)، بقوله: "الذين كلُّ واحد منهما يَفْعَلُ بفاعله مثل الذي يَفْعَلُ به وما كان نحو ذلك، وهو قولك: ضربتُ وضربتني زيدٌ، وضربتني وضربتُ زيداً، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه. فالعاملُ في اللفظ أحدُ الفعلين، وأما في المعنى فقد يُعْلَمُ أنَّ الأوَّلَ قد وقع إلَّا أنَّه لا يُعْمَلُ في اسمٍ واحدٍ نصبٌ ورفعٌ" (أبو بشر بن عمرو، 1988).

المسألة الثانية: زيادة الألف بين الميم واللام في الملك: اختلف القراء في قوله تعالى: **يُحِفُّ** ث ذ ذ [الفاتحة: ٤]، قرأ سائر القراء من دون ألف، أمّا عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر فقرأوا بألف بين الميم واللام (علي بن حمزة، د. ت، وابن امير الحاج، 1983، وسليمان بن نجاح، 2002، ومحمد محسن، 1997).

والفرق بين ملك ومالك أنّ ملك يجمع على مالك كما نُقِلَ عن أبي بكر محمد بن السري ناصاً يستدلّ فيه على ذلك، و ملك ذلك اليوم بها فيه، أمّا مالك فيكون للشيء وحده (ابو عبد الله حسين ابن خالويه، 1401، وأبو علي الفارسي، 1993). وقد رسمت في جميع المصاحف بدون ألف (حليمة سال، 2014)⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الصرف

المسألة الأولى: تعدي الفعل أجمع: ذكر الجوهري في الإجماع لغة قول الكسائي: "أَجْمَعْتُ الأَمْرَ بتعديها بنفسها، وذكر الجوهري وَمُجْمَعٌ عَلَيْهِ، لِتَقْدِيرِهِ بِحَرْفِ الْحَرْفِ فِيهَا حَكَاهُ؛ لِأَنَّ جَمْعَ يَتَعَدَى بِالْهَمْزَةِ وبالتضعيف، نحو: أَجْمَعُ وَجَمَعُ" (أبو نصر اسماعيل، 1987، وابو الربيع الصرصي، 1987)، والمشهور أنّ أجمع تتعدى بنفسها وبحرف الجر على (ابو الحسن علي، 2007، والقاسم بن علي، 1998).

المسألة الثانية: اشتقاق: اختلف العلماء في اشتقاق (ملك) أو (ملاك) على ثلاثة أقوال: الأول لأبي عبيدة أنّه على وزن مَفْعَلٍ من لأك بمعنى أرسل، ومنه الكُني إليه، وأصلها الإكْنِيوهو مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول، والثاني قول الكسائي أنّه على وزن مَفْعَلٍ وأصله (مَأَلَك) من (الألوك) و (الألوكة) وهي الرسالة. ويقال: (مَأَلَك) و (مَأَلُوك). فقلبوا فيه قلباً مكانياً فقالوا: (مَأَلَك)، فهو صفة مشبهة، والثالث قول ابن كيسان: هو مشتق من (المَلَك) بمعنى القوة. والهزمة مزيدة فوزنه (فَعَالٌ) (كشَمَالٌ) (عثمان بن عمر، 2010، وأبو يعقوب اسحاق، 1991).

وردّ ابن عاشور على ابن كيسان والكسائي بأنّ دعوى زيادة حرف بلا فائدة دعوى بعيدة، وأنّ القلب خلاف الأصل، ورجّح مذهب أبي عبيدة (محمد طاهر بن عاشور، 1984)، وهو الصحيح فأصله مَأَلَك و بالنقل مَأَلُوك، وحُفِّفَ فصار مَلُوكًا، وأخذَ المَلُوكُ من تركيب ألك؛ لأنّ ألك هي في تقليب شيء في الفم، و أنّ رسالة الملائكة كانت شفويةً يملون رسالاته عزّ وجلّ إلى المصطفين من خَلَقَهُ (محمد حسن جبل، 2010)، وهو مصدر ميمي على وزن مَفْعَلٍ. ولا حاجة لهذه الآراء فالعرب رفعت اللبس بالجمع حيث جمعت مَلُوكًا على ملوك، ومَلُوكًا على ملائكة (عبد الرحمن بن محمد، 1405).

المسألة الثالثة: معمول اسم الفاعل: جاء في معمول اسم الفاعل دالتين الأولى الحاضر والاستقبال إذا كان المعمول منصوباً، والمضي إذا كان المعمول مضافاً إليه إلا أنّ يكون معه أل فيجوز النصب، وأجاز الكسائي النصب مطلقاً، وحيث يجوز الجر يجوز النصب، ثم هما سواء عن سيبويه (سيبويه ابو بشر عمر، 1988، وتاج الدين عبد الوهاب، 1991، و عبد الرحمن بن محمد، 1405)، والأصل أنّ يكون اسم الفاعل عار من (أل) فيجوز الجر والنصب نحو: هذا ضارب زيد أخيك، وعمرو، وكذلك: زيداً وعمراً (ابو حيان الاندلسي، 1998)،

(1) ينظر: سال، القراءات روايتنا ورش وحفص 66.

والأصل ضَارِب زيداً ، و سميت الإضافة لفظية لأنها أفادت أمراً لفظياً وَهُوَ التَّخْفِيفُ فَإِنَّ ضَارِبَ زَيْدٍ أَخْفَ مِنْ ضَارِبِ زَيْدٍ (شمس الدين محمد الجوجري، 2004) وعلى هذا فالأرجح قول الجمهور في مجيء اسم الفاعل عَارٍ من أُل في الحالتين.

المسألة الرابعة: اسم جنس: اختلف في مدلول اسم الجنس فالغزالي يسميه جمعاً، وابن مالك اسم جمع، والأصح أنه يطلق على الواحد والتثنية والجمع، وحكى الكسائي إطلاقه على المفرد، وبه قال الكوفيون سواء أكان الواحد مذكراً أم مؤنثاً (أبو عبد الله بدر الدين، 2000).

والمسألة خلافة فاسم الجنس يقع أولاً على الجنس كله، ثم يميز بالثاء أو بياء النسب (يعيش بن علي، 2001)، وهو يطلق على كل فرد جنس، ومنه الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأسماء الشرط، وأسماء الاستفهام، فهي أسماء أجناس (مصطفى بن محمد، 1993).

من هذا يتبين أن اسم الجنس ليس له حد فهو يطلق على كل جنس سواء أكان مفرداً أم مثنى أم جمعاً، والأصح أن يطلق عليه اسم جنس وليس اسم جمع أو جمع، فلجموع قواعد.

المسألة الخامسة: تصغير آل: ذُكِرَ أَنَّ أَهْلَ تَصْغَرُ فَيَقَالُ: أَهْلُنَا: يَا أَهْلَ الْحِمَى، أَمَا آلٌ فَلَا تَصْغَرُ وَلَكِنْ سَمِعَ الْكَسَائِي إِعْرَابِيًّا يَقُولُ: أَوَيْلٌ فِي تَصْغِيرِ آلِ (ابن أمير الحاج، 1983)، فأبدلت الالف واواً، ولم يرده إلى أصله، فأصله آلٍ أَوْلٌ، مِنْ آلٍ يَتَوَلَّى؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُتَوَلَّى إِلَى أَهْلِهِ (أبو البقاء عبد الله العكبري، د. ت)، وجمعه آلون (مكي بن أبي طالب القيسي، 1405 هـ)، وبهذا قاسوا آل على أهل، فأهل تصغيره أهيل، وهذا رأى يونس (ت 182 هـ) والكسائي ووافقهم ابن الباذش (ت 528 هـ) (دردير محمد، د. ت).

المطلب الثالث: الدلالة

المسألة الأولى: لا جرم: ذهب الخليل وسيبويه أن لا جرم في قوله تعالى: {لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ} (22) {هود/ 22}، معناها (حق) وهما كلمة واحدة، وعن الخليل أن معناها لا بد ولا محالة، وعن الكسائي لا صد ولا منع، وقيل لا قطع (الخليل بن أحمد الفراهيدي، د. ت، وسيبويه أبو بشر عمرو، 1988، وعلي بن حمزة، د. ت، وأبو زكريا الفراء، د. ت، وأبو عبد الله حسن الرجراجي 2004، وفاضل صالح 2000)، وقيل: لا تركتها أبداً (أبو سليمان حمد، 1976)، وأيد قول الخليل وسيبويه أبو حاتم السجستاني (أبو بكر محمد السجستاني، 1995)، ولم أجد رأى الكسائي في المعجمات، والأشهر ما ذهب إليه العلماء في أن معناها حق، أو محالة.

المسألة الثانية: . ذكر: فرق الكسائي في ذال الذكر أنها إذا كانت مكسورة فهي الذكر باللسان ضد الانصات، وإذا كانت مضمومة فهي الذكر بالقلب ضد النسيان (علي بن حمزة، د. ت، وعبد الحميد الشرواني، د. ت)، ومنه قوله تعالى: {وَذَكَرْنَا فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (55) {الذاريات/ 55} (أبو عبد الله بطلال، 2008)، والضم أعلى (أبو بكر محمد بن دريد، 1987)، ويأتي الذكر بمعنى الكتاب كما في قوله تعالى: {ذَلِكَ نُتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} (58) {آل عمران: 58}، والشرف ومنه قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} (4) {الشرح: 4} (محمد حسن جبل، 2010)، وبهذا تأتي (الذكر) حسب السياق الذي وضع فيه، وأراد الكسائي الفرق بينهما في ذكر الله تعالى فقط .

المسألة الثالثة: السُّنَّة: جاء في معنى السُّنَّة في كتاب إرشاد الفحول: "وأما لُغَةً: فَيَبِي الطَّرِيقَةَ الْمَسْلُوكَةَ، وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ سَنَنْتُ الشَّيْءَ بِالْمَسَنِ إِذَا أَمَرْتُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤْتِرَ فِيهِ سَنًا أَي: طَرِيقًا، وَقَالَ الْكَسَائِيُّ: مَعْنَاهَا الدَّوَامُ فَقَوْلُنَا: سُنَّةٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِالْإِدَامَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَنَنْتُ الْمَاءَ إِذَا وَالَيْتَ فِي صَبِّهِ" (محمد بن علي الشوكاني، 1999)، فأصل السُّنَّة الطريقة كما جاء في الحديث الشريف: "سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ" (محمد بن ادريس الشافعي، د. ت)، أمَّا ما ذهب إليه الكسائي بأنَّ معناها الدوام أى الإرسال فأسنُّهُ سَنًا، إِذَا أَرْسَلْتَهُ إِرسَالًا (احمد بن فارس، 1979). وفرَّق الجوهرى بين سَنَّ و سَنَّ إِذ قال: "سَنَنْتُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ، إِذَا أَرْسَلْتَهُ إِرسَالًا مِنْ غَيْرِ تَرْيِيقٍ. فَإِذَا فَرَّقْتَهُ فِي الصَّبِّ قَلْتَهُ بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ" (أبو نصر اسماعيل الجوهري، 1987).

خاتمة:

في أثناء استنباط البحث اللغوي عند الكسائي من كتب أصول الفقه وما آل إليه في نشأة الدرس اللغوي توصلت الى موجز لما قدمته وهو:

1- كان الكسائي ذا نظرة في استنباط الأحكام اللغوية؛ لأنه اختار لهذه المدرسة قواعد يسير عليها وهي السماع، والاحتجاج بالقراءات الشاذة، وإقامة القاعدة على ما ندر من كلام العرب سواء أكان شعرًا أم نثرًا، كما جاء في: أنت طالعك إن دخلت الدار، وأصل إلا أنها مركبة من إن ولا، وأصل إما أنها بحكم ما النافية .
2- وافق النحاة في الاستئناف في لفظة (الراسخون) التي ذكرت في قوله تعالى، والتنازع على فعلين، وتقديم الاسم المحصور وتأخير ب ما وإلا، وكذلك في قراءة في زيادة الألف بين الميم واللام، وقراءة الفعل (عجل)، وحتى التي بمعنى انتهاء الغاية.

3- انفرد الكسائي عن العلماء بتحميل الاسم الجامد الضمير وإن لم يؤول بمشتق، ودلالة بدل بعض من كل من أنها ما دون النصف، وبيان قيام زيد وعدم قيامه في قام القوم إلا زيدا، وبناء يوم وإضافته إلى الفعل، وإضافة حيث إلى المفرد، ومنع إضافة آل إلى الضمير.

4- أمَّا في المسائل اللغوية فقد انفرد الكسائي بمد الفين ونصف علمًا أي لم أجد له ذكراً في الكتب، وتعددي الفعل أجمع بنفسه في أجمعت الأمر وليس بحرف الجر على، وأن وزن ملك وملاك معقل، ونصب معمول اسم الفاعل مطلقاً، ودلالة اسم الجنس على المفرد، وأن لا جرم أصلها لا صد ولا منع، وفرق الكسائي في ذال (ذكر) فإن كان مكسوراً فهو الذكر باللسان دون الانصات، وإن كان مضموماً فهو الذكر بالقلب دون النسيان ودلة السُّنَّة على الدوام.

6- إنَّ دراسة جهود علماء العربية الأوائل يعطينا أصل القواعد اللغوية، وكيفية تطورها عبر العصور، ومدى قدرة استنباط علمائنا لقواعد اللغة من القرآن الكريم وقراءته والحديث الشريف وكلام العرب، علماً أنَّ حركة التأليف في ذلك الزمان وصفية إلا الكسائي أضاف إليه شيئاً من نزعة المنطقية.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قائمة المصادر والمراجع

أ / الكتب المطبوعة:

- بيطال، أبو عبد الله محمد (2008م)، النُّظْمُ الْمُسْتَعْدَبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْفَاطِ الْمَهْدَبِ، مصطفى عبد الحفيظ سالم، د. ط، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

- البخاري، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار شرح أصول البيهزوي (1995)، د. ط، دارالكتا.

- بسج، أحمد حسن (1415هـ)، ديوان ذي الرمة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- البياتي، ظاهر شوكت(2005م)، أدوات الإعراب ، ط1 ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .
- ابن الحاجب ،أبو عمرو جمال الدين(1989 م)، أمالي ابن الحاجب ، فخر صالح سليمان قدرة ، د. ط ، دارعمار - الأردن ، دار الجيل – بيروت .
- ابن الحاجب ، عثمان بن عمر(2010 م)، الشافية في علمي التصريف والخط ، صالح عبد العظيم الشاعر ، ط1 ، مكتبة الآداب – القاهرة .
- ابن السراج ، أبو بكر محمد بن السري(د.ت)، الأصول في النحو، عبد الحسين الفتلي ، د. ط ، مؤسسة الرسالة ، لبنان – بيروت.
- ابن أمير حاج ، شمس الدين محمد(1983م)، التقرير والتحبير ، ط2، دار الكتب العلمية .
- ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف(1998م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب ، ط1، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين (1401 هـ)، الحجة في القراءات السبع ، عبد العال سالم مكرم، ط4، دار الشروق – بيروت .
- ابن دريد ،أبو بكر محمد ، جهرمة اللغة (1987م)، رمزي منير بعلبكي ، ط1، دار العلم للملايين – بيروت.
- ابن راهويه ، أبو يعقوب إسحاق(1991)، مسند إسحاق بن راهويه، عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، ط1، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة.
- ابن عاشور ، محمد الطاهر(2004 م)، مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الحبيب ابن الخوجة ، د. ط ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر .
- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد(1984م)، التحرير والتنوير ، د. ط ، دار التونسية للنشر – تونس.
- ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن(1980)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط2، دار التراث - القاهرة ، دار مصر للطباعة.
- ابن فارس، الحسين أحمد بن زكريا(1979م)، مقاييس اللغة ، عبد السلام محمد هارون ، د. ط ، دار الفكر .
- ابن مالك ، محمد بن عبد الله ، شرح الكافية الشافية(د.ت)، عبد المنعم أحمد ، ط1، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.
- ابن هشام ، أبو محمد عبد الله(1985)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ط6، تج: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله ، دار الفكر – دمشق .
- ابن يعيش ، يعيش بن علي ، شرح المفصل للزمخشري(2001 م)، إميل بديع يعقوب ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
- أبو السعود ، دردير محمد(د.ت)، ظاهرة التقاص في النحو العربي ، د. ط ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- الأبياري ، علي بن إسماعيل(2013 م)، التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري ، ط1، دار الضياء - الكويت.
- الأسترايادي ، رضي الدين (1398 هـ) ، شرح الرضي على الكافية ، يوسف حسن عمر ، د. ط ، جامعة قاريونس .
- الإسترايادي ،رضي الدين (1975 م)، شرح شافية ابن الحاجب ، محمد نور الحسن ، ومحمد الزرفاف ،ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، د. ط ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.
- الأبباري ، عبد الرحمن بن محمد(1985 م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، إبراهيم السامرائي ، ط3، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن.
- الأندلسي ، أبو حيان(د.ت)، التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، حسن هنداوي ، ط1، دار القلم - دمشق .
- الأندلسي ، سليمان بن نجاح (2002 م)، مختصر التبيين لهجاء التنزيل ، د. ط ، مجمع الملك فهد المدينة المنورة .
- التنوخى ،أبو المحاسن المفضل بن محمد (1992م) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ،عبد الفتاح محمد الحلو ، ط2 ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة.
- جيل ، محمد حسن(2010 م)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ، ط1، مكتبة الآداب – القاهرة.
- الجرمي ،إبراهيم محمد(2001 م)، معجم علوم القرآن ، ط1، دار القلم – دمشق 1422 هـ .
- الجوّجري ، شمس الدين محمد(2004م)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية.
- الجوهري ، أبو نصر إسماعيل(1987م)، الصحاح ،أحمد عبد الغفور عطار ، ط4، دار العلم للملايين – بيروت.
- الحريري ، القاسم بن علي(1998م)، درة الغواص في أوامم الخواص ، عرفات مطرعي ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت .
- الخطابي ،أبو سليمان حمد بن محمد(1976م)، بيان إعجاز القرآن ، محمد خلف الله ، د. د. محمد زغلول سلام ، ط3، دار المعارف بمصر.
- الدمايني ، محمد بدر الدين بن أبي بكر (1983 م)، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى ، ط1 .
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله(2006م)، سير أعلام النبلاء ، د. ط ، دار الحديث - القاهرة.
- الرازي ، أبو عبد الله محمد (1997م)، المحصول ، طه جابر فياض العلواني ، ط3، مؤسسة الرسالة.
- الرازي ، فخر الدين محمد(2000 م)، مفاتيح الغيب ، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الرجاجي ، أبو عبد الله الحسين ، رفع الثّباب عن تقيح الشّهَاب(2004 م)، أحمّد بن محمّد السراح وآخرون ، ط1 ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض - المملكة العربية السعودية.

- الروائي، أبو الحسن علي(د.ت)، رسالة منازل الحروف، إبراهيم السامرائي، د.ط، دار الفكر — عمان .
 -الزبيدي، أبو بكر محمد(2000) .لحن العوام، تج: د. رمضان عبد التواب، ط2، مكتبة الخانجي / القاهرة.
 -الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (د.ت) ،طبقات النحويين واللغويين، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف.
 -الزجاج أبو إسحاق إبراهيم(1988 م) ، معاني القرآن وإعرابه، عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب — بيروت .
 -الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين(1998 م) ، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، د سيد عبد العزيز ود. عبد الله ربيع، ط1، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث -توزيع المكتبة المكية .
 -الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين(2000م)، البحر المحيط في أصول الفقه، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت.
 -سال، حليلة(2014 م) ، الفراءات روايتنا ورش وحفض دراسة تحليلية مقارنة، ط1، دار الواضح — الإمارات.
 -السامرائي، فاضل صالح(2000 م) ، معاني النحو، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — الأردن .
 -السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (1991م)، الأشباه والنظائر، ط1، دار الكتب العلمية.
 -السجستاني، أبو بكر محمد (1995م) ، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد أديب عبد الواحد جهران، د.ط، دار قتيبة — سوريا.
 -سيبويه، أبو بشر عمرو(1988 م) ، الكتاب، عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.
 -السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله(2008 م) ، شرح كتاب سيبويه، تج: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت —لبنان.
 -السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (1989 م) ، الاقتراح في أصول النحو، محمود فجال، ط1، دار القلم، دمشق.
 -الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس(د.ت)، المسند، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت —لبنان .
 -الشرواني، عبد الحميد(د.ت)، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، د.ط، دار الفلك، بيروت.
 -الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1999م)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، الشيخ أحمد عزو، ط1، دار الكتاب العربي.
 -الصرصري، أبو الربيع (1987 م) ،شرح مختصر الروضة، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة.
 -الطبري، محمد بن جرير (2000 م) ، جامع البيان، أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ .
 -العرافي، ولي الدين أبي ززعة(2004م)، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، محمد تامر حجازي، ط1، دار الكتب العلمية.
 -عضيمة، محمد عبد الخالق (د.ت) ،دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر، د.ط، دار الحديث، القاهرة .
 -العكبري، أبو البقاء عبد الله (د.ت)، التبيين في إعراب القرآن، علي محمد البجاوي، د.ط، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
 -العيني، بدر الدين محمود (2010 م) ،المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، علي محمد فاخر وآخرون، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.
 -الغلاييني، مصطفى بن محمد(1993 م) ،جامع الدروس العربية، ط28، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.
 -الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد(1993م)، الحجة للقراء السبعة، بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، ط2، دار المأمون للتراث -دمشق / بيروت .
 -الفاكهي، عبد الله بن أحمد(1993 م) ، شرح كتاب الحدود في النحو، المتولي رمضان أحمد الدميري، ط2، مكتبة وهبة — القاهرة .
 -الفراء، أبو زكريا (د.ت) ، يحى معاني القرآن، أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة — مصر.
 -الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل(د.ت) ، كتاب العين، مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، د.ط، دار ومكتبة الهلال.
 -القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني(د.ت)، البدور الزاهرة في الفراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت —لبنان.
 -القيسي، أبو محمد مكي، (1405هـ)، مشكل إعراب القرآن، حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة — بيروت.
 -الكسائي، علي بن حمزة، معاني القرآن (د.ت)، عيسى شحاتة عيسى، دار أبناء للطباعة والنشر، د.ط .
 -الكسائي، علي بن حمزة(1982) ، ما تلحن فيه العامة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1.
 -الهارديني، شمس الدين محمد(1999م)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، ط3، مكتبة الرشد —الرياض.
 -الهمرد، أبو العباس محمد(د.ت)، المقتضب، محمد عبد الخالق عظيمة، د.ط، عالم الكتب—بيروت.
 -الهَجَاشِي، أبو الحسن علي بن فَصَّال (د.ت)، النكت في القرآن الكريم، عبد الله عبد القادر الطويل، ط1، دار الكتب العلمية — بيروت.
 -محيسن، محمد محمد(1984م)، القراءات وأثرها في علوم العربية، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة .
 -محيسن، محمد محمد(1997م)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ط1، دار الجبل — بيروت.
 -الهرادي، أبو محمد بدر الدين(2008م)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، عبد الرحمن علي سليمان، ط1، دار الفكر العربي.
 -الهرادي، أبو محمد بدر الدين(1992 م)، الجنى الداني في حروف المعاني، فخر الدين قباوة، و محمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت —لبنان.

- المرادوي ، علاء الدين أبو الحسن(2000م) ، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه ، عبد الرحمن الجبرين وآخرون ، ط1 ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض .
- المغربي ، يوسف بن علي(2007 م) ، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ، جمال بن السيد بن رفاعي الشايب ، ط1 ، مؤسسة سما للتوزيع والنشر .
- ناظر الجيش ، محمد بن يوسف(1428 هـ) ، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ، علي محمد فاخر وآخرون ، ط1 ، دار السلام / مصر .
- لئحّاس ، أحمد بن محمد(1421 هـ) ، إعراب القرآن ، عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الواسطي ، أبو محمد عبد الله(2004 م) ، الكنز في القراءات العشر ، خالد المشهداني ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية/ القاهرة ، 1425 هـ .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (1993م) ، معجم الأدباء ، إحسان عباس ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .
- ت – الدوريات
- اسماعيل ، عبد الرحمن محمد(1405 هـ) ، الامام الكسائي وآراؤه النحوية ، بحوث كلية اللغة العربية ، المملكة العربية السعودية ، جامعة ام القرى ، السنة الثانية ، عدد 2 .
- الحبشي ، حسين بن علوي(1425هـ) ، نزع الخافض في الدرس النحوي ، عبد الجليل عبيد حسين العاني ، د . ط ، الجمهورية اليمنية /جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا .
- خورشيد ، نبيلة شكر(2009) ، التوجيه اللغوي لما انفرد به الكسائي من القراءة ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد 16 ، عدد 2 ، شباط .

دور التكفل بالمصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني لديهم د.سعيدة زرقاق ، مخبر تربية تكوين عمل ، جامعة الجزائر 2- الجزائر

مقدمة:

يشكل العمل إحدى العوامل الهامة لاستمرار الحياة على وجه الأرض ، وتكمن أهميته بالنسبة للإنسان في كونه الحالة التي يحقق الفرد من خلالها ذاته ويدرك معنى الحياة ويساهم بواسطتها في تطوير المجتمع الذي يعيش فيه ، كما يعتبر العمل من أهم العناصر التي يتكون منها تصور الذات والمكانة التي يحتلها الفرد في المجتمع ، وهو تنفيذ لمجموعة من المهام التي تختلف في أهميتها حسب نظرة المجتمع لها ؛ وعندما يتعرض العامل لحادث عمل ، يعيقه ذلك عن أداء مهامه وأدواره على المستوى الجسدي والنفسي والاجتماعي ، وتتعدد وضعيته حيث تصبح قدراته المهنية محدودة مما يؤثر بشكل أو بآخر على عودته إلى العمل ، حيث كثيرا ما يجد العامل نفسه بعد الإصابة بحادث عمل أمام ضرورة التكيف مع وضعيته الجديدة مهنيا ونفسيا واجتماعيا ، ولتحقيق ذلك لا بد من التكفل بهذه الشريحة مبكرا أي عند تعرضه للحادث ، هذا التكفل على المستوى الطبي والوظيفي والنفسي والاجتماعي سيساعد العامل على التعايش مع حالته والتكيف معها ، وبالتالي إيجاد توازن جديد بينه وبين محيطه العائلي والاجتماعي والمهني ، ومساعدته على تحقيق استقلالته بفضل العمل (وظيفة) أو أي شكل من اشكال النشاط ذا قيمة. (Parker et Szymansky, 2003; Rubin Rossler, 1995)

ثم تحسين مختلف نشاطات الحياة اليومية بما في ذلك نشاطات الحياة المهنية ، مما يساعد العامل المصاب بالعجز بسبب حادث العمل على الاندماج في العمل وفي المجتمع ككل .
سيتناول الموضوع دور التكفل في إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني لدى العاملين المصابين بحوادث العمل ، خاصة وأن موضوع إعادة التكيف وإعادة إدماج العمال مهنيا بعد الإصابة بالحوادث ومختلف عناصر هذه العملية أصبح انشغالا أساسيا للباحثين .
وتنطلق الدراسة الحالية من التساؤل الأساسي: هل للتكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل دور في إعادة تكيفهم النفسي والاجتماعي والمهني؟ أي هل كلما تم التكفل (بمختلف أشكاله) بالعمال المصابين بحوادث العمل ، كلما حققوا مستويات عالية من إعادة التكيف؟

تحديد المفاهيم: إن موضوع بحثنا يشترط أولا تحديد بعض المفاهيم الأساسية ، ومن أهمها:

مفهوم حادث العمل: يعني بحادث عمل كل حادث يقع -مهما كان السبب- نتيجة أوفي مناسبة عمل لكل شخص أجير ، أو يعمل في أي مكان ، بأي رتبة. (Levy-Leboyer, C et Sperandio, J.C, 1987,P703)
يعتبر قانون الضمان الاجتماعي حادث عمل ، مهما اختلفت الأسباب ، ذلك الحادث الذي يقع في إطار أو مناسبة العمل ، لكل شخص أجير يعمل بصفة معينة ، أوفي مكان معين لفائدة مستخدم أو مجموعة من المستخدمين. كما يمكن إضافة حادث المسار إلى فئة حوادث العمل ، إذا حدث في المسار ذهاب وإياب العامل من مكان إقامته إلى مقر عمله أو إلى المكان الذي يعتاد الذهاب إليه للطعام. (Daligand, 2001, p

(72)، ويعتبر المشرع الجزائري حادث العمل من خلال المادة 06 من القانون رقم 83/13 المؤرخ في 1983/07/02 المتعلق بحوادث العمل والأمراض المهنية كل حادث مسبب لإصابة جسمية ناتج عن سبب مفاجئ، خارجي طرأ في إطار علاقة عمل.

مفهوم إعادة التكيف: يمكن تعريف إعادة التكيف على أنها عملية أو سيرورة ديناميكية مستمرة تساعد الفرد على تحقيق مستوى من الوظيفة الاجتماعية والجسمية والعقلية، تسمح له بالحصول على الوسائل والأدوات اللازمة لتغيير حياته (World Programme of concerning Disabled Persons, 1983)

فإعادة التكيف إذا لدى المصاب بحادث عمل تتميز بتعدد أبعادها، ما يؤثر على عودته إلى العمل بعد الإصابة، فالحادث المهني باعتباره كتحويل في حياة العامل، يحدث تعديلات في مختلف العلاقات والسلوكيات والاعتقادات والأدوار المختلفة في الحياة اليومية والمهنية (Schlosseberg, 1984, 1995).

ويلزم الحادث المهني إمكانية فقدان العمل الذي يمكن أن تكون له عدة دلالات بالنسبة للمصاب انطلاقاً من إدراكه لمختلف تلك التحولات التي طرأت بسبب الحادث؛ وهذا ما استخلصته بعض الدراسات حول تلك التحولات كفقدان العمل بسبب المرض أو بسبب الحادث أن عملية إعادة التكيف وإعادة الإدماج المهني مرتبطة بالتفاعل بين خصائص التحول (الحادث) والعوامل الشخصية والبيئية. (Robertson, 1992). كما اعتمدت عدة دراسات في تقييمات عمليات إعادة الإدماج على الأثر المتعدد الأبعاد لحادث العمل سواء المتعلقة بالمستوى الشخصي أو العلائقي أو الخارجي (Bolton, 1979; Gelso, 1979; Liveney, 2001; Ogles, Lambert et Masters, 1996)، وأكدت بذلك دراسات عديدة أهمية الجوانب النفسية في إعادة التكيف مهما اختلفت الإصابات درجة ونوعاً. (Baril, Berthelette et Massicotte, 2002)

مفهوم إعادة التكيف النفسي: انطلاقاً من تعريف التكيف بشكل عام والمتمثل في أن التكيف عملية تفاعل بين الفرد بها لديه من إمكانيات وما يشعر به من حاجات، وبين بيئته بما لها من خصائص ومتطلبات، مما يمكن الفرد من إشباع حاجاته وتحقيق متطلباته (الهابط، 1985، ص 24)، وأن التكيف النفسي يعني تغييراً في سلوكيات الفرد حتى تكون أكثر مواءمة مع الظروف البيئية المحيطة –التي يعيش فيها- حيث يستجيب للظروف المختلفة ويتفاعل معها (كفافي، 1997، ص 37)، يكون بذلك إعادة التكيف النفسي هو استرجاع أو عودة ذلك التوازن النفسي بعد فقدانه بسبب الإعاقة، ويكون ذلك من خلال تقبل حالته (إعاقته) ومعايشة الظروف المحيطة به، ويظهر ذلك غالباً من خلال ما يحققه من مستويات في تقدير الذات، والشعور بالفعالية الذاتية وتقبل الإعاقة، والنظرة التفاؤلية للمستقبل. وبناءً على ذلك، يحقق العامل في هذه الدراسة إعادة تكيف نفسي، إذا كانت مستويات المظاهر المشار إليها على الأقل معتدلة (متوسطة).

مفهوم إعادة التكيف الاجتماعي: أشار (فهيم، 1995، ص 34) إلى أن التكيف الاجتماعي هو قدرة الفرد على عقد صلات اجتماعية ناجحة مع من يعاشرونه، أو يعملون معه من الناس وهذا من أجل أن يتوافق الفرد مع البيئة إلي يعيش فيها بجميع عناصرها المادية والاجتماعية، وبصفة مستمرة، ويتضمن القدرة على المشاركة الاجتماعية، واكتساب المهارات الاجتماعية الايجابية نحو الجماعة التي ينتمي إليها. وبهذا المفهوم يكون إعادة التكيف الاجتماعي استرجاع تلك الصلات والمشاركة الاجتماعية بعد فقدانها أو ترزوعها بسبب الإعاقة الناتجة

عن حادث العمل لدى الفرد، حتى يتمكن بذلك من الاندماج الاجتماعي؛ وقد تبين أن أهم مظاهر إعادة التكيف الاجتماعي لدى العمال المصابين بحوادث العمل هي المساندة الاجتماعية والخجل. مفهوم إعادة التكيف المهني: يعنى بالتكيف المهني ذلك التلاؤم والتوازن بين خصائص محيط العمل وخصائص العامل، وإعادة التكيف المهني هو استرجاع ذلك التلاؤم والتوازن بعد فقدانه بسبب حادث العمل والذي سبب إعاقه حركية لدى العامل ما جعل قدراته وإمكانياته محدودة ما يستلزم عليه التكيف مرة أخرى بخصائص غير خصائصه قبل وقوع الحادث.

ويعرف (Chan et coll, 1997) إعادة التكيف المهني أنه سيورة ديناميكية تهدف من خلال مجموعة من الأفعال والنشاطات المتسلسلة والمترتبة بحاجات الشخص الذي يعاني من عجز- حيث تبدأ هذه السيورة بإصابة الشخص - إلى تحقيق الشخص لمكانة ناجحة في العمل؛ وتتدخل عوامل كثيرة خلال هذه السيورة؛ وبهذا المعنى إذا تمكن العامل الذي تعرض لحادث عمل خلف لديه إعاقه حركية من العودة إلى العمل (بعد فترة توقف عنه طوال مدة علاجه وإعادة تأهيله الطبي والوظيفي)، والقيام بنشاطاته المهنية بشكل مستقل رغم قدراته الوظيفية المحدودة، فإنه يحقق بذلك إعادة تكيف مهني، حيث يحاول جاهداً أن يتمكن من تحقيق مواءمة بين قدراته المحدودة وبين محيط عمله بها فيه من مهام للتنفيذ وظروف العمل؛ وقد تبين أن أهم مظاهر إعادة التكيف المهني لدى العمال المصابين بحوادث العمل، الالتزام المهني والدافعية للإنجاز لديهم.

التكفل بالمصابين بحوادث العمل: بعد تعرض العامل لحادث عمل، ومهما كان نوع الحادث، لا بد من تشخيص حالة العامل فوراً من قبل طبيب العمل، حيث تتحدد من خلال التشخيص طبيعة ومدّة العلاج، وفي حالة استحالة العودة إلى العمل، يحتاج العامل إلى التكفل الطبي والوظيفي والمهني، والذي يتوقف أيضاً على نوع ودرجة الإعاقه الحركية المكتسبة بسبب الحادث المهني.

فالتكفل عامة هو عملية يقوم بها المجتمع كهيئة لتحقيق مجموعة من الأهداف تسمح بالوصول بالفرد إلى ضمان حقوقه والإحساس بالعدالة في وسط المجتمع، وهو أيضاً وسيلة نفسية اجتماعية لتوعية الفرد بذاته، وبأنه قادر على التواصل مع الآخرين لتحقيق استقلاليته من خلال تنمية القدرات والمهارات واستغلالها أحسن استغلال. ويتم إذا التكفل بالعامل المصاب بحادث عمل من خلال إعادة التأهيل وهي سيورة متواصلة، التي تهدف أساساً إلى تحقيق للعامل استقلاليته ومكانته في المجتمع والعودة إلى عمله إن أمكن أو إلى عمل آخر ملائم لقدراته المحدودة بسبب الإصابة، وتمر عملية التكفل بالعامل المصاب بحادث عمل بعدة مراحل، وليس من الضروري أن يمر بها كلها العامل، من جهة ومن جهة أخرى وفي حالات إصابة بالغة، قد لا يتوصل إلى تحقيق النتائج المرجوة كالعودة إلى العمل في الظروف المعتادة. (Desoille, H et al, 1980: 305)

وتتمثل أشكال التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في المراحل الأساسية لإعادة التأهيل القائمة أساساً على تدريب الشخص الذي كان قد تعلم أو تدرب على مهنة ما وبعد ذلك أصيب بمرض أو حادث مسبباً له بإعاقه وبالتالي لم يستطع العودة إلى عمله أو إلى مهنته السابقة بسبب إعاقته، والهادفة مساعدته على إعادة التكيف والانخراط في المجتمع، وتوفير العوامل المساعدة كل حسب إصابته وقدرته على التعايش معها،

ومحاولة الاعتماد على النفس مع مراعاة أن تكون هذه الخدمات بمساعدة أفراد مؤهلين للقيام بهذا الدور الهام(الزعمط، 2000، ص 17)، ويشمل التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل جوانب خدمات التأهيل الرئيسية والمتمثلة في إعادة التأهيل الطبي والوظيفي والنفسي والاجتماعي والمهني.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

فروض الدراسة:للإجابة عن التساؤل المطروح نقترح الإجابات المؤقتة التالية:

للتكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل دور في إعادة تكيفهم (النتائج العامة).

للتكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل دور في إعادة التكيف النفسي لديهم.

للتكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل دور في إعادة التكيف الاجتماعي لديهم.

للتكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل دور في إعادة التكيف المهني لديهم.

منهج الدراسة: طبيعة الموضوع فرضت الاعتماد على المنهج الوصفي، باعتبار أن الدراسة تهدف أساساً إلى معرفة دور التكفل في إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني لدى العمال المصابين بحوادث العمل، وذلك من خلال التحليل الإحصائي.

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من (112) عاملاً مصابين بحوادث العمل، وعادوا إلى العمل بعد فترات توقف متباينة حسب درجات الإصابة، اختبروا بطريقة قصدية، حيث يتوزع أفراد العينة كما يلي:

النسب المئوية	التكرارات	فئات المتغير	المتغير
8.9%	10	20 - 30	فئات السن
28.6%	32	30 - 40	
42.9%	48	40 - 50	
19.6%	22	50 - 60	
25%	28	أعزب	الحالة العائلية
75%	84	متزوج	
10.7%	12	حروق	نوع الحادث
41.1%	46	سقوط	
10.7%	12	صددمات خارجية	
10.7%	12	حالة بتر	
14.3%	16	حادث مرور	
12.5%	14	نوع آخر	
21.4%	24	قبل 2007	تاريخ الحادث

25%	28	2009-2007	
53.6%	60	2012-2009	
57.1%	64	أقل من 15 %	نسبة العجز
26.8%	30	15% - 30%	
16.1%	18	أكثر من 30 %	

الجدول رقم (01): خصائص العمال المصابين بحوادث العمل (أفراد العينة)

أدوات الدراسة: تم الاعتماد على عدة مقاييس وهي:
مقياس إعادة التكيف النفسي: يقيس المظاهر الأربعة المكونة لإعادة التكيف النفسي وهي في تقدير الذات ، والشعور بالفعالية الذاتية وتقبل الإعاقة ، والنظرة التفاؤلية للمستقبل ، وتقاس بالتالي درجة إعادة التكيف النفسي لدى العامل بحساب مجموع الدرجات المتحصل عليها في المظاهر الأربعة .
مقياس إعادة التكيف الاجتماعي: يقيس أهم مظاهر إعادة التكيف الاجتماعي لدى العمال المصابين بحوادث العمل ، المتمثلة في المساندة الاجتماعية والخجل لديهم .
مقياس إعادة التكيف المهني: يقيس أهم مظاهر إعادة التكيف المهني لدى العمال المصابين بحوادث العمل والمتمثلة في الالتزام المهني والدافعية للإنجاز لديهم .
التقنيات الإحصائية المستخدمة في معالجة البيانات: إن اعتمادنا على عدة تقنيات لجمع البيانات أدى إلى تنوع البيانات ، مما يتطلب بدوره استخدام عدة تقنيات لمعالجتها إحصائياً:
-تقنيات الإحصاء الوصفي: التكرارات والنسب المئوية ، المتوسط الحسابي ، الانحراف المعياري...
-اختبار كا²

وقد تمت المعالجة الإحصائية باستخدام نظام SPSS .

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها: من أهم النقاط التي تحاول الدراسة الحالية الإجابة عنها دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في عملية إعادة تكيفهم النفسي والاجتماعي والمهني ، فانطلاقاً مما أشارت إليه بعض الدراسات أن التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل واخضاعهم لبرامج إعادة التأهيل (لفترات متباينة حسب الإصابات) ، يساعد في تسهيل عملية العودة إلى العمل وتحقيق مستويات عالية من إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني ؛ حيث أن هذه البرامج تهدف في الأساس إلى تحسين مستوى التمسك بالعمل لدى العمال المصابين من خلال استخدام القدرات التي لا يزال يتمتعون بها ، ومن خلال فهم أثر إصابتهم المهنية ...كلها توضيحات للعامل المصاب ليوافقه حالته الجديدة وتوطيد علاقته بعمله ، حتى يتمكن من العودة إلى ممارسة نشاطه المهني ، ثم في مرحلة أخيرة تقوم هذه البرامج على مساعدة ودعم العامل

المصاب ليتكيف مع العودة إلى العمل (Robertson, 1992 ; Lecomte et Savard, 2002)

وتتواصل عملية التكفل بهم بعد العودة إلى العمل من خلال تكييف مراكز العمل للحالات التي لا تتمكن من العودة إلى نفس مركز العمل ، وبناءً على ذلك ، نحاول في هذا الجانب معرفة علاقة التكفل بالعمال

المصابين بحوادث العمل بإعادة تكيفهم النفسي والاجتماعي والمهني ، من خلال عرض وتحليل ومناقشة الفرضيات المقترحة أعلاه كما يأتي:

دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف (النتائج العامة) لدى أفراد العينة يعرض الجدول أدناه رقم (02) ، التكرارات والنسب المئوية لمستويات إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني (النتائج العامة) وفق استفادة المصاب بحدوث العمل من التكفل:

المجموع		الاستفادة من التكفل				مستويات إعادة التكيف (النتائج العامة)
		لا		نعم		
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
25.0	28	7.1	8	17.9	20	مستوى ضعيف
48.2	54	19.6	22	28.6	32	مستوى متوسط
26.8	30	12.5	14	14.3	16	مستوى عالي
100	112	39.3	44	60.7	68	المجموع
0.05	مستوى الدلالة		11.18	قيمة كا ²		

الجدول رقم (02): دور التكفل بالمصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف (النتائج العامة) لديهم.

للتحقق من دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة تكيفهم العام ، تم استخراج كا² بمقارنة التكرارات المشاهدة بالتكرارات المتوقعة لمستويات إعادة التكيف العامة تبعاً لمدى استفادة المصاب بحدوث العمل من التكفل. إذا قد تبين أن للتكفل دور في ارتفاع مستوى إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني كل على حدة ، وبالنسبة للمستويات العامة فإن قيمة الاختبار المقدر بـ (11.18) ، والدالة عند مستوى 0.05 لصالح العمال المصابين بحوادث العمل الذين كان مستوى إعادة تكيفهم العامة عالياً والذين استفادوا من التكفل بمختلف أشكاله ، وبالتالي تحققت الفرضية.

لقد أشارت بعض الدراسات أن العمال المصابين بحوادث العمل التي خلفت لديهم عجزاً جسدياً (قد يكون دائماً) ، والذين تابعوا برامج لإعادة التكيف الطبي والوظيفي ، أظهروا تحسناً وتقدماً ملحوظاً في مختلف أبعاد إعادة التكيف ومظاهره ، أي أنهم أظهروا تقدماً دالاً في سيرورة إعادة التكيف ، وتبين من خلال ذلك أنه كلما استفاد العامل من برامج التكفل (بمختلف أشكاله) حقق تقدماً في إعادة التكيف بدءاً بتقبل حالته والاستعداد للعودة إلى العمل وهو ما أكدته دراسة كل من (Whiston et Sexton, 1993 : 43-51) التي تؤكد أن التكفل بالمصاب بحدوث مهني مباشرة بعد إصابته ، يساعده على التحسن والتقدم الإيجابي ، وهذا ما تبين كذلك من دراسة كل من "لو كونت وسفار" حيث لاحظوا تغيراً إيجابياً لدى العمال المصابين بحوادث العمل في أعراض الانهيار والقلق وفي استراتيجيات التكيف ، وقبول العودة إلى العمل شيئاً فشيئاً ، وعليه فإن التكفل الطبي والوظيفي والنفسي والاجتماعي والمهني مرحلة هامة في سيرورة إعادة التكيف يجب التركيز عليها ، وأخذها بعين الاعتبار لتحقيق إعادة دمج العمال المصابين بحوادث العمل في فترات زمنية قصيرة. باعتبار أنه

كلما كان التدخل والتكفل بالعامل المصاب بحادث العمل مبكرا كانت عودة العامل إلى عمله مبكرة. (Lecomte et Savard,2006: 128)

دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف النفسي لديهم: يعرض الجدول أدناه رقم (03)، التكرارات والنسب المئوية لمستويات إعادة التكيف النفسي وفق استفادة المصاب بحادث العمل من التكفل، وقياس الفروق بين التكرارات المشاهدة والتكرارات المنتظرة، استخدمت الباحثة اختبار كا²، حيث تبين جليا أن قيمته مقدرة بـ (6.27) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى 0.05، والفروق تعود لصالح العمال المصابين بحوادث العمل الذين حققوا مستوى متوسط من إعادة التكيف النفسي والذين استفادوا من التكفل بهم.

المجموع		الاستفادة من التكفل				مستويات إعادة التكيف النفسي
		لا		نعم		
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
26.8	30	8.9	10	17.9	20	مستوى ضعيف
46.4	52	19.6	22	26.8	30	مستوى متوسط
26.8	30	10.7	12	16.1	18	مستوى عالي
100	112	39.3	44	60.7	68	المجموع
0.05	مستوى الدلالة		6.27	قيمة كا ²		

الجدول رقم (03): دور التكفل بالمصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف النفسي لديهم
استوجب التحقق من افتراض أن للتكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل دور في إعادة تكيفهم النفسي مقارنة التكرارات المشاهدة والتكرارات المنتظرة لمستويات إعادة التكيف النفسي وفق استفادة المصاب بحادث العمل من التكفل، فجاءت قيمة كا² (6.27) دالة إحصائيا عند مستوى 0.05 لصالح العمال المصابين بحوادث العمل الذين كان مستوى تكيفهم النفسي معتدلا والذين استفادوا من التكفل بهم . وهذا ما يتفق مع ما بينه كل من (Lecomte et Savard,2006, p 25) في دراستهما حول آثار الاستفادة من استشارة في إعادة التكيف لدى العمال المصابين بحوادث العمل، أن المصابين بحوادث العمل الذين استفادوا من برامج إعادة التكيف الطبي وإعادة التأهيل الوظيفي أظهروا مستويات إيجابية في إعادة التكيف النفسي، حيث اتصفوا بالتفاؤل والشعور بالفعالية الذاتية، وتقبل الإعاقة وتحمل الألم وغيرها من الصفات الإيجابية. كما لوحظ في نفس الدراسة أن العمال المصابين بالحوادث والذين استفادوا من تكفل طبي أظهروا شعورا بالفعالية الذاتية أكثر مقارنة مع الآخرين، هذا الشعور الذي يرتبط بقدرة المختص (التكفل الطبي) على إظهار كفاءات العامل المتبقية وبالتالي إكسابه نظرة ايجابية لسيروية إعادة التكيف. (Lecomte et Savard, 2003, p116)

وقد تبين لنا سابقا أن أغلب أفراد العينة تميل مستويات مظاهر إعادة التكيف النفسي لديهم إلى الاعتدال وبالتالي يمكن القول أن للتكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل دور في تحقيق إعادة التكيف النفسي لديهم.

دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف الاجتماعي لديهم:

المجموع		الاستفادة من التكفل				مستويات إعادة التكيف الاجتماعي
		لا		نعم		
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
25.0	28	8.9	10	16.1	18	مستوى ضعيف
47.3	53	19.6	22	27.7	31	مستوى متوسط
27.7	31	10.7	12	17.0	19	مستوى عالي
100	112	39.3	44	60.7	68	المجموع
0.05	مستوى الدلالة	6.70	قيمة كا ²			

الجدول رقم (04): دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف الاجتماعي لديهم
يبين الجدول أعلاه رقم (04)، التكرارات والنسب المئوية لمستويات إعادة التكيف الاجتماعي وفق استفادة المصاب بحادث العمل من التكفل، ولقياس الفروق بين التكرارات المشاهدة والتكرارات المنتظرة، استخدمت الباحثة إختبار كا²، حيث تبين جليا أن قيمته مقدرة بـ (6.70) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى 0.05، والفروق تعود لصالح العمال ذوي الإعاقة الحركية المكتسبة بسبب حوادث العمل الذين حققوا مستوى عالي من إعادة التكيف الاجتماعي والذين استفادوا من إعادة تكيف طبي وإعادة تأهيل وظيفي. وبالتالي يمكن القول أن للتكفل دور في تحقيق إعادة التكيف الاجتماعي. بالنسبة إذا لدور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة تكيفهم الاجتماعي، فمما تبين أن الفرضية تحققت، أي كلما استفاد العامل من تكفل منذ تعرضه للحادث كلما تمكن من تحقيق إعادة تكيف اجتماعي.

وفي هذا الصدد نجد كل من (Lecomte et Savard, 2006) في دراستهما حول آثار الاستفادة من استشارة في إعادة التكيف لدى العمال المصابين بحوادث العمل، أن المصابين بحوادث العمل والذين استفادوا من برامج إعادة التكيف الطبي وإعادة التأهيل الوظيفي أظهروا مستويات عالية في إعادة التكيف الاجتماعي من خلال ممارسة أدوارهم وعاداتهم الاجتماعية، خاصة وأن هؤلاء يعتبرون التكفل بهم دعما هاما يشجعهم على تحقيق إعادة تكيف اجتماعي. (Lecomte et Savard, 2006, p 25)

مهما يكن فقد أظهر العمال المصابون بحوادث العمل الذين استفادوا من التكفل الطبي مستويات مرضية في الشعور بالمساندة الاجتماعية (مساندة العائلة، مساندة الزوج(ة) ومساندة الأصدقاء والزملاء) إضافة إلى شعورهم بالمساندة من قبل المختصين في إعادة التأهيل الوظيفي، وهو الشعور هام جدا يساعدهم على

التكيف من جديد مع حياتهم المهنية وإعادة اندماجهم المهني (Dworkin et Banks, 1999) وبالتالي يمكن القول أن للتكفل دور في تحقيق إعادة التكيف الاجتماعي.

دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف المهني لديهم:

يعرض الجدول أدناه رقم (05)، التكرارات والنسب المئوية لمستويات إعادة التكيف المهني وفق استفادة المصاب بحدث العمل من التكفل، ولقياس الفروق بين التكرارات المشاهدة والتكرارات المنتظرة، استخدمت الباحثة إختبار كا²، حيث تبين جليا أن قيمته مقدرة بـ (8.62) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى 0.05، والفروق تعود لصالح العمال المصابين بحوادث العمل الذين حققوا مستوى عالي من إعادة التكيف الاجتماعي والذين استفادوا من تكفل طبي ووظيفي، أي أن للتكفل دور في تحقيق إعادة التكيف المهني.

المجموع		الاستفادة من التكفل				مستويات إعادة التكيف المهني
		لا		نعم		
%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	
28.6	32	14.3	16	14.3	16	مستوى ضعيف
44.6	50	12.5	14	32.1	36	مستوى متوسط
26.8	30	12.5	14	14.3	16	مستوى عالي
100	112	39.3	44	60.7	68	المجموع
0.05	مستوى الدلالة		8.62	قيمة كا ²		

الجدول رقم (05): دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف المهني لديهم

بينت إذا المعالجة الإحصائية المعتمدة للتأكد من دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة تكيفهم المهني، أن العمال الذين ارتفع مستوى إعادة تكيفهم الاجتماعي الذين استفادوا من إعادة تكفل طبي ووظيفي حققوا مستوى عالي من إعادة التكيف المهني، وبالتالي تحققت الفرضية وافقت مع ما توصلت إليه الدراسة المذكورة أعلاه، التي استخلصت أن العامل المصاب بحدث عمل المسبب له عجزا، والذي يستفيد من تكفل طبي يمكنه تخطي حالة الضغط والإحباط التي يثيرها الشعور بالقصور وتحقيق تقدم ملحوظ في سيرورة إعادة التكيف الطبي، بشعوره بالقدرة على التحكم في حياته وفي حالته، حيث يساعده التكفل في زيادة ذلك الشعور بالتحكم ويسهل له فيها بعد العودة والتمسك بالعمل.

وقد أظهر العمال المصابون بحوادث العمل والذين استفادوا من عدة حصص في التكفل الطبي تمسكا قويا بالعمل مقارنة مع الآخرين (Lecomte et Savard, 2006, p 91)، كما بينت دراسة قام بها كل من (Bilard, J., Barbin, J.M, et Gros, C, 1995) نقلا عن (Simon, L, 2001, p 61-64) حول النتائج النفسية والاجتماعية لإعادة التأهيل الوظيفي في مركز مختص في إعادة التأهيل الوظيفي بفرنسا، والتي أجريت على أشخاص ذوي إعاقة حركية (291) أغلبهم مصاب بالشلل، حيث تم التركيز في التكفل بهم على ممارسة النشاط الرياضي، ومن أهم ما انتهت إليه هذه الدراسة أن هناك علاقة بين ممارسة النشاط الرياضي في ذلك المركز وإعادة التكيف المهني لديهم، حيث تبين أن أغلب المصابين الذين مارسوا النشاط الرياضي تمكنوا

من العودة إلى العمل ، إضافة إلى مستوى الاستقلالية الذي تمكن أغلبهم من تحقيقه ، ما يؤكد على دور التكفل بذوي الإعاقة (الطبي والوظيفي...) في تحقيق إعادة التكيف المهني .

خاتمة

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن دور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني لديهم ، حيث أنه يتوقف العامل عن العمل إثر الإصابة بحدث عمل لمدة تتباين حسب نوع الإصابة أو حسب ما تخلفه تلك الإصابة من آثار ، ويتلقى في تلك الفترة العلاج الملائم والتكفل الكامل وفقا لحالته ، ثم يعود إلى العمل ، لكن الإشكال الذي يطرح عند عودته هو مدى إعادة تكيفه النفسي والاجتماعي والمهني ، هذه العملية التي أثبتت الدراسات أنها تتحدد بمجموعة من العوامل المساعدة على تحقيقها ، منها العوامل النفسية ومنها الاجتماعية ، ومنها المهنية ، كما توضح أيضا أنها تتحدد بما تلقاه العامل طوال تلك الفترة من تكفل طبي ووظيفي ونفسي واجتماعي ومهني .

وقد توصلت الدراسة من خلال معالجة وتحليل النتائج الميدانية إلى تبين أهمية ودور التكفل بالعمال المصابين بحوادث العمل في تحقيق إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني لديهم ؛ حيث تبين أن فئة العمال الذين استفادوا من تكفل طبي وإعادة تأهيل وظيفي ، حققوا مستويات أعلى في إعادة التكيف النفسي والاجتماعي والمهني ، مقارنة مع فئة العمال الذين لم يستفيدوا من ذلك ، فالعامل المصاب بحدث مهني يحتاج إلى رعاية طبية ونفسية واجتماعية ومهنية ، حتى يتمكن من تحقيق إعادة التكيف .

المراجع:

- أبو النيل ، محمود السيد. (2005). علم النفس الصناعي والتنظيمي ، غريبا وعالميا ، ط1 ، القاهرة: دار الفكر العربي .
أبو زيد ، أحمد ابراهيم. (1987). سيكولوجية الذات والتوافق ، ط1 ، القاهرة: دار المعرفة الجامعية .
أحمية ، سليمان. (1998). آليات تسوية منازعات العمل والضمان الاجتماعي في القانون الجزائري ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .
آدار ، عبد اللطيف . (2002). مفهوم الذات والتكيف الاجتماعي ، ، دمشق: دار كيون .
إقبال ، محمد محمود. (2005). التحليل النفسي لحوادث العمل ، مصر: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع .
باهي ، مصطفى حسن وإخلاص ، محمد عبد الحفيظ. (2000). الإحصاء وقياس العقل البشري ، مصر: مركز الكتاب للنشر .
الرفاعي ، نعيم. (1987). الصحة النفسية: دراسة في سيكولوجية التكيف ، دمشق: جامعة دمشق .
الزعمت ، يوسف شلبي. (2000). التأهيل المهني للمعوقين ، ط2 عمان: دار الفكر .
فهيم ، محمد السيد. (1995). السلوك الاجتماعي للمعوقين ، دراسة في الخدمة الاجتماعية ، الاسكندرية : دار المعرفة .
كفاي ، علاء الدين. (1997). الصحة النفسية ، ط4 ، القاهرة: دار الطباعة والنشر والتوزيع والإعلان .
الهابط ، أحمد السيد. (1985) ، التكيف والصحة النفسية ، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث .
Baril, R. (1994). Etudes exploratoire des processus de réinsertion sociale et professionnelle des travailleurs en réadaptation , Québec : Institut de recherche Robert-Sauvé en santé et en sécurité du travail (IRSST).
Baril, R, Berthelette, D, Ross, C, Gourde, D, Massicotte, P. et Pajote, A. (2000). Les composantes et les déterminants organisationnels des interventions de maintien du lien d'emploi en entreprises. Québec : Institut de recherche Robert-Sauvé en santé et en sécurité du travail.
Baril, R, Berthelette, D. (2002). Les dimensions des interventions organisationnelles de maintien du lien d'emploi des travailleurs victimes de lésions professionnelles. PISTES, 4,2.

Baril, R, Martin, J-C, Lapointe, C et Massicotte, P. (1994). Etude exploratoire des processus de réinsertion sociale et professionnelle des travailleurs en réadaptation, Québec : Institut de recherche Robert-Sauvé en santé et en sécurité du travail (IRSST).

Baril, R. (1994) .Etude exploratoire des processus de réinsertion sur le marché du travail des travailleurs, Québec : édition Multimondes, Ibis Presse et Office des personnes handicapées du Québec, Canada, (765-770).

Daligand, L. (2001). Sécurité sociale, Paris : édition Masson, 2^{ème} édition.

Desoille , H ; Scherrer, J ; Truhant, R.(1980). Précis de médecine de travail, Paris : Masson,3eme édition.

Lévey-Leboyer, C et Sperandio, J-C. (1987). Traité de psychologie du travail, Paris : Presses Universitaires de France, 1^{ère} édition.

Simon, J.L. Vivre après l'accident, conséquences psychosociologiques d'un handicap physique. Chroniquessociales, Lyon, 2001.

Wiston, S.C, Sexton, T.L . (1993). An overview of psychotherapy outcome research: Implications for practice. Professional Psychology: research and practice, 24(1), 43-51.

المعالم الرومانية العلاجية في الشرق الجزائري _ بين الاستمرارية والانقراض –
أ.عليات جيدة _ طالبة دكتوراه سنة ثالثة _ معهد الآثار – الجزائر

مقدمة:

ذكرت لنا المصادر القديمة ان الشرق الجزائري كان مسرحا لأغلب الاحداث التاريخية وأرضا خصبة لبناء المعالم الحضارية ، الأمر الذي أدى إلى تنوع الثقافات والمخلفات الأثرية التي تراوحت بين ما هو محلي وأجنبي. ومما لا شك فيه أن أي شيء يصنعه الإنسان ما هو إلا انعكاس للوسط الذي يعيش فيه ، كما يعكس طريقة تفكيره وارتباطه الوثيق لها صنعه أسلافه ، وقد خلف لنا هذا الانسان العديد من المخلفات والشواهد الأثرية. فمن بين هذه المخلفات أو المعالم الأثرية التي كانت محور دراستنا هي المنشآت العلاجية والمنتشرة بشكل واسع وملحوظ في الشرق الجزائري ، إذ تعتبر هذه المعالم الأماكن الخاصة بالتداوي والعلاج من بعض الأمراض ، أو الأماكن الخاصة بالتبرك وأداء الطقوس الشعائرية من اجل التقرب ونيل الرضا من الآلهة الحامية والشفافية. ومما لا يخفى ذكره حول علاقة الانسان القديم وارتباطه الوثيق بمعتقداته وخوفه من الموت ، لذا كان يكرس كل ممتلكاته وحياته تكريما لمعبوداته حتى يتفادي سخطها وغضبها عليه ، الامر الذي طرح استفهامات كثيرة حول الوظيفة الاصلية التي انشأ لها مثل هذه المعالم ؟ ، وما سبب الانتشار الواسع لها في هذا الاطار الجغرافي؟ هل استمر استعمال هذه المعالم الشافية الى يومنا اواضحلت ولم تعد موجودة ؟

المعابد الشفائية: انشأ الانسان القديم بصفة عامة والروماني بصفة خاصة مثل هذه المعالم الدينية الوثنية تكريسا للالهة الشافية ، من اجل ان تحميه من الامراض وتحرص على حياته ، فمن بين هذه المنشآت الدينية العلاجية نجد صنفين منها ألا وهي المعابد الشافية المائية والمعابد الشافية الغير مائية

المجمع الديني اكواسابتيميانا: (Aqua Septimiana)

أ.موقعه: بني المجمع السيبتيمي في الجهة الجنوبية للمدينة الأثرية تيمقاد اذ يبعد عن المدينة بمسافة قدرت بحوالي 300 م ، كما يعد من اكبر المعابد في المدينة واكثرها اهمية ، فهويترجع على مساحة اجمالية قدرها 6952 م².

صورة رقم 01: صورة جوية توضح موقع المعلم بالنسبة للمدينة



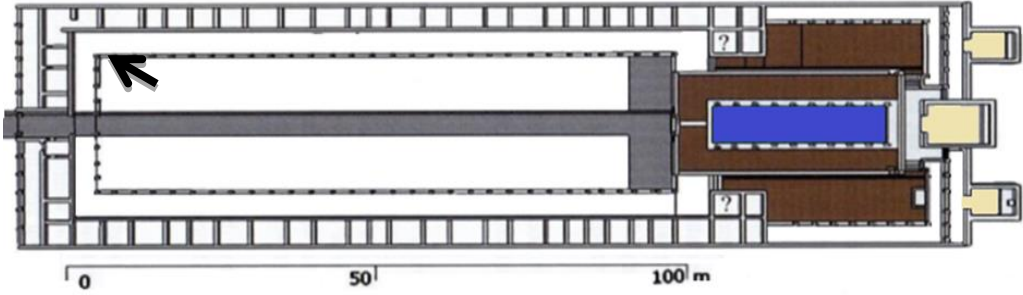
ب. الاطار التاريخي الخاص بالمعلم :

اقيمت العديد من الابحاث والتنقيبات من طرف الباحثين الفرنسيين اذ يذكر الباحث "لوسكي (leschi) أن كل أعمال الحفر والتنقيب التي كانت في تيمقاد ، وقد توقفت لمدة سنة كاملة ، بعد الأبحاث التي قام بها كل من الباحثين: "قزال Gsell و"زنيه كانيا (CAGNAT)البرت بالي (Ballu) ، حيث تبين لهم جميعا بأنه لا يوجد شيء آخر للبحث عنه داخل هذا الصرح ، رغم أنه حصن مهم ، لكن وفي عام 1938 تركزت الحفريات حول القلعة البيزنطية وذلك من طرف الباحث "لوسكي ومن نفس العام 1938-1956م ، حيث ذكر "مارسيل لوقلي " (M legly)" عن النقائش التي وجدت داخل القلعة والتي تعود إلى المجمع الديني أكواسبتيميانا. اما سنة 1942م كشف عن المعابد الثلاثة وكذلك الأرضيات المحيطة بالحوض والمبلطة بتقنية السنبلة. وفي نفس كشفت أعمال التنقيب التي أقيمت خارج القلعة البيزنطية عن القسم الشمالي للمجمع الديني المتمثل في "الفيروياريوم" ، وأيضاً عن المصلى البيزنطي المبني على منصة المعبد الشرقي..

يعود تاريخ انشاء هذا المجمع الديني ما بين سنتي (212-213) أي ما بين 10 ديسمبر 212— و9 ديسمبر 213م ، وهذا حسب الباحث " لويس لوشي " (Leschi (L),1947,p87-99) واستنادا لما ورد في ناقشة كركلا ، والتي أرخت بسهولة من طرف الباحث " رونيه وقد ذكر "مارسيل لوقلي" من نفس الناقشة ، أن هناك إضافات وتهيئات قام بها الإمبراطور "كركلا" ممازاد في أهمية هذا المجمع الديني ، حيث أرخت هذه الإضافات معبداية القرن الثالث للميلاد (3 ميلادي) (Laport (j_p),2003 , p68-69)

ج. وصف المعلم:

وجه المجمع نحو الاتجاه الشمالي حيث يأخذ مخططه الشكل المستطيل قدرت ابعاده 158×44 م. وهو مقسم الى جزئين (انظر المخطط التالي: مخطط المجمع الديني اكواسبتيميانا)

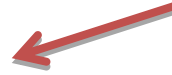


مخطط رقم 01: مخطط المجمع الديني اكواسابتيميانا _ تمقاد

Laport (j_p), 2003 , p68-69

الاول وهو قسم الفيديدياريوم(قسم الاستقبال) والذي يمثل القسم الاكبراذ سجلت مقاساته(121 × 44 م)
توسطه ساحة مكشوفة طولها 90 م وعرضها 26 م محاطة برواق عمقه 2.70 م وهو مقسم بدوره بسلسلة من
القاعات عمقها في الجهة الشمالية بلغ 3م وفي الجهة الغربية 5م اما ابعاد القاعات الشرقية فقد تعذر تحديد
ابعادها. (انظر الصورة رقم_02 _

صورة رقم _02 _ : قسم الفيديدياريومومكوناته



ساحة الفيديدياريوم

الغرف الغربية

أما القسم الثاني فهو الجزء الأكثر قداسة ويسمى بالساكاريوم (القسم المقدس) ذو الأبعاد 44 × 36.90 م. فقد جهز هذا القسم
بمدخل رئيسي ضخم يتكون من مدخلان جانبيين ثانويين ومدخل رئيسي يتوسطهم ، كما يتكون من ثلاث قاعات العبادة (
ثلاث معابد) المعبد الشرقي كرس للاله سيرابيس (SARAPIS) والغربي للاله اسكولاب (ASKLEPIOS) ، اما المعبد المركزي
فكرس لالهة ديا افريقيا (DEA AFRICA) (وهي الالهة الخاصة
بحراسة العين المائية السيبتيمة) ، حيث تتقدم هذا المعبد شرقا على شكل حرف (U) جهزت بساليم على الجانبين الشرقي
والغربي. كما يطل المعبد المركزي مباشرة على الحوض مائي الذي يحوي المياه الشافية (انظر الصورة رقم _ 03 _) تراوحت
ابعاده 27.5 × 6.90م ، احيط هذا الحوض برواق معمد على الجهتين الشرقية والغربية. يتوسط الحوض المائي ساحتين
مكشوفتين الشرقية والغربية ، بالإضافة للمداخل الثانوية والقنوات المائية (انظر الشكل 01



صورة رقم 3 قسم الساكارايوم ومكوناته

المعبد الشرقي

المعبد المركزي

المعبد



القنوات المائية: وجد في المجمع عدة قنوات مائية منها القناة الرئيسية التي بني فوقها المعبد المركزي وهي التي تزود الحوض بالمياه المقدسة (انظر الصورة _ 4_). بالإضافة الى قنوات الصرف منها المركزية في الصورة _ 5_ ، والثانوية الصورة _ 6_

د _ تقنيات البناء: تنوعت تقنيات المجمع نذكر ، والتقنية الافريقية ، وهي الاكثر استعمالا خاصة في القاعات ، وتقنية الحجارة الكبيرة واجهة مدخل قسم الساكارايوم. اما فيما يخص تخطيط الارضيات فقد بلطت الارضيات بتقنية ابوس سبيكاتوم وبتقنية الحجارة اما شرفة المعبد المركزي فبلطت بالفسيفساء



صورة 05: قناة الصرف المائية

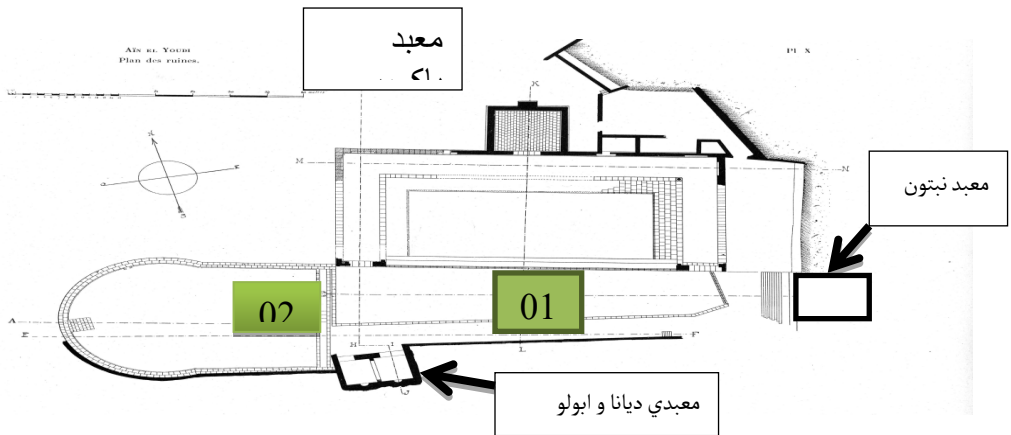


صورة 04 القناة المائية الرئيسية الممونة

كما نجد معابد اخرى خاصة بالشفاء والتداوي ونذكر منها :

__المجمع المائي نوميدارومتوبورسيكوم: ThubursicumNumidarum

يقع هذا المجمع بالمدينة الاثرية نوميدارومتوبورسيكوم (خميسة حاليا)، اذ يتكون المجمع من حوض مائي ضخم يتكون من حوض ذو شكل متطاوول غير منتظم (ممثل برقم 01)، وحوض بب جانب دائري (ممثل برقم 02)، تحيط به مجموعة من المعابد والتي كان عددها اربعة قاعات (انظر المخطط 02)، حيث تميزت كل قاعة بمخطط معماري خاص بها، اذ يوجد قاعتان متلاصقتان (معبدان متلاحمان بجدار)وهما خاصان بالمعبودين ديانا وابولو، وومعبد تسبقه سلالم خاص بنبتون(اله المياه والبحار)، اما العبد الكبير والذي بني له ساحة مروقة على الجهات الثلاث فهوخاص بياكوس (اله الخمر)



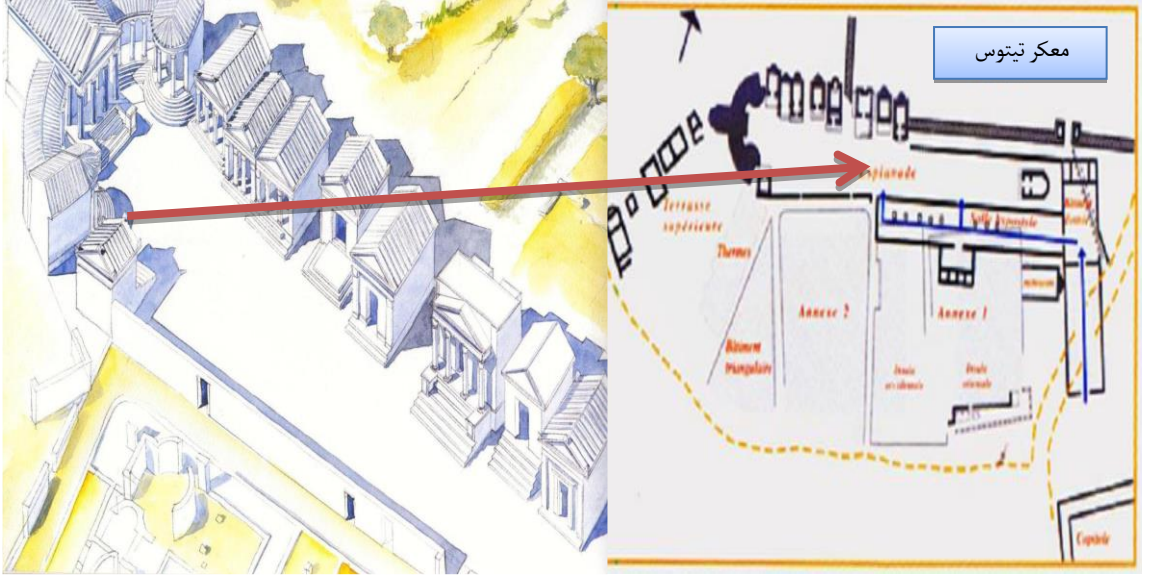
مخطط 02: يمثل مخطط المجمع المائي نوميدارومتوبورسيكوم

:عن Gsell (St.), Joly (M) : " Khamissa, M'daourouch et Anouna ", Alger Adolphe
, Paris 1914 ,p125.

__ بتصرف __

-المجمع الشفائي اسكولايبو:

يقع المجمع الشافي اسكولايوبالمدينة الاثرية لمباز (Lambèse)، والتي كانت المعسك الروماني الثالث بعد حيدرة (تونس) وتيفست (تبسة) وقد بني المجمع بالمدين العليا بمحاذات المعسكر الرومانيتيتوس .ياخذ المجمع الديني اسكولاب مخطط متطاوول وغير منتظم ومعقد ،كما يذكر جانون، 2005، Janon(Janon (M.), p.29 بان المعلم ياخذ مخطط فريد من نوعه حيث بلغت ابعاده حوالي 40م في الطول ، و23 في العرض ، بني على الجانب الشمالي ثماني مصليات ، وقد وجه المعلم نحوالشرق (انظر المخطط _ 03 _) مخطط رقم _03 _: يمثل المجمع الشفائي اسكولايو شكل رقم 01: يمثل اعادة تخيل مجمع اسكولاب



Janon (M.), Op. Cit., p. 33 عن

المنتجعات الشفائية :

تنتشر هذه المنتجعات بكثرة في الشرق الجزائري ، والذي يعود تاريخها الى حقبة قديمة لكنها تطورت وانتشرت بكثرة خلال الفترة الرومانية ، وقد خصصت لمثل هذه المعالم الهبة حارسة وحامية ، كما تعد حسب بعض المعتقدات القديمة انها المياه مقدسة ومباركة. فمن بين هذه المنتجعات نجد:

1 _ اكوافلافياناي: AquaeFlaviae:

الاطار الجغرافي: يقع هذا المعلم الشفائي في هنشير الحمام ، لكن اداريا فهو تابع الى بلدية الحامة بولاية خنشلة حيث يبعد عن هذه الاخيرة بمسافة 6 كلم (الصورة رقم 06)



الصورة رقم 06: صورة جوية لموقع المنبع الحراري _ خنشلة

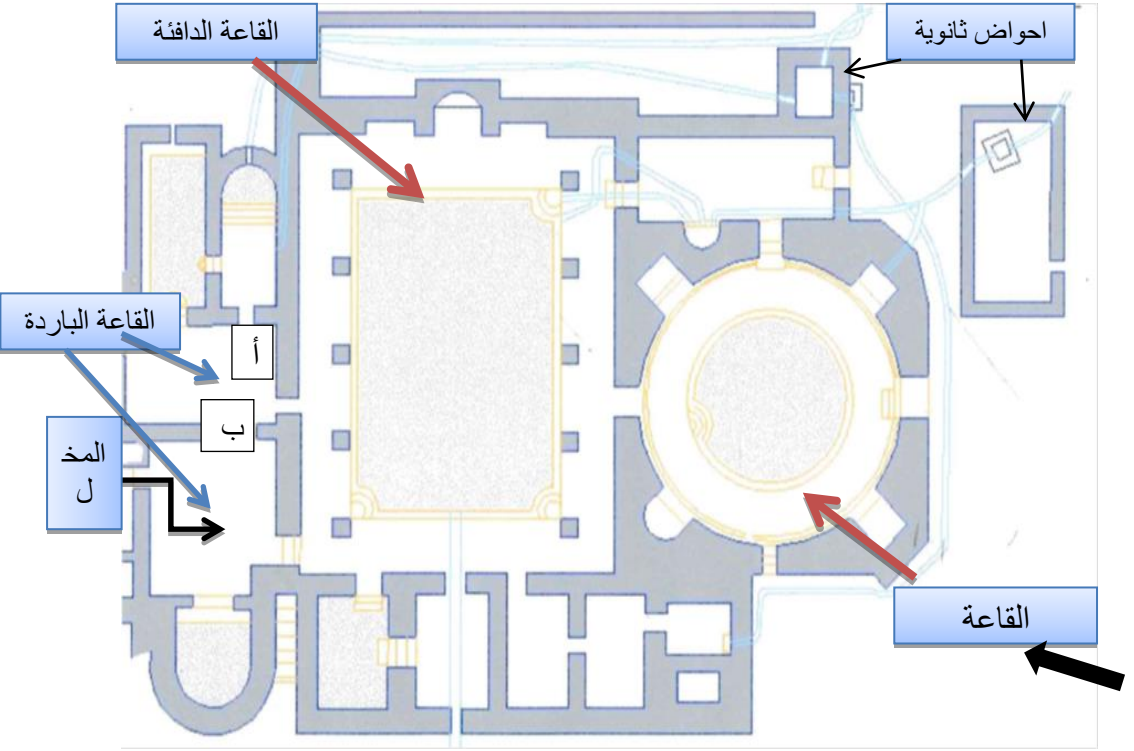
الموقع الإلكتروني

الاطار التاريخي: طرأ على المنبع العديد من الأبحاث منه ما ذكره ستيفان قزال (Gsell) ان اصل تسمية هذا المنتجع والحمام الشفائي الى العائلة الفلافية اي الى سلالة الإمبراطور الروماني فلافيان ، كما انه ذكر لنا حالة جدران المعلم بانها كانت ذا ارتفاع يفوق ثلاثة امتار خلال سنة 1901 . وقد عثر على قاعدة لتمثال اسكولاب اله الطب والشفاء (Esculape) ، والذي اهدي من طرف ضابط لدى الفيلىق الاغسطسي الثالث . (Gsell(S) : 1901, p)

يعود تاريخ انشاء الحمام (المنتجع الشفائي) وهذا ما جاء على لسان الباحث شوفالي (Chevallier) ان تاريخ انشاء هذا المعلم الاستشفائي يعود الى سنة 76 م من طرف الفيلىق الاغسطسي الثالث ، كما اشتمل المعلم على اعمال ترميم خلال فترة حكم الامبراطور سيبتيموس سيوريوس . وهذا ما حسب ورد في نص الكتابة الاتينية والتي تحمل رقم (CIL 08, 17727) وقد كانت اغلب الهدايا من قبل الجنود الفيلىق وتمثلت في اضحيان تلاله الشافية والحلمية للمياه الساخنة ، بالاضافة الى اهداء تماثيل الهتهم المفضلة (, Chevallier ® 1992, p 91)

وصف الحمام المعدني (اكوافلانياني) : AquaeFlaviae: بني المنبع الحراري اكوافلانياني على شكل شبكة معمارية مائية ، اذ يتكون ثلاثة قاعات الباردة والدافئة والساخنة ، بالاضافة عدد من الاحواض الثانوية . انظر المخطط التالي رقم (04)

مخطط رقم 04: يمثل المخطط المعماري لأكوافلافياناي



بتصرف

عن: دراسة ترميم حمام الصالحين - ختشة -

القاعة الباردة: () تنقسم هذه القاعة الى غرفتين (أ) و(ب)، القاعة (أ) كانت خاصة بنزع الثياب اما القاعة(ب) في خاصة بالتعرق (انظر المخطط رقم 04).

القاعة الدافئة: () تاخذ هذه القاعة الشكل المستقيم وهي قاعة مكشوفة (غير مسقفة) وقد جهزت منتصفها بحوض مائي (مسيح) مستطيل الشكل ذوابعاد 12.50×14.00 م ، احيط هذا الحوض برواق معمد على الجهتين الشمالية والجنوبية ، وهي اعمدة مربعة الشكل والتي كان عددها 05 اعمدة في كل جهة. اما الجدار الشرقي للقاعة فقد نحت فيه ثلاثة حنايا الحنية الوسطى يوجد فيها بناء على شكل نافورة اما الحنيتان اليسرى واليمنى ربما كانت توضع فيها تماثيل الالهة الشافية او حوريات المياه ، تقابلها الجهة الغربية لجدار القاعة فقد نحت فيه هو الآخر اربعة حنايا (انظر الصورة رقم 07)



القاعة الساخنة: بنيت هذه القاعة بشكل دائري جدرانها جد سميكة مبنية بالأجر ، يتوسط الغرفة حوض مائي دائري تراوح قطره حوالي 8.14م أما عمقه حوالي 1.45م به 04 ادراج نصف دائرية على الجهة الغربية حيث تتسع كلما اتجهنا نحو عمق الحوض. تعلو الحوض مصطبة(بوديوم)بارتفاع 0.30م وسمك 0.30. نحت على جدران القاعة اربعة حنايا على محور الجهات الاربعة الشمالية الشرقية الجنوبية وكذا الغربية (انظر الصورة 08-

(09)

صورة رقم 08: تمثل القاعة الساخنة وحوضها الدائري صورة رقم 09: الحوض الدائري والبوديوم الذي يعلوه



الاحواض الثانوية: بنيت العديد من الحواض الثانوية حيث كان عددها من الناحية الشمالية 03 احواض الما من الناحية الغربية توجد 06 احواض (نظر المخطط 04) والصورة 11 القنوات المائية

القنوات التمرين وهي التي تجلب المياه للاحواض بلغ طولها حوالي 26م وعرض 2م وهي متفرعة من اجل اىصال المياه للاحواض الثانوية (انظر الصورة 12) القنوات الصرف وهي التي تطرح المياه الفائضة عن الاحواض وهي ايضا متفرعة طولها 26م مواد البناء: الاجر نجده جدران الغرفة الساخنة ، الحجارة الرملية ،... اما تقنيات البناء: نجد التقنية الاجورية ، وتقنية الحجارة المستقيمة المنتظمة والتي نجدها على جدران القاعة الدافئة



صورة 12: قناة مائية مهيمنة للمنبع

صورة 11: حوض ثانوي — القاعة الساخنة-

بعض النماذج الاخرى للمنابع الشفائية

الى جانب المنبع المعدني اكوافلانياني نجد منابع اخرى تكتسب الخاصية العلاجية نذكر منها :
اكوايزاريس: (AquaeCaesaris)

يقع هذا المنبع الشفائي بالقرب من حدود المقاطعة البروقنصلية حيث يتمركز على الجهة الغربية للمدين الاثري تيفست (تبسة) ، وحسب ما جاء في طاولة بوتنجر (Peutinger) ان المعل يقع في يوكوس. اشتمل المنبع المائي على اعمال توسعية من طرف الفيلق الغسطسي الثالث ، كما عثر على كتابات اهدائية للاله مارس

اكواثيبيليتاناى: (AquaeThibilitanae)

وهو الحمام الكبيرت والمسمى حاليا بحمام المسخوطين اما تسميته القديمة التي تعود للفترة الرومانية وهي اكواثيبيليتاناى ، يقع هذا المنبع على بعد56 كلم شمال المدينة الاثرية ثيليبيليس (عنونة). حيث تبلغ الدرجة المؤوية لحرارة المياه (96⁰/97⁰)
بالاضافة الى منابع مائة ساخنة اخرى منها: اكواهيركيليس (AquaeHerculis) بالفنطرة (بسكرة) ، اكوا نوفا(AquaeNovae) وحمام الباردة(Hammam Berda) بضواحي قالمة ، ...

تحليل المعطيات :

المعالم الرومانية بين الاستمرارية والاندثار:

1- سبب انشاء هذه المعالم

يرجع السبب الرئيسي لإنشاء مثل هذه المعالم من طرف الانسان القديم هوالتقديس والعبادة الخاصة بالالهة الشافية والحامية لصحة الانسان فهو يؤمن ان هذه المعبودات هي التي تمنح الشفاء وذلك من خلال الاستحمام بالمياه التي تحميها مثل المجمعين اكواسابتيميانا وتوبورسيكومونوميداروم صف الى ذلك المنابع والمنتجعات العلاجية مثل اكوافلافياناي وغيرها من المنبع التي سبق ذكرها وعن طريق زيارة المعابد العلاجية من اجل تقديم الاضاحي والقرابين وتادية الرقصات الطقوسية الخاصة بهذه الالهة مثل المجمع الشفائي اسكيلاب ، حيث اعطاها كامل الاخلاص والعبادة ، كما انه ميزها بمخططات معماري تختلف عن باقي المنشآت الدينية الاخرى.

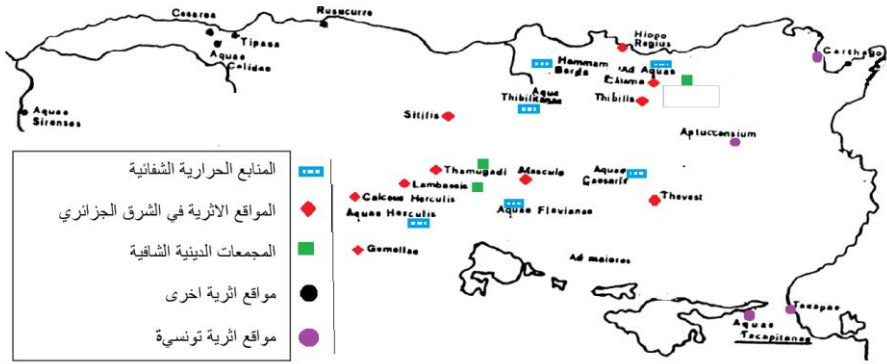
2- التوزيع الجغرافي للمعالم الشافية:

تنتشر المعالم الخاصة بالشفاء بكثرة في الشمال الإفريقي بشكل عام لكن يزداد انتشارها كلما توجهنا نحوالشرق اي لمقاطعة البروقنصلية والنوميديية ، حيث سجلنا في المقاطعة النوميديية اوالشرق الجزائري تنوع في المعالم العلاجيةوهي كالتالي:

المنابع الحرارية: توجد حوالي سبعة منابع حرارية(07 منابع) كانت خاصة بالعلاج نذكر منها:

__ اكوافلافياناي (AquaeFlavianae) ، اكواثيبيليتاناى (AquaeThibilitanae) ، اكواكاييريس (AquaeCaesaris) اكواهيركيليس (AquaeHerculis)

المجمعات الدينية الشافية: وهي متواجدة هي الاخرى بكثرة ، لكن المدوسة توجد ثلاثة مجمعات وقد ذكرناها في دراستنا وهي مكجعاكواسابتيميانا ، توبورسيكومونوميداروم ، ومجمع اسكولايبو. (انظر الخريطة الاتية)



شكل رقم : يمثل التوزيع الجغرافي للمعالم الشفائية في الشرق الجزائري
Petteno (E),1998. P135.

— بتصرف —

حسب ما استنتجناه ان هناك علاقة بين التوزيع الجغرافي لهذه المعالم والمعتقد الوثني للانسان النوميدي الذي يمثل الشرق الجزائري، وما لا يخفى علينا ان الانسان القديم بصفة عامة والنوميدي خاصة كان يقدر الظواهر الطبيعية منها عبادة المنابع المائية والابار لذا خص لها آلهة حارسة وحامية، كما انه مارس الطقوس الخاصة باستدرا الماطر، هذا من جهة اما الافتراض الثاني هو الاحتكاك الذي نتج عنه التأثير والتأثر الذي كان بين الانسان المحلي والانسان القرطاجي حيث اختلطت المعتقدات وتوحدت العبادة الوثنية.

3. اشكالية استمرار وظيفة هذه المعالم واندثارها:

بطبيعة الحال بزوال المعتقد الوثني في كامل شمال افريقيا ادى الى اندثار اغلب المعالم الخاصة بالعبادة الوثنية ونخص بالذكر المجمعات الدينية الشافية اكو سابتيميانا (تيمقاد)، ومجمع اسكولاب (لمبار)، ومجمع خميسة (سوق اهراس). في

تمثل مجموعة معابد خصت للعبادة الوثنية التي بنيت خلال الفترة الرومانية. اما المنابع الحرارية (المنتجعات الشفائية) فهي مازالت محافظة على وظيفتها العلاجية، أي انها مازالت تستغل لعلاج بعض الامراض الجلدية والعظام. فهي مواقع خاصة بالزيارة العلاجية وليس من اجل التبرك والعبادة، اوبمعنى اخر استمرار الطابع الشفائي واختفاء الطابع الوثني.

خاتمة:

تبين لنا من خلال دراستنا لمثل هذه المعالم العلاجية ذات المدلول التاريخي والاثري ان الانسان القديم تفانى في تقديس معبوداته فقد تنوعت العبادة بتنوعالموقع ونوع المعلم ووظيفته. هذا فيما يخص الحقب التاريخية القديمة، لكن اليوم فقد اختلف المنظور بالنسبة لهذه المعالم كما اختلف تفكير الانسان المعاصر الذي استغنى عن المعالم الدينية الوثنية لانها تجسد معتقد وثني، بينما انه مازال يستغل بعض المعالم الاخرى مثل المنابع الحرارية كون مثل هذه المياه تحتوي على عناصر معدنية(الكبريت _ الصوديوم _

الملح... التي تساعد في شفاء بعض الامراض الجسدية مثل الجلد والاعضاء ، اذا هنا يكمن الاختلاف الا وهو النازع الديني. لكن الذي لا يختلف فيه ان مثل هذه المعالم تعتبر الارث الحضاري الذي يجب ان تكثف الجهود من اجل المحافظة عليه والحد من عدم المبالاة بها وكذا لا بد علينا حمايتها من الاستغلال العشوائي وايجاد حلول ضد عوامل التلف والانحدار التي قد تواجه هذه المنشآت العلاجية والتاريخية.

قائمة المراجع

ملف دراسة وترميم حمام الصالحين ، مديرية الثقافة خنشلة .

Chevallier ®: les eaux thermales et les Cultes des eaux, Centre de recherches A.Pinganiol tours Antropologia Alpina Turin 1992 .

Gsell (st), Les monuments antique de l' L'Algérie, T2, Paris, 1909.

Gsell (St.), Joly (M) : " Khamissa, M'daourouch et Anouna " , Alger Adolphe, Paris 1914.

Laport (j.p), Timgad de temple de l'Afrique, d'esculape et de Sarapis, algérie antique, édition du musée de l'ares.

Leschi (L), découvertes récentes à Timgad, aqua sept iminiafelix, Paris, 1947.

Petteno (E). Le aquae e le terme curative dell'Africa romana. In: Antiquités africaines,34,1998

استراتيجيات العلاقات العامة في إدارة أزمة الربيع العربي الثورة المصرية : ثورة 25 يناير نموذجاً
Strategies of public relation in managing the Arab spring crisis: The Egyptian revolution of
January 25 as a model

د. خالد سعاد ، مخبر الدراسات الصحراوية ، جامعة طاهري محمد - بشار - الجزائر
د. ريس علي إبتسام ، مخبر سيجما ، جامعة أحمد بن بلة 1 - وهران- الجزائر

أولاً: منهج الدراسة: (أوبكر، 2002، ص ص75-76)، (see, Marra, pp69-68)، (Yi hsiu lin, 2007,)، p40، إن الحديث عن الربيع العربي هو الحديث عن كم هائل من الأحداث حدثت في فترة زمنية لا تقل عن الخمس سنوات والرجوع إلى ذلك الزمن يكاد يكون مستحيلًا لولا المادة العلمية الموثقة له. هكذا استطعنا استرجاع الظاهرة من خلال الدراسات السابقة التي ساعدتنا كثيرا في فهم الظاهرة: منشأها، مراحل تطورها، أبعادها وتأثيراتها وتأثرها بالمجتمعات المحلية والدولية وغيرها... ولأننا عمدنا إلى دراسة أحداث الربيع العربي خاصة ثورة 25 يناير المصرية اعتبرنا منهج دراسة الحالة منهجا مساعدا من الدرجة الأولى للوصول لأكبر قدر ممكن من البيانات، وتعتبر مرونة هذا المنهج واعتماده على الدراسات السابقة من أهم الأسباب التي ساعدتنا على تكوين رؤية عن العلاقات العامة واستراتيجياتها في إدارة أزمة الربيع العربي.

ثانياً: أدوات جمع البيانات: تعرف أدوات جمع البيانات على أنها "مجموعة من الوسائل والطرق والأساليب والإجراءات المختلفة التي يعتمد عليها الباحث في جمع المعلومات الخاصة بالبحث وتحليلها، وهي متنوعة، ويحدد استخدامها على أساس احتياجات موضوع البحث وبراعة الباحث وكفاءته في حسن استخدام الوسيلة والإبداع في ذلك" (شروخ، 2003، ص 24). وتعد كذلك "وسائل متكاملة لأداء دورها في البحث، ولذلك فقد يستعمل عدد مهم من أدوات البحث من أجل الوصول إلى الدقة العلمية وتجنب عيوب أحدها" (شفيق، 2001، ص 82). واستخدمنا في هذه الدراسة وثائق مصورة منها برنامج يوميات الثورة المصرية (برنامج يوميات مصرية، 2017، 17:26) الذي أذيع على قناة الجزيرة والمكون من 20 حلقة تتراوح مدة الواحدة ما بين 40 إلى 50 دقيقة. إضافة إلى أداة الملاحظة التي تعد مصدرا أساسيا للحصول على البيانات والمعلومات اللازمة لموضوع الدراسة، خاصة إذا استخدمت بطريقة مخططة ومصممة للجوانب التي ستتم ملاحظتها وتسجيل البيانات حولها (بن مرسل، 2005، ص 203).

ثالثاً: إستراتيجيات العلاقات العامة لإدارة أزمة الربيع العربي: ثورة 25 يناير المصرية.
من خلال دراسة برنامج الثورة المصرية الذي أعدته قناة الجزيرة الوثائقية استخرجنا مجموعة من الأفعال الممارسة من طرف النظام المصري و التي بوبناها نسبة لمغزاها إلى.

أ:الاستراتيجيات التقليدية:

الاستراتيجيات العسكرية: (الصريفي، 2007، ص 59) وتعرف كذلك باستراتيجية وقف النمو وهي استراتيجية تقوم على أساس العنف والقمع لحد قتل العزل لزرع الخوف ووقف الثورة. وقد تمثلت هذه الإستراتيجية حسب البرنامج في مصر في دور رجال الشرطة الذين حاولوا قمع الثورة والقائمين عليها. حيث تأكد من خلال تحليلنا

للبرنامج أنها كانت الاستراتيجية الأكثر استخداما منذ اندلاع الثورة في 25 يناير وللأسف الشديد كانت ذاتها المستخدمة في ليبيا واليمن وسوريا لحد الساعة.

ومن مظاهر هذه الاستراتيجية يمكننا أن نجلها في عدد من الممارسات التي قامت بها قوات الشرطة والأمن المركزي المصري من خلال البرنامج والتي استمرت بشكل عنيف لحوالي 7 أيام متتالية وأيام أخرى متفرقة أثناء استلام الحكومة الجديدة مهامها لكن كانت في شكل بلطجية ورجال شرطة بالزي المدني حتى لا تنسب أعمال القتل للأمن وكانت الممارسات كالتالي:

1. مواجهة المحتجين بالضرب والقهر والسحب القسري لكبار المنسقين لحركة كفاية.
2. تعرض المدونون للاعتقالات والضرب والإهانة وحتى الفصل من العمل.
3. في 6 يونيو 2010 قتل الشاب السكندري خالد سعيد بوحشية بعد التعذيب من طرف الأمن، الأمر الذي فجر موجة غضب رهيبية في وجه كل من له صلة بالحكومة، وتصاعدت الاحتجاجات بشكل غير مسبوق ولفترة طويلة أطول من أي وقت مضى. وكذلك نظمت وقفات صامتة احتجاجا على مقتله.
4. محاصرة الأمن للمتظاهرين ومنعهم من التوسع والوصول للمقرات الحساسة كمنى الإذاعة والتلفزيون في ماسيرو، مقر الحزب الوطني الديمقراطي، دار القضاء العالي، دار الحكمة.
5. إغلاق مدخل كبري السادس من أكتوبر لقطع الطريق على المتظاهرين.
6. بدء الاشتباكات مع المتظاهرين واستخدام الهراوات والاعتقالات العشوائية، وخرابيم المياه لتفرقة المتظاهرين مما استدعى لعودة بعض الشباب وعكس اتجاه خرطوم المياه وإخراج الشرطي من الشاحنة وكذلك استخدمت القنابل المسيلة للدموع على المصلين، وكذلك الرصاص المطاطي.
7. مواجهات بين قوات الأمن والمتظاهرون في عبد المنعم رياض، وتصاعد للموقف أدى إلى اشتباكات عنيفة بالأيدي، وهذا أدى إلى مواجهة أعنف من الأمن.
8. خروج الأوضاع عن السيطرة ومواجهة عنيفة وحرق إطارات ودحرجتها على الشرطة ورشق بالحجارة وهروب إلى الشوارع الجانبية.
9. حشد عدد كبير من قوات الأمن بالزي الرسمي و المدني وإطلاق الرصاص المطاطي لتفريق المتظاهرين واعتقال عدد كبير منهم بشكل عشوائي.
10. اعتقالات عشوائية، إهانة، رمي القنابل المسيلة للدموع لدرجة أن الدخان حجب الرؤية بشكل شبه تام، حالات اختناق شديدة، واجهاض مظاهرة أمام محكمة المنشية بالإسكندرية.
11. إلقاء القبض على 26 صحفيا ممن كانوا معتصمين أمام نقابة الصحفيين والاعتداء عليهم بالضرب وسجنهم أمام مبنى النقابة وعلى رأسهم الصحفي محمد عبد القدوس، ومحاولة منع المتظاهرين من الانضمام إلى مظاهرة الصحفيين.
12. القبض على عشرات المحامين داخل مقر النقابة ومنعهم من التوجه لميدان التحرير والخروج في مظاهرة.
13. مطاردة المتظاهرين في ميدان عبد المنعم رياض بوسط القاهرة لفض الاعتصام ومنعهم من التوجه لميدان التحرير واستخدام القنابل المسيلة للدموع والهراوات بوحشية.

14. إلقاء القبض على أكثر من 20 طالبا لترديدهم لشعارات مطالبة برحيل النظام وحسني مبارك.
15. مقتل أحد المعتقلين بمعسكر السلام للأمن المركزي من المتظاهرين جراء التعذيب وتواصل الاعتقال زاد من الإحساس بالإهانة مما أدى إلى تواصل المطالبة بتنحي النظام من خلال ترديد عبارة "الشعب يريد إسقاط النظام".
16. فقدان السيطرة على الوضع مما أدى إلى مطاردة نحو 2000 متظاهر قادمين من شارع عماد الدين وشوارع جانبية أخرى أمام نقابة الصحفيين.
17. اختطاف قوات الأمن جثة الضحية الثالث بالسويس إلى وجهة مجهولة مع دفن الجثتين السابقتين دون علم أهاليهم.
18. إعتقال حوالي 80 ناشط سياسي من ميدان الإسكندرية بالمنشية و70 آخرين من مظاهرة أخرى أمام مسجد القائم إبراهيم وكذلك العشرات في منطقتي العصافرة ومحطة الرمل.
19. اشتباكات عنيفة بين الأمن والمتظاهرين أمام مبنى الإذاعة والتلفزيون ومبنى وزارة الخارجية القريب من مبنى التلفزيون وتحطيم عربات الأمن المركزي.
20. حصار الأمن لنقابة المحامين لليوم الثالث على التوالي ومنع دخول أو خروج المحامين مع استمرار الهتافات المنادية باستمرار الاعتصام لغاية إسقاط النظام.
21. طوق أمني مكثف ومحاصرة شركة غزل المحلة وميدان الشون والبندر بسبب وجود تجمعات في هذه المناطق.
22. سقوط أول ضحية في منطقة سيناء وهو الشاب محمد عاطف البالغ من العمر 22 عاما بعد إصابته بطلق خرطوش في وجهه.
23. تصاعد المواجهات و تدمير الجزء الخلفي لقسم الأربعين وإحراق قسم الإطفاء الذي كان مقرا للقنصاة لاصطياد المتظاهرين.
24. استخدام الرصاص الحي من طرف الأمن والمتظاهرين مما أسفر عن سقوط قتلى وجرحى.
25. استدعاء قوات الأمن من الإسماعيلية لتعزيز الأمن في منطقة السويس مما استدعى أهالي الإسماعيلية للخروج إلى الشارع وتصعيد الموقف لتخفيف الطوق الأمني على إخوانهم في السويس.
26. استمرار الحصار والاعتداءات واقتحام الأمن لمقر نقابة المحامين وفض اعتصام نحو 150 محام بالقوة.
27. مطاردة المتظاهرين بالعربات المصفحة في شوارع المدينة في ظل القنابل المسيلة للدموع والظلام الدامس جراء قطع الكهرباء.
28. عزل المدينة بأكملها مما أدى إلى اشتباكات عنيفة بين المتظاهرين والشرطة في حرب أقرب إلى حرب الشوارع وهذا أدى إلى دهس المتظاهرين بشاحنات الأمن بشكل عشوائي رد عليه السوايسة بحرق قسم الأربعين.
29. كما أن الأمن استخدم الرصاص الحي توفي على إثره ثلاث مواطنين قبالة قسم السويس من طرف تاجر سيارات إبراهيم فرج الذي كان يحاول الدفاع عن معرضه وعندما حاول المتظاهرون أخذ الجثث والصلاة

عليهم ، ازداد ضرب النار من طرف الامن فازداد عدد القتلى بشكل سريع جدا. وكرد عن قتل إبراهيم فرج الشبان الثلاث قام المتظاهرون بكسر سياراته وحرق معرضه .

30. استخدام خرطوم المياه ضد المصلين في الكبرى و دهسهم بشاحنات الأمن و استخدام الرصاص المطاطي.

31. انفلات أمني بعد اختفاء قوات الأمن من الشوارع واحراق أقسام شرطة السيدة زينب ، والأزبكية والخليفة وعدد من مناطق القاهرة الكبرى ، وكذلك المقر الرئيسي للحزب الوطني الواقع على الكورنيش احترق هو أيضا. كذلك توجه المتظاهرون إلى مبنى وزارة الداخلية أين سقط العديد من المتظاهرين من قتلى وجرحى بسبب الحصار الأمني الذي كان مفروضا لحمايته. مع غياب الأمن بدأت حالة من النهب والسلب تنتشر في أنحاء المحافظات ، ووصلت حتى المتحف المصري الذي عمل المتظاهرون على حمايته والذين أكدوا أنه لا دخل للمتظاهرين بهذا السلوك المشين واستنجدوا بالجيش لحماية المتحف. كما أن الشرطة أطلقت سراح المساجين في نية لترويع الشعب المصري وتحسيسه بمدى أهمية قوات الشرطة.

32. اصطياذ المتظاهرين برصاص القناصة من فوق وشبابيك مبنى وزارة الداخلية مما أسفر عن العديد من القتلى والجرحى في حالات خطيرة ، وهذا أدى إلى إنشاء عيادات متنقلة من طرف أطباء متطوعين بالميدان عرف بالمستشفى الميداني وأصبح له فروعاً في كل الميدان.

33. تعرض السجناء وأهاليهم لهجزرة خلفت عشرات القتلى ، حيث فتحوا أبواب السجن ومن أعرض عن الهروب جوع أو قتل. مع نفي السلطات تورطها في عملية تهريب السجناء.

34. ارسال بلطجية لمنع وصول الإمدادات واختطاف بعض النشطاء وضرب البعض الآخر بالسكاكين والهراوات.

35. ملاحقة الإعلام الأجنبي وغلغ مكاتب قنواتهم وتعقبهم في الفنادق وأخذ معداتهم وقطع لإشارة البث عن ميدان التحرير ضربهم وأحيانا الوصول إلى قتلهم.

36. مدهمة مكاتب محامين ونشطاء لحقوق الإنسان مصريين وأجانب ومصادرة أجهزتهم وكذا إلقاء القبض عليهم.

37. محاولة تفجير مسجد عمر مكرم للمرة الثانية والذي يعد متنفساً للثوار فهو العبادة وهو الحمامات.

38. اصطدام عنيف بين المتظاهرين الموالين لمبارك أين استخدموا الخيول والجمال للاعتداء على المتظاهرين والمعارضين مما خلف حوالي 2000 حالة مابين قتيل وجريح.

39. أرسل الأمن بلطجية من النساء وبدأت تتوافد مصابات من النساء إلى مستشفى الميدان.

40. محاولة افتعال حريق داخل الميدان لفض الاعتصام.

مما سبق نلاحظ أن النظام استخدم جهاز الشرطة الذي في الأصل هو جهاز لحماية المواطنين وحقوقهم وغير من مهمته الأساسية ليصبح جاهزاً لحماية أمن النظام ورموزه. وتعامل النظام مع الشعب الذي بدأ ثورته بشكل سلمي على أنه عدو للنظام خاصة وأن الثورة تعد تهديداً لمصالحه بصفة عامة فاستخدم في بادئ الأمر المنع من التوجه إلى ميدان التحرير مما أسفر عن تعنت المتظاهرين وبالتالي مواجهات شرسة بالهراوات والقنابل المسيلة للدموع. ولم يكتف الأمن المركزي بهذا بل استخدم الرصاص المطاطي التي سرعان ما تحول إلى

استخدام الرصاص الحي الذي سقط جراءه العديد من الضحايا وهو ما قوبل باستخدام للسلاح من طرف المتظاهرين.

إضافة إلى ما سبق ذكره فقد اعتقلت الشرطة العديد من المتظاهرين والناشطين الإعلاميين ، الحقوقيين ، المحامين والسياسيين حتى الشباب الذين لا ينتمون إلى جهة معينة حيث شملت الاعتقالات مختلف فئات الشعب بشكل عشوائي دون تحري التهم ، وهذا الأمر زاد الفوضى في البلاد وغذى الأزمة وطورها ولم يوقف نموها ، ومن بين الأساليب التي انتهجها الأمن المركزي كذلك مواجهة المتظاهرين بطرق لا توحى أن المعتدين من الأمن القومي أو لهم أي صلة بالنظام كاستخدام البلطجية من الموالين للحزب الحاكم وقد كشف فيما بعد حملهم لبطاقات عضوية للحزب أو بلطجية من الشعب مأجورين باليوم لبث الرعب في نفوس المتظاهرين كما حدث في واقعة الجمل أين اشتبك المتظاهرون الموالون لنظام مبارك بالثوار في ميدان التحرير. غير أن استخدام القناصة من فوق المباني الحكومية لم ينف التهمة عن النظام بل أكدها حيث أن معدات القنص متطورة جدا و المبنى الحكومي كان محاصرا من طرف الجيش فكيف للشعب أن يظهرها على أسطحها إن لم يكونوا من الموالين للنظام ، هذا إضافة إلى أن المستهدف الرئيسي من عمليات القنص كان من الثوار في الميدان و لم يستهدف أي فرد من الجيش.

الاستراتيجيات الجاسوسية و أعمال المخابرات: لقد تنوعت الاستراتيجيات الجاسوسية من التنصت على المكالمات الهاتفية وقرصنة مواقع المعارضة وحجب مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والتويتير وقطع النت وخطوط الهاتف النقال إلى غاية الاعتقال بتهمة التجسس والمساس بأمن الدولة.

ومن خلال البرنامج سوف نعرض مجموعة الأساليب التي استخدمت في هذا الصدد:

1. قامت السلطة بقطع خدمات الهاتف المحمول والأترنت وحجب موقع تويتير في بعض مناطق القاهرة.
2. مراقبة الهواتف الثابتة لمكاتب بعض الصحفيين والمحامين وبعض النقابات الحقوقية.
3. اعتقالات واسعة بحجة الجوسسة واختراق وحجب مواقع حكومية.
4. حجب مواقع خاصة ببعض الناشطين السياسيين والناشطين من شباب 25 يناير.
5. استنكار الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان لجوء الحكومة لسياسة التعتيم عن أخبار المظاهرات بحجب المواقع الإلكترونية.
6. دعوة الهاكرز في بيان إلى المتطوعين للالتحاق بها وشل كل المواقع الحكومية.
7. إضافة على حجب مواقع التويتير و الفيسبوك تم إلغاء خدمة النت والرسائل القصيرة sms وحتى الاتصال عبر الهواتف المحمولة في جميع أنحاء الجمهورية ، ولم يبقى سوى الهاتف الأرضي وسيلة للاتصال .
8. اغلاق مكتب الجزيرة بمصر ، وإعطاء أوامر لمسؤولي النايل سات بقطع بث الجزيرة وقرصنته.
9. دس بعض أمناء الشرطة كجواسيس بين المتظاهرين لمعرفة هوية المتظاهرين ومطالبتهم حتى يتم اعتقالهم فيما بعد.

كانت الأترنت مسرحا افتراضيا لصراعات من نوع خاص بين أمن الدولة ومعه اللجان الإلكترونية للحزب الوطني وبين مجموعات الشباب التي اتخذت من مواقع التواصل الاجتماعي ورسائل أس أم أس وسائل لحشد المتظاهرين ، من خلال إعلامهم بأماكن التجمع وكيفية التعامل مع الأمن والقنابل المسيلة للدروع ، وبلغ

الصراع أشده عندما حجب موقع الفيسبوك، وفي المقابل قام بعض الهاكرز باختراق موقعي وزارة الداخلية والحزب الوطني الحاكم.

إن الأنترنت استخدمت من طرف النظام والمتظاهرين على حد سواء لكن تباينت أهداف استخدامها من طرف لآخر. فالتعلق الشديد للجمهور المصري بمواقع التواصل الاجتماعي جعل منها وسيلة فعالة لتحقيق التجمهر والحشد في أيام كثيرة خاصة في 25 يناير 2011. من خلال نشر دعوات التجمهر والتجاوزات المصورة لأمن الدولة، إضافة إلى استخدامه النبرة التصعيدية المهددة والمتحدية للنظام في دليل على انتهاء فترة الخنوع والخوف من النظام. هذا وقد استخدمت الأنترنت لحجب مواقع وزارة الداخلية لقطع قنوات الاتصال بينها وبين الشعب حتى لا تحبط عزيمة الثورة أو تشوهها. وفي نفس السياق قام النظام باستخدام أساليب متقاربة حيث استعان بالننت لحجب مواقع المتظاهرين ومنعهم من تقديم دعوات الانضمام للثورة ومحاولة معرفة الأدمن لحبسه واستجوابه فيما بعد وهذا ما حصل مع الناشط الإلكتروني وائل غنيم صاحب صفحة "كلنا خالد سعيد" الذي اعتقل بتهمة المساس بأمن الدولة وأطلق سراحه فيما بعد نتيجة لضغوطات دولية.

إن التجسس لم يلمس فقط النت ومواقع التواصل الاجتماعي وإنما امتد لخطوط الهاتف النقال والثابت، ومحاولة التنصت على مكالمات الثورا والأحزاب المعارضة وغيرهم، لمحاولة التضيق على الثورة بشتى الطرق كما أن النظام وبحكم قانون الطوارئ استطاع أن يستخدم هذه المكالمات ولو لم تكن بتصريح قضائي لسجن المشتبه بهم دون محاكمات قضائية أو محاكمات صورية.

وفي الأخير ومع تنامي استخدام الأنترنت بين المتظاهرين قام النظام بقطع النت بعدما كان قد حجب موقع التويتر والفيسبوك وشبكات الهاتف النقال.

الاستراتيجيات الاقتصادية: لقد استخدمت الدول العربية محل الربيع العربي عدة استراتيجيات في المجال الاقتصادي لكبح الأزمة وتراوحت بين الاستراتيجيات المباشرة كرفع أسعار المواد الاستهلاكية وغلقت البنوك وتعطيل الرواتب إلى الاستراتيجيات غير المباشرة كفرض حظر التجوال لتضييق الخناق على عملية التبضع وقضاء الحوائج.

ومن خلال برنامج يوميات الثورة المصرية سنحاول التطرق لأهم الاستراتيجيات الاقتصادية التي مارسها النظام لكبح الأزمة.

1. تعطيل النقل لمنع المتظاهرين من الإنضمام لميدان التحرير: حيث قام النظام بقطع الطريق ومنع المواصلات بين الإسكندرية والقاهرة لمنع المتعاطفين مع ثوار الميدان من الإنضمام إليهم لكنهم قطعوا نصف المسافة حوالي 100 كلم مشيا على الأقدام للإنضمام للميدان.

2. رفع الأسعار واختفاء بعض المواد الغذائية الأساسية حيث تهافت العامة على تخزين السلع الأساسية كالخبز فبدل أن كان يشتري المواطن ب 3 جنيهات مصرية الخبز أصبح يشتريه ب 10 جنيهات. إضافة إلى إغلاق عدد كبير من المحلات بسبب خوف أصحابها عليها من النهب والسرقة مما جعل الشوارع المصرية كمدن الأشباح.

3. تعطيل الرواتب وإغلاق البنوك و بالتالي افتقار الشعب للسيولة وعدم قدرتهم على الشراء حتى وإن توفرت المواد.

4. تحريض أصحاب الشركات خاصة الذين يشتغلون في السياحة ورجال الأعمال على المتظاهرين باعتبار أن الثورة ستتسبب لهم بخسائر فادحة وهذا ما لمسناه في مشاركة بعض أصحاب الشركات السياحية في شارع الهرم في واقعة الجبل من خلال تكثيف الإعلام أخبارا حول هروب السياح وإلغاء عدد منهم حجوزاتهم نحو مصر أو نحو المناطق الداخلية في مصر كالأقصر وشم الشيخ وغيرها. وكذلك اعتداء تاجر السيارات إبراهيم فرج على ثلاث مواطنين توفوا في الحين قبالة قسم السويس عندما كان يحاول الدفاع عن معرضه.
 5. أرسل الأمن بلطجية لسرقة المؤونة من لجنة الإعاشة حتى يجبروا المعتصمين على العودة إلى منازلهم.
 6. مراقبة مداخل ميدان التحرير وسرقة كل الإعانة المتوافدة إليه من أكل وماء ، أدوية وأفرشة.
 7. محاولة تفجير مسجد عمر مكرم والذي يعد متنفس للثوار فهو العيادة الرئيسية إضافة إلى المستشفى الميداني وملاحقه و هو كذلك الحمامات التي يغتسل فيها المعتصمون.
 8. فرض حظر التجوال من الساعة الثنية عشر زوالا إلى غاية الثامنة صباحا أي لمدة 20 ساعة.
- إن العامل الإقتصادي مهم جدا في كبح أي أزمة مهما كان نوعها وهو في نفس الوقت سلاح ذو حدين قد يؤدي إلى الأزمات فلو تمعنا قليلا في الشعارات التي بدأت بها الثورة كانت كلها منصبة في تحسين الأوضاع المعيشية بزيادة رواتب العمال وكبح جنون ازدياد الأسعار وصرف الرواتب العالقة والمكافآت وتوفير فرص العمل للحد من أزمة البطالة.
- وهكذا تفجرت ثورات قوية في البلدان العربية ضد أنظمة تجذرت في السلطة لدرجة أنه كان من المستحيل توقع سقوطها تحت شعار "عدالة ، حرية ، كرامة إنسانية". إلا أن الأنظمة العربية وللأسف الشديد لم تدرك أن الاستراتيجيات الممارسة قبل الثورة يجب أن تنحى منحى مختلفا أثناء وبعد الأزمة ، حيث كانت في فترة قبل الأزمة تحاول تجويع الشعب وإلهائه في دوامة لقمة العيش حتى يتجاوز طوعا عن قضايا الفساد ، قضايا الرأي العام والقضايا الفكرية التنموية فواصلت نفس الاستراتيجيات في فترة أثناء الأزمة ويظهر هذا جليا من خلال ارتفاع الأسعار أثناء الأزمة واختفاء للمواد الأساسية ونقص فيها كالخبز ، الزيت ، السكر ، الأرز وأسعار البنزين ، إضافة إلى استراتيجيات فرض الحصار ومنع دخول السلع والمواد الغذائية عن بعض الولايات المغضوب عليها وتجويع سكانها حتى يرجعون عن آرائهم المساندة للثوار.
- هذا وقد استطاع النظام أن يستخدم الورقة الإقتصادية في تهويل الوضع للشعب وقام بردد نسب التراجع في الإقتصاد الوطني وأخبار هروب رجال الأعمال وأموالهم للخارج وكذلك أن الثورة تسببت بالخراب حتى للشركات والأفراد البسطاء ممن يمارسون نشاطا اقتصاديا كالشركات السياحية والمحلات وهذا ما زرع فتنة بين أصحاب المحلات والمتظاهرين في مواجهات أحيانا كانت تنتهي بعمليات قتل وحشية. وقد كان لمجال النقل نصيب في هذه الإستراتيجية من خلال توقيف عدة رحلات داخلية وخارجية وكذا النقل البري من حافلات وإغلاق للطرق الرئيسية في محاولة لعزل الولايات التي فيها انتفاضة عن الدعم الخارجي.
- ويعد ميدان التحرير نموذجا مصغرا عن الحصار الإقتصادي لمواجهة وفض الأزمة حيث لاحظ النظام أنه لولا الإعاشة فيه لما استمر الاعتصام فقرر عزله و سرقة أو منع دخول أي إعانة مهما كان نوعها سواء أدوية ، أكل ، ماء أو أفرشة خاصة وأن الأزمة كانت في فصل الشتاء.

استراتيجية الحرب النفسية أو استراتيجية اجهاض الأفكار: إن هذه الاستراتيجية استخدمت على نطاق واسع في الثورات العربية ويمكن أن نجدها تتداخل مع عدة استراتيجيات كالإستراتيجية العسكرية والاستراتيجية الجاسوسية وكذا الإقتصادية ، حيث استخدم النظام هذه الأساليب للضغط النفسي وإفقاد الشعب عزيمته وقوته على الاستمرار.

ومن خلال البرنامج لقناة الجزيرة دائماً "يوميات الثورة المصرية" سنتطرق لأهم الاستراتيجيات النفسية التي استخدمها النظام المصري لهزيمة المتظاهرين نفسياً:

1. قال خيرى رمضان مذيع مصري أن العدد كبير وشمل معظم محافظات مصر ، ويحاول أن يسييس المظاهرة بنسبها لجماعة الإخوان المسلمين من خلال تسليط الضوء على صلاة جماعة أقامها المتظاهرون.
2. أسامة سرايا رئيس تحرير جريدة الأهرام سابقا يقول أنه لا يراه يوم غضب ولا إنذارا للسلطة وإنما هو محاولة استنساخ الوضع التونسي ونقله بالتقليد الأعمى ويجب التعامل معه بحزم.
3. استخدام العنف والاعتقال العشوائي لبث الرعب في نفوس المتظاهرين خاصة وأن مصر في حالة طوارئ إضافة إلى المخزون التاريخي سيئ السمعة للشرطة في عمليات التعذيب والتنكيل بالمعتقلين السياسيين.
4. مباركة اتحاد العمال للنظام ومعارضته للثورة أدخل العمال في حيرة وخوف من الفصل القسري.
5. تجاهل الأحداث ووصف المتظاهرين بمن يبحثون عن المشاكل والتخريب وكان هذا بهدف التعتيم على مجريات الأحداث.
6. محاولة الضغط على كبار الإعلاميين مثل منع الصحفي محمود سعد من الظهور في برنامج "مصر النهارده".
7. حاول النظام أن يبرز أن الاحتجاجات محدودة وقامت بها بعض القوى الساسية التي تحاول المتاجرة بمشكلات المواطنين وأن الأوضاع قد عادت لطبيعتها.
8. حاول وزير الداخلية حبيب العادلي في تصريح صحفي أن يبين أن التظاهرات والاحتجاجات لم تكن مفاجئة وتمت تحت سماع وبصر الداخلية وهي مرفوضة ومصر قوية ومستقرة ونظامها ليس هامشياً.
9. قطع الكهرباء والماء واستمرار قطع الهاتف والنت واستمرار حظر التجوال في الشوارع في محاولة لتحويل الوضع و أن الثورة لم تأت إلا بالخراب.
10. نشر مباركة بعض رؤساء الدول للنظام المصري وأنهم لا يشككون في قدرته على تجاوز الأزمة.
11. مزاولة النظام نشاطه بشكل عادي ودوري في محاولة لإيهام العامة أن الوضع مسيطر عليه ، فتحاول الحكومة أن تبدو متماسكة من خلال محاولتها عدم تغيير برنامجها العام لدرجة أن وزير الثقافة فاروق حسني صرح أن مبارك سيفتتح معرض الكتاب في موعده.
12. تجاهل الأحداث من طرف الإعلام ونشر برامج سياحية أو ترفيهية عوض التطرق للأمر في محاولة لتعتيم الأخبار وتوضيحه على أنها مجرد أحداث متفرقة لفئة قليلة من الشعب لا تعبر عن رأي الأغلبية.
13. دعوة أئمة المساجد أن يكون محور الخطبة الالتزام بالهدوء والبعد عن العنف والتخريب والحفاظ على أمن مصر وحماية الملكية العامة ، وأن الخروج للمظاهرات حرام لم فيه خروج عن الحاكم ، ومن يموت في المظاهرات ليس شهيداً.

14. وكان الأمر سواء بالنسبة للكنيسة الأورتودوكسية حيث دعا البابا شنودة المواطنين إلى الهدوء وأكد أن من يموت في المظاهرات يعتبر منتحرا والانتحار حرام.
15. محاولة تبيان الرئيس على أنه مهتم ويحاول الإطمئنان على المواطنين وتوفير المواد الأساسية لهم.
16. انسحاب الأمن من الشوارع وإطلاقه سراح السجناء مما أدى إلى انفلات أمني وسرقة المحلات.
17. نشر بعض دعاوى الإستغاثة من طرف العائلات و بأن هناك أناسا يتجهجون عليهم في منازلهم حتى يعيش الشعب حالة من الرعب ويكره الثورة وينقلب على المتظاهرين وأيضا لإجبار الناس على العودة لمنازلهم وتأمين ذويهم من الإعتداءات.
18. اتهام المعارضة بالعمالة لجهات خارجية لقلب نظام الحكم وتعميق نظرية المؤامرة واستضافة نشطاء يدعون أنهم تدربوا على يد الموساد في الولايات المتحدة الأمريكية وقالت ممن حجت صورتها أنها كانت برفقة شباب من الاخوان ، حركة كفاية وشباب 6 أبريل. وفي ذات السياق استخدمت بعض المباركات الأجنبية لنسبها للمعتصمين فمثلا بعد مباركة الخامنئي وحزب الله لثورة الشباب نسب النظام الثورة لحركات شيوعية وكذلك حصل بنسبها لتدخل أيادي خارجية ، وأن الحركة الجاسوسية نشطت في فترة الثورة من خلال إذاعة خبر القبض على جاسوس يهودي.
19. محاولة إدخال الشعب في مواجهات فيما بينهم البعض لتوجيه مسار الصراع من المعتصمين والنظام إلى الشعب و المعارضة.
20. محاولة رفع المعنويات وإشاعة أن مبارك سيتنحى قبيل الخطابات ليخرج مبارك مؤكدا بقاءه في منصبه مما يدخل المعتصمين في حالة انهيار عصبي الذي قد يؤدي إلى التخلي عن القضية وهذا ما أكده أطباء من المستشفى الميداني عقب خطاب يوم الخميس.
21. تقديم تنازلات سطحية لا تتماشى مع المطلب الأساسي في تحيئة النظام بأكمله.
22. تزكية المبادرات الحكومية ووصف المعتصمين بمن لا يشبع و يطلب المستحيل و إبراز النظام على أنه متعاون والمعارضة متعننة لمجرد المعارضة لا غير.
23. استخدام رموز بارزة في المجتمع المصري مثل بعض الإعلاميين والفنانين ، الأدباء واللاعبين ممن يعتبرون قادة رأي للطعن في الثورة ومدح الرئيس ونظامه.
24. نشر قوات الجيش في محاولة لإرباك الشعب واستخدام الدبابات والطائرات الحربية المحلقة على علو منخفض من الميدان في محاولة لنشر الرعب والريبة في نفوس المعتصمين وأنه يستحيل على هذه الفئة القليلة أن تجابه نظاما كاملا بمعدراته الحربية الثقيلة.
25. التركيز على المظاهرات المؤيدة لإعطاء فكرة أن المعتصمين بالميدان ما هم إلا قلة قليلة يحاولون أن يظهروا على أنهم الأغلبية.

إن النظام حاول بطرق كثيرة أن يؤثر في إطار الحرب النفسية على المتظاهرين فكما سبق الذكر ساعدت الاستراتيجيات الاقتصادية والعسكرية من التأفف اتجاه الثورة واعتبارها زادت من تقاوم الوضع لا حسنته

فاستخدمت ورقة تعليق الرواتب وغلقت البنوك لعدم صرفها وكذا تهديد بعض الشركات لعمالها بالفصل في حالة المشاركة في المظاهرات مما يزيد من تأزم الوضع وبالتالي انقلاب الجمهور على الثوار.

إن النظام أيضا باستخدامه للعنف حاول أن يكرس فكرة الخوف من النظام أو ثقافة الخنوع والانكسار من خلال حملة الاعتقالات العشوائية التي يصحبها تعذيب وإهانة كما أنه حاول جاهدا أن يقزم من الثورة وحجمها وجدية مطالبها باعتبارها مموله من أطراف خارجية تسعى لقلب نظام الحكم وإشاعة الفوضى وأنها لا تعبر عن إرادة الشعب من خلال تكريس الإعلام في عملية التعتيم بتبيان فقط المظاهرات الموالية للنظام و نشر تصريحات لخبراء وبعض الوجوه من فنانيين وإعلاميين ورياضيين ينددون بالثورة والفوضى.

واستطاع النظام كذلك من خلال سحب الشرطة من الشوارع أن يضرب عصفورين بحجر واحد وهو أولا أن يبين مدى أهمية جهاز الشرطة في فرض الأمن وعزز هذا الإحساس بإستراتيجية غريبة جدا وهي إطلاق سراح السجناء لتركيز الخوف في نفوس الشعب جراء عمليات النهب، السرقة والاعتداء وهذا أدى إلى كره الثوار وما أوصلوا إليه البلاد. أما ثانيا لتجنب الدخول في مواجهة قضائية بين النظام والمنظمات الحقوقية الوطنية والدولية بتهمة قتل المتظاهرين السلميين بل تحولت الاستراتيجية العسكرية من المواجهة المباشرة إلى المواجهة غير المباشرة باستخدام البلطجة ورجال الأمن في زي مدني للتوصل من التبعات القانونية.

إن النظام أيضا حاول من خلال إطلاق العنان للمظاهرات الموالية و دس بينهم بلطجية و توجيههم لميدان التحرير للاشتباك مع المعتصمين أن يخلق حالة من تشتيت الإنتباه والتركيز على المطالب الأساسية وأن يقلب موازين الصراع من المعارضة - النظام إلى الشعب - المعارضة وهو بهذا التصرف يفقد المعتصمين الشرعية الشعبية ويعطيها للنظام وقد يدخل كذلك البلاد في حرب أهلية لولا أن البلطجية كانوا يتراجعون بمجرد انتهاء يوميتهم التي تقاضوها من النظام، خاصة أنهم لم يكونوا يدافعون عن فكرة بل موظفون باليومية.

حاول النظام كذلك أن يبين نفسه المتعاون الذي يقدم تنازلات وأن الثوار لا يشبعون ولا يريدون الحوار رغم دعوتهم في مجالس عديدة إلى المائدة المستديرة وبهذا فهم يكرسون لفكرة تدخل أطراف أجنبية في ظل نظرية المؤامرة لزعزعة استقرار البلاد و بث الفوضى فيه حتى يثور عليهم الشعب و يسحب شرعيته عنهم.

ومن الاستراتيجيات النفسية أيضا حاول النظام أن يرفع سقف توقعات المعتصمين قبيل الخطابات الجوهرية للرئيس والمجلس الأعلى للقوات المسلحة حتى تكون الضربة قاضية على سيكولوجية المعتصمين عند تخييب ظنهم وقد نجحت بالفعل هذه الاستراتيجية في ارساء حالة من الإحباط والاکتئاب داخل صفوف المعتصمين لكنها لم تنه الأزمة. وإضافة إلى ما سبق ذكره استطاع النظام أن يرهب المعتصمين في لميدان من خلال العدة ولعتاد الخاص بالقوات المسلحة كالدبابات والطائرات وأنهم مهما حاولوا لن يستطيعوا أبدا مجابهة نظام بقوة النظام المصري الذي يمتلك جيشا قويا خاض معارك إقليمية عديدة.

الاستراتيجية الدبلوماسية أو استراتيجية وقف النهم: للأسف الشديد إن هذه الاستراتيجية لم يبادر بها أي نظام عربي ممن طالته رياح التغيير بسبب الربيع العربي منذ الوهلة الأولى بل استخدمها بعدما استنفذ كامل الاستراتيجيات العسكرية، الاقتصادية، الجاسوسية والحرب النفسية. وبسبب ما واجهه النظام من تصلب للرأي غداة تعنت النظام في الاستجابة لمطالب الشعب أخيرا وافق على استخدام الاستراتيجيات الدبلوماسية

التي بدأت في فترة متأخرة جدا صاحبها رفض تام لهذه الاستراتيجيات التي قال عنها الخبراء أنها لو جاءت من بداية الأمر لقبل الشعب بأقل التنازلات من النظام.

ومن الاستراتيجيات الدبلوماسية حسب الحالة المصرية في البرنامج ما يلي:

1. اعتذار رسمي من الحكومة بشأن وقوع ضحايا و الدعوة لإنهاء الاحتجاجات بصورة سلمية.
2. إعلان النائب العام عن إخلاء سبيل 166 من المعتقلين في خطوة أملت بها السياسة العليا عليه لتهدئة الوضع رغم أنه لم يرقم بالتحقيق في ملفات المعتقلين و هي وظيفته الرسمية حسب المحامية مها أبو بكر التي تراه قرارا سياسيا لا علاقة له بالقانون.
3. بدء الإصلاحات حيث أقال مبارك حكومة أحمد نظيف التي عرفت بحكومة رجال الأعمال و كلف حكومة جديدة بتكاليف واضحة و محددة للتعامل مع أولويات المرحلة الراهنة ، و هذا من خلال تعيين اللواء عمر سليمان نائبا لرئيس الجمهورية.
4. اجتماع حسني مبارك بعمر سليمان برئيس الوزراء المكلف أحمد شفيق و سلمه خطاب التكليف بتشكيل مجلس الوزراء الجديد مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار مطالب الشعب في سياسته بتحقيق الاستقرار ، تخفيف الاعباء عن المواطنين ، محاصرة البطالة ، التصدي بحسم للفساد و اعتماد خطوات جادة للإصلاح السياسي.
5. انعقاد جلسة لمجلس الشعب و إقامة تحقيقات للتأكد من صحة الطعون التي قدمت في حق آخر الانتخابات والتي اعتبرتها مزورة و أكد على استقلالية القضاء.
6. مبارك يكلف نائبه عمر سليمان بفتح حوار وطني فوري مع كافة القوى الوطنية السياسية حول كافة القضايا المثارة المتصلة بالإصلاح الدستوري و التشريعي لتحديد التعديلات المقترحة و التوقيت المحدد لتنفيذها ، و أن قرارات النقض في الطعون الانتخابية لا بد أن تحظى بالتنفيذ الأمين من جانب الحكومة على نحو عادل و دون تباطؤ.
7. إلقاء حسني مبارك خطاب فحواه أنه لن يترشح لا هو و لا ابنه للرئاسيات و أنه سيقضي ما تبقى له من عهده ليضمن الانتقال الديمقراطي للسلطة و هو يدعو البرلمان إلى مناقشة المادتين 76 و 77 من الدستور التي تتناول طريقة اختيار الرئيس و كذا التوريث ، و أكد أنه يعتز بالسنوات التي قضاها خدمة لمصر و بوطنه بصفة عامة الذي ولد و عاش و حارب من أجله و قال أنه سيموت على أرضه و سيحكم التاريخ عليه و على غيره بما لهم و ما عليهم.
8. توقيف بعض رموز الحكومة السابقة المتورطون في الفساد و منعهم من السفر و التحفظ على أموالهم و هم : أحمد عز رجل الأعمال القيادي بالحزب الحاكم ، حبيب العادلي وزير الداخلية السابق ، و زهير جرانة وزير السياحة ، و أحمد المغربي وزير الإسكان.
9. عمر سليمان يقيم حوارات مع شباب متظاهرين و أطراف سياسية مختلفة لاحتواء الأزمة و استمالة الأطراف وإعلانه قبوله مناقشة المطالب لكنه تحفظ على نقل السلطة من مبارك له و هو المطلب الأساسي للثوار قبل الحديث عن أي مطلب آخر.

10. تغير في الخطاب الإعلامي العمومي و الابتعاد عن نبرة التهديد و التجريح و الاعتراف بأن الثورة ثورة شعب و شباب يطالب بالحرية و تحسين الأوضاع المعيشية.
11. مزيدا من التنازلات و القرايين لتهدئة الوضع حيث استقال أعضاء هيئة الحزب الديمقراطي، نسبت إليهم كل سوءات هذا العصر و اتهموا في قضايا فساد و منهم الوريث جمال مبارك، ماجد محمود يونس الشرييني، محمد أحمد عبد السلام هيبية، محمد مصطفى كمال و غيرهم، لكن هذا لم يثني الثوار عن مطلبهم الأساسي بتنحي رأس النظام.
12. مفاوضات مع شباب التحرير و كذا الأحزاب و لأول مرة مع الإخوان المسلمين منذ تولي مبارك الحكم، والتوصل إلى عدة نقاط أهمها: تنفيذ تعهدات الرئيس بعدم الترشح لفترة رئاسية جديدة، الإنتقال السلمي للسلطة وفق أحكام الدستور، تشكيل لجنة من السلطة القضائية وشخصيات عامة لدراسة التعديلات الدستورية خاصة للمادتين 76، 77، إجراء مايلزم من تعديلات دستورية و تشريعية. وخلال الحوار طالب عمر سليمان بدقيقة صمت وقوفا على أرواح الشهداء في محاولة لاستمالة تعاطف الثوار والشارع المصري. كما أن عمر سليمان ظل يردد أنه لا يمكن تعديل الدستور في غياب الرئيس و أنه عليه أن يكمل عهده بشكل طبيعي جدا.
13. تعهدت الحكومة باستخدام لغة الحوار بفتح مكتب لتلقي الشكاوي وتحرير وسائل الاعلام والاتصالات وعدم فرض أي قيود على أنشطتها.
14. إقامة اجتماع مع عدد من الوزراء في محاولة لاحتواء الأزمة وتقديم تنازلات بعيدا عن التنحي أو الجوهر التسلطي للنظام رغم تغيير الحكومة، ومحاولة تعديل دستور 1981.
15. محاولة صرف علاوات للعمال تصل لغاية 15%، وتخفيف الضرائب، و تشغيل العاطلين عن العمل، و نية في تمويل المشاريع الصغيرة وكذا تسليم عقود شقق للشباب لكسب واستمالة العمال والأغلبية المحايدة.
16. تحقيق النائب العام في بلاغات الفساد ضد بعض المسؤولين والوزراء السابقين، والتحفظ على أموالهم ومنعهم من السفر.
17. استقالة حسام بدر اوي الأمين العام للحزب الوطني وقال أن الأوان أن نحترم إرادة الشعب.
18. تعهد الجيش بالفصل في طعون الانتخابات، إجراء التعديلات الدستورية، إنهاء حالة الطوارئ فور انتهاء الظروف الحالية، إجراء انتخابات حرة ونزيهة، رعاية مطالب الشعب المشروعة بكل دقة وحزم إضافة إلى عدم الملاحقة الأمنية للشرفاء الذين رفضوا الفساد، التأكيد على انتظام العمل وعودة المرافق الحيوية للنشاط من جديد.
19. إعلان نائب الرئيس تنحي مبارك عن منصبه وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسلحة إدارة شؤون البلاد.

20. سعي الجيش إلى تحديد الخطوات والتدابير التي ستتبع وأنه ليس بديلا للشرعية التي يبحث عنها الشعب وتقديم تحية للرئيس مبارك على كل ما قدمه للوطن في وقت الحرب والسلام ، وقدم المتحدث تحية عسكرية لأرواح الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم من أجل حرية الوطن.

تعد الاستراتيجيات الدبلوماسية من أهم الاستراتيجيات التي تحقق توافقا بين النظام وشعبه و هذا من خلال الجلوس وفهم كل طرف لوجهة نظر الطرف الآخر ، وهي في ذات الوقت تغني الأطراف عن التنازلات لصالح طرف معين بل يكون من نتائجها محاولة فرض التوازن في القوى. وعلى المستوى الداخلي وحسب ما جاء به البرنامج فشل النظام المصري بقيادة حسني مبارك في تطبيق هذا النوع من الاستراتيجيات التي رآه في بادئ الأمر صراع بين قوى غير متكافئة أين قزم من حجم الخصم فوجد نفسه في نهاية المطاف يغذي هذا الخصم بتعنته واستخدامه للاستراتيجيات القمعية فاضطر للتنازل في وقت وصف أنه بالمتأخر جدا ، حتى أن الجمهور كان قد سبق النظام في كل مبادرة من هذا الأخير بكثير وفي كل مرة كان يرفع سقف مطالبه.

إن الاستراتيجيات الدبلوماسية التي مارسها النظام رغم كثرتها إلا أنها فشلت بسبب عدم تحديدها لعنصر الزمن والتوقيت المناسب لطرح الاستراتيجية لدرجة أن الجمهور فقد الثقة في النية الفعلية لتطبيق ماجاءت به هذه المبادرات ورآها مجرد رشوة للشعب للحد من توسع الثورة.

لقد حاول النظام المصري أن يليي طلب الشعب بعزل الحكومة السابقة وتنصيب بديل لها في محاولة دبلوماسية لاحتواء الأزمة. و جاء موازيا لهذه المبادرة فتح قنوات الاتصال من خلال دعوة المعارضة إلى طاولات الحوار ومحاولة إيجاد رأي توافقي بقيادة نائب الرئيس عمر سليمان كما أنه طالب الحضور بالوقوف دقيقة صمت على أرواح الشهداء الذين سقطوا في الاشتباكات.

إن النظام أيضا في خطوة دبلوماسية استجاب لطلب المتظاهرين بالإفراج عن المعتقلين في خطوة تنبئ بحسن نوايا الحكومة الجديدة اتجاه الثورة ولمحاولة زرع فكرة مغايرة عما كانت عليه الحكومة السابقة. وفي هذا الصدد بدأت سلسلة من الإصلاحات كلها في إطار تكريس الحوار وإشراك المعارضة ومطالب الشعب في القرار السياسي حيث سددت الأجور المعلقة ، وزادت الحكومة نسبة في دخل الفرد قدرت بـ 15% وأقرت بتحقيق الاستقرار ، تخفيف الأعباء عن المواطنين ، محاصرة البطالة ، التصدي بحسم للفساد من خلال اعتقال عدد من المسؤولين ومحاکمتهم وعدد من الاستقالات أبرزها استقالة أعضاء الحزب الحاكم بما فيهم نجل الرئيس واعتماد خطوات جادة للإصلاح السياسي. إضافة إلى ذلك فقد حاول الرئيس التعهد بعدم ترشحه للرئاسة مجددا في خطوة لتكريس الديمقراطية إضافة إلى تعديل عدد من المواد المتعلقة بكيفية الوصول إلى سدة الحكم بما يتوافق وتعاليم الديمقراطية. لكن الجماهير لم يكتفوا بهذا ورفعوا سقف مطالبهم إلى التنحي الكامل والفوري للرئيس.

رابعا : الاستراتيجية غير التقليدية:

استراتيجية تحسين الصورة الذهنية للدولة اتجاه الشعب: إن تطور العمل المؤسساتي ومدى نجاعة فاعليته في تحسين العلاقة بين المؤسسة وجمهورها سواء الداخلي أو الخارجي ألزم على الخبراء استحداث أساليب

جديدة للتعامل مع جمهورها خاصة الداخلي إيماناً منهم أن الإصلاح يبدأ من داخل المؤسسة الذي يعكس الصورة الحسنة في نهاية المطاف لدى الجمهور الخارجي. وكانت دراسات الصورة الذهنية قد توصلت إلى نتائج مهمة جداً فسرت ونجحت في احتواء عدة أزمات من خلال إعادة الاعتبار للمؤسسة وصقل صورتها لدى الجمهور وبالتالي إيجاد منافذ للتأييد بعيداً عن النقد والمجابهة التي تضر بالمؤسسة. من خلال تفرغنا لبرنامج يوميات الثورة المصرية وفقنا عند عدة استراتيجيات لتحسين الصورة الذهنية يمكن أن نلخصها كالآتي:

1. حاولت الحكومة أن تبدو متهاسكة من خلال محاولتها عدم تغيير برنامجها العام حيث صرح وزير الثقافة فاروق حسني أن مبارك سيفتتح معرض الكتاب في موعده.
 2. مبارك يتصل بمحافظ السويس للاطمئنان على المواطنين.
 3. تجنيد وسائل الإعلام و الإعلاميين الكبار لصقل صورة النظام وتشويه صورة المتظاهرين والمعتصمين في ميدان التحرير من خلال إطلاق الشائعات المتعلقة بالعمالة في ظل نظرية الأمر.
 4. استخدام قادة الرأي من فنانيين ولاعبي كرة القدم المحبوبين من طرف المصريين لزرع الفتنة والريبة في نفوس المتظاهرين وحتى تجعل صورة النظام بقدر حب القائد له.
 5. التركيز على المظاهرات الموالية للنظام في وسائل الإعلام وحث البعض على حمل اللافتات التي تؤكد حب ودعم الشعب للنظام.
 6. تصوير المعارضة على أنها فئة قليلة لا تمثل طموحات الشعب وهي تتاجر بمعاناته ومطالبه لتحقيق أهدافها السياسية في تقلد الحكم.
 7. محاولة تقديم إجراءات مالية كزيادة الأجور والتعهد برفع المستوى المعيشي وتخفيف الأعباء عن الشعب في محاولة لكسب ثقة الجمهور وبالتالي تحسين صورة المؤسسة.
 8. تقديم تنازلات ودس بعض الأفكار أن الدولة تقوم بواجبها وتعمل على الإصلاح لكن المعارضين متعنتون ولا يرضون بأي مبادرة وأن مهمهم ليس الإصلاح وخدمة الشعب بقدر ما هو محاولة لبث الخراب وإدخال البلاد في فوضى لحرمانها من كل مقومات التنمية والتطور.
 9. استعراض أسلحة قوات الجيش الثقيلة كالدبابات والطائرات الحربية وغيرها لترسيخ صورة توضح مدى قوة وتماسك الدولة في وجه الأزمات.
 10. غلق مكاتب الإعلام الدولي في مصر لينفرد الإعلام بصقل الصورة الذهنية في غياب عملية التشويش.
- للأسف الشديد فمعظم الاستراتيجيات التي قام بها النظام في مجال الصورة الذهنية كان على أساس الصورة المرأة أي الصورة التي يرى النظام نفسه من خلالها و جند كل الأساليب لترسيخ الصورة الذهنية في ذهن القائمين على نظام مبارك حتى أنهم تجاهلوا الصورة الحالية السلبية التي يراها الشعب الذي خرج للميدان والذي كان واضحاً مدى نقمه عليه.

فبدلاً من أن يقوم النظام بتجديد وتحسين الصورة الذهنية وفقاً للصورة الحالية ومتطلباتها قام يحاول ترسيخ صورة مرآة هي أصلاً مرفوضة من طرف الجمهور ، وهذا ما جعل استراتيجية تحسين الصورة تفشل فشلاً ذريعاً

لأنها تجاهلت الجمهور واكتفت بأحادية التخطيط دون دراسة الجمهور. ولعل ما زاد الطين بلة هو محاولة النظام تشويه صورة المنافس والذي يعتبر في دراستنا هنا الشعب الراض لسيااسة النظام الممثلون في المتظاهرين والمعتصمين في ميدان التحرير أكثر من محاولة احتواء الصورة الحالية لديهم التي طفت على الصورة الذهنية المرغوبة التي حاولت المؤسسة نشرها في عقول الجماهير من خلال وسائل الإعلام. وبما أن المتظاهرين أبدعوا في سياسة المواجهة الخاصة بتشويه صورتهم، انقلبت المعادلة لصالحهم ضد النظام.

إضافة إلى ماسبق ذكره فقد تجاهل النظام تماما أنه يستحيل بناء صورة ذهنية في غضون فترة وجيزة فهي تحتاج لمدة زمنية طويلة جدا تستغرق أحيانا سنوات طوال لتحقيقها. فالصورة الذهنية للنظام المصري قبل الثورة كانت في أسوأ حالاتها حيث فقد الجمهور تماما ثقته بالنظام وقدرته على تحقيق الأمن والرفاهية له. و ما زاد الأمر سوء هو الاستراتيجيات العسكرية، الجاسوسية، الاقتصادية واستراتيجية الحرب النفسية العنيفة من قتل، اعتقال وترهيب نفسي واقتصادي التي مورست في الفترة الأولى من الأزمة قاطعة بذلك كل أوصل تحسين الصورة الذهنية لدى الجمهور الذي ما عاد يثق بالبتة في النظام الحاكم وعلى رأسهم الحاكم.

كما أنه بدل استخدام الحياد والصدق في الوسائل الاتصالية المستخدمة وهو أحد مقومات نجاح ترسيخ الصورة الذهنية، لجأ النظام للتعتيم وغلقت منافذ الاتصال كالنت وخطوط الهاتف والانحياز لصورته المرآة والذي سرعان ما انهار في ظل المنافسة الشرسة في الساحة الإعلامية من خلال الإعلام الدولي المحترف. استراتيجية تحديد الجمهور المستهدف: إنه وبدون شك يمكن تحديد الجمهور على أنه إما داخلي أو خارجي وفي هذا العنصر سنتحدث عن الجمهور الداخلي فقط والذي أكدت دراستنا أنه تراوح ما بين معارض ومؤيد للنظام.

حيث تمثل الجمهور المعارض للنظام في المتظاهرين المعارضين في مختلف أنحاء البلاد، المعتصمون في ميدان التحرير، المعارضة السياسية، النخبة المعارضة من إعلاميين، محامون، نقابيون وحقوقيون و كذا الجمهور المعارض الذي اكتفى بمتابعة الأحداث من على شاشات التلفزيون.

أما الجمهور الموالي للنظام فقد تجسد في المتظاهرين الموالون الذين خرجوا للشارع لتزكية وتجديد الثقة في الرئيس، الشعب الموالي في منازلهم، والأحزاب الموالية وكذا رجال الأعمال.

ولعل ما لحظناه أنه بمجرد تغيير الحكومة واستلام حكومة جديدة زمام الأمور سارعت إلى دعوة عدد من الفاعلين المعارضين للحوار، لكنها بذلك أخطأت تقدير الجمهور الحقيقي المستهدف والفاعل في الأزمة الذي كان ممثلا في فئات الشباب المفجر للثورة الذي قد يندرج ضمنه كل بطال، محروم، مقهور، يعاني من الإضطهاد و التهميش أي كل من يشملهم الشعارات الموجهة للنظام أثناء الثورة والذي خرج باسمهم شباب 25 يناير ليعبروا عن مطالبهم.

حيث رأى الشباب ممن فجروا الثورة أن الحوار الذي تجريه الدولة هو حوار باطل ولا يمثل الشعب الثائر أو مطالبه بل يمثل مطالب بعض الأحزاب السياسية التي انتهزت الفرصة لتبني الثورة ومطالبها لتحقيق أهداف سياسية قد تنتهي بمجرد تقلدهم الحكم. وبهذا ولمجرد سوء تقدير الجمهور المستهدف فشلت كل المساعي الاتصالية وانهارت العملية الاتصالية ولم تحقق أي نتائج ترضي الأطراف المتنازعة لأن الطرف الحقيقي كان في الشارع في المظاهرات وميدان التحرير.

ورغم أننا بصدد الحديث عن الجمهور الداخلي إلا أنه لا يسعنا تجاهل جمهور خارجي كان له الأثر الداخلي ألا وهو الشعب المغترب الذي أقام عدة مظاهرات أمام السفارات في الدول الأجنبية والذي حرك بذلك الرأي العام العالمي وأشاع الأزمة و ضغط على الحكومات الأجنبية لاتخاذ موقف إزاء الأزمة وإنهائها بالطرق التي يرضيها الجمهور تحت مسمى الديمقراطية وكخطوة لتفادي عدوى الربيع العربي إليها.

خامسا : استراتيجية اختيار قنوات و نوع الاتصال المناسب: دراسة في نماذج العلاقات العامة: في مرحلة أثناء الأزمة استخدمت عدة قنوات اتصالية تراوحت بين الاتصال المباشر وغير المباشر من طرف النظام. تمثل الاتصال المباشر في مجموع الاتصالات الشخصية و كذا الاتصالات الجمعية من حوارات بين قادة النظام والمعارضة لبحث حلول لإنهاء الأزمة والذي قابلها اتصالات بين أعضاء المعارضة أنفسهم لإيجاد استراتيجيات جديدة للصمود و المقاومة.

إن النظام في بداية الأزمة أغلق كل سبل الحوار وقنواته واكتفى بخنق كل رأي عن طريق العنف والاعتقال إضافة إلى أنه منع التواصل بين المعارضة من خلال حجب مواقع التواصل الاجتماعي كالتويتر و الفيسبوك وكذلك قطع النت و خطوط الهاتف. لكنه سرعان ما تدارك الوضع بفتح قنوات للاتصال ولكن بعد فوات الأوان. حيث قام باستدعاء كافة الجهات المعارضة المستقلة منها والحزبية وحاول أن يوضح وجهة نظره ويتقبل الرأي الآخر. كما أنه اعترف بحق المتظاهرين في إبداء رأيهم بكل حرية ، كما تعهدت الحكومة باستخدام لغة الحوار بفتح مكتب لتلقي الشكاوي وتحرير وسائل الاعلام والاتصالات وعدم فرض أي قيود على أنشطتها. أما على صعيد الاتصال الجماهيري فقد جندت كل القنوات الإعلامية من صحافة مكتوبة ، سمعية ، وسمعية بصرية لخدمة النظام ضد المتظاهرين. فمن خلال متابعتنا وتحليلنا لبرنامج يوميات الثورة المصرية لاحظنا أنه على مدى الثورة ولعدة أيام قامت القنوات التلفزيونية بتخصيص الركن الأيسر العلوي لبث العلم المصري مرفوقا بشعارات تنادي بالحفاظ على الوطن وعدم تخريبه ومن أمثلة ذلك: "حافظوا على مصر" ، "لا للتخريب" ، "حافظوا على الوطن" وغيرها من الشعارات.

كما أن الإعلام المصري حاول قدر المستطاع التعطيم على أحداث المظاهرات المعارضة والمناذية بسقوط حسني مبارك وهذا من خلال عدم التطرق للاعتصام في بداية الأمر أو المظاهرات والاكتفاء بعرض البرامج الروتينية المبرمجة سابقا دون تكييف لها حسب الأوضاع الراهنة رغم أن ميدان التحرير لا يبعد عن ماسبيرو أو مبنى الإذاعة و التلفزيون سوى ثلاث دقائق مشيا على الأقدام بل إنه بطل عليه. حيث صرحت الإعلامية شهيرة أمين نائب رئيس قناة النيل الدولية أنها و في خضم الأحداث المتصاعدة فتحت القناة لترى برنامجا سياحيا حول شرم الشيخ وأضافت أنهم تلقوا تعليمات صريحة بعدم التعرض لواقعة الجمل في الأخبار في محاولة لتعطيم إعلامي للأحداث وما يجري على أرض الواقع وكذا لتفادي التشهير بالموضوع الذي قد يؤدي في الأخير إلى المساءلة القانونية. وفي مجال التعطيم دائما حاول النظام أن يركز على المظاهرات المساندة للرئيس مبارك والشعارات التي يحملونها استجواب عدد من المؤيدين الذين يغدقون من عبارات الحب والولاء للنظام. وقالت دائما الصحفية شهيرة أمين أنها منعت من استضافة الدكتور مصطفى كامل السيد من المعارضة في برنامجها واستبدل دون علمها بعضو في الحزب الوطني ، كما أملي عليها المحاور التي تتعرض لها و أن تتكلم

عن التدخل الأجنبي الذي رفضته تماما لاحتكاكها بميدان التحرير وعلمها أنها ثورة مصريين محضة ، وفرض عليها أن تقول أن السبب الأساسي في البلبله هم جماعة الإخوان المصريين .
كما ساند الاعلام العمومي ممارسات التعقيم واغلاق مكاتب القنوات الأجنبية والمدهامات والاعتقالات للصحفيين الأجانب وقال أنها لا تلتزم الحياد بل تقوم بفرقة المعلومة ولهذا يجب حجبها حتى لا تؤذي الأمن القومي .

ومن الملاحظ في البرنامج أن وسائل الاعلام العمومية قامت بحملة من الاستضافة لعدد من الفنانين والرياضيين الموالون للنظام والذين يملكون شعبية كبيرة لدى المصريين لدرجة اعتبارهم من قادة الرأي أمثال: إلهام شاهين ، تامر حسني ، اللاعب ميدو ، شيكابالا ، حسن شحاته ، عادة عبد الرزاق ، روجينا ، وغيرهم ممن اعتلوا منصات البرامج وآخرون انظمو للمظاهرات الموالية ، بل وقام الاعلام ببث رسائل منهم داعية الشباب في ميدان التحرير إلى العودة للمنازل وفض الاعتصام للحفاظ على أمن البلاد .

كما قام الاعلام بتكريس نظرية المؤامرة وأن مفرجوا الثورة هم بمثابة خونة وجواسيس تدريبوا على يد أجنبية لقلب نظام الحكم والمساس باستقرار البلد لدرجة أنهم استدعوا فتاة قالت أنها تدرت على يد الموساد والمخابرات الأمريكية إلى جانب عدد من الشباب في حركة كفاية والاخوان المسلمين والذي تبين فيما بعد أنها صحفية في إحدى الجرائد المشهورة. وكما قلنا من قبل أن الاعلامية شهيرة أمين اضطرت إلى إدارة مقابلة موجهة لصالح النظام ضد المعارضة والتي توجب عليها أن تقول أن الثورة مخطط لها من طرف أيادي خارجية وأن جماعة الإخوان المسلمين هم وراء هذه الفوضى .

وإن الفكر التأمري الذي ركز عليه الاعلام حملاته نجح إلى حد بعيد لدرجة أن الشعب المصري عاش حالة من الهلع والهستيريا بتواجد جواسيس في كل مكان لدرجة أنهم أصبحوا يلقبون شقق وعمارات كاملة بأسماء بلدان معادية لمصر ، مثلا عمارة اسرائيل ، عمارة إيران ، عمارة حزب الله وهكذا .

وامتاز الاعلام العمومي بلهجته الشديدة المخاطبة المتظاهرين حيث قام بعض الصحفيين ممن يديرون برامج "التوك شو" بسبهم وشتهم ونعتهم بأقبح الألفاظ والصفات لدرجة أنها فقد فيها المصداقية بشكل واضح تماما. ومما زاد من فقدانه لمصداقيته هو تلبين اللهجة مع تغير الحكومة وتغير لهجة الخطاب السياسي وصار واضحا للعيان أن الاعلام العمومي هو بوق لتجميل صورة النظام وبالتالي فقد الشعب المصري ثقته بكل ما جاء في القنوات الاعلامية العمومية وبدأ يعيد بناء صورته الذهنية اتجاه الشباب المتظاهرين .

ومن الملاحظ أيضا أن الاعلام دون بحث وتحقيق كان يعطي الأحكام المسبقة لبعض الأحداث ويحاول أن ينسبها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للشوار مثل عمليات القنص من المباني والقتل وكذلك تفجيرات أنبوب الغاز الرابط بين مصر واسرائيل والأردن. ولفهم أكثر لنماذج الاتصال المستخدم من طرف النظام سنحاول أن نستعين بالنماذج الأربعة للعلاقات العامة في إدارة الأزمات التي طرحها " قرونيك و هانت " ⁸ وهذا حتى ندرك المغزى الأساسي من العمليات الاتصالية إن كان الهدف منها تقبل أفكار الطرف الآخر أو التأثير عليه أو محاولة احتوائه ، كما سنحاول في الأخير فهم مدى تأثير هذه الممارسة في ظل هذه النماذج على مسار الأزمة .

من خلال تبويبنا لأهم الأفعال الاتصالية التي استخلصناها سابقا من برنامج يوميات الثورة المصرية وجدنا ما مجموعه 84 فعل اتصالي للنماذج الأربعة ككل. حيث توزع هذا العدد على النماذج الأربعة كالتالي :

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن الأفعال الاتصالية توزعت بشكل شبه متساوي بين الاتصال ذو الاتجاه الواحد القائم على الذبوع أو الانتشار من خلال الدعاية ونموذج الإعلام والإخبار بنسبة 39.28% للأول و35.71% للثاني بينما جاءت نسبة 21.42% من نصيب الاتصال ثنائي الاتجاه غير المتماثل و3.57% كأقل نسبة للاتصال ثنائي الاتجاه المتوازن.

وهنا نلاحظ أن النسبة الأخيرة ومن المفروض هي التي تكون الأعلى بين النماذج كانت هزيلة جدا ولا ترتقي بمقومات الحوار لإيجاد التوافق والإجماع بين الأطراف.

جدول 2 يوضح نسبة الأفعال الاتصالية على حسب نموذج الاتصال

نموذج الاتصال	اتصال في اتجاه واحد	اتصال ثنائي الاتجاه
العدد	63	21
النسبة	75%	25%

هذا دليل على أن النسبة الأعلى كانت من صالح الاتصال في اتجاه واحد على حساب الاتصال ثنائي الإتجاه وهذا يؤكد على عدم وجود حوار بين أطراف النزاع لحل الأزمة ، بل أن الأطراف كانت تسعى جاهدة لقلب موازين القوى لصالحها. من الملاحظ أن أغلب الأفعال في أغلب النماذج كانت لصالح طرف دون آخر ألا وهو النظام والجدول التالية تؤكد ذلك.

جدول 3 يوضح الأفعال في النماذج الأربعة و توجيهها السياسي

النموذج	مع النظام	مع المنادين بالتغيير	محايد	النموذج
نموذج الذبوع أو الشيع	33	0	0	نموذج الذبوع أو الشيع
نموذج إعلام و إخبار الجمهور	21	0	9	نموذج إعلام و إخبار الجمهور
نموذج ثنائي الاتجاه غير المتوازن	18	0	0	نموذج ثنائي الاتجاه غير المتوازن
نموذج ثنائي الاتجاه المتوازن	0	0	3	نموذج ثنائي الاتجاه المتوازن
المجموع	72	0	12	المجموع
النسبة	85.71%	0%	14.28%	النسبة

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن مجموع الأفعال الاتصالية المنحازة للنظام كانت بنسبة 85.71% مقابل نسبة صفرية بالنسبة للطرف المناهض للتغيير بينما كانت النسبة المتبقية المتمثلة في 14.28% تصب لصالح الحياد.

إن الاتصال الفعال الذي يؤدي إلى نجاح أهداف العملية الاتصالية والتي هي في دراستنا حل أزمة الربيع العربي يجب أن يركز على الحوار والاتصال في الاتجاهين دون ترجيح كفة طرف على كفة الطرف الآخر، فحتى الاتصال ذو الاتجاهين مقسم لاتصال متوازن وغير متوازن ولاحظنا هنا أولاً أن الاتصال في الاتجاهين أقل نسبة من الاتصال في اتجاه واحد وثانياً أن حتى الاتصال في الاتجاهين النسبة الغالبة فيه منحازة لصالح النظام. وهكذا فقدت العملية الاتصالية هدفها الأساسي وهو تحقيق الرضا للأطراف المتنازعة وتوازن القوى.

خاتمة:

من خلال تحليل برنامج من إعداد قناة الجزيرة الإخبارية المعنون بـ "يوميات الثورة المصرية" المكون من عشرين حلقة، استخلصنا أهم الاستراتيجيات التي قام بها النظام للسيطرة على الأزمة وكذا الاستراتيجيات المضادة من طرف الشباب الثائر، ولاحظنا عجزاً قوياً للنظام في استخدام الاستراتيجيات الحديثة لتحسين الصورة الذهنية وأساليب الاتصال التي جمعناها في النماذج الأربعة للعلاقات العامة لهانت وقرونك وكذا وسائل الاتصال الحديثة واقتصرها على الإعلام الكلاسيكي الذي فقد مصداقيته لدى الرأي العام، حيث اقتصرت استراتيجيته على استخدام الأساليب التقليدية القمعية كالاستراتيجيات العسكرية والحرب النفسية والتطويق الإقتصادي.

قائمة المصادر والمراجع:
باللغة العربية:

- أبو بكر مصطفى محمود، الحلج أحمد عبد الله، البحث العلمي، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2001-2002
الصريفى محمد، إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2007.
بن مرسل أحمد، مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
شروخ صالح الدين، منهجية البحث القانوني للجامعيين للعلوم القانونية علوم اجتماعية، دار العلوم للنشر والتوزيع، عمان، 2003.
شفيق محمد، البحث العلمي والخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتبة الجامعية، مصر، 2001.
باللغة الأجنبية:

Marra Francis, Crisis public relations: A theoretical model, a PhD thesis presented to University of Maryland, UMI edition, USA, 1992.

Shirley Harrison, Public Relations: An introduction, 2nd edition, Thomson Learning edition, London, 2001

Yi Hsiu Lin, Public relations roles and models: a case study of the super basketball league (SBL) in Taiwan, a Philosophy PhD Thesis, Northern Colorado University, United State, 2007.

الوجوه جغرافيا:

برنامج يوميات الثورة المصرية المتواجده في:

<https://www.youtube.com/watch?v=pNjyS7EtwQ&list=PLyXnpbLR6GrttDX-G2THMqkNyyiG6ubbe>

17:26 على الساعة 2017/06/21

يعد البرنامج من إعداد داود حسن الذي استلم أيضاً كتابة سيناريو البرنامج والتعليق الصوتي، وبحث فيه الصحفان وسام فؤاد ومحمد عبد العاطي، وأفرغ مقابلاته أحمد همام. أما مشرف الإضاءة فكان محمود فليد، الذي صاحبه في الصوت مصطفى مجدي. وقد تناصف المكساج كل من خالد واكد وأحمد عبد الحميد وكانت إدارة الإنتاج من نصيب اسلام الجزائري أما قراءة التعليق فقد استلمها أحمد مدني وصور البرنامج كل من محمد سبايدر، هيثم الحسيني، اسلام بهاء وقام بعملية المونتاج أحمد يونس ومحمد بوشكاوي، كل هؤلاء كانوا فريقاً رائعا للمخرجة ياسمين ماهر وساعدها عبد الله محسن

الإطار المفاهيمي والنظري لعلم النفس الإيجابي.

- أ.د بوروي رجاح فريدة ، جامعة مولود معمري تيزي وزو - الجزائر
د.أوشيش الجودي ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر
أ.عليوان حميدة ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر

مقدمة:

يعتبر علم النفس الإيجابي من التناولات الحديثة التي تهتم بالجوانب الإيجابية في شخصية الفرد أكثر من الجوانب السلبية منها. ظهر هذا التخصص محاولة للتخلص من النظرة التشاؤمية لعلم النفس ، الذي يركز على النواحي السلبية للخبرة الإنسانية (ضغط ، قلق ، اكتئاب) يحاول علم النفس الإيجابي إعادة التوازن لعلم النفس ، وتشجيع علمائه على الإسهام في دراسة الأبعاد والجوانب الإيجابية للحياة ، وليس الاهتمام والتركيز على الأبعاد السلبية. يسعى علم النفس الإيجابي إلى تعزيز قدرات الشخصية المتعددة ، والى تدريب الأفراد على مواجهة الضغوط النفسية التي يتعرضون إليها يولي علم النفس الإيجابي أهمية كبيرة للنظرة الإيجابية للحياة كبدل للتفكير المفرط الذي أولاه علماء النفس للجوانب السلبية ، ليقدم بذلك اتجاها علميا جديدا يركز على الطاقات البشرية وإظهار عوامل القوة ، وتنمية الخصائص الإيجابية للإنسان. وعليه ، نتطرق من خلال هذه المداخلة إلى تعريف علم النفس الإيجابي و تحديد أهدافه و تطبيقاته.

1-تعريف علم النفس الإيجابي :

عرف شلدن (Scholen) علم النفس الإيجابي كما يلي: " بأنه الدراسة العملية لوظائف الإنسان المثالية التي تهدف إل باكتشاف وإظهار العوامل التي تسمح للفرد والمجتمعات بأن تزدهر" (خالد إبراهيم الفخراني ؛ 2014: ص.347).

تعريف الصبوة: هو الدراسة العلمية ذات الطبيعة التطبيقية للخبرات والخصال الشخصية الإيجابية في الفرد والمؤسسات النفسية والاجتماعية التي تعمل على تنمية وتسيير الخبرات والخصال والارتقاء بها ، لإيجاد إنسان ذات شخصية إيجابية فعالة ومؤثرة" (محمد الصبوة ؛:2007: ص.14).

أما كريستال بارك فقد قدمت تعريفا كما يلي: "دراسة مكان القوة لدى البشر ، ودراسة كل ما من شأنه وقاية البشر من الوقوع في براثن الاضطرابات النفسية والسلوكية ، إضافة إلى دراسة كل العوامل الفردية والمجتمعية التي تجعل الحياة الإنسانية جديرة بأن تعاش.

نستنتج من خلال التعاريف المقدمة أن علم النفس الإيجابي فرع من فروع النفس الحديث الذي يبحث في الجوانب الإيجابية الإنسانية وتفعيل دور السواء من أجل الوصول بالفرد إلى الرقي وتقدم المجتمع ، وعلم النفس الإيجابي يقدم لنا فكرة مفادها أن الإنسان يحمل في طياته القوة والضعف ، بهما تتحدد شخصية الإنسان ، وتتركز جهود علم النفس الإيجابي على تعديل الخبرات التي يعيشها الشخص كمدخل لتحقيق السعادة الإنسانية.

ومن الواضح أن مختلف التعاريف المقدمة لعلم النفس الإيجابي مستمدة من الخلفية النظرية التي قدمها سيلقمان في تعريفه لعلم النفس الإيجابي، إذ ركز من خلاله على مجالات البحث التي يهتم بها، وذلك على شكل مستويات معينة وهي المستوى الذاتي (الشخصي)، المستوى الفردي (الجماعة).

وينص هذا التعريف أن مجال علم النفس الإيجابي على المستوى الذاتي أو الشخصي هو علم يهتم بدراسة وتحليل الخبرات الشخصية الذاتية المقدرّة أو ذات القيمة مثل الرفاهية الشخصية، أو جودة الحياة، الفعالية، الرضا، التفاؤل في المستقبل.

وعلى المستوى الفردي فيتعلق علم النفس الإيجابي على تحليل السمات الإيجابية للفرد والقدرة على الحب والعمل، مهارات العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين، المثابرة، التسامح، الأصالة، الإنفتاح العقلي، التطلع على المستقبل.

وعلى مستوى الجماعة: يدور علم النفس الإيجابي حول الفضائل والمؤسسات الاجتماعية التي تحرك الفرد نحو العمل والمسؤولية والاهتمام بالآخرين، الإيثار، الأخلاق، التحمل والعمل (أبو حلاوة؛ 2014:ص.46).

ومن أهم ملامحه أيضا رفضه التام لما يعرف بالنسبية الأخلاقية Moral Relativisme، ويؤسس هذا الرفض على أن هناك سمات أخلاقية معينة تتضمن طرقا متعددة للتعبير عنها تخطي باعتراف وتقدير الغالبية العظمى من البشر العاديين في كل الثقافات، وأن الالتزام بهذه السمات والفضائل الأخلاقية والتعبير عنها سلوكيا يزيد من احتمالات السعادة.

ومن الملامح الأخرى المميزة لعلم النفس الإيجابي تمييزه بين اللذة البدنية وعملية الإشباع النفسي والسعادة النفسية الغامرة التي تحقق للإنسان عندما يعيش حالة التدفق Stat of flow أثناء التعامل مع مهام وأعمال تستغرق حالة من الإستمتاع لدرجة نسيان الذات.

وعلم النفس الإيجابي يقوم بتعظيم المهارة التي يمتلكها جميع الأفراد، وهي مهارة الكفاح من أجل بلوغ هدف ما، والتي تؤدي إلى بناء السمات البشرية الإيجابية وإستخدامها في مكانها الصحيح (حسن الفنجري: 2007: ص 47).

نستخلص من خلال ما تم عرضه أن علم النفس الإيجابي في مجمله هو دراسة القوى الإنسانية الإيجابية التي تساهم في مساعدة الأفراد في كافة المستويات سواءا جسديا، نفسيا أو اجتماعيا على إكتشاف الخصائص والسمات الإيجابية في شخصية الفرد وتمييزها، لأن المساهمة على إكتشاف هذه الأخيرة سوف يساهم في تحقيق الكثير من المزايا التي تساعدهم على مواجهة المشكلات والصعوبات والتحديات التي قد تجابههم في سياق حياتهم اليومية وتساعدهم على الشعور بالسعادة والإقبال على الحياة بجدية.

2- أهداف علم النفس الإيجابي :

تحقيق الصحة النفسية: إن تمتع الفرد بالصحة النفسية ليس مجرد خلوه من المرض، بل يتعدى الأمر إلى الإستمتاع بالحياة وتحقيق الذات، فقد عرفت منظمة الصحة العالمية بأنها " ليست الخلو من الأمراض، ولكنها حالة أكثر إيجابية تبدوا في الصلاحية الجسمية والإنفعالية والإجتماعية "، وهنا نعني أن الإيجابية ليس مجرد الإختفاء من السلبية ولكن تخطيها إلى إكتساب إنماط سلوكية هادفة تساهم في تحقيق الرقي للفرد والمجتمع والوجود الإنساني ككل.

إذن الإيجابية هي تفعيل دور السواء لمصلحة الفرد والمجتمع وهو هدف من أهداف علم النفس الإيجابي الذي يسعى إلى التركيز على القوى البشرية ومساعدتها على إكتشاف النواحي الإيجابية للأفراد وتتميتها والتعالي أو تجاهل الجوانب السلبية لديهم وبالتالي تالشيها ، سعيًا منه إلى تحقيق التوافق والصحة النفسية. تمكين الأفراد من الإحساس بالسعادة والرضا عن الحياة: السعادة هنا لا تعني بها السعادة الفردية القائمة على الميزات وإتباع الأهواء ، وإنما السعادة القائمة على عادات المجتمع وأعرافه ، ومن هنا نستنتج أن علم النفس الإيجابي هو علم يدعو الإبتعاد عن النظرة الأحادية للحياة ، فهو يدعو إلى البحث عن الأشياء الإيجابية للحياة والإبتعاد عن السلبيات ، لأن هذا يجعلنا نشعر بالكآبة والحزن والمرض النفسي . إذن علم النفس الإيجابي بشكل عام يسعى إلى تهيئة الظروف التي تحقق أفضل درجة للوجود الإنساني الجيد ، الذي يراه بعض العلماء مصطلح مرادف للصحة النفسية والرفاهية النفسية ، ويسعى علم النفس الإيجابي إلى تحقيق مصطلح الوجود الإنساني الأفضل الذي يعني القبول ، التمتع بالصحة الجيدة ، حسن الحال ، الغنى ، المودة ، العدل وتقبل الآخر ، وكل هذا يدخل في الصحة النفسية والبدنية والمكانة الإجتماعية ، فالأفراد يشعرون بالوجود الأفضل عندما يشعرون بخبرات سارة ، وهذا لا يعني مجرد حياة صحية جيدة ، بل يعني وجود أفضل ، والذي يعتبر المنطقة الوحيدة لعلم النفس الإيجابي (عادل العدل ؛ 2007:ص.10).

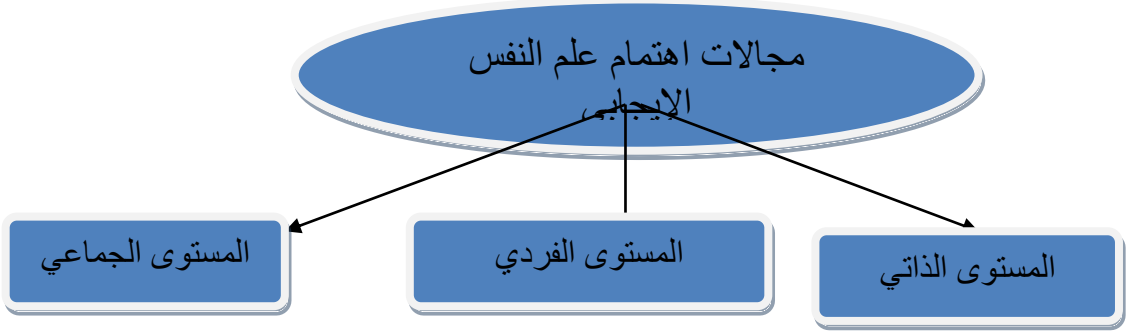
فالفرد لا يصل إلى وجود إنساني أفضل إلا إذا شعر وأحس بالسعادة ، والتي تعد بدورها من المحاور والأهداف الرئيسية لعلم النفس الإيجابي ، ويرى علماء النفس الإيجابي أنه يمكن الحصول على السعادة من خلال معادلة بسيطة تتضمن ما يلي:

$$\text{استمتاع} + \text{انغماس} + \text{معنى} = \text{سعادة}$$

ويشير العلماء إلى أن الاستمتاع والانغماس في شيء يزيد من شعور الفرد بالسعادة ، لذا يجب على الفرد الاستمتاع بالأشياء التي يفعلها (صفاء الأعسر ؛ 2005:ص.18). ويؤكد مارتن سيلجمان (Selgman) أن الفرد يصبح أكثر سعادة عندما يحاور نفسه ، ويتعدى الأفكار السيئة ويحللها ويقارنها بما يتمتع من مزايا وأشياء إيجابية. تحقيق الاندماج في الحياة: إن الشعور بالسعادة عصرا أساسيا لا يمكن الاستغناء ، عنه فالأشخاص السعداء أقل عرضة للمعاناة فنجدهم يعيشون حياة أفضل ، وهم أكثر فعالية من غيرهم ويندمجون في الحياة بصورة سريعة ، فالفرد بإمكانه أن يتحكم في سعادته ، لأن العبرة هو كيفية التعامل مع المواقف التي يتعرض لها الفرد ومواجهتها ، وهذه هي النظرية التي يسعى علم النفس الإيجابي لتحقيقها ، حيث يؤكد (سلجمان) أن الفرد كي يكون سعيدا بآتم معنى الكلمة عليه يشعر بالرضا عن الحياة (الماضي ، الحاضر والمستقبل) ويندمج فيها ، وان يكون لديه التفكير الإيجابي اتجاه المواقف ، وعدم التفكير في السلبيات التي عاشها في الماضي ، لأن الانغماس فيها يجعله يشعر بالحسرة والإحباط ، وسوف يمنعه من العيش في التفكير في الحاضر بشكل طبيعي وإيجابي (صفاء الأعسر ؛ 2005:ص.45).

نستخلص من خلال ما سبق أن علم النفس الإيجابي يسعى إلى تحقيق إهداف وغايات فاضلة وسامية ، وهي الوصول بالفرد إلى الصحة النفسية والشعور بالسعادة والرفاهية والرضا عن الحياة والوجود الإنساني الأفضل ، حتى يكون فردا فعالا في المجتمع ويندمج في الحياة بطريقة سهلة ، فعلم النفس الإيجابي يسعى إلى ترسيخ ثقافة الاستمتاع بالحياة والانغماس فيها ، والنظرة الإيجابية للموافق حتى يتسنى للفرد أن يعيش حاضره بكل رفاهية واستمتاع.

3- مجالات اهتمام علم النفس الإيجابي: طالب العديد من علماء النفس البارزين في الآونة الأخيرة بتحسين صورة علم النفس الإيجابي وذلك بتعديل وتطوير نظريته واهتماماته من التركيز على الجوانب المرضية واللاسوية إلى محاولة البحث والتركيز على الجوانب والخصائص النفسية الإيجابية ، ومن هنا برز علم النفس الإيجابي متخذا لنفسه ثلاث مستويات تتضمن العديد من مجالات الاهتمام وهي كالآتي:



أحمد عبد الخالق ، 2003 ، ص 299).

الشكل رقم (01) يمثل مجالات اهتمام علم النفس الإيجابي

وفيما يلي نعرض مجال اهتمام علم النفس الإيجابي في كل مستوى من المستويات:

المستوى الذاتي (الشخصي): Subjective Level: يركز على الخبرات الذاتية ذات القيمة في حياة الفرد كحسن الحال ، الرضا عن الماضي ، والسعادة في الحاضر والتفاؤل في المستقبل.

المستوى الفردي: Individual Level: يهتم هذا المجال بالتركيز على السمات الشخصية الإيجابية كالقدرة على الحب والعمل والشجاعة والمهارة والمثابرة والحكمة.

المستوى الجماعي: يدل هذا المستوى على الفضائل والقيم والأعراف والمعايير التي تحرك الفرد نحو مواطنة أفضل ، كتحمل المسؤولية ، الإيثار والاعتدال ، الصبر والعمل الأخلاقي (عادل العدل ؛ 2008:ص.08).

يتبين من خلال ما سبق أن علم النفس الإيجابي تناول جوانب الشخصية الأربعة (الانفعالية ، السلوكية ، العقلية والاجتماعية) وتدلل على سمات الشخصية الإيجابية كما أنها متدرجة ففي المستوى الأول نجد المحك الذاتي ، وفي الثاني أصبح محركا من خلال التفاعل معه ، وفي الثاني أصبح المجتمع محركا بقيمه وأعرافه (عادل العدل ؛ 2008:ص.09).

4- تطبيقات علم النفس الإيجابي:

تطبيقات علم الإيجابي في المجال الإكلينيكي: عرفت الجمعية الأمريكية (1935) علم النفس الإكلينيكي بأنه العلم الذي يهدف إلى تعريف الإمكانيات والخصائص السلوكية للفرد من خلال مناهج القياس والتحليل والملاحظة، وإحداث نوع من التكامل بين المعلومات المجمعّة عن الفرد من المصادر، واستخدام الفحوص الطبية والتاريخ الاجتماعي (عبد الستار إبراهيم؛ 1993:ص.23). ولكن علم النفس الإكلينيكي أعم وأشمل من ذلك لأنه يساهم في تشخيص وعلاج الاضطرابات النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية والوقاية منها، فهو يساهم في عملية التشخيص الإكلينيكي باستخدام فنيات التشخيص، كما أنه يتضمن عملية العلاج باستخدام العلاجات النفسية المتعددة، وبلعب دوراً أكبر في عملية الوقاية بمستوياتها المختلفة، سواء من حيث سعيه نحو تحسين نوعية الحياة وتعديل الظروف السالبة التي تحيط بالفرد، أو من خلال العمل على اكتشاف الأفراد أو المجموعات البشرية المعرضة للخطر أو الاضطراب، أو من خلال العمل على الوقاية من حدوث الانتكاس. في حالة الاضطرابات التي يتم علاجها، وعلى ذلك فإن لعلم النفس الإيجابي تطبيقات عديدة وفعالة في المجال الإكلينيكي ومنها ما يلي (سيد أحمد الوكيل؛ 2010:ص.145).

التنمية الإيجابية: Positive development: يعمل علم النفس الإيجابي على اكتشاف النواحي الإيجابية والقدرات والسمات والمهارات الإيجابية في شخصية الفرد، بمعنى البحث عن مناطق القوة والتميز في الشخصية والتأكيد عليها لنورها ورعايتها حتى يصل الفرد إلى مستوى عالٍ من السعادة والتوافق النفسي والاجتماعي.

الوقاية الإيجابية: Positive Prevention: يمكن استخدام علم النفس الإيجابي في بشكل فعال في مجال الوقاية، فاهتم علماء النفس الإيجابي بما يسمى بالوقاية الإيجابية، حيث ركزوا على وقاية الشباب والأطفال والمراهقين من الإصابة بمشكلات القلق والاكتئاب والإدمان، وذلك من خلال التركيز على الكفاءة والقوة والشجاعة والنواحي الإيجابية للفرد التي يسعى علم الإيجابي إلى تنميتها وتدعيمها لتحمي الإنسان من الوقوع في الاضطراب والصراع والإحباط (خالد إبراهيم الفخراي؛ سيد أحمد الوكيل؛ 2014:ص.387).

العلاج: Treatment: بالرغم من أن علم النفس الإيجابي مازال علماً وفتحاً حديثاً من فروع علم النفس إلا أنه سوف يكون له شأناً وفعالية كبيرة في العلاج النفسي، حيث يقوم العلاج النفسي الإيجابي على الاهتمام بالسمات الإنسانية الإيجابية، إلى جانب الاهتمام بعلاج نقاط القوة لدى الفرد، فالعلاج الطبي يقوم بتسكين الألم، أما العلاج النفسي الإيجابي يعالج الضعف وينمي ويدعم نقاط القوة لدى الفرد (حسن الفنجري؛ 2008:ص.32).

الكفاءة الذاتية: Self Efficacy: إن الكفاءة الذاتية هي اعتماد الفرد على قدراته في تحقيق وإنجاز شيء ما أو نوع معين من السلوك، وهي ثقة في قدرة الفرد على الأداء والسيطرة على مجريات حياته ومواجهة ما يقابله من عقبات، وبالتالي فإن تنمية الكفاءة الذاتية يجعل الفرد أكثر رغبة في المخاطرة والتحدى والسعي لبذل الجهد لمواجهة ما يواجهه من تحديات في الحياة، وكل هذه التحديات يزداد إحساسه بقوة كفاءته الذاتية (حسن الفنجري؛ 2008:ص.74).

2-4 تطبيقات علم النفس الإيجابي في المجال الاجتماعي: أثر التطور التكنولوجي السريع على الإنسان وتواجهه في المجتمع وعجز عن فهم ذاته وفهم المحيطين به، حيث تفاقمت أنواع الجريمة والجروح

والانحراف والنصب والسرقة والتزوير ، وانتشرت الحروب النفسية الإلكترونية والدعائية لتؤثر بشكل قد يكون سلبي على المجتمع ومبادئه وقيمه ، وأصبح الإحباط والقلق والاضطرابات وتعدد العلاقات داخل المجتمع من أهم مظاهر السلوك الاجتماعي ، ولقد كانت لمثل هذه التطورات الاجتماعية السلبية دافعا للكثير من علماء النفس التخفيف من حدة هذه الاضطرابات النفسية والاجتماعية ، حيث حاول العلماء تطبيق مبادئ علم النفس الإيجابي ، مؤكدين أن اكتشاف المناعة السيكلولوجية هي السبيل الوحيد للتصدي لمثل هذه الاتجاهات السلبية وتحويلها إلى نزعات واتجاهات إيجابية وبالتالي تتحسن شبكة العلاقات الاجتماعية ، وذلك عن طريق تنمية نزعة التسامح ، التقبل الاجتماعي للمتغيرات والظروف والاتجاهات المحيطة بنا ، وقرر علماء النفس الإيجابي تنمية النزاعات الإيجابية والإنسانية السوية داخل الفرد هي السبيل الحقيقي لتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للفرد والمجتمع بأكمله (سيد احمد الوكيل ؛ 2010: ص.118).

خاتمة: نستنتج من خلال ما تم عرضه أن علم النفس الإيجابي رغم كونه من الفروع الحديثة في علم النفس ، ولكن ما يسعى لتقديمه من أسس ومبادئ وخدمات لرفاهية ورفي الفرد والمجتمع ، جعله يحتل مكانة مرموقة في الآونة الأخيرة ذلك لأنه يهتم بجميع المجالات السائدة في المجتمع ، وبروز دوره في المجال الإكلينيكي وذلك سواء من الناحية النمائية التي تهدف إلى الكشف عن مواطن القوة الإيجابية في شخصية الفرد وتنميتها والابتعاد عن السمات السلبية للوصول بالفرد للعيش في قمة السعادة ، ومحاولة التركيز على وقاية الأفراد من الوقوع في الاضطراب من خلال استخدام هذه السمات الإيجابية كتحصين للوقوع في المرض النفسي ، وتفعيل دور الكفاءة الذاتية لتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي .

قائمة المراجع:

- 1- أحمد محمد عبد الخالق(2003) ، الصيغة العربية لمقياس سنايدر للأمل ، مجلة الدراسات النفسية ، مجلد 14 ، العدد 02.
- 2- حسن عبد الفتاح الفنجري(2008) ، فاعلية إستخدام بعض إستراتيجيات علم النفس الإيجابي في التخفيف من قلق المستقبل ، المجلة المصرية ، للدراسات النفسية ، المجلد الثامن ، العدد 75.
- 3- خالد إبراهيم الفخزاني ، 2014 ، علم النفس الإيجابي وتطبيقاته في المجالات الإكلينيكية والاجتماعية والجنائية ، المؤتمر الإقليمي العاشر بجامعة طنطا .
- 4- سيد أحمد الوكيل(2010) ، فاعلية إستخدام بعض فنيات علم النفس الإيجابي في تحسين مستوى التوافق النفسي لدى عينة من مرضى السكر ، مجلة كلية التربية ، جامعة بور سعيد.
- 5- صفاء الأعسر وآخرون(2005) ، السعادة الحقيقية: إستخدام الحديث في علم النفس الإيجابي ، القاهرة دار العين للنشر.
- 6- عادل محمد العدل (2008) ، علم النفس الإيجابي ومهارات الإستمتاع ، ورقة مقدمة إل مؤتمر الجمعية المصرية للدراسات النفسية ، جامعة الرقازيق.
- 7- عبد الستار إبراهيم(1993) ، العلاج السلوكي المعرفي الحديث ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر .
- 8- محمد السعيد أبو خلاوة(2006) ، علم النفس الإيجابي ، منشورات كلية التربية ، الإسكندرية ، مصر .
- 9- محمد نجيب الصبوة(2006) ، دور علم النفس الإيجابي في تفعيل إجراءات الوقاية والعلاج النفسي ، الكويت.